

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر (2) أبو القاسم سعد الله
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

العبقريّة الإغريقية بين الأصول الشرقية والبواكير المحلية
من القرن السادس عشر ق.م إلى القرن الرابع ق.م

أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ القديم

تحت إشراف الأستاذ الدكتور

بلقاسم رحمانى

إعداد الطالبة

نوال طيب

السنة الجامعية: 2017 - 2018



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر (2) أبو القاسم سعد الله
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ



العبقريّة الإغريقية بين الأصول الشرقية والبواكير المحلية من القرن السادس عشر ق.م إلى القرن الرابع ق.م

أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ القديم

تحت إشراف الأستاذ الدكتور

إعداد الطالبة

بلقاسم رحمانى

نوال طبيب

لجنة المناقشة:

الصفة	الجامعة الأصلية	إسم و لقب الأستاذ	
رئيسا	قسم الآثار - جامعة الجزائر	مصطفى فيلاح	الأستاذ الدكتور
مقررا	قسم التاريخ - جامعة الجزائر	بلقاسم رحمانى	الأستاذ الدكتور
عضوا مناقشا	قسم التاريخ - جامعة الجزائر	ليلى بومريش	الدكتورة
عضوا مناقشا	قسم التاريخ - جامعة الجزائر	بنت النبي مقدم	الدكتورة
عضوا مناقشا	قسم التاريخ - جامعة الجلفة	احمد ثليجي	الدكتور
عضوا مناقشا	قسم التاريخ - جامعة الجلفة	محمد كاكى	الدكتور

السنة الجامعية: 2017 - 2018

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وتقدير:

أشكر الله التقدير الذي أمدني بالقوة والعزيمة لإنجاز هذا العمل المتواضع.

(وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ)

❖ إلى الأستاذ المحترم الدكتور بلقاسم رحمانى ، الذي لم ييخل علي طيلة مدة تكويني في مرحلتي الماجستير و الدكتوراه لحوالي عقد من الزمن بتوجيهاته القيمة السديدة، و نصائحه الرشيدة ، و سعة صدره معي ، جعل الله عمله في ميزان حسناته، و وفقه الله لخدمة العلم و طلبته .

❖ إلى أعضاء لجنة المناقشة الموقرة التي تشرفني بتوجيهاته فيما يخص بحثي المتواضع في سبيل الرسالة العلمية .

❖ إلى شقيقي الغالية الأستاذة كنزة طبيب، وفقها الله في إتمام أطروحتها في أقرب الآجال.

❖ إلى كل من ساعدني و دعمني بكل ما تيسر له من إمكانيات مادية و معنوية لإتمام هذا العمل المتواضع .

❖ الزميل عزالدين برادعي، الدكتور عبد النور العمري، الدكتورة مريم بوجناح، الأستاذة صليحة بوزيد، والأستاذة أمينة أوكيل، وفضيلة حفاف والأخ والزميل الدكتور سعيد جلاوي.

إلى كل هؤلاء أتقدم بأصدق مشاعر التقدير والامتنان،

و جزيل الشكر والعرفان الذي لا ينقصه إلا عجز الكلمات.

إهداء

❖ إلى كل من قدم نفسه لافتداء هذا الوطن من ظلمة و نير الاستعمار، من شهداء ثورة نوفمبر المجيدة، رحمة الله عليهم أطل الله عمر من بقي معنا من المجاهدين الأبرار، منهم والدي المجاهد : يحي طيب بحر الصبر و البذل و العطاء .

❖ إلى من تقصر أجمل الكلمات وأصدقها في إيفائها حقها علي وذكر فضلها، أمي الحبيبة.

❖ إلى من قاسموني ظلمة الرحم و نور الحياة، إخوتي محمد ، إسماعيل ، رزيق ، سفيان ، أسامة و العزيز بديار الغربية وليد ، أتمنى عودته بيننا . و الأخ الفاضل يوسف بوعوني .

❖ إلى أخواتي هاجر و صوفيا .

❖ إلى زهور العائلة من أبناء الإخوة من أميرة إلى آخر العنقود ماسيل مرورا بالحبوبة ماريا.

❖ إلى كل الصديقات و الزميلات . ، مسيكة نفات ، ليلي معمري و الأخت الفاضلة إيمان .ونجمة

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة هذا الجهد .

مقدمة

مقدمة :

تختصر الحضارة الإنسانية كفاح البشر في الحياة عبر عصور مختلفة ساهمت في تنمية مكتسبات من قيم روحية و أخرى مادية، و هي دائمة التطور و التجدد إلى أن تصل إلى صورتها المثلى عندما يتلاحم الرقي المادي مع تطور القيم الأخلاقية.

و تتعدد مصادر تطور هذه الحضارة، حيث تشكل الطبيعة منبعها الأول، ليساهم الإنسان بفضل حكمة عقله المبدع في ازدهارها لتعود بالفائدة عليه، فتتحول العوامل الطبيعية و البيئية إلى عوامل مساعدة في بناء حضارة الإنسان. و انطلاقا من هذا لنا أن نتخيل الجهود التي بذلها الإنسان منذ فجر الحضارة لتحسين ظروف معاشه، و مدى قدرته على إبداع و تطوير أساليب مختلفة المجالات، بل أن هذه الجهود امتدت إلى أبعد من ذلك إلى مرحلة ما قبل التاريخ خلال العصور الحجرية.

و قد بدا فجر الحضارة من منطقتي مصر و بلاد ما بين النهرين، لتشكّل هاتين المنطقتين المنبع الأصلي و المنطلق الأول للتطور البشري الذي كانت له روافد أخرى من حضارات الشرق القديم، كالمند و الصين و فينيقيا و بلادفارس، لينتقل مشعل الحضارة غربا فيبدأ من بلادالإغريق، و لقد استلهمت الحضارة الإغريقية عناصر تقدمها من تفاعل روافد مختلفة بلورت فكرتها الأساسية و المتميزة حضارة ذات طابع فكري فلسفي في المقام الأول.

و قد سعت هذه الحضارة نحو التجديد و التنظير، فأضفت على آدابها و فنونها وعلومها ميزة فلسفية تجريدية شكلت سرّ استمرارها، و الدليل على ذلك قوة تأثيرها في الآداب و العلوم و الفنون في العالم ككل إلى يومنا هذا، كما ارتبطت قيمة الحضارة الإغريقية و أهميتها بأسماء برزت في مجالات الفلسفة و العلم من أمثال هوميروس، فيتاغورس، و سقراط، و أفلاطون، و أرسطو، و هيرودوت، و غيرهم من الذين صاغوا أفكار عصرهم أفضل صياغة، و عبروا عن منطق الفكر

الإنساني تعبيراً سيطر على الفكر الغربي الحالي بحيث امتدت جذوره التاريخية إلى ما قبل حوالي عشرين قرناً من الزمن.

هذه الرواسب التي أعاد الفكر الغربي إحياءها مع بداية العصور الحديثة محاولاً إرساء فكرة أن هؤلاء الإغريق هم من أبدعوا في الفكر و العلم و الأخلاق و الاجتماع و السياسة و الفن و الرياضيات و الفلك و الطب و الفلسفة و المنطق. فالحضارة الإغريقية في نظر هؤلاء . هي خلق عبقرى أصيل جاء على غير منوال، و لم يسبقها إلى ذلك حضارات أخرى، و لم تتأثر و لم تتصل لا بمصر، و لا ببلاد ما بين النهرين، و لا فينيقيا، و لا بلاد فارس و لا غيرها من المراكز الحضارية للعالم القديم، بل هي أوربية النشأة و التطور.

و أصحاب هذا الرأي من دعاة فكرة العبقرية الإغريقية الذين سعوا بكل ما أوتوا من قوة إلى تمجيد هذه الحضارة التي ترمز بالنسبة لهم إلى حضارة الأجداد، فتحدثوا طويلاً و بإسهاب عن ذلك الإنجاز الهائل الذي حققه هؤلاء فجأة و دون أي مقدمات تذكر، و دون أن يكونوا مدينين لأي شعب أو حضارة أخرى سابقة لهم.

و التاريخ يثبت أن حضارات الشرق القديم كانت مزدهرة قياساً إلى عصرها، و من ثم كان من الضروري أن تركز على أساس من العلم و المعرفة، غير أن هذا العلم في نظر دعاة العبقرية الإغريقية اعتمد على الخبرة و التجربة المتوارثة، لأنه - حسبهم - كان يهدف إلى البحث عن الفائدة العلمية و التطبيقات المهاراتية دون السعي إلى حب الاستطلاع الهادف إلى معرفة أسباب الظواهر، بل أن حضارات الشرق القديم - حسبهم دائماً - لم تكن تمتلك أي قدر من التحليل العقلي و النظري لهذه المعارف.

أما الحضارة الوحيدة التي توصلت إلى المعرفة النظرية التي توفر للعقل القدرة التحليلية و تتيح له كشف المبدأ العام من وراء كل تطبيق عملي هي الحضارة الإغريقية، بل أكثر من ذلك أنه ظهر من بين أتباع هذا الاتجاه من يرى أن التنقيب في أطلال الماضي السحيق للتوصل إلى حضارات

شرقية مزدهرة قبل حضارة الإغريق ليس سوى مضيعة للوقت إزاء الظروف الراهنة، لذلك يجب قطع الصلة بكل ذلك الماضي.

و في الوقت الذي تصاعدت فيه نزعة تمجيد الإغريق الذين أنشأوا العلم من العدم، كانت هناك طائفة من العلماء و المفكرين و المؤرخين الذين اتصفوا بكونهم أكثر موضوعية تجاه الطرح الداعي إلى فكرة تأسيس الإغريق لعلومهم من دون تأثير خارجي، حيث كان هؤلاء أكثر إنصافا لحضارات الشرق القديمة، و اتخذوا موقفا يقّر أن عزل حضارة الإغريق عن أي مؤثر خارجي يتنافى و المبادئ العلمية التي تستدل بفكرة اللّقاح الحضاري، و بوجود تواصل بين الشعوب في مجالات مختلفة و بدرجات متفاوتة.

و ضمن هذا الإطار تدرج هذه الدراسة التي سنحاول من خلالها البحث في أصول الفكر الإغريقي، و إمكانية تأثره بالنتاج الفكري و الحضاري لمراكز الشرق القديم التي يعود تاريخ بعضها المكتوب إلى 3000 سنة قبل الميلاد، في حين أنّ حضارة الإغريق ظهرت بوادرها و تطورت خلال الألف الثاني قبل الميلاد، و مهما يكن فإنّ الإغريق قد أنتجوا حضارة تتوافق مع الطابع العام لظروفهم الطبيعية و البيئية.

و تكمل أهمية هذه الدراسة التي تمحورت حول موضوع العبقريّة الإغريقية بين الأصول الشرقية و البواكير المحلية في محاولة وضعها في إطار موضوعي يهدف إلى استخلاص الجهود الخاصة و الخالصة للإغريق في صنع حضارتهم، و مدى تأثرها بمؤثرات خارجية انبعثت من إنجاز شعوب الشرق القديم التي سبقتها زمنيا، و ذلك من خلال استعراض مختلف جوانب الموضوع، بما في ذلك تقييم العبقريّة الإغريقية.

و تقف وراء اختيارنا لهذا الموضوع المعنون ب العبقريّة الإغريقية بين الأصول الشرقية و البواكير المحلية أسباب عديدة أهمها:

- الرغبة في الوقوف على حقيقة فكرة العبقريّة الإغريقية من خلال دراسة جذورها التاريخية و أبعادها الإيديولوجية و الفكرية و المذهبية.
- التعرف على أهم الإنجازات الفكرية للحضارة الإغريقية التي ميزتها عن الحضارات الأخرى في مجالات العلوم و الفلسفة، مع محاولة استخلاص الجهود الخالصة للعلماء و الفلاسفة الإغريق، و السعي لإثبات تأثيرها بما ظهر في الشرق القديم من عدمه من خلال البحث في أصول العلوم و الفكر إن كانت إغريقية النشأة أم سبق لها و ظهرت في حضارات الشرق القديم.
- الإطلاع على طبيعة العلاقات الحضارية بين الشرق القديم و حضارة بلاد الإغريق من خلال البحث في جسور التواصل الحضاري، خاصة و أن الحضارة الإنسانية خضعت بمنطق التجربة و بإقرار الدراسات الإنسانية و الاجتماعية إلى عملية التأثير و التأثير الدائمة عبر مختلف العصور، لأن الحضارة السابقة و الحضارات اللاحقة لها تؤكد وجود ضرب من التواصل الذي يضمن الاستمرارية، و أنه لا توجد حواجز فاصلة بين الحضارات ما دامت تنتمي إلى جنس واحد و هو الجنس البشري الذي يمثل الأرضية الأساسية لهذا التواصل، فالسابق كان لاحقاً لمن قبله، و اللاحق لا يلب أن يصير سابقاً لمن بعده.
- فيتم ذلك التلاحم دون أن تفقد كل حضارة هويتها و ملامحها الأساسية المكونة لها، و التي يطبعها تمايز الزمان و المكان، لذلك انطلقنا في هذه الدراسة من رغبتنا في استخراج و دراسة ملامح هذا التواصل.
- الرغبة في معرفة جوانب الفكر لدى حضارات الشرق القديم و إسهاماتها في طرح و مناقشة المشكلات الطبيعية الأولى، خاصة حول نشأة الكون و القضايا المتعلقة بالإنسان، و منه استخراج جذور المعرفة الأولى و منابعها الأصلية انطلاقاً من معرفة وجه العلاقة بين الفكر الإغريقي و الفكر الشرقي القديم، و مدى استفادة الإغريق بحكم تواجدهم الزمني المتأخر مقارنة مع حضارات الشرق الأسبق منهم.

— هيمنة المركزية الغربية بمختلف أبعادها الثقافية و الإيديولوجية التي تركز فكرة الإدعاء على أنها وريثة الحضارة الإغريقية التي مجدت إلى درجة اعتبارها ثقافة كونية شاملة، مع إقصاء لكلّ الثقافات الأخرى، و بالمقابل حدوث استجابة سلبية من الطرف الآخر المتمثل في الثقافة الشرقية الحالية التي انبثقت عنها حضارات الشرق القديم.

حيث رهنّت هذه الثقافة ذاتها بعلاقة إمتثالية للثقافة الغربية التي أقصت ثقافات الأمم الأخرى بما فيها الأمم الشرقية في العصور القديمة، و ذلك ما دفعنا للبحث في خلفيات هذا الإدعاء الذي روج له خاصة في العصور الحديثة لغايات و أغراض خدمت إلى حدّ كبير التوسع الاستعماري الغربي للبلاد الشرقية.

و تتمحور إشكالية البحث حول دراسة الفكر الإغريقي الذي تميز بالتأسيس النظري المجرد للعلوم و الفلسفة، و الذي اعتبر في نظر البعض عبقرية أو معجزة، بينما اعتبره البعض الآخر نقلة طبيعية تأثرت بالتراكم المعرفي المتواتر الذي استفاد منه الإغريق بحكم إطلاعهم على حضارات الشرق القديم — السابقة لهم — و كان عليهم بالضرورة أن يضيفوا إليه الجديد، أي هل ظهر الفكر الإغريقي بمختلف مجالاته العلمية و الفلسفية نتيجة التأثير بأفكار أجنبية دخيلة، و بذلك يكون قد ورث الكثير عن حضارات الشرق القديم؟ أو أن الإغريق استطاعوا خلق فكر جديد متميز بالطابع العقلي المنظم المنظر، و بذلك يكون أصيلاً؟

و تندرج ضمن هذه الإشكالية تساؤلات فرعية و هي :

— ما طبيعة العلاقات التاريخية و الحضارية بين حضارات الشرق القديم و حضارة بلاد الإغريق؟

— إذا كان الفكر الإغريقي قد ازدهر في مجالات عدّة، فما هي العوامل التي جعلته يتطور في تلك الفترة بالذات خاصة على المستوى المحلي؟

— إتخذ الفكر الإغريقي مظاهر مختلفة الميادين بين الأدب و المسرح و الفلسفة و الطب والرياضيات و الفلك، فإلى أي مدى أثرت المعارف التي ظهرت أولاً في حضارات الشرق . بحكم الأسبقية الزمنية . في الفكر الإغريقي؟ و ماذا أضاف الإغريق إلى الحضارات السابقة ؟

— إلى أي مدى يمكن الأخذ بفكرة العبقورية الإغريقية ؟ و هل كل ما ظهر من علوم مختلفة و فلسفة هو إغريقي خاص و خالص تجريدي و عقلي متميز عن غيره بحكم تميز الجنس الإغريقي عن غيره من الأجناس بخصائص فريدة عقلية محضة ؟

إنّ دراسة موضوع العبقورية الإغريقية تعد بمثابة البحث في البدايات الأولى لحضارة بلاد الإغريق من حيث استخلاص أصولها الفكرية ، و التي بلغت أوجها بين القرنين السادس و الرابع قبل الميلاد، و ذلك ما فرض علينا إتباع المنهج الوصفي القائم على جمع المادة التاريخية و تصنيفها للإلمام بجوانب الموضوع، إضافة إلى المنهج التحليلي الذي يتيح لنا الكشف عن الأسباب و العلل و القراءة المعمقة لمجريات الأحداث، و مدى تطابقها مع نصوصها الأصلية التي تعود في مجملها إلى قدماء الإغريق، كما فرضت علينا طبيعة الموضوع استخدام منهج المقارنة الذي يسمح لنا بالمقارنة بين خاصية العلوم و المعارف التي وجدت ببلاد الإغريق و نظيرتها التي كانت في حضارات الشرق القديم، لنتمكن من استخراج طبيعة العلاقة بينهما، و إمكانية استفادة الواحدة من الأخرى. فاعتمادنا على هذه المناهج يمكننا من الإطلاع على مختلف الاتجاهات و الآراء السائدة للباحثين الذين اهتموا بهذا النوع من الدراسات.

و للإجابة على الأسئلة المطروحة سابقا وحتى تكون الدراسة ملمة بجوانب الموضوع، قسمنا بحثنا إلى مقدمة و سبعة فصول و خاتمة، و أرفقناه بملاحق تدعم الدراسة. حيث تناولنا في الفصل الأول طبيعة العلاقات الثقافية و الحضارية بين حضارات الشرق القديم و حضارة بلاد الإغريق من خلال البحث في أصول المعرفة و الفكر و جسور التواصل الحضاري بين المنطقتين.

أما الفصل الثاني خصصناه لدراسة العوامل الداخلية لتطور الفكر الإغريقي في مجالات مختلفة تاريخية و سياسية و اقتصادية و بشرية، و مدى تأثيرها على ملامح المجتمع الإغريقي و تكوين شخصية أفراده.

و عالجنا في الفصل الثالث مجالات الأدب و المسرح محاولين إبراز الجذور التاريخية لهذين المجالين اللذين كانا موجودين في حضارات الشرق القديم، و ما أضافه الإغريق في هذا المجال.

و تطرقنا في الفصل الرابع إلى دراسة أصول التفكير الفلسفي الذي كان الطابع الخاص المميز للفكر الإغريقي، و ذلك من خلال البحث في أصوله الشرقية، لنصل إلى ما جاء به فلاسفة الإغريق من نظريات في مختلف جوانب المعرفة، مع إبراز الجهود الخالصة لمفكري الإغريق و تميزهم في كتابة التاريخ.

و خصصنا الفصل الخامس لدراسة مجال الطب الذي عرف و مورس في حضارات الشرق القديم بدليل المخلفات الأثرية التي حملت مختلف الوصفات الطبية، فضلا عن النصوص التشريعية التي نظمت ممارسته في بلاد ما بين النهرين، لنصل إلى ما بذله الأطباء الإغريق من جهود بهدف تطويره و تخليصه من الممارسات السحرية.

و بحثنا في الفصل السادس من هذه الدراسة في مجالي الرياضيات و علم الفلك لاتصالهما بممارسة الحياة اليومية بصفة مباشرة أولا في حضارات الشرق القديم، و ذلك بشواهد تاريخية و أثرية، لنصل إلى ما أضافه علماء الإغريق لهذين المجالين من نظريات وضعت أصول البديهيات والمسلمات، خاصة في مجال الرياضيات.

لنتتهي في الفصل السابع و الأخير غلى حاولنا من خلال وضع حصيلة تقييمية للموضوع من خلال الدراسات النقدية التي حللت فكرة العبقورية الإغريقية من خلال دراسة أبعادها و أهدافها و جذورها التاريخية.

كما حاولنا استخراج خاصية تميز الفكر الإغريقي من خلال دراسة المواقف المعارضة و المؤيدة لهذه الفكرة، لنخلص إلى مجموعة من الاستنتاجات حول حقيقة هذا الفكر. و في الأخير قدمنا حوصلة للموضوع من خلال إبراز مجموعة من الاستنتاجات و النتائج التي تضمنتها الخاتمة.

و لقد اعتمدنا على مجموعة من المصادر و المراجع التي تطرقت لهذا الموضوع من خلال الإطلاع على النصوص القديمة لفلاسفة الإغريق و مفكريهم ككتاب: هيرودوت، و محاورات أفلاطون المختلفة و منها القوانين، الجمهورية و طيماويس، فضلا عن كتابات أرسطو منها السياسة، و الكون و الفساد، و دستور الآثينيين، و لكن ميزة هذه الكتابات أنها ذات طابع فلسفي محض، و هذا ما صعب علينا استنباط المعلومة ضمن سياقها التاريخي.

كما اعتمدنا على العديد من المراجع باللغتين العربية و الأجنبية تبرز مختلف الآراء و المواقف للمفكرين الذين اهتموا بهذا النوع من الدراسات، و لكننا لاحظنا أن منها ما اتّصف بالموضوعية من خلال إبراز أصول الفكر الشرقية و الإغريقية ككتاب تاريخ العلم بمختلف أجزائه لجورج سارتون، و كتاب العلم الإغريقي لبنيامين فرناين ، و منها من مجّدت ابداع الفكر الإغريقي و اقصته عند الشرقيين ، و هو ما لاحظناه في مؤلفات بعض الفلاسفة كهيغل و برتراندراسل من خلال مؤلفات محاضرات في فلسفة التاريخ، و تاريخ الفلسفة الغربية وكذلك مؤلف حكمة الغرب، و كتاب برينت **The Greek philosophy**، فضلا عن مراجع أخرى ومقالات تمحورت حول هذه الدراسة.

و خلال هذا البحث واجهنا عدة صعوبات و من أبرزها :

— عدم العثور على أي مؤلفات أو كتب للمفكرين الشرقيين القدامى تتضمن آراءهم العلمية البحتة إجمالاً أو تفصيلاً، و يعود السبب في ذلك إلى أن الفئة التي مارست العلم في الحضارات الشرقية القديمة هي فئة الكهنة التي حصرت الاحتفاظ بالمعارف العلمية لنفسها،

باعتبار أن ذلك سرا مقدسا يتناقله هؤلاء عبر الأجيال دون البوح به إلى غيرهم، لتحفظ لنفسها بالقوة و النفوذ و المهابة التي تولدها المعرفة العلمية، فتضفي على نفسها و الآلهة التي تخدمها صفة القداسة أمام عامة الناس الذين لا يعرفون من العلم إلا القليل.

— ضياع العديد من المدونات ذات الطابع العلمي نتيجة ظروف طبيعية و تاريخية مختلفة، و ذلك ما أدى إلى نقص المعلومات حول الموضوع، خاصة لدى حضارات الشرق عدا بعض ما أكتشف من برديات أو ألواح طينية خلال عمليات الكشف الأثري.

— غياب حلقة الربط في العلاقة المباشرة بين حضارات الشرق و حضارة بلاد الإغريق في المجال الفكري، إلا من خلال إثبات الدراسات التاريخية لبعض الزيارات التي قام بها المفكرون الإغريق للمراكز الحضارية في الشرق القديم، و هو ما فرض على الدارس لهذا الموضوع وضع الاستنتاجات و المقارنات التاريخية القائمة على دلائل و اكتشافات أثرية في مختلف المواقع الجغرافية.

— صعوبة استخراج المعلومات التاريخية من المصادر القديمة، خاصة تلك التي تميزت بالطابع الفلسفي كمؤلفات أفلاطون و أرسطو، وأخرى امتازت بالطابع الأدبي كالإلياذة و الأوديسا، و مؤلفات هيزيود.

— تطرف مواقف العديد من المؤلفين المحدثين إلى انتماءاتهم الفكرية و الحضارية، مما صعب علينا استنتاج الحقائق التاريخية، خاصة و أنّ الفكرة الأساسية لهذا الموضوع كانت بمثابة المادة الأولية للصراع بين الحضارات الشرقية و الغربية.

و رغم هذه الصعوبات تمكنا بفضل الله عز وجل من إنجاز هذا البحث و إخراجهِ في الشكل الذي هو عليه الآن، و نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ الفاضل الدكتور بلقاسم رحمانى الذي أشرف على هذا العمل طيلة سنوات البحث، كما لا يفوتنا شكر الدكاترة أعضاء المناقشة على صبرهم و سعة صدرهم لتحملهم عناء دراسة و تحليل و نقد هذا العمل حتى نتجاوز بعض زلاتنا و هفواتنا .

الفصل الأول: أثر حضارات الشرق القديم على حضارة الإغريق

- 1- دور عملية الاقتباس و التقليد في التطور الحضاري للشعوب القديمة
- 2- ملامح النهضة العلمية في الشرق القديم
- 3- جذور و جسور التواصل الحضاري بين حضارات الشرق و بلاد الإغريق
- 4- العلاقات الثقافية بين حضارات الشرق القديم و حضارة الإغريق .

الحضارة هي تراث مادي و معنوي يتمثل في جميع ما يتركه الآباء للأبناء و ما يتركه الأبناء للأحفاد، من مخلفات جسدت مختلف المعالم التي أصبحت عبر العصور تمثل شواهد تاريخية كانت خلاصة ابتكارات ابتدعتها عقول الأمم ، لخصتها تلك المؤلفات أو ما سجلته الرسوم التي توارثت عبر الأجيال المتعاقبة.

والتراث الإنساني لا يقف من حيث الزمان عند فترة محددة، و إنما يتواصل عبر جميع الحقب و العصور، ذلك لأن كل الانجازات الفكرية و المادية التي ازدهرت في أي ارض، هي في حقيقة التاريخ ميراث لهذه الأرض، و ميراث الحضارات القديمة هو أغنى من أن يحدد لمرحلة حضارية واحدة، لأنه جسد تراثا ضخما جمع الموروث المادي و المعنوي للإنسانية من أقدم العصور إلى الآن.¹

و تميز تراث الشرق القديم بانجازات امتدت إلى غيرها من الحضارات الأخرى التي تميزت بقدرتها على استيعاب هذه الثقافات، و الأمر هنا يتعلق بالحضارة الإغريقية التي أولى لها الدارسون في التاريخ و الحضارة اهتماما كبيرا، ذلك لأن تاريخ هذه الحضارة يعد من أكثر الموضوعات المساعدة على فهم تطور حياة البشرية و إدراك عوامل تقدمها و تأخرها.* إذ لا يمكن الفصل أبدا بين هذه الحضارات و ما جاورها من الحضارات التي قامت في إفريقيا و آسيا خاصة و أنها شغلت مجالا

1 : خليل سارة ، تاريخ الإغريق، منشورات جامعة دمشق، ص ص 15-16 .

* : اهتم المؤرخون و المفكرون بدراسة تاريخ الحضارة، و من بين هؤلاء المفكر (أنولد تويني) الذي درس حوالي عشرين حضارة (المصرية، السومرية، البابلية، الآشورية، الحبشية، السريانية، الهندية، الصينية و الفارسية و الإغريقية و الرومانية الخ) . و رغم ما خلفته هذه الحضارات إلا أنها لم تقو على مواجهة الزمن، و ازداد اهتمام الباحثين بهذه الدراسات تزامنا مع تنامي الحركة الاستعمارية منذ القرن التاسع عشر الميلادي، حيث تطلعت الدول المستعمرة للتعرف على سر تفوق هذه القوى الكبرى، أما الدول الاستعمارية تريد التعرف على نقاط لبسط السيطرة .

انظر : أحمد محمود صبحي، صفاء عبد السلام جعفر ، في فلسفة الحضارة اليونانية و الإسلامية و الغربية ، ط 1 ، دار وفاء الدنيا للنشر و التوزيع، مصر 2006 ، ص 11 .

جغرافيا مكن المجتمع الإغريقي* من التحرك فيه بسهولة و يسر¹ مستفيدة بذلك من عناصر التأثير و التأثير .

و تشير الدلائل التاريخية و الأثرية أن أقدم الحضارات الإنسانية ظهرت في منطقة الشرق القديم منذ آلاف السنين، خاصة حول الأنهار الكبرى كالنيل و الفرات و الدجلة دون نسيان تلك الحضارات التي قامت حول نهري الهند و الصين، و التي تدل مخلفاتها على أنها كانت حضارات ناضجة بالقياس إلى عصرها ، و من ثم كان من الضروري أنها ارتكزت على أساس من المعرفة .

وفي الوقت الذي كانت فيه هذه الحضارات مزدهرة كانت الشعوب الإغريقية دون مستوى هذا النمط الحضاري وهو ما يتطلب الاحتكاك بهذه المراكز للاستفادة من عناصرها الحضارية خاصة وأن الشواهد التاريخية والأثرية أكدت ذلك.**

و رغم أن العديد من المفكرين اعتقدوا بأن الإغريق هم أصل العلم و الحضارة، و أن علومهم وفنونهم و آدابهم من مستنبطاتهم، و أنهم غير مدينين بشيء لمن سبقهم من الحضارات القديمة ، إلا أن نتائج التنقيبات الأثرية في مصر و بلاد الرافدين و غيرها من المراكز القديمة غيرت نسبيا هذه المفاهيم ، ومن ثم تبين أن الشرق القديم هو منبع الحضارة ، و أن الإغريق يدينون بالفضل في ازدهار

* : في هذا البحث إستخدم مصطلح إغريق و تم إستخدام مصطلح يونان أيضا في إطار الإعتماد على أقوال المؤرخين و الفلاسفة و المفكرين.

1 : خليل سارة ، المرجع السابق ، ص 17 .

** : قسم علماء الحضارات القديمة هذه الحضارات إلى قسمين، أصلية و مكتسبة. فالحضارات الأصلية هي حضارة وادي النيل وحضارة بلاد الرافدين ، و حضارة الهند و الصين، أما الحضارة الكريتية و الإغريقية و الرومانية و غيرها من الحضارات المعاصرة لها هي حضارات مكتسبة لأنها بنيت على أساس الحضارات الأصلية مستفيدة بشكل من الأشكال من هذه الحضارات الأصلية. انظر : محمود محمد علي محمد، الأصول الشرقية للعلم اليوناني، ط 1، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، 1988، ص 14 .

حضارتهم إلى من سبقوهم من أمم الشرق مستدلين ومستندين على مختلف الدراسات الأثرية والتاريخية والأنثروبولوجية والاجتماعية.¹

1. دور عملية الاقتباس و التقليد في التطور الحضاري للشعوب القديمة

1.1 الانتشار والتلاقي ظاهرة أثرت في التطور الحضاري بين الشعوب القديمة

ذهب بعض علماء الأنثروبولوجيا إلى إثارة فكرة الانتشار والتلاقي الحضاري الذي تأسس على اعتبار أن كل اختراع اهتدى إليه الإنسان في مكان ما يمكن أن ينشر في كل مكان. ما دام ذلك الاختراع جديرا بالانتشار، و منه نذهب إلى القول أن هذه النظرة لا تنكر وقوع الاقتباس و التقليد بين قوم و قوم آخر، ذلك لأن ألوان التشابه بين الحضارات موجودة بفضل التقليد، و من مظاهر التقليد اللغة و الأفكار و الأدوات، فيصبح بالتالي هذا الفعل (التقليد) فعلا جديرا بالقبول عند المقتبسين الجدد، حتى و إن لم يكن مهياً للقبول العاجل، فيجب على الأقل أن يحظى بالقبول ويستلزم ذلك جهدا طويلا.

و الواقع أن هذه الخاصية الحضارية (الاقتباس و التقليد) لا تصبح خاصية القوم الجدد إلا بعد أن تفهم فهما جيدا واضحا تهضمه عقول هؤلاء المقتبسين الجدد، و يصبح بالتالي ذلك عملية خلق من جديد ناتج عن هذا التمازج، و مثل ذلك إقبال الناس على استعمال الآلات والأسلحة المعدنية بدلا من الحجرية و هو ما دفع بهم إلى نبذ تصوراتهم القديمة لأنهم أصبحوا على وعي تام بقيمة هذه المعادن وفعاليتها في مختلف الاستعمالات اليومية بدلا من الأدوات الحجرية التي أصبحت لا تتماشى مع تطور العصر في تلك الحقبة التاريخية، غير أن هذا استلزم قطع أشواط زمنية طويلة، كونه لم يتم بين يوم أو سنة.²

1 : محمود محمد علي محمد ، المرجع السابق ، ص 14 .

2 : جورج سارتون ، تاريخ العلم ، ج 1 ، الهيئة العامة لشؤون الطباعة 2010 ، ص 66 .

2.1 أسس عملية الانتشار الثقافي و مدى تطابقها بين الشرق القديم و بلاد الإغريق.

لكي تنتشر الثقافة من منطقة إلى أخرى يستلزم أن تكون بعض العناصر التي لا تتم عملية الانتشار إلا من خلالها، ومن أهم هذه العناصر:

1. لابد أن يكون هناك جانب مرسل وجانب مستقبل للعناصر الثقافية القابلة للانتشار، أو بمعنى أصح جانب مصدر وجانب مستورد ولا شك في أن دور المستورد هو الأهم، ذلك لأن نجاح عملية الانتشار يتوقف على مدى قبوله لهذه العناصر الثقافية أو تلك
2. لابد أيضا من وجود فرصة للاحتكاك بين كل من المصدر و المستورد وكلما زادت الفرصة المتاحة لأي مجتمع أن يقتبس من غيره ازدادت سرعة تقدمه الثقافي كما يراه الأنثربولوجي الأمريكي رالف لينتون (R linton)، و من جهة أخرى أن العزلة تقيد الانتشار، وهو ما يقودنا إلى استخلاص قاعدة أنثربولوجية عامة مفادها أن المجتمعات المعزولة تكون أقل تقدما -إن لم تحرم من التقدم نهائيا- ما دامت تلك العزلة تحول دون الاستفادة من الثقافات الأخرى*
3. يتطلب الانتشار كذلك نوعا من التشابه العام بين المصدر و المستورد لأن الأنثربولوجيين يفسرون ذلك بأن عملية الانتشار ليست عملية آلية، مثلها مثل عملية انتقال العدوى، لأن المجتمع لا يختار الفكرة أو الاختراع أو النظام السياسي أو الأسلوب الفني وغيره من العناصر الثقافية، إلا عندما تكون ملائمة للنمط العام السائد في الحضارة ذات المجتمع المستورد.**

*- للتأكد من تلك القاعدة يذكر أن سكان جزيرة (تسمانيا) انعزلوا عن البشرية منذ حوالي عشرين قرنا من الزمن، وعندما أكتشفهم الأوروبيين في العصر الحديث حوالي القرن الثامن عشر، وجدوهم على درجة من التخلف الثقافي هي نفسها التي كانوا عليها منذ عهد الانعزال، هناك أمثلة مضادة في العصور الحديثة تقوي مكانة الاحتكاك، حيث أقسم الإمبراطور الياباني أمام الشعب القسم الرسمي، الذي ينتهي بعبارة (سنبحث عن المعرفة في جميع أنحاء العالم) وربما لم يكن لليابان أن يصل إلى ما وصل إليه ما لم ينفذ هذا القسم .

انظر: حسن طلب، أصول الفلسفة، ط1، عين الدراسات والبحوث الإنسانية، مصر، ص33 .

** : و المثل في ذلك أن المهندوس كانوا يظهرون الاستعداد لتقلب الطقوس الدينية و الأفكار الفلسفية الجديدة ما دامت لا تتعارض مباشرة مع نماذجهم العامة ، و لكنهم كانوا في الوقت نفسه لا يظهرون أي اهتمام بما طرأ على أساليب الحياة من تحسينات و تطور خاصة في الصناعة ، لأن العالم المادي عندهم تافه جدا و لا يستدعي ذلك التطلع لتغيير عاداتهم .

غير أن هناك من يرى أن عملية الاقتباس لا تستوجب فقط عنصر التشابه بل حتى عناصر الاختلاف لأن تاريخ البشرية القديم أدرك اقتباس جماعات بشرية من جماعات تختلف عنها ثقافيا. و أن الأساس الذي يقوي هذا العامل من حيث الأهمية هو ذلك المرتبط بالقرب المكاني أو الجغرافي، لأنه إذا تساوت جميع الأمور الأخرى فإن عناصر الثقافة المنتشرة ستتبنها أولا تلك المجتمعات القريبة جغرافيا إلى منابعها الأصلية، لتتبنها في ما بعد المجتمعات الأبعد.¹

و إذا حاولنا مطابقة هذه العوامل و العناصر على بلاد الإغريق و مدى علاقتها بمنطقة الشرق القديم، نلاحظ توفرها في مجملها ، لأن المصدر هنا هو المراكز الحضارية خاصة الشرق القديم، أما المستورد فهو بلاد الإغريق أما عملية الاحتكاك فهي واردة بثبوت المعايير الجغرافية عبر مراحل التاريخ المختلفة فضلا عن ذلك لاحظ المفكرون تشابه في النمط الفكري وحتى الديني، منذ أن كانت الميثولوجيا الإغريقية المذهب الفكري السائد، لأنها ارتبطت بشكل أساسي بميثولوجيا الشرق الأدنى خاصة و بلاد الإغريق التي لا يفصلها عن الشرق الأدنى إلا البحر الأبيض المتوسط، وهو ما يجعل فرصة الاحتكاك قائمة دائمة*.

انظر: حسن الطلب المرجع السابق ، ص 34

1 : المرجع نفسه ، ص 34 .

* : إن الحديث عن نظرية الانتشارية يمكن أن يقودنا إلى تعثرات إنسانية بما ذلك للترابط الوثيق بين سلسلة النظريات الانتروبولوجية الأساسية و الفرعية، ذلك لأن هذه النظرية مثلا تتشابه و تتداخل مع نظرية فرعية أخرى كنظرية الدائرة التفاعلية التي كانت إحدى النظريات البديلة لتطورية القرن العشرين والتي تقوم على عدم وجود ابتكار أساسا عند البشرية، مفسرة التشابه الثقافي على أساس انه نتيجة الانتشار فحسب كما تتداخل هذه النظرية مع نظريات أخرى، وتقوم كذلك هذه النظرية على أنه لا سبيل لثقافة ما إن تنمو و تتقدم إلا بالأخذ من ثقافة أخرى وهو ما يترتب عنه من التقليل من شأن الابتكار وإنكار دوره تماما، لأن الاستعارة تحل محله، وهي تفسير سائر التشابهات الثقافية في العالم و مختلف الثقافات البشرية فهي المبدأ الأساسي لنشوء الحضارات تفاعلها و تطورها.

انظر: المرجع نفسه ، ص 36 .

2. ملامح النهضة العلمية في حضارات الشرق القديم .

1.2 الجذور الأولى للمعرفة .

ارتبط تاريخ العلم بتاريخ الحضارة البشرية و العقل الإنساني بأكمله، و البحث في هذا المجال واسع لا يمكن حصره في دراسة مختصرة، و لكن يمكن لنا من خلال البحث في ميدان تطور العلم الوقوف على عدة حقائق أهمها أن العلم ظاهرة قديمة و حديثة في آن واحد. ذلك لأن التساؤلات التي كانت من طرف العقل البشري لفهم نفسه و العالم قديمة قدم الإنسانية، غير أن هذا ازداد تطوراً عبر العصور، و من مرحلة إلى أخرى أصبحت معاني العلم أكثر دقة و شمولاً لتنتهي إلى ما هي عليه في الوضع الراهن.

و من الصعب أن يحدد الإنسان نطاق بداية ذلك النبوغ في النشاط العقلي الذي نطلق عليه اسم العلم، لأن كل سلوك قام به الإنسان منذ العهود البدائية السحيقة قد أسهم بدون شك في تهذيب فكرة و صقلها على نحو يساعد بظهور العلم في مرحلة لاحقة، و هي ظاهرة بشرية لا يمكن لها أن تكون وليدة الصدفة، كما لا يمكن أن تكون وليدة نطاق مباغت دون تمهيد مسبق، فكل شيء يندرج ببطيء شديد، منذ البداية ، ثم تتسارع خطاه للاهتمام إلى الطريق الصحيح، و مما لا شك فيه أن تجارب شديدة البطء مرت بها الإنسانية في عصورها الأولى قد أكسبتها خبرات أدى تراكمها على المدى الطويل إلى ظهور البوادر الأولى للتفكير العلمي*، ذلك لأن المراحل التاريخية الأولى تركت لنا وثائق تساعدنا على معرفة تاريخها، سواء اتخذت هذه الوثائق شكل كتابات مدونة أو آثار مادية، و هي التي مكنتنا من استنتاج نوع الفكر السائد.

و استغرق معنى العلم وقتاً طويلاً لكي يتبلور، ومنذ القدم كان العلم في طريقه إلى التقدم والتجدد وكان كل عنصر يضيف إليه عناصر وتحذف منه عناصر أخرى، فكان من الطبيعي أن يختلط العلم في المرحلة الأولى بعناصر غريبة عنه كالأساطير والعقائد القديمة والرغبات و الأمناني

*: لقد كانت ملامح البدايات الأولى في عصور ما قبل التاريخ، إلا أن هذه المرحلة لا يمكن اتخاذ منها نقطة البداية،

انظر : فؤاد زكريا ، التفكير العلمي ، مجلة عالم المعرفة ، العدد الثالث ، ص 94 .

البشرية، وعلى رأسها رغبة الإنسان أن يعيش في عالم يسوده النظام و الجمال، ولم يكن من الممكن في تلك العهود الأولى أن يضع العقل البشري حدا فاصلا بين ما هو علم وما هو ليس بعلم، لأن كل تلك العناصر كانت لتمزج في وحدة لا يمكن فصلها، والتميز بين ما هو دخیل وما هو أصیل. وفي كل مرحلة من تاريخ البشرية تظهر عناصر غريبة تشوب بناء العلم فتستبعد وتضاف عناصر أخرى قد تكون مفقودة في المراحل السابقة

وإذا كان تطور العلم و المعرفة يوازي السيرورة التاريخية، وتقدم مراحل التنمية، فإنه ليس من حقنا إذا أن نقول أن حضارة معينة هي التي يرجع إليها الفضل في ظهور العلم، و ما يمكن قوله أنه كل حضارة يعود إليها الفضل في إضافة عنصر هام إلى مفهوم العلم، و استبعاد عناصر ضارة عن هذا المفهوم. وإذا كان هذا هو الطرح الصحيح للمسألة أن نرجع الفضل في ظهور العلم إلى عدة حضارات متلاحقة أدى كل منها دوره في تشكيل معناه خلال مراحل مختلفة من التاريخ¹.

2.2 مظاهر النهضة العلمية في منطقة الشرق القديم .

عند الحديث عن الحراك الحضاري يتطلب الأمر الحديث عن الثقافة ذلك لأن الحضارة تحرك الإنسان إلى الأمام ليدفع بمظاهر التقدم و التطور إلى الأفضل، ويصل إلى ذلك عن طريق ما أنتجه من ثقافة، فرغم أن الحضارة لا يمكن لها أن تستغني عن البيئة المحيطة إلا أنها تقوم على مكتشفات الإنسان و إبداعاته المادية و اللامادية أي الثقافية*

1 - فؤاد زكرياء، المرجع لسابق، ص104

* يمثل مفهوم الثقافة كافة نواحي السلوك الإنساني من أفعال و استعدادات وراثية. فهي قائمة على كل ما يستخلصه الإنسان من عقله و مجتمعه الإنساني، وتشتمل في اللغة و المنطق و الفكر الديني و الفلسفة و الأخلاق و القانون إلى جانب صناعة الأدوات و الملابس وحتى اختيار الأطعمة، فكل هذه الأشياء يجب أن يتعلمها الإنسان من بني جلدته في مجتمعه والواقع أن قدرة تصور الثقافة على أنها تراكمية وتكتسب عن طريق التعلم موجودة لدى علماء الحضارة والاجتماع والأنثروبولوجيا، وأنه من الضروري أن تبعد عن كل ما هو غريزي، فهي حصيلة التراث الاجتماعي الذي تنقل من جيل إلى جيل عن طريق التعليم و التلقين وميزة الإنسان اكتسابه لمخ كثير التلايف ذو مراكز عصبية و إحساسات متعددة، و هو ما يجعله قادرا على الفهم و الإدراك وربط العلاقات بين الأشياء لأن بعض المفكرين يذهبون إلى القول أن الإنسان كائن منذ البداية يتمتع بعقل كامل مدرب على التفكير و تساهم عملية التعليم في تقوية الذهن وتدريبه على التفكير الناضج، لأن بدون هذه العملية لا يمكن لصبي أو

والإنسان في تعلمه ينتقل إلى دائرة أكثر راحة و اتساعا و تفردا عن غيره من الكائنات، حتى أن المفكرين والفلاسفة أقروا أن الإنسان منذ البداية كان يملك عقلا كاملا مدربا على التفكير ومن شأن عملية التعلم أن تعمل على تقوية الذهن وتدريبه على التفكير المنظم، ذلك لأن بدون هذه العملية لا يمكن للصبي أو الشاب أن يصل إلى استعمال ذهنه و الملاحظ أن عملية اكتساب الإنسان المبكر للثقافة جاء تدريجيا وببطء شديد وليس عن طريق الوثبة أو الطفرة، فقد كان الإنسان مضطرا في بداية عهوده إلى الاستعانة بكل ما يصادفه من أجسام في الطبيعة مثل الحجارة و الخشب، ومنه فالأشياء اكتسبت تدريجيا، أي أن هذا الإنسان كانت ثقافته على درجة كبيرة من البساطة¹.

و انطلاقا من ذلك يجب أن نبرز أهم مراكز التأثير الحضاري في منطقة الشرق القديم لإبراز علاقاتها بمحور الدراسة و هي الحضارة الإغريقية .

1.2.2. بلاد ما بين النهرين

لقد رسم العقل البشري المحاولات الأولى التي أملت لها الغريزة و الحاجة وظهرت في صورة بدائية، قامت على الخلط بين حقائق الأشياء والتفكير الأسطوري الذي يعتمد على الوهم والخيال والسحر والشعوذة

ولما كانت بلاد ما بين النهرين² أولى الحضارات التي عرفت خط الكتابة لم يكن من العسير عليها أن تحقق إنجازات في مجالات فكرية أكسبتها أهمية وجعلت منها مصدرا للحضارات التي تلتها

الشباب تطوير تفكيره، وهناك من اعتبر الثقافة ما هي إلا وسيلة تلجأ إليها الشعوب و المجتمعات قصد التكيف مع تغيرات الطبيعة، وهي كذلك التحكم في الإمكانات وتسخيرها لصالح التكيف

انظر: سعيد إسماعيل علي، التربية في حضارات الشرق القديم، علاء الكتب، القاهرة، 1999، ص38

1 : المرجع نفسه ، ص39

2- خليل سارة، المرجع السابق، ص20

انظر أيضا

Jules S. Soury : Les religions , les arts,de la civilization de l'Asie anterieure et de la Grece , Paris, P 21 .

بصفة لافتة للانتباه لما جاءت به من مفاهيم ومعطيات جديدة خاصة في مجال الكتابة والأدب والرياضيات و الطب

1.1.2.2 دور السجلات في تطور الكتابة ونشأة اللغة

لقد أدت وفرة مادة الطين إلى تطور حركة الكتابة في منطقة ما بين النهرين، و هو ما ساعد على انتشار الخط المسماري لأن تهيئة هذه الألواح أمر يسير بالمقارنة مع عملية النسخ على ورق البردي، ثم إن تلك الألواح الطينية إن تركت وشأنها تصبح غير قابلة للتلف، ولقد عمل السومريون* على إيجاد طريقة السجلات و كان ذلك ناتج عن الرغبة الشديدة في ترتيب الألواح الطينية** ولعل الهدف من ذلك ليس حفظ السجلات فحسب بل كذلك حفظ اللغة ولكن ما يلاحظ أن اختراع الكتابة عملية استغرقت زمنا طويلا.

* : أطلق اسم سومر على جنوب العراق وعلى وجه التحديد على منطقة السهل الرسوبي المكون لنهر دجلة و الفرات، وتعد المنطقة مهد الحضارة العراقية من حيث كونها أقدم المواقع لأعرق حضارة في تاريخ البشرية

- انظر: عبد الحكيم دنون، بداية الحضارة، منشورات علاء الدين، دمشق 2009م، ص 25

** - كشف المنقبون الأمريكيون عن خزانة كتب كبيرة جدا لمدينة (نفر) شملت على الآلاف من الألواح الطينية المحفوظة في متحف استانول و فيلادلفيا ، ومع أن هذه الألواح في معظمها غير مجففة في الأفران ولكن ساعدت في الكثير من الأحيان على تقديم مادة بحوث في نصوص أدبية وعلمية فائقة الأهمية بالنظر إلى قدمها .

- انظر: جورج سارتون، المرجع السابق، ص 159

الشكل 1 : طريقة الكتابة على الألواح الطينية في بلاد ما بين النهرين¹



: <http://www.bbc.com/arabic/vert-cul-383427361>

الشكل 2 صورة لبعض الألواح الطينية التي تعود للحضارة السومرية قبل 3300 سنة ق.م¹



1 : إسماعيل دحام العاني، موجز تاريخ العلم، ج 1 ، الرياض، السعودية ، 2002 ، ص 54

الشكل 3 : تطور الكتابة في بلاد ما بين النهرين :

رسالة من الكاهن الأعظم لـ **لواتا** إلى ملك (**لغش**) ربما (**أوروك أگينا**) تخبره بمقتل ابنه في القتال، ح. 2400 ق.م.، عُثر عليها في تل (**نكيسو**) القديمة ¹.



<https://www.marefa.org>

الشكل 4 لوحة سومرية إقتصادية لحساب عدد الأغنام و الماعز ،

يعود تاريخها إلى عام 2350 ق.م¹



1 : أسماعيل دحام العاني، موجز تاريخ العلم، ج 1 ، الرياض، السعودية ، 2002 ، ص 54

الشكل 5 : نموذج من الكتابة السومرية القديمة 1

	I	II	III	IV	V	VI	VII	VIII	
1									الجنه
2									الارض
3									رجل
4									أمرأة
5									جبل/ارض أجنبية
6									أمرأه عبدة
7									يد
8									فم
9									طعام
10									الى الاكل/طعام في الفم
11									ماء
12									شرب/ماء في الفم
13									طعام/الى
14									طير
15									سمك
16									ثور
17									بقرة
18									نبات

1:

<https://www.google.fr>

2.1.2.2 المدرسة العراقية القديمة

كان ظهور المدرسة السومرية نتيجة مباشرة لاختراع طريقة الكتابة المسمارية وتطورها، حيث وجدت بعض الألواح تشمل على جداول دونت لغرض التمارين و الدروس، في النصف الأخير من الألف الثالث ق.م و هو زمن نضج و ازدهار المدرسة السومرية، ولقد كان الكتابة على أصناف ودرجات منهم الكتابة الصغار والكتابة المتقدمون والكتابة الملكيون وكتابة المعابد، و هناك المتخصصين في الشؤون الإدارية¹

ولكن لم تبرز هذه الألواح نظام المدرسة السومرية و إدارتها و الطريقة التي كانت تسير عليها في ذلك العهد، إلى جانب أن الألواح المكتشفة تختلف من حيث الدقة و المهارة لأن بعضها دون بخط رديء بعيد جدا عن الإتقان مما كان يكتبه المبتدؤون و البعض مكتوب بخطوط منظمة مما كان يكتبه الطالب المتقدم الذي يتضح أنه كان على وشك إنهاء الدراسة.

وكانت المدرسة السومرية تهدف إلى التدريب المهني لتحقيق المتطلبات و الحاجات الاقتصادية و الإدارية الخاصة بالبلاد، وخاصة ما تعلق بالمعبد و القصر. كما أصبحت مركز العلم و الثقافة في بلاد سومر، كما كانت مركز للنشاط الفكري و تحولت المدرسة إلى مؤسسة دنيوية بعد أن كانت ملحقة للمعبد* .

ورئيس المدرسة السومرية يدعى (أوميا Ummia) أي الخبير أو الأستاذ وكان يلقب أيضا بأبي المدرسة، أما التلميذ فكان يسمى بابن المدرسة، ويسمى الأستاذ المساعد بإسم الأخ الأكبر، وكان من بين واجباته إعداد الألواح الجديدة لينسخ عليها الطلاب، ويفحص النسخ التي يعدها

1- سعيد إسماعيل علي، المرجع السابق، ص128

*: كانت رواتب المدرسين تدفع من أجور التدريس التي تُجمع من الطلاب، و لم يكن التعليم عاما أو إلزاميا لأن معظم الطلاب من الطبقة العليا، و لم يكن بإمكان الفقراء التوجه إلى ذلك، كما لم يرد وجود امرأة كاتبة، أي أن معظم المتعلمين كانوا من الذكور.

انظر : المرجع نفسه ، ص 129 .

الطلاب والاستماع إليهم، ومن أعضاء هيئة التدريس الآخرين المدرس المشرف على الرسم، والمدرس المشرف على اللغة السومرية، ومن هيئة المدرسة كذلك (العرفاء) أو المدرسون المسند إليهم دور المواظبة على الحضور، ثم الرجل المسؤول على حفظ النظام* .

و لقد هيا رجال المدرسة السومرية جداول رياضية متنوعة و كثيرا من المسائل مع حلولها، أما في جانب دراسة اللغة فقد احتلت مكانة هامة فأسندت إليهم مهمة تأليف أقدم المعاجم اللغوية في تاريخ الإنسان** .

لم يرد إلينا الكثير عن طريقة التدريس في المدرسة ، حيث عندما يصل الطالب إلى المدرسة صباحا، كان يجب عليه أن يدرس اللوح الذي أعده في اليوم السابق، ثم يهيئ لوحا جديدا يشرع الطالب في استنساخه و دراسته ليقوم مسؤول المدرسة بفحص هذا الاستنساخ و التأكد من صحته*** .

وتوضع بعض الألواح السومرية النشاط اليومي في المدرسة كالخوف من تأخر الطالب عن موعد بدء الدروس، كما تدل على أن المعلم و مساعده يضربون بالعصا التلاميذ كلما أسأؤوا

*: كان نصح الدراسة مكونا من قسمين رئيسيين يمكن وصف القسم الأول أنه شبيه بالعلمي قائم على أساس البحث، والثاني خاص بالإبداع و الإنتاج الأدبي، فكان بالتالي هدف المدرسة السومرية تعليم الكاتب كيف يكتب باللغة السومرية، وأصبحت هذه الكتب متكاملة في الألف الثالث ق.م .

انظر : سعيد إسماعيل علي، المرجع السابق ، ص 130

** : كان تعلم النسخ يقوم على التدقيق الشديد و الواضح ، و حرص النساخ في نهاية معظم النصوص المسمارية على ترك هامش أو تذيلا ، و كانوا يدونون في تلك الهوامش دياباجة تنص في معظم الأحيان على انه نقل من النسخة الأصلية وفق نموذجها ، مع ذكر اسم الناسخ و تاريخ الاستنساخ ، استنزال لعنة الآلهة على كل من يحاول تحريف النص أو إتلافه .
انظر : المرجع نفسه.

*** : كان المدرسون يشجعون الطلاب لتحسين عملهم عن طريق المديح ، بالمقابل يلجئون الى الضرب لتقويم الأخطاء، كما أن الطالب يواظب على الدراسة يوميا من شروق الشمس إلى غروبها لمدة سنوات عديدة ، حيث لازم الطالب الدراسة من الصبا إلى أن يصبح شابا .

أنظر : المرجع نفسه . ص 131 .

السلوك. و تطلعنا الكتابات البابلية أيضا عن مشاكل التعليم و طول مدته ، حيث كان الطالب يبدأ الدراسة و هو صغير*

لم يكن التعليم قاصرا على الكهنة و الكتاب فقط، بل انتشر لدى الطبقة العليا، و عادة ما كان الملوك يأخذون الشباب من هذه الطبقة و يشرفون على تعليمهم حتى يمكن لهم خدمة المجتمع مستقبلا**

و من ضمن أهم مظاهر النهضة العلمية في منطقة وادي الرافدين الانجازات التي حققوها في مجال علم الفلك من حيث نوعية الأدوات المستعملة أو النتائج المعرفية المتوصل إليها. لاعتقادهم أن لحركة الكواكب و النجوم علاقة مباشرة مع الإنسان*** .

هذا إلى جانب الطب الذي برعوا فيه بعد أن اهتموا بدراسة وظائف أعضاء الجسم البشري، و حاولوا البحث في تشخيص الأمراض و نوعية الأدوية المستعملة ، أما في مجال الرياضيات فقد

* : كان الطالب يبدأ الدراسة و هو صغير ، حيث ورد في النصوص أن المتعلم ينهض من الفجر الباكر، و بعد الغسل والتنظيف يتناول على العجل فطور الصباح الذي تقدمه له أمه، و يأخذ معه خبز الشعير كوجبة الغذاء، و يتجه إلى المدرسة، وإن وصل متأخرا فعليه أن يندس في مقعده دون أن يلحظه المعلم و إلا نال التوبيخ والقصاص، مع تذكيره بالأخطاء السابقة، و لا تمر هذه الأمور عادة دون الضرب بالعصا ، و تتكون الصفوف حسب حفريات سيبار و ماري من مقاعد مرصوفة بكل انتظام مهياة لجلوس الطلبة عليها ، و كان في متناول أيديهم أواني فخارية يعجنون فيها الطين بالماء ، و المؤكد كذلك أن لكل صف مواد متميزة ، و كان المعلم ينال مكانة متميزة في المجتمع.

انظر : سعيد إسماعيل علي، المرجع السابق ، ص 134 .

** : لقد تميزت منطقة الشرق الأدنى القديم بارتفاع في معدل النمو السكاني في مصر و بلاد ما بين النهرين ، مقارنة ببلاد الإغريق التي يقل عدد سكانها بدرجة كبيرة عن سابقتها، حول هذا الموضوع انظر :

Chester G.S STARR , The organism of Greek civilization ; 1100 – 650 BC . Thirty Bedford Sanase , London . P 7

*** : أخذ الإغريق عن البابليين نظام المكايل و الموازين و الساعة المائية و المزولة و العملة المتداولة (أبول – Abol) و (الميا – Mina)، و معارف أخرى سيأتي الحديث عنها في الفصول المقبلة .

انظر : ول ديورانت ، قصة الحضارة ، الجزء الأول المجلد الثاني ، ترجمة محمد بدران ، سيرت، تونس ، ص 131 .

عرف سكان المنطقة كثيرا من علوم الحساب و الهندسة و الجبر، و منها من ارتبطت بالحياة اليومية كالنشاط التجاري و الزراعي.

الشكل رقم 06 : الثيران المجنحة¹

و كانت توضع عند مداخل القصور و المباني لحمايتها من دخول الأرواح الشريرة حسب معتقداتهم، و هو دليل على تطور العمارة في بلاد ما بين النهرين.



¹ :
https://www.marefa.org/%D8%B9%D9%85%D8%A7%D8%B1%D8%A9_%D8%A8%D9%84%D8%A7%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%A7%D9%81%D8%AF%D9%8A%D9%86/

الشكل رقم 07 : تصور لبرج بابل¹



: <https://www.abutair.net/innerPages/wordpress-4.7.4/wordpress/ar/art-in-mesopotamia/1>

يوضح الشكل رقم 08 رسم تخطيطي لحدائق بابل المعلقة¹



1 : <https://www.abutair.net/innerPages/wordpress-4.7.5/wordpress/ar/art-in-mesopotamia/>

يوضح الشكل رقم 9 بوابة عشتار التي تمثل تطور فن العمارة في بلاد ما بين النهرين¹



بوابة عشتار هي البوابة الثامنة لمدينة بابل الداخلية، والتي بناها نبوخذنصر عام 575 ق.م. في شمالي المدينة اهداء لعشتارآلهة البابليين. ولقد كشف المنقب الألماني روبرت كولدوايفي عام 1899م عن أول معالم هذه المدينة.

والمعتقد انه كانت هناك تأثيرات مباشرة و متبادلة بين حضارة وادي الرافدين والحضارة المصرية المزامنة لها، خاصة بعد حركة التوسعات المصرية التي حدثت خلال الألف الثاني قبل الميلاد أو حتى تلك التوسعات البابلية التي جاءت خاصة أثناء العهد البابلي والآشوري.

والمؤكد أن كل حضارات الشرق القديم قد تأثرت ببعضها البعض و تفاعلت مع بعضها وتزاوجت أفكارها بدرجات متفاوتة عبر قنوات التواصل من تجارة و غزوات. و نتج عن ذلك ازدهار العلوم و الفنون، و رغم هذا التفاعل فقد حافظت كل حضارة على طابعها المميز لها.¹

2.2.2. حضارة مصر القديمة

تعد حضارة مصر القديمة من أهم هذه الحضارات لما لها من اثر عميق في شعوب البحر الأبيض المتوسط، و الواقع أنها الأقرب جغرافيا منه كونه مصبا للنيل. و بغض النظر عن إشكالية الأسبقية الزمنية بين حضارتي مصر و بلا دمايين النهرين، إلا أن الحضارة المصرية استطاعت أن تبرز في مجالات عدة كالزراعة مثل الشعير و القمح و الكتان ... الخ. و غيرها من مجالات الحياة

1.2.2.2 الكتابة في مصر القديمة :

من أهم ما اهتم به المصريون القدامى فن الكتابة* و المفترض أنهم بدؤوا ذلك عن طريق استعمال صور تدل عن الأشياء أو الأفكار، ثم تطورت عبر الزمن إلى كلمات مبسطة. و استمر المصريون في استعمال لفترة طويلة ليطور فيما بعد الفينيقيون الأبجدية ليكمل الإغريق ذلك عندما أضافوا الحروف المتحركة بعد أن اكتفى الفينيقيون بالحروف الساكنة فقط، و استمر ذلك حوالي ألفين أو ثلاثة آلاف عام*.

1 : محمود محمد علي ، المرجع السابق، ص 18 .

و انظر أيضا : كيتو ، الإغريق ، ترجمة عبد الرزاق يسري ، دار الفكر العربي ، القاهرة \1962 ، ص 231.
* : اختلفت الآراء حول أسبقية اختراع الكتابة بين المصريين و السومريين أو الصينيين، و هذا السؤال هو موضع جدل بين الباحثين، لكن المهم أن الكتابة المصرية كانت مستقلة عن غيرها ، و أقدم كتابة قد وصلت تلك التي في عهد الدولة القديمة ، حيث توفرت لديهم أربعة و عشرون علامة ، و لم تزد عن هذا العدد فيما بعد .

انظر : جورج سارتون ، المرجع السابق، ج 1 ، ص 77 .

* : رغم تباعد المصريين عن الصينيين جغرافيا، إلا أن هناك مواطن التشابه بين اللغتين، حيث اخترعا مجموعتين كبيرتين من الرموز الدالة عن الكتابة ، و بدؤوا الكتابة التصويرية، بل أكثر من ذلك فإن العلامات التصويرية كصور الشمس و القمر و الجبل و الماء ، و وصل كل منهما إلى النتيجة العامة ، و هو أن كل كلمة ينبغي أن تمثل عنصرا صوتيا (علامة صوتية) و (علامة تفسيرية)، و التزم الصينيون هذه الطريقة التزاما مستمرا ، حيث يتكون حوالي ثمانون بالمائة من حروفهم من جزأين ،

و الجدير بالذكر أن اللغة المصرية القديمة أثرت في الشعوب السامية و لوحظ ذلك في التوراة العبرية ، فضلا عن الموروث الحضاري المصري الذي وصل إلى البشرية عن طريق عدة قنوات منها كريت و غيرها من الجزر¹

أولهما دليل الصوت و الثاني دليل المعنى ، و هو ما يوضح مدى التشابه في الجهود بين الحضارتين رغم الاختلاف الجوهري بينهما . و لقد أثارت خواص الشبه بين اللغتين المصرية و الصينية اهتمام الباحثين أكثر مما أثارت موطن الاختلاف بينهما ، و لقد توصل العالم الفرنسي (جوزيف دي جوين JOSEPH DE GUIGNES) سنة 1759 - و هو باحث في الصينيات - إلى بحث قال فيه أن الرموز الصينية مشتقة من المصرية و أن الصين نفسها كانت مستعمرة مصرية ، و هو ما كان موضع الجدل بين الباحثين ، غير أن التشابه بين اللغتين المصرية واللغات السامية يعود إلى الاتصالات و الاقتباسات الأكيدة الواضحة التي لا يمكن إنكارها، لذلك قام الجدل حول حقيقة هذه الاقتباسات لا حول حقيقة ثبوتها ، و انتهى العديد من علماء الآثار المصرية إلى القول بوجود صلة قوية بين اللغة المصرية و اللغات السامية، و فسر العالم الإيطالي (سيميون ليفي) معجما مصريا - عبريا- قبطيا أحصى فيه جميع أوجه الشبه الكبيرة التي اكتشفها و تعدى ذلك إلى تشابه صيغ الضمائر والأعداد.

انظر جورج ساتورن ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص ص 79 - 80 .

1 : المرجع نفسه ، ج 1 ، ص 81 .

شكل 10 : الكتابة الهيروغليفية على جدران أحد المعابد في مصر خلال تاريخها الفرعوني¹



2.2.2.2 اكتشاف ورق البردي :

بلغ اختراع الكتابة قيمة اجتماعية عن طريق اختراع مادة صالحة للكتابة مع إمكانية الحصول على هذه المادة بشكل يسير، بعد أن كانت الكتابة محصورة في النقش على الحجر والصعوبات التي كانت تواجهها هذه الطريقة خاصة فيما يتعلق بالسجلات الإدارية المطولة ، إلا أن قدماء المصريين قد تغلبوا على تلك المشكلة بطريقة ورق البردي ، و هو مادة صالحة للكتابة صنعها المصريون من

1 : إسماعيل دحام العاني، المرجع السابق، ص 48 .

لب السيقان الطويلة لنبات البردي (*Gyperns papyrus*) الذي كان يكثر في مستنقعات الدلتا.*

و الواضح أن ورق البردي تفوق على غيره من المواد التي استعملها المصريون للكتابة في أي زمن من الأزمنة، ولكن لم يتضح هذا التفوق لأول وهلة، حيث اخترعوا صفحات منفصلة، ثم أدركوا أنه بإمكانهم إلصاق هذه الصفحات ببعضها البعض الواحدة في ذيل الأخرى مع الحفاظ على الترتيب ، وأطول بردية مصرية هي تلك التي تسمى بـ **بردية هاريس**، وهي محفوظة بالمتحف البريطاني، وبلغ قياسها مائة و ثلاثة وثلاثون قدما، و بفضل هذا الاختراع وصلت إلينا العديد من هذه النصوص القديمة كاملة.

ويعود الفضل لنهر النيل في تطور مظاهر الحياة بمصر القديمة، بما في ذلك مختلف الأنشطة الزراعية و المعرفية المرتبطة بمجالات الزراعة و الفلك و المقاييس و معرفة المساحات، و سنن النظم السياسية الهادفة إلى تنظيم شؤون الدولة، فضلا على أنه كان يمثل شريان التجارة الداخلية. و من ثم اهتم المصريون بصناعة السفن.

و فرض الاهتمام بالزراعة على المصريين معرفة كيل المحاصيل، و إيجاد طرق ناجعة للتخزين، و من ثم أدركوا أصول الحساب من جمع و طرح و ضرب و قسمة، و كذلك أسس المعرفة الهندسية

* : ارتبطت أوراق البردي بكلمتين شائعتين في اللغات الأوروبية و هما (papier) و تعني الورق و bible و تعني الكتاب المقدس، إلا أن المدلول الأول هو الورق الحالي الذي يصنع من لباب الشجر، و هو اختراع صيني، و يختلف اختلافا جوهريا عن الورق المصري، أما ورق البردي فأطلق عليه الإغريق اسم بيبيلوس byblus ، ثم أطلقت الكلمة على الكتاب أو الكتب، والمحتمل أن كلمة بيبيلوس نفسها مشتقة من اسم بيبيلوس (جبيل) الواقعة شمال بيروت الحالية، و كانت سوقا كبيرة سيطر عليها الفينيقيون في تجارة ورق البردي ، و يمكن أن تسمى الأسماء بأسماء مناطق معروفة ، و ليس من الوطن الأصلي الذي يستطيع أن يكون غير معروف.

انظر : جورج ساتورن ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 82 .

التي أفادتهم في تشييد أهراماتهم. و فرضت معطيات الحياة العامة عليهم الاهتمام بمجال الطب بمختلف فروع¹

و هكذا قدمت هذه الحضارة للبشرية أداة جديدة لنشر إنتاجهم الثقافي وعثر على معظم هذه البرديات في المقابر، و ساعد جو مصر الجاف على حفظها مقارنة بالبلاد الأخرى ، لذلك أمكن صيانة جزء كبير من الأدب القديم، و كذلك حفظت بفضل هذا الورق عدد هائل من الوثائق الأخرى الخاصة بالتوراة و الإنجيل والوثائق الإغريقية والرومانية*. فضلا عن ذلك فلقد تقدم المصريون في مجالات مختلفة من الطب والرياضيات و الكيمياء، و ما الشواهد الأثرية إلا دليلا واضحا على ذلك.

3.2.2. المدن الفينيقية نشاط تجاري و لغوي و جسر التواصل الحضاري :

1.3.2.2 التجارة :

اشتهرت منطقة جنوب غربي آسيا المحصورة بين النيل و بلاد ما بين النهرين بأنها منطقة التقاء الحضارات القديمة التي ظهرت في هذا الجزء من العالم القديم. و لقد تأثر سكان هذه المنطقة بطبيعة موقعهم ليكونوا حلقة وصل تجاري و حضاري بين الدول القديمة مثل مصر و بلاد ما بين النهرين و بلاد الإغريق، و لقد تخصص سكان المدن السورية الداخلية في النقل البري و احتكروا القوافل التجارية الكبرى التي جلبت المنتجات الآسيوية و الإفريقية المختلفة إلى البحر الأبيض المتوسط أما سكان المدن الساحلية طوروا تجارتهم بحكم موقعهم على سواحل البحر واتخذوا طريق النقل البحري

1 : محمود محمد علي، المرجع السابق، ص 17 .

* : يعود اختراع الورق إلى الصين في حوالي القرن الثاني ميلادي ، و هو عصر متأخر عن الفراعنة ، و كذلك متأخر عن ورق البردي بجوالي سبعة و عشرون قرنا من الزمن ، و هو ما يعني أن ورق البردي ظل طيلة هذه الفترة هو المادة الجيدة الصالحة لنشر الفكر و الثقافة ، إلى جانب اللوحات المصنوعة من الطين ، و استعمل ورق البردي إلى غاية القرن الحادي عشر ميلادي مع العلم أن الورق الصيني انتشر في مصر حوالي سنة ثمانمائة ميلادية.

انظر جورج ساتورن ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 84 .

مجالا لنشاطهم التجاري حيث مارست جبيل مثالا التبادل مع مصر حوالي الألف الثالث قبل الميلاد*

و تذكر المصادر الإغريقية القديمة، خاصة الإلياذة التي ورد فيها أن مباريات أقيمت على خلفية جنازة البطل (بتروكليس) و فيها إناء من الفضة صنع في مدينة صيدا، أما الأوديسا فتذكر أن أوديسيوس أثناء تنقلاته و مغامراته وقع في يد احد التجار الفينيقيين، و أن أوديسيوس بقي في فينيقيا سنة ، ثم انتقل مرة أخرى إلى ليبيا، و إن دل ذلك على شيء يدل على حجم العلاقة التي كانت بين الإغريق و الفينيقيين في مجال التجارة، و التي أصبحت فيما بعد احد أسباب الحروب الفارسية، حسب المؤرخ هيرودوت¹ ، حتى أن الفينيقيين في رأيه نظموا رحلات تجارية كبرى، حيث كانوا يأتون إلى المدن الإغريقية مثل أرجوس محملين بالبضائع المصرية والأشورية**، ويبدو أن هذه المنافسة بين الفينيقيين والإغريق أو بين الإغريق الأوروبيين والآسيويين حسب تعبير

*- تطورت المدن الفينيقية حوالي الألف الأول ق.م ورغم أن هذه المدن كانت خاضعة في فترات تاريخها إلى سلطات مصر أو غيرها من المدن البابلية أو الأشورية و الفرس، لكن هذه الدول لم يقف أبدا في سبيل التجارة و النقل الفينيقي لما فيه مصلحة للدول صاحبة السلطان . ولكن رغم ذلك ظل نشاط هذه المدن محصورا في الضفة الشرقية من المتوسط و البحر الأحمر. ولم تستطع الوصول أو التوغل في المتوسط إلا بعد سقوط الحضارة الموكينية في بلاد الإغريق إثر الغزو الدوري حوالي القرن العاشر ق.م .

انظر . محمد أبو المحاسن عصفور، المدن الفينيقية ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر - بيروت 1981 ، ص 117.

1 : المرجع نفسه، ص 117.

** : لقد تراجع هذا النشاط المباشر بين المدن الفينيقية و المدن الإغريقية حوالي القرن الثامن قبل الميلاد ، حيث ظهرت المنافسة الإغريقية القوية لقرطاجة في مجال الاستعمار لتصبح حركة الاستعمار الإغريقي تشكل خطرا على المستعمرات الفينيقية في تلك المنطقة ، و تطورت المنافسة إلى حروب طاحنة حوالي القرن الخامس قبل الميلاد قصد السيادة على صقلية ، و لكن في اسبانيا كانت الغلبة للقرطاجيين .

انظر محمد أبو المحاسن عصفور ، المرجع السابق ، ص 118.

و عن العلاقات الإغريقية الفينيقية أنظر

Moris Croiset , La Civilisation de la Grece antique, Payot , Paris 1932 , P 13 .

هيرودوت قد أدت إلى تقسيم مناطق البحر الأبيض المتوسط إلى منطقتي نفوذ، و استمر ذلك حتى فتوحات الإسكندر الأكبر في الشرق* .

ولم يقصر الفينيقيون في تجارتهم على تصدير المواد الخام مثل الأخشاب من جبل لبنان، أو المعادن من أقصى الغرب أو الصباغة الأرجوانية، لكنهم تاجروا أيضا في مواد أخرى، إلى جانب نقل المصنوعات و المنتجات المصرية و الإغريقية، حيث عثر في قرطاجة على حلي مصرية تعود إلى القرنين السابع و السادس قبل الميلاد ، تزامنا مع عصر الأسرة السادسة و العشرين المصرية.1

أما التجارة مع بلاد الإغريق فقد توقفت نسبيا حوالي القرن الثامن قبل الميلاد، حيث تنامت تجارة المدن الإغريقية خاصة (كورنثا) التي توصلت إلى المستعمرات الإيطالية إلى جانب تواجد تجار و مصنوعات فينيقية في غرب البحر الأبيض المتوسط في قرطاجة* .

2.3.2.2 التجارة الفينيقية القديمة من خلال المصادر الإغريقية (إلياذة هوميروس)

لقد امتد نشاط البحارة الفينيقيين إلى شواطئ بحرايما، و عن طريقهم عرف الإغريق الأبجدية و صناعة السفن ، كما امتدت تجارتهم إلى أطراف آسيا و إفريقيا بدليل استعمال الأرجوان الفينيقي

* : من المحتمل أن الإسكندر الأكبر كان ينوي مهاجمة قرطاجة للقضاء على نفوذها ، إلا أن موته المبكر انقضاها سياسيا، ولكن استفادت من إعادة فتح الطرق التجارية المباشرة مع بلاد الإغريق لتقوم علاقات تجارية مباشرة بين الفينيقيين وقرطاجة، وهو موضوع مسرحية لاتينية شمس (poenulu) التي كتبها الشاعر بلوتوس (Plautus) مطلع القرن الثاني قبل الميلاد، والمعتقد أنها مستوحاة من مسرحية إغريقية كتبت حوالي القرن الثاني قبل الميلاد تسمى (القرطاجي) و تدور حول التاجر (حتون) القرطاجي الذي كان يتاجر في الأطفال ، و هي تجارة نسبها هوميروس للفينيقيين من قبل .

انظر : محمد أبو المحاسن عصفور ، المرجع السابق ، ص 119 .

1 : A. H. L Heern , de la politique et du commerce des peuples de l'antiquité , Trad , Allen W de Sinkuet A, Schutte, Section Grecque, Paris , P 181 .

* : لم تقتصر التجارة الفينيقية على منطقة البحر الأبيض المتوسط، إنما ذهبوا إلى ميادين أخرى من جنوب البحر الأحمر، أو عن طريق القوافل الكبرى في سواحل المحيط الأطلسي، كما فعل القرطاجيون، و كانت القوافل تصل بين ساحل شمال إفريقيا و نيجيريا جنوبا و بين مصر شرقا و موريتانيا حاليا غربا، و مما لا شك فيه أن الفينيقيين و ليس المصريين والإغريق هم من نقل الذهب و العاج و الحيوانات المفترسة و العبيد من إفريقيا إلى البحر الأبيض المتوسط .

انظر : محمد أبو المحاسن عصفور ، المرجع السابق ، ص 119 .

و العاج الإفريقي ، و امتدت الصلات التجارية إلى أقصى بلاد الشمال بدليل استعمال فروو الدب القطبي الذي لا يوجد إلا في تخوم القطب الشمالي¹، وذكرت إلياذة هوميروس في النشيد السادس بعض المراكز الحضارية التجارية كمدينة صيدا و صور كونهما من أهم مدن العالم القديم، و المعتقد السائد أن باريس قد اصطحب هيلين من إسبارطة عن طريق صيدا كي لا يترصده الإغريق.²

3.3.2.2 الملاحه سبيل الفينيقيين لاكتشاف العالم :

لم يعرف القدماء من وسائل تحديد الجهات الأربع الأصلية إلا الوسائل الطبيعية و هي الشمس بالنهار و النجوم بالليل ، و الواضح أن الفينيقيين هم أهل الملاحة، و تطلعوا بذلك إلى علم الفلك عن طريق الاهتداء بالنجوم إلى درجة أن الإغريق أطلقوا على مجموعة النجوم المعروفة بإسم الدب الأصغر اسم المجموعة الفينيقية ، و المعروف أن الفينيقيين كانوا في البحر يسيرون بمحاذاة الساحل و إن اندفعوا إلى عرض البحر، فذلك دليل أن المكان مأمونا و معروفا لهم من قبل . و لقد كانت مدنهم غير متباعدة حيث تستغرق الملاحة بين مدينة و أخرى حوالي يوم واحد ، و استطاعوا بمرور الزمن أن يقوموا برحلات وصلت إلى غاية جبل طارق غربا.

و من أهم الرحلات الفينيقية رحلة (هيمكو Himiko) التي قامت من قادس في اسبانيا إلى سواحل غرب أوروبا ، و الثانية هي رحلة (حنون) الشهيرة التي انطلقت من قادس نحو الجنوب على الساحل الغربي لإفريقيا* .

1 : سيد احمد الناصري ، الإغريق تاريخهم و حضارتهم ط 2 ، دار النهضة العربية ، بدون سنة ، ص 25 .

2 : هوميروس ، الإلياذة ، ترجمة سليمان الشيباني ، ط 1 ، دار المعارف للطباعة و النشر و التوزيع ، سوسة ، تونس ، النشيد السادس، ص 462 . و انظر ايضا :

Thucydide , la Guerre de Péloponnèse , Trd par De Rommily, Paris , 1953 , P 7 .

*: أسس حنون مستعمرة (قرنه Cerne)، و توصف أنها أقصى مستعمرة أقامها الفينيقيون جنوبا على الساحل الغربي لإفريقيا، وورد ذكرها في المصادر القديمة ، و المعتقد أنها جزيرة (هرنه Herne) الحديثة ، و المسافة بينها و بين جبل طارق تماثل المسافة بين قرطاجة و جبل طارق ، و هو ما يذكره حنون نفسه في تحديد موقعها ، و البعض الآخر يقترح جزيرة (ارجوثي) و هي ابعد جنوبا ، و لكن كلتاهما تقعان موجهتان للصحراء. و كتب اكسيلاس كتاب الرحلة حوالي 350 ق.م ، حيث يذكر مدينة

4.3.2.2 الكتابة الفينيقية

تعد الكتابة الفينيقية أول كتابة استعمل فيها الإنسان الحروف الهجائية، و منهم أخذت الشعوب القديمة هذه الحروف إلى الإغريق الذين ادخلوا عليها الكثير من التعديلات، لتنتقل إلى الرومان فيما بعد ، حتى أن الشعوب السامية أخذتها أيضا و طورتها مثل العبرانيين و الآراميين* .

و لقد أثبتت جهود الأثريين و العلماء أن العناصر السامية القاطنة في غرب آسيا قد اشتغلت بأمر تطوير الكتابة، و لعل التواصل التجاري الذي كان هو الذي ساعدهم على ذلك، و الجدير بالذكر أن النقوش الفينيقية التي تم العثور عليها في تابوت أحيرام تتكون من 22 حرفا، تختلف عن رسم الأشياء لتصبح خطوطا مجردة، و تتجه الكتابة من اليمين إلى اليسار. 1 و الدليل تلك النقوش التي وجدت في أماكن متعددة** ممتدة بين نهر النيل وبلاد ما بين النهرين، أي شبه جزيرة سيناء وفلسطين و المدن الفينيقية و الأراضي الكنعانية الأخرى.2.

كبيرة يتجر إليها الفينيقيون و يتبادلون التجارة مع السكان الإغريق ، و يذكر حنون انه سار في سفينته في اعلي النهر حتى رأس الدلتا ، و أن النهر كان به فرس النهر و التماسيح .

انظر : محمد أبو المحاسن عصفور ، المرجع السابق ، ص 126 .

و للمزيد عن دور الفينيقيين في حلقة الوصل مع الإغريق انظر .

Gaston Gougny ,Lart Antique , 2^{eme} partie La Grece – Rome , Paris , P 2 .

* : يرجح أن الفينيقيين لم يتوصلوا إلى اختراع الحروف دفعة واحدة ، رغم أن النقوش الفينيقية التي وصلت لا تفيد كثيرا في هذا الإطار ، و رغم أن تابوت أحيرام ملك جبيل الذي يرجعه العلماء إلى القرن العاشر قبل الميلاد ، إلا أن الأرجح هو أن الكثير من الكتابات الفينيقية قد سبقتة .

انظر : محمد أبو المحاسن عصفور ، المرجع السابق، ص 186 .

1: ، المرجع نفسه ، ص 189 .

** : لعل أهم تلك النقوش هي التي عثر عليها في أوجاريت (رأس شجرة) الواقعة على الساحل السوري قرب اللاذقية، حيث عثر على هذه الآثار في فترة ما بين الحربين العالميتين ، و أنها كانت مركز النشاط التجاري و الصناعي ، و الواضح أن المنطقة كانت قد خضعت لحكم عدة قوى سومرية ، بابلية ، مصرية ، حوالي الجزء الأخير من الألف الثاني قبل الميلاد ، و دمرت نتيجة زلزال لتدخل فيما بعد مرحلة التخلف و التدهور .

انظر : المرجع نفسه ، ص 187 .

2 : نفسه .

و قد لاحظ الأثريون و العلماء الذين قاموا بحفائر رأس شمرة و دراسة نقوشها أن العدد الأكبر من هذه النصوص مكتوبة بالكتابة المسمارية، و لكن حين قراءتها لم يجدوا أنها تتضمن لغة سومرية أو بابلية أو آشورية أو أيا من اللغات المعروفة سابقا ، حينها أدرك العلماء أنهم أمام لغة جديدة*. مكتوبة بالحروف الهجائية و نظرا لانتشار الساميين في أوغاريت ، خاصة العنصر الكنعاني، استنتجوا أن هذه الكتابة تسجل لغة سامية وثيقة الصلة باللغة الكنعانية، و بذلك تكون هذه النقوش قد أمدتها بأقدم كتابة بالحروف الهجائية .

إلى جانب نصوص أوغاريت عثر أيضا على نقوش أخرى يعتقد بعض العلماء على أنها تمثل مرحلة انتقالية في تطور الكتابة قبل الوصول إلى الحروف الفينيقية التي عثر عليها على نقش (أحيرام) و منها تلك التي عثر عليها في (سراية الخادم) وسط شبه جزيرة سيناء، حيث مناجم الفيروز والنحاس، إلى جانب تلك التي وجدت باللغة الهيروغليفية عثر على نقوش أخرى لكتابة مختلفة تعود حسب العلماء الآثار إلى فترة 1600 و 1500 ق.م . (والخريطة المرفقة رقم 1 تبرز مواقع ظهور الكتابات الأولى في العالم)

* : لقد يسر أمر حل رموزها عاملان أساسيان : الأول هو أن كتاب هذه النقوش اعتادوا الفصل بين كلمة و أخرى بطريقة رأسية، و الثاني أنه حين جمع العلماء الرموز المسمارية المستخدمة في هذه الكتابة تبين أنها محدودة العدد ، إذ أن عددها 29 رمزا و أنها مستخدمة بطريقة تختلف تماما عما ألفه العلماء في الكتابات المسمارية الأخرى.
انظر : محمد أبو المحاسن عصفور ، المرجع السابق ، ص 187 .

الشكل رقم 11 : يوضح الأبجدية الفينيقية¹

𐤀	'aleph	[ʾ]	𐤁	lamedh	[l]
𐤂	beth	[b]	𐤃	mem	[m]
𐤄	gimmel	[g]	𐤅	nun	[n]
𐤆	daleth	[d]	𐤇	samekh	[s]
𐤈	he	[h]	𐤉	'ayin	[ʿ]
𐤊	waw	[w]	𐤋	pe	[p]
𐤌	zayin	[z]	𐤍	tsade	[ṣ]
𐤎	heth	[ḥ]	𐤏	qoph	[q]
𐤐	teth	[ṭ]	𐤑	reš	[r]
𐤒	yodh	[y]	𐤓	šin	[š]
𐤔	kaph	[k]	𐤕	taw	[t]

الأبجدية الفينيقية

1: <http://www.pheniciens.com/articles/alphabet.php?lang=ar/>

لإغريق في شكل وكالات تجارية، و من أمثلة ذلك ما ورد في الأوديسا عن أدروماخي أنها كانت في قصرها تنسج معطفا أرجواني اللون.¹

- تعلم الإغريق عن الفينيقيين نظم القياس و الكيل، كما تعلموا منهم استخدام الأواني المصنوعة من الذهب أو الفضة أو البرونز.

- احتكاك التجار الإغريق بأسواق صيدا و صور و جبيل.

- كما كان هناك تأثير في مجال الأساطير و المعتقدات²

4.2.2. بلاد الفرس التأثير و التأثير و الصراع العسكري :

في حوالي 1200 ق.م حدثت موجة من الهجرات لشعوب البحر و تحركت من سواحل آسيا الصغرى و حوض بحر إيجة إلى السواحل السورية و المصرية ، و في نفس الوقت دخل بلاد الفرس غزاة آريون ليتحول هؤلاء بمرور الزمن إلى سادة محليون ، إلا أن هذه الموجة لم تستطع الامتداد إلى منطقة نهر السند التي كانت تحت سيطرة الهند، واستقر هؤلاء فيما يعرف بإيران حاليا، و لكنهم لم يستطيعوا التقدم كثيرا بسبب تواجد ممالك بابل و آشور و عيلام*.

1 : تركي الهندال، المؤثرات الحضارية الفينيقية في الحضارة اليونانية، دراسات العلوم الانسانية و الاجتماعية، المجلد 43، ملحق3، كلية الآداب للبنات، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، الرياض، 2016، ص

2 : ول ديورانت، المرجع السابق، الجزء الأول، المجلد الثاني، ص 131 .

* : ظهر الميديون أواخر القرن السابع ق.م (615 ق.م) و استقروا على هضبة إيران ، و عرف عنهم أنهم كانوا يدفنون الموتى خارج المواقع السكنية بعد أن كان الميت يدفن في أرضية بيته ، و كان يدفن مع الميت حاجياته الخاصة مثل السلاح و بعض الحلي و أدوات المطبخ . أما الفرس فقد ظهوروا جنوب إيران حوالي القرن الثامن قبل الميلاد و استطاعوا استغلال الصراع القائم بين بابل و آشور فمهدوا استيطانهم على حساب هاتين المملكتين و حتى على حساب مملكة عيلام ، و من أشهر ملوكهم (قورش الأول) 645 ق.م الذي اضطر إلى الاعتراف بسيطرة ميديا الشمالية على فارس الجنوبية ، و مع قورش الثاني دخلت البلاد عصر التوحيد و الاستقرار و الازدهار . انظر

حسين الشيخ : دراسات في الشرق الأدنى اليونان و الرومان ، دار المعرفة الجامعية / مصر 2015 ، ص 74 .
للحديث عن الفرس و قوتهم بإسهاب أنظر .

C VXX وHerodote , Op Cit, PC XXVII

و في حوالي القرن 559 ق.م تولى عرش فارس الإمبراطور قورش الثاني الذي استطاع توحيد البلاد خلال ثلاثين سنة ، بل أكثر من ذلك انه استطاع تكوين إمبراطورية ضخمة لامست جيوشها آسيا الوسطى و سواحل بحر إيجة ، ليستولي على بابل و مصر ، و لقد حافظ على وحدة النظام المركزي في الحكم .

و ما يمكن قوله أن سياسة الملك قورش الثاني القائمة على التوسع و ضم أجناس ولغات وثقافات جديدة تعتبر أول نواة لفكرة الدولة العالمية في التاريخ القديم، حيث امتدت دولته من حدود الهند إلى ليبيا ، و من المحيط الهندي إلى البحرا الأسود ، و بالتالي سبق الإسكندر المقدوني في حركته التوسعية.¹

و في مجال العلم لم تصلنا الكثير عن المعارف العلمية ، حيث لم يكن عامة الشعب يتلقى أي قدر من التعليم ، حيث اقتصر التعليم على أبناء الطبقة الوسطى و العليا الذين تعلموا القراءة و الكتابة وبعض المهارات الرياضية مثل ركوب الخيل و استعمال السيوف و الرماح ، أما في مجال الفنون فمن الملاحظ تأثر فنون الفرس خاصة الفن الساساني بفنون المناطق المجاورة مثل الهند و بيزنطة مع تواجد الفن المحلي ، الذي اهتم بالدين باعتبار أن ملوك البلاد هم في الأصل حماة الدين الزرادوشي، غير أن ما تجدر الإشارة إليه أن بلاد الفرس قد عرفت مع منتصف الألف الأول قبل الميلاد حضارة متطورة من حيث تفوق النظام السياسي فيها نظام المدن الإغريقية.²

1.4.2.2 الحضارة الصينية القديمة :

تعتبر الحضارة الصينية من أقدم الحضارات التي ازدهرت في أقصى شرق العالم القديم، و قدمت للإنسانية اختراعين يتعلق كل منهما بعملية الطباعة و صناعة الورق و لو أنهما متأخرين مقارنة بتلك التطورات التي عرفتتها منطقة الشرق الأدنى.

: Jules sonry , Op Cit , P 181 . 1

2 : ول ديورانت ، المرجع السابق، ج 1 ، ص 134 .

أما فيما يتصل بملامح النهضة العلمية في الحضارة الصينية القديمة، ففي عهد أسرة (شانج) تميزت حضارة الصين بكل المواصفات الحضارية، مثل حياة المدن و اختراع الكتابة، و استخدام المعادن و الفن الخزفي في العمارة. كما أولوا الأهمية إلى مختلف الحرف، و ازدهرت التجارة في وقت تطورت فيه المعارف الفكرية في مجالات مختلفة مثل الفلك و الرياضيات و الطب. و من ناحية أخرى فقد تميزت الصين بنمط معين في صناعة القوارير و المزهريات و الأدوات المعدنية الأخرى، و ذلك تقريبا منذ الألف الثالث قبل الميلاد*

2.4.2.2 حضارة الهند القديمة

تربعت هذه الحضارة على مساحة واسعة قدرت بحوالي 1.4 مليون كلم². و ازدهرت حوالي 3000 سنة قبل الميلاد، و ذلك تزامنا مع الحضارة السومرية و المصرية القديمة، ولكن الدارس لهذه الحضارة يجد نفسه أمام إشكالية قلة السجلات التاريخية، و المعتقد أنها قد أُتلفت نتيجة طوفان غمر المنطقة.¹

و تميز المجتمع الهندي بنسيج حضاري و ثقافي متنوع قائم على أساس تعدد القوميات واللغات و الأديان و المعتقدات و المذاهب، و ازدهرت في هذه المنطقة الفنون الطبية التي اعتبرت كأنها قائمة على أسس السحر، حتى أنهم اعتبروا أن الأمراض تتسبب فيها عوامل خارجية مثل تقمص الشياطين الأبدان أو مخالفة المريض للمقدسات و القيم الدينية .

* : أول موقع حضاري كشفت عنه أعمال الحفر هي حضارة (يانجشاو Yangshao) التي كانت تمتد من الغرب الى الشرق، على طول أقاليم (كانسو، سنسي، شانسيشانتونج) ، حيث كانت الحبوب هي محصولها الأساسي، و لقد أعقبت هذه الحضارة حضارة أخرى تمتد في أصولها الى العصر الحجري المتأخر أطلق عليها إسم (جهينغ نسو ياي Chheng Tsu Yai) أو (الونج شان Long Shan) و هي أسماء لموقعين أثريين. غير أن أصحاب هذه الحضارات قد استخدموا أواني خزفية ذات طابع مميز و تقنيات خاصة في مجال البناء.

أنظر محمود محمد علي ، المرجع السابق، ص 25 .

1 : مصطفى محمود سلمان، تاريخ العلوم و التكنولوجيا في العصور القديمة و الوسطى ، ط 2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 2008 ، ص 141 .

و رغم تحريم المعتقد الهندي لعملية التشريح ، إلا أن الأطباء الهنود مارسوه لأجلا تدريب الجراحين ، و منه تطور علم وظائف الأعضاء ، كما عرفوا الطب البيطري الذي اهتم بالخيول كونها الأضاحي الأساسية في الديانة الهندية .

و أولى الهنود للمعارف الرياضية اهتماما كبيرا مكنهم من تطوير ممارساتهم العلمية والمهاراتية إلى جانب الفلك و التقويم ، بل كانت لهم في هذا الجانب عدة مؤلفات.¹ و من بين الخصائص الحضارية الجديرة بالذكر ذلك التجانس الملحوظ في مجال الفنون و طريقة بناء المنازل التي اعتمدت على طوب صنع بحجم ثابت، و هو ما يوحي بوجود نظام قياسي في الأوزان و الأطوال و الأحجام.

3. جذور و جسور التواصل الحضاري و الثقافي بين حضارات الشرق و بلاد الإغريق

1.3 حضارتي الصين و الهند جدلية العزلة و الاتصال بالعالم القديم .

رغم أصالة الحضارة في كل من الصين و الهند، و الطابع الذي ميز الواحدة عن الأخرى وكتلتاهما عن العالم القديم، فليس هناك شك في أن الصين مثلاً كانت واقعة في نطاق الانتشار العام للمعرفة، و من المحتمل أن التبادل الذي حدث بين الصين و جيرانها من الغرب و الجنوب كان اكبر بكثير مما كان يفترض، فالمؤكد أن الابتكارات العلمية و العملية والمهاراتية تجد بسهولة طريقها نحو الانتشار في الوقت الذي ظلت فيه الأفكار الفلسفية الصينية ظاهرة محلية أصيلة، لأنها لم تكن لتتآلف بسهولة مع الغرب و تصوراتهم، فكانت هناك اتصالات حدثت بالتأكيد مع الحضارات الأخرى، و منه فالحديث عن العزلة أمر تفنده بعض الشواهد التاريخية، و في مجال التأثير الصيني على أوروبا .

وقد اهتم المؤرخ جوزيف نيدهام في كتابه (تاريخ العلم و الحضارة في الصين) بالبحث في جذور التواصل الصيني مع الغرب ، فهذه الصّلات بدأت في وقت مبكر يعود على أقل تقدير إلى العصر البرونزي – أي عهد أسرة (شانج) – 1500 ق.م ، و امتدت لفترة طويلة في عهد أسرة

1 : محمود محمد علي ، المرجع السابق ، ص 21 .

(جوو)، وربما تعززت هذه الاتصالات بسبب قلة صلابة الحواجز القومية الفاصلة بين الشعوب المختلفة كما آل إليه الحال فيما بعد، أو راجع إلى توسيع العلاقات التجارية .

و لكن مهما كان السبب فليس هناك أدنى شك في أن عمليات التبادل مضت في طريقها¹ إلى التجسيد و هو ما وضحته أدلة كثيرة، فعلى سبيل المثال ظهرت في الصين و الغرب سيوف برونزية متشابهة بالإضافة إلى العجلة الحربية التي على هيئة طائر وهي تمثال الطائر، و تركز على ثلاث عجلات مصنوعة من البرونز أو الخزف، اكتشفت ليس في الصين فقط، بل أيضا في مصر و في شرق أوروبا، فضلا عن ذلك انتشار تلك المخلوقات الخرافية المقدسة وهي كائنات ذات الذيل الشبيهة حوريات البحر و بعض الأعشاب و المستحضرات المستعملة في السحر .

1.1.3. الطرق التجارية جسر التواصل الحضاري بين الصين و المناطق الواقعة غربها .

يمكن إيجاد المزيد من الأدلة على قيام اتصالات بين الصين و المناطق الواقعة غربها عن طريق مراجعة بعض المفردات اللغوية و من أكثرها شيوعا (سريس - Seres) (ساينا - Sina) (كاتاي - Cathay) . فالأهم (seres) مشتق من اللفظ الصيني (سو - Ssu) أي الحرير الذي نقله الإغريق إلى أوروبا محرفا (سير - Ser-) ، أما لفظ (Sina) لا شيء و منه اشتق (China) و يبدو انه لم يجيء من روما بل جاء في القرن الثاني قبل الميلاد عن طريق الهند، إذ انه تحريف للصيغة السنسكريتية* لاسم (جهن Chhin) الصينية**

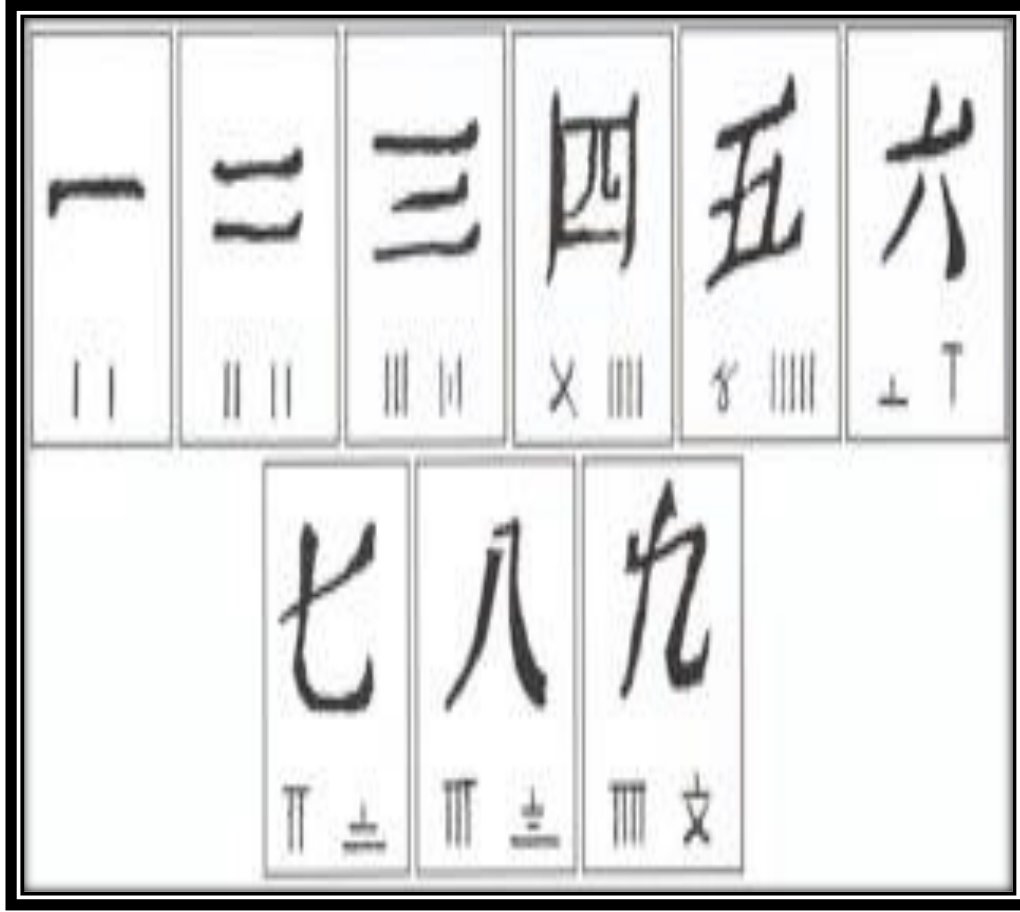
1 جوزيف نيدهام، موجز تاريخ العلم و الحضارة في الصين، ترجمة محمد غريب جودة، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1995، ص 109.

* : اللغة السنسكريتية (Sanskrit) هي اللغة الكلاسيكية القديمة للهند التي كتبت بها النصوص الدينية الهندوسية المقدسة، و تعد فرعا أصيلا لعائلة اللغة الهندوراسية .

انظر جوزيف نيدهام ، المرجع السابق ، ص 110 .

** : وردت إشارات في الكتابات الكلاسيكية الإغريقية لما هو صيني حوالي القرن الخامس قبل الميلاد في إشارة هيودوت لذلك على اعتقادات سكان آسيا الوسطى أنهم صينيون، و اثبت البحوث أنهم الصينيون الذين كانوا يقطنون (كوانجوتج) والمناطق السفلى من النهر الأصفر .

الشكل 12 : الأعداد من 1 إلى 9 في اللغة الصينية¹



الأعداد من 1 إلى 9 في اللغة الصينية، في كل مربع مجموعة من ثلاثة رموز تدوينية لكل عدد من الأعداد، الرمز العلوي الأكبر يقابل الرمز القديم للعدد كما كتب منذ عام 1450 ق.م . و في الأسفل من اليمين العدد كما يكتب حاليا بالكتابات العلمية، و على الشمال ذاته كما هو قيد الكتابة في الاستخدام التجاري الحالي.

وقدم الفلكي الإغريقي بطليموس وصفا خلال القرن الثاني الميلادي، حيث وصف الإقليم المحصور بين بحر قزوين و الصين، وتحدث خاصة عن تاجر الحرير مايسيتيانوس Maestitanus، ومنه نلاحظ التنامي في معلومات الاغريق عن الصين بين القرنين الخامس والثاني قبل الميلاد .

انظر : المرجع نفسه .

1 إسماعيل دحام العاني، المرجع السابق، ص 66 .

وقد ساهمت الطرق التجارية الممتدة بين الهند و منطقة شرق المتوسط إلى اكتشاف طريق الحرير ، و هو المعبر الصيني لتصدير الحرير إلى الغرب. كما استعملت الطرق البحرية حول الهند و هي القنوات التي تمت عبرها اتصالات الإغريق و الرومان ليس بآسيا الوسطى فقط بل بالهند ذاتها. و جاءت أولى المعلومات عن الهند في القرن الخامس قبل الميلاد عن طريق الطبيب (تيزياسالنيديوسي) الذي سمع بوجود تلك البلاد أثناء وجوده بالبلاط الفارسي.¹

2.1.3. الهند معبر تجاري بين الشرق و الغرب .

حملت التجارة الكثير من عناصر الثقافة و الحضارة و ساهمت في تقارب الأمم والشعوب و تعارفها ببعضها البعض ، و لما كانت الموانئ عصب التواصل ، فإنها شكلت أماكن لقاء و تعارف بين مختلف التجار، فغالبا ما كانت ظروف الجو الصعبة تجبر السفن الهندية على البقاء في الموانئ طيلة فصل الشتاء و الأمر يتعلق بموانئ شبه الجزيرة العربية*، و هو ما يعني أنها شكلت مجالا للاحتكاك البشري بين مختلف الأجناس الأمر الذي اثر خاصة على اللغة باعتبارها وسيلة تواصل*.

كما قام الملك الفارسي (دارا) ما بين القرنين السادس و الخامس قبل الميلاد بإرسال احد البحارة الإغريق (سكيلاك) في رحلة تأكد من الخط البحري بين الهند و مصر، حيث وافق هذا الأخير على الإبحار من نهر السند إلى بحر العرب تجاه البحر الأحمر، و دامت هذه الرحلة ثلاث

1 : جوزيف نيدهام ، المرجع السابق ، ص 115 .

* : كشفت المخلفات الأثرية أن عملة الأتيك (ATTIC) الإغريقية قد وجدت في جنوب شبه جزيرة العرب حوالي القرن الخامس قبل الميلاد، و أثرت العملة الإغريقية في العملات السبئية و و المعينية ، و هو ما يؤكد وجود الصلات التجارية التي كانت تتم عبر البحر الأحمر .

انظر :

Sir George Francis Hill, The ancient cornage of southern Arabia, The british academy, London, P1 .

* : أدى ذلك إلى دخول كلمات هندية إلى اللغة العربية ، و المعتقد أن كلمة (موز) يعود أصلا إلى الكلمة السنسكريتية (موجا) و (الكافور) أصله (كابور) و (الليمون) أصله (ليمز) .

انظر : محمد حمزة جبار الله الشمري ، موانئ شبه الجزيرة العربية و أثرها في النشاط البحري قبل الإسلام ، أطروحة دكتوراه ، جامعة بغداد 2004 . ص 161 .

سنوات، و المرجح أن لامتداد الإمبراطورية الفارسية نحو الشرق الفضل في تطوير المسالك التجارية وربط خطوط البريد خلال الفترة الممتدة بين القرنين السادس والخامس قبل الميلاد.**

3.1.3. دور الفينيقيين في الوساطة بين الهنود و بلاد الإغريق .

تأثر الهنود بالبابليين بسبب وجود التجار هناك حيث أهدى ملك بابل خلال الألف الثالث قبل الميلاد طاووسا ، كما تم العثور على دعائم خشب كانت قد استعملت في هيكل القمر في أور ، بل أكثر من ذلك أن الهنود جلبوا العربات من ارض سومر كما تأثر الهنود بالفينيقيين حيث استخدموا حروفهم بعد عهد بوذا.¹

و مجمل القول أن الفينيقيين لعبوا دور الوسيط بين الهند و بلاد الإغريق ، و المرجح أن الإغريق قد جمعوا المعلومات عن طريق هؤلاء الوسطاء ، حيث كانوا يتاجرون بالفضة إلى قبرص عن طريق مصر منذ القرن التاسع عشر قبل الميلاد إلى غاية مطلع القرن السادس قبل الميلاد، و المرجح كذلك أن سواحل شبه جزيرة العرب كانت جسرا لذلك التواصل بسبب تواجد الفينيقيون شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، كما كانت للفينيقيين علاقات مع العبرانيين بدليل علاقات الملك (أحيرام) ملك صور مع الملوك العبرانيين حوالي الألف العاشر قبل الميلاد.² والمهم هنا إدراك عناصر

** : ساهم هذا الامتداد كذلك في توحيد القياس و الأوزان و صك عملات ذهبية و فضية موجهة لكل الأقاليم ، و تجدر الإشارة هنا الى الفضل الذي لعبته موانئ شبه الجزيرة العربية في ربط مناطق الهند و البلاد العربية و شمال شرق إفريقيا بداية القرن السادس قبل الميلاد . و بأمر من فرعون مصر (نينحو) تم فتح الطريق البحري من مصر عبر البحر الأحمر باتجاه المحيط الهندي ، و قام الفينيقيون بدورة على إفريقيا بطلب من نفس الفرعون ، و تجدر الإشارة إلى أنها كانت اللبنة الأولى للوصل بين النيل والبحر الأحمر ، و المعتقد انه خلال هذه الفترة ازدهرت التجارة بين الهند و شبه الجزيرة العربية تجاه بلاد الإغريق . للمزيد حول موضوع الصلات التجارية لشبه الجزيرة العربية و الهند

انظر ميهوب غالب ، أحمد كليب ، الصلات التجارية بين شبه الجزيرة العربية و مناطق الهلال الخصيب خلال الألف الأول قبل الميلاد ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد 27 ، العدد الأول و الثاني ، 2011 .

1 : محمد حمزة جبار الله الشهري ، المرجع السابق ، ص 162 – 163 .

2 : حسين الشيخ، الجزيرة العربية و اليونان و بيزنطة ، التواصل الحضاري عبر العصور القديمة و الوسيطة ، المجلد الأول، الندوة العلمية حول علاقات الجزيرة العربية بالعالم اليوناني و البيزنطي، الرياض 2010 . تم إصدار العدد في الرياض 2012، ص 47 – 48.

التأثير و التأثير الثقافي التي إما تكون قد مورست بطريقة مباشرة أو غير مباشرة عن طريق الوساطة الفينيقية.

1.3.1.3 التواصل الحضاري بين الشرق القديم و بلاد الإغريق أرضية التفاعل و التفاعل

نتناول في هذا المطلب جسور العلاقات الحضارية و الثقافية بين منطقة الشرق الأدنى القديم و منطقة شرق المتوسط و منطقة بحر إيجه، و التي تعود جذورها التاريخية إلى منتصف الألف الثاني ق.م هذه الصلات التي كانت مباشرة من منطقة الشرق إلى منطقة الإغريق وكانت كذلك غير مباشرة عن طريق جزيرة كريت، و أورد مارتن بارنال في كتابة (أثينا إفريقيا السوداء) أن هناك أدلة أثرية توحي بإمكانية وجود استعمار من الشرق القديم لسواحل بحر إيجه و المحتمل أن يكون من 1750 – 1500 ق.م

و هناك مخلفات أثرية مصرية وفينيقية وجدت في عصر البرونز في منطقة بحر إيجه وتعود إلى القرن الخامس عشر و الرابع عشر ق.م و مما لا شك فيه أن الممالك الموكينية الإغريقية قد توسعت آنذاك وهذا ما يعزز احتمالية أن الكثير من السمات الثقافية للشرق القديم موجودة في الثقافة الإغريقية، لم تكن بالضرورة نتيجة فتوحات عسكرية أشير لها في التراث الإغريقي، بل جاءت نتيجة علاقات امتدت طويلا بين الطرفين.*

و المرجح انه وجدت مستعمرات للهكسوس في بلاد الإغريق ما بين 1750-1500 ق.م وخلال هذه الفترة وجدت أدلة أثرية تثبت هذه الصلات و التي اتخذت طابع عسكري مميز وذلك

* : حسب مارتن بارنال فهناك إسقاطات تاريخية من شرق آسيا فلا يوجد شك في دلتا النهر الأحمر التي أصبحت قلب الأراضي الفيتنامية تعرضت لتأثيرات ثقافية من الصين سواء قبل أو أثناء الاستعمار الصيني المباشر على يد أسرة هان والأسرة الحاكمة الثانية مع نهاية القرن الأول ق.م وحسب مارتن برنال أن لهذا المثل يمكن إسقاطه على الحضارة الإغريقية التي يمكن أن تكون قد تأثرت باستعمار شرقي .

أنظر مارتن بارنال ، أثينا السوداء (النهاية البطولية لعصر بطولي سقوط طيبة و طروادة و موكيناي) ما بين 1250 – 1150 ق.م، الجزء الثاني ، المجلد الثاني ، ترجمة و تعليق و تحليل ، محمد إبراهيم السعدي ، المجلس الأعلى للثقافة ، مصر 2005 ، ص 165 .

ما ينطبق على القشرة التي عرفت في التراث الإغريقي بالعصر البطولي الذي أسس فيها إبطال من الشرق مدغم في بلاد الإغريق وهو ما يؤكد الحجة المعقولة لوجود امتداد شرقي لبلاد الإغريق من خلال قصور مدينة كريت ، حيث استخدم عالم الآثار إيفانس تسلسلا زمنيا لتقسيم المراحل الحضارية لتاريخ كريت انطلاقا من تطور الفخار حيث ربط إيفانس هذه الفترات انطلاقا من التقييم المصري للأحداث التاريخية على النحو التالي :

الفترة المينوية المبكرة: تقابل الدولة القديمة، و الفترة المينوية الوسطى تقابل الدولة الوسطى و الفترة المينوية المتأخرة تقابل الدولة الحديثة، ذلك لأن التغيرات المهمة حدثت عند الطرفين عند نهاية كل فترة¹.

2.3.1.3 جذور التواصل الإغريقي مع الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط :

في الحقبة التي سبقت الحكم الأخميني بعد سقوط بابل ، لم تكن الاتصالات بين بلاد الرافدين و الساحل الكنعاني مع العالم الإيجي معدومة ، بل كان هذا التواصل يعود إلى بداية الألف الثاني قبل الميلاد على اقل تقدير ، و المعروف أن (زمريليم) ملك (ماري) الذي كانت تقع مملكته في الفرات الأوسط زار مملكة أوغاريت حوالي 1765 ق.م و التقى بتجار من جزيرة كريت ، ثم أن الأواني الخزفية المينوية والميسينية التي عثر عليها في الساحل الشمالي السوري شاهدة على ذلك التواصل الذي امتد حتى القرن الثالث عشر قبل الميلاد. و المرجح أيضا أن تكون هناك جماعات بشرية إيجية الانتماء كانت من بين الأقوام الغازية برا و بحرا للساحل الكنعاني، و كانت هذه الهجمات حوالي (1200 ق.م) .

: G. Goltz , Op Cit . PP 422 – 423 . 1

و مع تأسيس الإمبراطورية الآشورية الحديثة (1075-721 ق.م) في نينوي، والبابلية الثانية (626 - 539 ق.م) كانت الأواني الخزفية الإغريقية كثيرة الانتشار في منطقة (كيليكيا) في الشمال السوري ، كما تطلعنا الكتابات الآشورية على استقرار تجار إغريق في ذلك الموقع¹.

ولقد انتشرت التوسعات الآشورية التي رافقتها نشاطات تجارية في فلسطين وقبرص وعلى سواحل آسيا الصغرى المطلّة على العالم الإيحيي، و الملاحظ أن هذا التبادل التجاري اقترن مع التبادل الثقافي و ساعد على الاطلاع على العناصر الحضارية الأكثر تقدما. حيث كان يشار للإغريق آنذاك على أساس أنهم أيونيين، و ورد ذكر بعض حوادث القرصنة أثناء حكم نفلات بلاسير الثالث (727-745 ق.م) و كذلك أيام حكم سرجون الثاني (721 - 705 ق.م) فضلا على أن الحوليات الآشورية تشير إلى تواجد أيونيين في كليكيا أثناء حكم سنحريب حوالي القرن السابع قبل الميلاد، و انه من المحتمل جدا مشاركة مستوطنين إغريق في ثورة(طربوس)*.

و المرجح أيضا أن فراعنة مصر عندما أرادوا التحرر من الاحتلال الآشوري ، اعتمدوا على المرتزقة الإغريق ، كما حدث في سنة 633 ق.م ، حتى أن الملوك البابليين هم أيضا استعانوا بهؤلاء بالمرتزقة ، و ذلك بين (626 - 539) ق.م، و لقد عاش حرفيون إغريق في بلاد الرافدين وحتى بلاد فارس، وكانوا نحّاتين في مجال أحجار البناء في الورشات و عمال في مدن عدة مثل (سور)، و (بازاجارد Pasagardes) كما كان يخدم الملك داريوس طبيب إغريقي يسمى (ديموليديس)**.

1 : قاسم الشواف ، الفينيقيون و الألعاب الاولمبية ، الطبعة الأولى ، منشورات دار علاء الدين ، 2011 ، ص 31 .
* : ترك (بيروز Berosse) و هو كاهن معبد مردوخ ببابل بعض المؤلفات منها (بابيلونياكا) و يشير هذا المقطع المنقول عن (أوزيب) أن معركة بحرية حققت انتصار أسطول سنحريب على الأسطول الإغريقي ، و لقد عاش هذا المؤلف (بيروز) نهاية القرن الرابع و بداية القرن الثالث قبل الميلاد ، و المعتقد أنه ألف كتابه عام (281 ق.م) و تضمن معلومات عن الحضارة البابلية و هو الذي عرض قصة (أورانس) الذي هو انكي السومري ، و روى قصة الطوفان .

انظر : قاسم الشواف ، المرجع السابق ، ص 32 .

** : عن تاريخ المرتزقة الإغريق فإن الحجج الأكثر شهرة ذكره (كلستيفون) 426 - 354 ق.م ، بعد أن ساهم كفارس في الدفاع عن أثينا في حربها ضد إسبارطة ، ففي عام 401 ق.م انظم إلى الإسبارطيين الذين كانوا يحاربون في آسيا الصغرى إلى جانب كورش الثاني الذي كان يحاول قلب أخيه عن الفرس ، إلا أن كورش خسر المعركة عام 339 ق.م بعد أن كان قد جند

حتى ان فتوحات الإسكندرا الأكبر أدت إلى استقرار عدد كبير من المقدونيين و الإغريق في بلاد الرافدين .

و مما سبق ذكره ، يبين لنا أن التواصل الفكري و التجاري بين الحضارات القديمة المصرية، بلاد امين النهرين و الفينيقية مع الشعوب الإغريقية يعود تاريخه إلى مراحل زمنية مبكرة، و هو ما يجعل عامل التأثير و التأثير حتما موجود، و فتح المجال لبروز لقاح حضاري في جميع المجالات بين هذه الحضارات وحضارة بلاد الإغريق فيما بعد، خصوصا وأن هذه الحضارات كانت سابقة لها .

3.3.1.3 جسور التواصل الحضاري بين حضارات الشرقية و بلاد الإغريق

سبق الحديث عن الدور الفعال لعلاقة التأثير و التأثير الذي يلعبه البحر الأبيض المتوسط كحلقة الوصل و الربط بين الحضارات القديمة. و مهما يكن فإن هذه العلاقات يمكن حصرها في جانبين أساسيين. يتمثل أولهما في تضاريس حوض البحر المتوسط حيث يحيط به سلاسل جبلية متصلة بموانئ طبيعية في شكل جبال مرتفعة أو صحاري جرداء و ذلك شكل نطاقا عازلا جعل التوجه الجغرافي لسكانه لا يكون صوب الداخل (داخل القارات) إنما إلى الخارج إلى البحر ومن جهة أخرى فإن البحر نفسه يكاد يكون بحيرة مغلقة لولا مضيق جبل طارق الذي جعل سواحله متقاربة في أكثر من موقع ترتفع فيه الكثافة السكانية خاصة في سواحل الشرقية و هو ما ساعد على الاتصال الحضاري بين حضارات الشرقية و بلاد الإغريق وذلك عبر عدة محاور أهمها :¹

1.3.3.1.3 محور جزيرة كريت :

يتفق معظم المؤرخين على أن الحضارات القديمة المحيطة بالبحر المتوسط أو حتى القرية جغرافيا منه (كبلاد ما بين النهرين) استطاعت أن تطور مواصلاتها إلى درجة تسهل الاتصال بالشعوب

لها عشرة آلاف مقاتل من المرتوقة، و بعد مقتل كورش عينكسينوفون كأعلى قائد بجيش المرتوقة المتطوعين، و قادهم مجتازا آسيا الصغرى حتى مدينة (تيربيزونت Terbizonte) ، و هو ما أورده في مؤلفاته التاريخية .
انظر : نفسه.

1- حسن طلب، المرجع السابق ، ص 59 .

المجاورة. حيث تقدمت حركة التجارة في عصر البرونز وحتى قبله، وبالتالي شكلت جزيرة كريت المحور الأساسي لهذا التواصل ولا تكون دلائل التطور الحضاري لجزيرة كريت موضوع بحثنا الآن (لنتناوله بالدراسة و الشرح في الفصول المقبلة) إلا أن دلائل هذا التواصل موجودة بشهادة علماء الآثار منهم إيفانيس، حيث عثر على قطع أثرية مصرية في جزيرة كريت تعود إلى عصر الدولة القديمة، و عثر على قطع أخرى كخاتم الملكة (قي) زوجة الملك أمنحوتب الثالث (1297 - 1260 ق.م) و التاريخ يؤكد الصلة القوية لكريت بحضارة موكناي و منه بالحضارة الإغريقية ذلك لأنها شكلت أصولها الأولى و استنادا إلى ذلك فإن كريت كانت حلقة التأثير و التأثير و التواصل بالشرق القديم و بالتالي لعبت دور الوسيط في نقل الثقافة الشرقية خاصة المصرية و الفينيقية إلى بلاد الإغريق .

2.3.3.1.3. محور غرب آسيا :

شهدت المخلفات الأثرية أنه كانت هناك علاقات وطيدة بين مصر ومنطقة غرب آسيا وبلاد الإغريق، حيث برز هنا الدور الفعال للفينيقيين و علاقاتهم التجارية التي كانت فينيقيا ومصر و بلاد الإغريق ميدانا لها، وهو ما من شأنه أن يفتح باب التأثير والتأثر في هذه الحلقة المترابطة جغرافيا وحضاريا*، لأن الاحتكاك الذي كان بين المصريين والفينيقيين قد أثمر نتائج مهمة تمثلت في تكوين عقلية هذه الشعوب، كما ألهمها العناصر الأساسية في تراثها الفكري والديني، و يكفي أن نتحدث عن التشابه الكبير في جانب الدين بين آلهة مصر و آلهة فينيقيا، و ما انعكس

* : تعد مدينة جبيل (بيبيلوس) إحدى حلقات هذا الترابط ، حيث أثبتت الدراسات أن أهل المدينة كانوا على اتصال بمصر الفرعونية منذ عصر ما قبل الأسرات ، أي قبل توحيد مصر ، و وجدت جذوع من أشجار الأرز في مقابر الأسرة المصرية الأولى كما وجدت بمصر أوواني خزفية فينيقية تعود إلى عصور مبكرة ، و استمر هذا التواصل حيث كانت المراكب الشراعية المصرية تشق طريقها إلى الساحل الشرقي من المتوسط في فينيقيا و العكس صحيح ، و لم يقتصر هذا الاتصال على البحر ، بل كانت القوافل التجارية البرية تشق طريقها إلى الساحل الكنعاني عبر منطقة سيناء.

أنظر : حسن طلب ، المرجع السابق ، ص 60 .

عنه في بلاد الإغريق فيما بعد**، بل هناك من الدارسين من يذهب إلى القول أن هناك علاقة مباشرة بين المصريين و الفينيقيين، قائمة على أساس تأثير أحدهما على الآخر، و الذي انتهى إلى اختراع الحروف الأبجدية، و رغم أننا لا نكر دور الفينيقيين في ذلك إلا أن فريق من الباحثين يذهب إلى القول أن الأبجدية الفينيقية تأثرت باللغة المصرية القديمة، ليحدث التأثير فيما بعد على بلاد الإغريق، خاصة أن اللغة الإغريقية تأخرت بالظهور عن سابقتها حسب بعض الباحثين بحوالي ألف سنة¹.

وعبر جسر غرب آسيا دائما نقل الفينيقيون إلى جانب اللغة كثيرا من الأساطير و المعتقدات و العلوم، و فضل الفينيقيين في ذلك ورد ذكره من خلال الأشعار الهومييرية، بل أن الإغريق إستلهموا من قصة كادموس (Cadmus) الفينيقي بعض عناصر حضارتهم، حتى أن إحدى الروايات تقول أن مدينة طيبة (Thebes) الإغريقية أسست على أيدي الفينيقيين، و لا يجب أن نهمّل هنا دور البابليين في نقل معالم الحضارة إلى بلاد الإغريق خاصة في مجالات الأدب و الفلك و الرياضيات*

** : و من أمثلة ذلك أن أودونيس (Adonai) الفينيقي تشابه قصته قصة الإله المصري أوزوريس (Osori) الذي قتل على يد أخيه سيث (Seth) و وضع في صندوق في البحر ، و دفعته المياه الى مدينة جبيل (biblos)، و أودونيس مثل سلفه أوزوريس يموت ثم يبعث من جديد .
أنظر : المرجع نفسه ، ص 65 .

و انظر أيضا :

M. COMMOP . Op Cit , P 53- 54 .

و انظر أيضا : عن الحديث عن العلاقات المصرية الفينيقية .

: Jules Sonry , Op Cit , P 8 . 1

Herodote , Op Cit , P 8

و انظر أيضا :

Victor Duruy , Op Cit , P 89

* : في سواحل غرب آسيا لا يجب إهمال الوجود الحبشي الذي كان ذو طابع حربي عسكري على وجه الخصوص ، خاصة و أن هذه الحضارة كانت على صراع مع مصر على الساحل الغربي من المتوسط و انتهى بمعاهدة سلام بينهما، و لقد تزوج الملك رمسيس الثاني إحدى بنات الملك الحبشي، وهو ما يدعو إلى القول أن عناصر التأثير و التأثر كانت أيضا بين المصريين و الحبشيين.
انظر : حسن مطلب ، المرجع السابق ، ص 67 .

3.3.3.1.3. محور العبرانيين :

تكمل القيمة الأساسية للحضارة العبرانية في عقيدة الشعب اليهودي القائمة على تجريد الإله من الجانب الأسطوري و تخليصه من تعدد الأنداد و الآلهة الأخرى، أي تخليصه من شركائه، و بالتالي عرف اليهود عقيدة التوحيد في وقت ترسخت فيه الديانة الوثنية لدى الشعوب القديمة، و الملاحظ انه كان هناك ترابط وثيق بين التراث الديني اليهودي و الحضارة المصرية، و إذا بدأنا تاريخهم من سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى غاية فترة متأخرة، انتقل العبرانيون من مكان إلى آخر حتى استقر بهم المقام بمصر، خاصة و أنها تميزت بوفرة الإنتاج الزراعي في العديد من فترات التاريخ بدليل ما ورد في سورة يوسف: « فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (88) »¹. و ورد أيضا في قوله عز و جل « فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَاهُ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ (99) »² و رغم قلة الدلائل عن الوجود العبراني و تاريخه في مصر إلا أن المتفق عليه انه يعود إلى حوالي القرن الخامس عشر قبل الميلاد.

و ارتبطت الحضارة العبرانية بتراثها المقدس الذي جاء به النبي موسى عليه السلام، ومنهم من ذهب بالقول إلى أن هناك ارتباط بين العقيدة اليهودية و طبيعة الديانة بمصر القديمة* .

1 : القرآن الكريم ، سورة يوسف ، الآية 88 .

2 : القرآن الكريم ، سورة يوسف ، الآية 99 .

* : قام الملك أمنحوتب الرابع (أخناتون) بحركة إصلاح ديني بالتحول عن عبادة الآلهة المتعددة إلى عبادة الإله الواحد خالق الكون . كما قامت العقيدة التي جاء بها موسى عليه السلام بعقيدة توحيدية ، و الوصايا العشرة الإلهية بالعقيدة التوحيدية الإلهية (لا تقتلوا الأسرى ، ، الخ) و لم يستطع ترسيخ هذه العقيدة لدى بني إسرائيل، بل تعرض إلى محاولات الإيذاء والتكذيب ، و ذلك ما ورد في القرآن الكريم : « وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (5) » سورة الصف الآية 5 .

انظر محمود يوسف الكبرا ، الحقيقة و الأسطورة في العهد القديم، ط 1 ، منشورات دار علاء الدين للنشر و التوزيع، دمشق، سوريا ، 2010 م ، ص ص 40-41 .

و ما يهمنا هنا هو علاقة خط حضارات شرق المتوسط خاصة مصر و العبرانيون ببلاد الإغريق و هو في عدة نماذج نوردها حول ملامح التأثير و التأثير كما في ذلك قصة الخلق، حيث تضمن العهد القديم قصتين عن الخلق لا تخلوان من التناقض، ففي القصة الأولى يتم خلق الإنسان بعد خلق كافة الكائنات، أما في القصة الثانية نجد أن الله يخلق الإنسان أولاً ويكون على هيئة رجل، أما المرأة فقد شكلها من ضلع انتزعه من جسد الرجل أثناء نومه، و إذا كانت القصة الأولى أقدم من الثانية، فإنها كانت في قصص الخلق المصرية، حيث ورد في بعض الأساطير أن الإله خنوم (Khinum) خلق الإنسان من الطين على موضعه الذي كان يشكل عليه الفخار، و هذه الفكرة وجدت أيضاً في التراث الأسطوري الإغريقي، حيث نجد أن الإله بروميتيوس (Prometheus) الحكيم قد شكل الإنسان الأول من الطين وعند بانوبيوس (Panopeus) التي تقع عند فوكيس (Phocis)¹، و لقد ورد أن كلمة الخالقة لوجوس

(Logos) انتقلت إلى التراث الإغريقي من مصر و اكتسبت دلالات فلسفية هامة.*

1 : حسن طلب ، المرجع السابق ، ص 74 .

* : وردت تشابهات في بعض القصص و الأساطير بين شعوب الشرق المتوسط و بلاد الإغريق ، و من أمثلة ذلك أن الأشعار العهد القديم خاصة سفر الخروج نص على انه إذا لطم ثورا رجل أو امرأة فمات الرجل أو المرأة يرجم الثور ولا يؤكل لحمه و قد انتقلت هذه الفكرة إلى أثينا حيث كان بها في مراحل ازدهارها محاكم خاصة بمحاكمة الحيوانات، و حتى الأشياء المادية المتسببة في قتل الكائن الحي ، حيث كل عام يحاكم الفأس و السكين اللذان استخدمتا في عملية ذبح الثيران في أعياد زيوس التي كانت تقام في الأكروبول (Acropolis) و كانت توجه تهمة القتل لتلك الوسائل ، و لما يثبت جرمها يحاكم بإعدامها المتمثل في الرمي في البحر ، كما كان في جزيرة ناكومس قانون جاري يقتضي بمحاكمة الشيء إذا سقط على إنسان و قتله، و إذا ثبتت التهمة يطرح في البحر، و هو ما حدث عندما سقط تمثال برونزي على أحد العابدين له، فسقط عليه وقتله، فحكمت المحكمة بطرح التمثال في البحر. و هذه التقاليد تذكرنا بما فعل الملك الفارسي أكزركيس (Xerxes) 465-519 ق.م حيث أمر بجلد البحر مائة جلدة لأنه تسبب بأمواجه الهائجة في إعاقه سفنه و هي تتجه لغزو بلاد الإغريق حسبما ورد عن أفلاطون في إحدى محاوراته (القوانين) التي أشارت إلى وجوب قتل حيوان يحمل أثقالاً أو أي حيوان آخر رجلاً - باستثناء ما يحدث في الألعاب الشعبية - حيث تمارس الرياضة المنافسة بين الإنسان و الحيوانات ، فإن أقارب الشخص المقتول يعدمون الحيوان بسبب جرمته ، و تطرح الجثة خارج المدينة . إذا تسبب شيء في قتل إنسان إلا الصواعق و الكوارث الطبيعية التي تلقي بها الآلهة البشر ، فإذا قتل إنسان نتيجة سقوط ذلك الشيء عليه فإن اقرب قريب للشخص المتوفي يقتص لنفسه و لأهله من هذا الشيء

● مزاعم العبرانيين في إسهامهم في حضارة الإغريق.

توجد عدة مزاعم داعية إلى القول بالإسهام العبراني في حضارة الإغريق، و من أمثلة ذلك أريشوبوليس اليهودي الذي عاصر الملك بطليموس السادس، حيث روج لفكرة أن هوميروس، وهيزيدوس، و فيتاغورس، و أفلاطون، و أرسطو قد اقتبسوا الكثير من معارفهم من التراث

اليهودي الذي يعد أقدم حضارة في العالم. و من دلائل ذلك أن اللغة العبرية هي لغة الإنسان

الأول.¹

ولقد ورد ذلك في الرسالة الحادية و العشرين من رسائل إخوان الصفا، و تعود إلى النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي، حيث سأل أحدهم خطيباً إغريقياً معجباً بالفلسفة و العلوم الإغريقية، فقال لولا أخذتم من بني إسرائيل و البعض الآخر من علماء مصر² لما تطوروا.

كما تزعم المصادر اليهودية أن أرسطو قد اقتبس نظرياته منهم ، بل أكثر من ذلك أنه يهودي السلالة. و يذكر سارتون أن كاتبين يهوديين هما منير بن سليمان الطليطلي الذي يزعم أن العلوم الإغريقية عبرانية الأصل، أما الكاتب الثاني و هو منير بن سليمان القاضي فيزعم أن أرسطو قد اقتبس أعماله من التوراة، بل أكثر من ذلك أن هذه المزاعم قد طالت حتى النبي سليمان عليه السلام الذي اعتبروه مؤلف ملحمتي الإلياذة و الأوديسا*.

و ينصب اقرب جيرانه قاضيا ليحكم في الموضوع ، فإذا ثبتت التهمة على هذا الشيء ، فإنه يطرح خارج الحدود كما يفعل مع الحيوان القاتل .

انظر : حسن مطلب ، المرجع السابق ، ص 75 .

1 : ابراهيم عبد العزيز جنيدي، معالم التاريخ اليوناني، ج 1 ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، مصر 1998-1999 ، ص 18 .

2 : رسائل إخوان الصفا، ج 2 ، ص 242 .

* : غير أن هناك دراسات تنفي تماماً العلاقات المبكرة بين العبرانيين و العالم الإغريقي، بل أن تاريخ بداية العلاقات بينهما تعود إلى عهد لاسكندر الأكبر . انظر المقال :

Alberto Giovanni, Les origines de l'anti-judaïsme dans le monde grec, cahier de centre Gustav Glatz, Année 1995, P1/Perse

ومجمل القول أن المزاعم العبرانية أكدت على أسبقية حضارتهم عن الحضارة الإغريقية في مجالات العلم و التحضر. غير أن الواقع يثبت عكس ذلك تماما. فالعبرانيين بالغوا في ذلك إلى درجة أنهم جعلوا التوراة قديمة للغاية، و بذلك تكون قد انتقلت و ترجمت إلى اللغة الإغريقية قبل هوميروس. و من تم كانت مصدرا فكريا لمفكري الإغريق. و الجدير بالذكر في السياق ذاته أن البطالمة استقدموا سبعين مترجما لترجمة التوراة ، و كان ذلك في عهد بطليموس الثاني، و بذلك لم تكن حركة الترجمة متاحة قبل العصر الهومييري، فضلا عن ذلك أن مفكري الإغريق ذكروا الكثير مما عرفوه عن مصر و بابل و فينيقيا و بلادفارس، لكنهم لم يذكروا شيئا عن العبرانيين.

أما فيما يتعلق بأمر نسبة الإلياذة و الأوديسا للنبي سليمان عليه السلام، فالواقع أن النبي سليمان عليه السلام لم يكن ليروج لفكر وثني مثلما حدث في الملحمتين. و ما ورد فيهما من صراع الآلهة مع بعضها البعض¹.

4.3.3.1.3. حضارات الشرق – بلاد الإغريق مباشرة :

منذ أن أصبحت الحضارة الموكينية قائمة بذاتها أصبح بإمكانها التعامل بطريقة مباشرة مع سائر الشعوب القديمة ، و غالبا ما كان هذا التعامل يدخل في إطار التجارة ، و منها ما كان في إطار القرصنة الذي تعود جذوره إلى العصر الكريتي²، و برزت من خلال المراحل المتأخرة من هذا التعامل مدن هامة كأثينا و مدينة طيبة، و الدليل زيارة العديد من الفلاسفة الإغريق و حتى مؤرخيهم من أفلاطون و هيرودوت و غيرهم كطاليس إلى مصر ، و هو ما يؤكد على أن هذه العلاقات اتخذت شكلا مباشرا³

1 : إبراهيم عبد العزيز جندي، المرجع السابق، ص 21 .

2 : Thucydide , Op Cit , P 4 .

3 : حسن مطلب ، المرجع السابق ، 79 .

4. العلاقات الثقافية بين حضارات الشرق القديم و بلاد الإغريق .

1.4 طبيعة العلاقات

تميزت جغرافيا بلاد الإغريق بالطبيعة الجزرية و الجبلية التي أدت إلى قلة مساحة الأراضي الزراعية ، غير أن موقعها على البحر الأبيض المتوسط ساعد السكان على اعتماد التجارة كوسيلة عيش بدل زراعة أراضيهم الجبلية ، و أمام تطور المدن الإغريقية خاصة خلال القرنين الثامن و السابع قبل الميلاد ظهرت مدينة أثينا كقوة سياسية و اقتصادية و حضارية تميزت بالانفتاح على العالم ، خاصة الحضارات الشرقية ، حيث توجه أبناء المدينة إلى البحث عن جذور المعرفة هناك و اعتمدوا عليها في تطوير حضارتهم .

و من مظاهر الاتصال الثقافي بين بلاد الإغريق و حضارات الشرق القديم شهادة الكثير من مؤرخي و فلاسفة الإغريق أنفسهم بفضل حضارات الشرق القديم عليهم. و من أعمدة الفكر الإغريقي أفلاطون الذي يشيد في إحدى محاوراته بفضل المصريين عليهم ، حيث ذكر في محاوره طيماوس في حديث بين صولون و كاهن مصري ، يصرح الكاهن لصولون أن الإغريق لديهم روح شابة، إذ ليس لديهم معتقد واحد قديم أو مستمد من تقليد قديم ، بل ليس لديهم علم واحد عريق في القدم. و مما ورد في نص المحاور ما يلي: بعد أن قاطع أحد الكهنة المصريين صولون قائلاً: « صولون يا صولون، أنتم الهيلينيون تلبثون دوماً أن تكونوا أطفالاً، و ليس من شيخ هيليني » فلما سمعه صولون قال : « كيف ؟ ... و ماذا تقول؟ » فأجاب الكاهن الشيخ « أنكم جميعاً فتيان بأرواحكم و لا تحفظون زعماً قديماً مستمداً من نقل و تقليد عميق، و لا علماً معبراً عن تراخي الزمن.»¹ و صرح في نفس المحاور أن المصريين هم أول من ابتدع الرياضيات²، كما ورد أن فلاسفة الإغريق قد زاروا بلاد الشرق خاصة مصر، و هو ما ذهب إليه المؤرخ هيرودوت الذي أكد

1 : أفلاطون ، محاوره ألتيمايوس و إكريستيس، ترجمة فؤاد جورجي باربارة، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2014 ، ص ص 182 – 183 .

2 : أفلاطون ، محاوره طيماوس ، ص 193 .

أن الإغريق تأثروا تأثيراً شديداً بالمصريين كونهم أول شعب في تاريخ الحضارة ، و نقلوا عنهم دياناتهم و معتقداتهم.¹

حتى أن ديودور الصقلي* في الجزء الأول من كتابه (تاريخ العالم) يذهب إلى القول أن جميع الإغريق الذين اشتهروا بالعلم و الحكمة قد زاروا مصر في العصور القديمة ، حيث تعرفوا على عاداتهم و نهلوا من علومهم ، و كل ما جلبه هؤلاء كان منقولاً من مصر .

وفي نفس المضمرة يذكر مؤرخ العلم جورج سارتون في كتابه أن أريستوكسبوس التارني (20 - 21 ق.م) يذكر أن الفيلسوف الإغريقي سقراط التقى حكيماً هندياً في أثينا وسأله: « انك تدعوا نفسك فيلسوفا ، في ماذا تشتغل ؟ » فأجاب سقراط أنه يدرس الشؤون البشرية، فأخذ الهندي يضحك قائلاً أنه يستحيل للمرء أن يفهم الشؤون البشرية ما لم يدرك الشؤون الإلهية أولاً.² و يعلق سارتون عن ذلك قائلاً أن هذه الحادثة تظهر بوضوح التقابل بين نمط التفكير السقراطي و الهندي ، فضلاً عن كونها إحدى الشواهد القاطعة على الاتصال الحقيقي بين فلاسفة الهند و فلاسفة الإغريق ، و أن وجودهم في مصر أو في بلاد الإغريق أمر غير مستبعد قط، و يذهب سقراط إلى الاعتقاد أن المرء يجب أن يتأمل في نفسه و لاسيما الجزء الإلهي منها إذا أراد أن يعرف نفسه. و هي نتيجة تؤكد التطابق بين فكرة سقراط و ما قاله الحكيم الهندي .

1 : Herodote , OP CIT , Livre II , P 2,7

و عن التأثير المصري راجع خاصة الفقرة 8 .

* : ديودور الصقلي، هو مؤرخ إغريقي، عاش حوالي القرن الأول قبل الميلاد. تناول تاريخ العالم في كتابه (المكتبة التاريخية) حيث خصص الجزء الأول لمصر و الثاني للعراق و الهند و بلاد العرب، و الثالث لشمال إفريقيا، و من الرابع على السادس لبلاد الإغريق. أخذ مادته التاريخية عن المؤرخين الذين سبقوه، و بذلك نلاحظ إهتمام هذا المؤرخ بالحضارات الشرقية التي أثرت في بلاد الإغريق؛ و هو دليل على وجود صلات حضارية بين الطرفين، و أورد أن هوميروس شاهد بفضل رحلاته العديد من المدن و عرف العديد من الأمم، و أن بداية تشكل بلاد الإغريق القارية كانت بحوالي ثمانين سنة بعد حرب طروادة. انظر :

Diodore de Sicile, bibliotheque historique, livre 4, TradHoliift, Paris, P 1 .

2 : جورج سارتون ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 71 .

و ثمة شهادة أخرى مهمة للشاعر الإغريقي هوميروس الذي أورد في الأوديسا فقرة مهمة تؤكد أن الإغريق كانوا على اتصال ببلاد الشرق حيث تقول: « هبت أنفاس من الصباح المناداة فأهرعنا جميعا ، و جزرنا الأضاحي باسم الآلهة، و أقمت لأخي رمسا فوق ثرى مصر الخالدة.»¹

و مما تقدم يتضح لنا أن قدماء الإغريق كانوا مدينين بالكثير للسابقين من الشرقيين في مجال العلم ، و أنهم كانوا على اتصال فعلي و حقيقي بهم، و هذا الاتصال لم يقف عند هذه المرحلة و الحد ، فقد طور الإغريق ما أخذوه عن الشرق القديم و صاغوه صياغة جديدة خاصة خلال القرنين الخامس و الرابع قبل الميلاد لتكمل الدورة الحضارية بعد فتوح الإسكندر الأكبر ، حيث عاد الإغريق من جديد إلى الشرق يجوبونه إلى غاية بلاد الهند مستفيدين مرة أخرى من معارفهم.

و نكتفي هنا بذكر مدرسة الإسكندرية التي انصهرت فيها كل الأجناس و الثقافات التي وفدت إليها، وجسدت هذه المدرسة إلى غاية 200 ق.م نظرة الإسكندر الأكبر في وحدة العالم التي تجمع بين الاختلافات الفكرية و العلمية و الدينية في مدينة واحدة ، بل النظرة الإغريقية القديمة التي رسخت فكرة مدينة دولة ، أي أن الإسكندرية بقدر ما كانت عاصمة كانت مدينة علمية عالمية، و بذلك كانت الأولى من نوعها ، ليعود الشرق و يؤكد مرة أخرى و من جديد أنه مهد الثقافة العالمية.²

2.4 ما أخذه الإغريق من الشرق في مجال العلم .

سبق التطرق إلى نظرية الانتشارية الثقافية التي تضمنت عناصر التأثير و التأثير الحضاري بين مختلف الثقافات و الحضارات ، و ما نضيف قوله في ذات الصدد أن لهذه الظاهرة دلالات تسمح بالقول أنها ظاهرة ايجابية مفيدة و متميزة بدرجة نعتبرها عاملا فعالا في تحقيق ما أنجزه الفكر الإنساني من تطور و ازدهار على جميع الأصعدة ، خاصة المجالين الثقافي و الحضاري لتلك الأمم .

1 : هوميروس ، الأوديسا ، ترجمة ذريني خشية ، مكتبة دار الكتب الأهلية ، القاهرة 1945 ، ص 57 .

2 : محمود محمد علي ، المرجع السابق ، ص 30 .

و لعل من أوضح الأمثلة على تجليات هذه الظاهرة في الفكر الإنساني ما نحن بصدد البحث فيه من تأثير و تأثير بين حضارات الشرق القديم و حضارة بلاد الإغريق في مجال العلوم و المعارف ، فلم يكن المجتمع الإغريقي مجتمعا مغلقا على نفسه ليحصر قيمته الثقافية و الحضارية أساسا في المنطقة التي يقيم فيها، و إنما كان مجتمعا مفتوحا على غيره من المجتمعات التي سبقته في النشاط الحضاري ، و هي تلك التي قامت في منطقة الشرق الأدنى خصوصا مصر و بلاد الرافدين و فينيقيا. و اتضح التأثير الحضاري في تلك المنجزات الثقافية و الحضارية التي حققها الإغريق، و من أمثلة ذلك مبادئ الطب و التشريح التي أخذوها من المصريين بعد أن تمكن المصريون من صياغتها في شكل قواعد علمية دونت بوضوح في تلك البرديات التي تعود إلى العصر الفرعوني*

وعن وادي الرافدين اخذ الإغريق الأسس الأولى للرياضيات حتى أن النظريات التي توصل إليها فيثاغورس كان قدماء البابليين قد مهدوا الطريق لها . أما في مجال الفلك فقد سبق العراقيون القدماء و المصريون الإغريق في رصد حركة الكواكب و النجوم ، كما سبقوهم في معرفة التقويم الشمسي و التقويم القمري ليستفيد الإغريق من معارفهم في هذا الجانب.

كما نجد تأثير حضارة منطقة وادي الرافدين في مجال آخر يتعلق بأدب الملاحم، فأثر ملحمة جلجامش في الحضارة السومرية واضح في ملحمة الإلياذة الهومييرية، و ارتبط مجال أدب الملاحم ارتباطا وثيقا بالأساطير التي تناولت أفكار الإنسان القديم الذي سعى جاهدا عن طريقها إلى تفسير الطبيعة و ما يحدث فيها. و هنا نجد قدرا غير قليل من تأثير الأساطير البابلية في الأساطير الإغريقية

* : تم في منتصف القرن التاسع عشر ميلادي اكتشاف هذه البرديات مثل بردية (إبيريز Ebres) و بردية (أودوين سميث Edwin Smith) و ظهرت جليا في كتابات سقراط و جالينوس .
انظر : محمود محمد علي ، المرجع السابق ، ص 31 .

خاصة في أساطير الخلق و التكوين و الطوفان ، أما في مجال التفكير الديني فقد اخذ الإغريق عن المصريين و البابليين و الهنود وجهات نظر في الألوهية و الخير و الشر و الحياة و الموت و البعث.¹ و إذا كان الإغريق قد اخذوا كل هذه المعارف المتراكمة عن الشرقيين ، فقد طوروها بفضل فلاسفتهم و علمائهم من أمثال طاليس و أفلاطون و فيثاغورس و غيرهم، ليتشكل بفضل هذا و ذاك التراث العلمي الإغريقي الذي اعتبر مرجعية الفكر الأوروبي الحديث.*

و عليه فإن مجمل القول على ضوء ما تقدم نستنتج أن :

- الصلات بين بلاد الإغريق و الشرق القديم كانت قديمة².
- إن حضارات الشرق القديم عرفت مختلف فروع العلم و الصنائع التي نهل و استلهم منها مفكري الإغريق معارفهم .
- كان انتقال هذه المعارف نحو بلاد الإغريق عبر عدة محاور عن طريق التجارة و الهجرة .
- إن علوم الشرق كانت تجريبية و تجريدية³. (والخريطة المرفقة تبين مجالات التأثير الفينيقي الاغريقي في منطقة المتوسط)

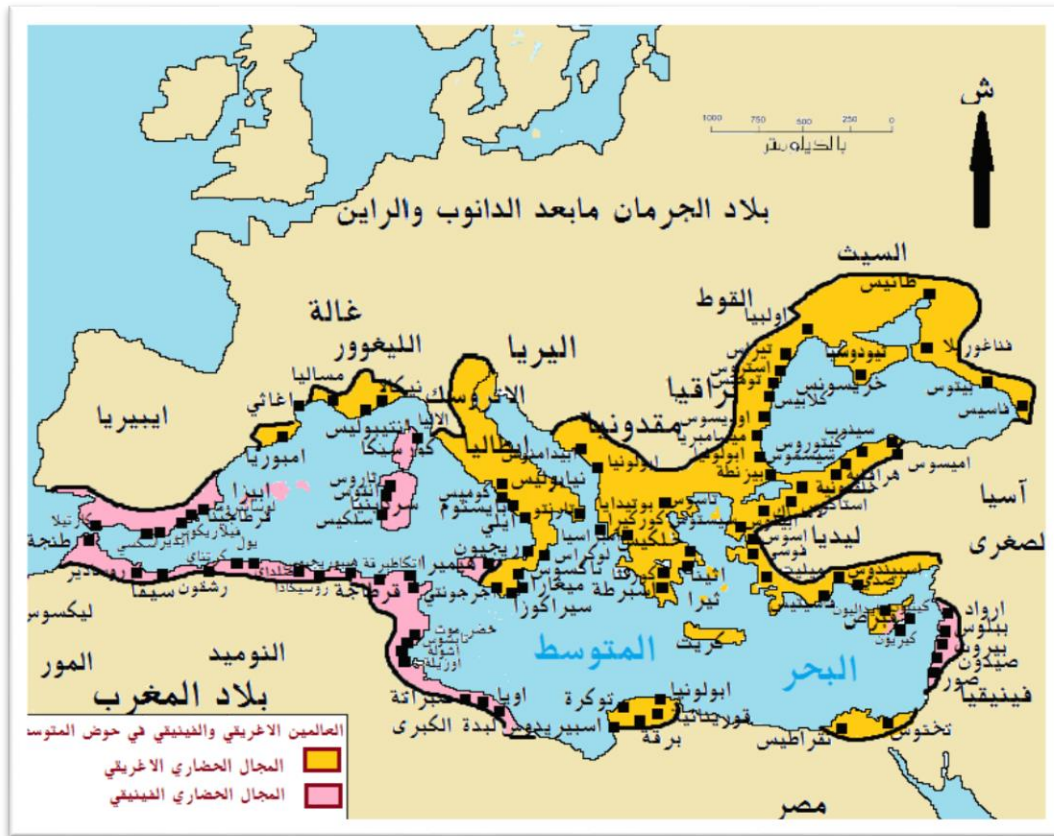
1 : المرجع نفسه ، ص 33 .

* : في مجالات التأثير و التأثير في مختلف العلوم سنتناول ذلك في الفصول المقبلة ، و من اهم من اورد ذلك في مجال علم الفلك

انظر

A .BonchéLecLrch , l'Astrologie Greque , Ernest Leroux Edition , Paris 1899 , P P 1.2 .
: G.F Hill, Op Cit, P 5 .2

3 : ابراهيم عبد العزيز جندي، المرجع السابق، ص 22 .



خريطة 02 : تمثل كل من التأثيرات الحضارية الاغريقية والفينيقية جغرافيا في حوض المتوسط ما بين القرنين الثامن والرابع قبل الميلاد.

الفصل الثاني: البواكير المحلية للحضارة الإغريقية

- 1- العوامل الطبيعية
- 2- العوامل التاريخية
- 3- دور العامل البشري في التطور التاريخي للمنطقة
- 4- العامل السياسي
- 5- العوامل الاجتماعية والشخصية

تطرقنا في الفصل الأول من هذه الدراسة إلى اثر حضارات الشرق القديم على حضارة بلاد الإغريق، و تبين لنا أن أقدم الحضارات البشرية قد ظهرت في بلاد الشرق. و أن هذه الحضارات كانت ناضجة قياسا إلى الفترة التي ظهرت فيها، و من ثم كان من الضروري أن نركز على أسس ومبادئ علمية شكلت اللبنة الأولى التي انطلقت منها الحضارات التي تلتها بما فيها الحضارة الإغريقية.

و انطلاقا من ذلك نجد أن هناك نزعة غربية ترفض أن تكون الحضارة الإغريقية قد اعتمدت على معارف الشرق القديم، بل أنها تأسست على عوامل داخلية محلية ليست لها صلة بما ظهر في هذه المراكز الحضارية المجاورة، بل أكثر من ذلك، إعتد هذا الإتجاه إلى التأكيد على أن هذه الانجازات الثقافية و الحضارية للمجتمع الإغريقي تمثل مرحلة هامة في تاريخ تطور أوروبا. و أنها لا تنسب إلى إطار آخر غير إطار القارة الأوروبية التي تكونت و خرجت من رحم الحضارة الإغريقية. و أن ذلك كله يعد مظهرا من مظاهر المعجزة الإغريقية. و مهما تكن طبيعة الطرح وأبعاده، فلا يجب أن ننكر إنجازات المجتمع و الحضارة الإغريقية الفكرية و الحضارية، فهم يمثلون مرحلة علمية ناضجة و متميزة.

و بعيدا عن جدلية نشأة الفكر الإغريقي بين الإنكار و التأييد للتأثير الشرقي، نحاول صب الدراسة في إطارها الموضوعي بالتطرق لمختلف الجوانب التي ساعدت في تكوين و تطوير الفكر الإغريقي، و بالتالي مدى مساهمتها في إرساء قواعد و أسس متينة صقلت العقلية الإغريقية التي أنتجت لنا هذه الحضارة. و تجمعت عدة عوامل محلية ساهمت في تطور الفكر الإغريقي

1. العوامل الطبيعية:

ساهمت عدة عوامل محلية ساهمت بطريقة مباشرة في تطور العقلية الإغريقية عبر مراحل زمنية مختلفة، امتدت إلى غاية القرن الرابع قبل الميلاد، و تتلخص في عوامل طبيعية جغرافية، وأخرى تاريخية، و أخرى سياسية، و أخرى ذات طابع بشري، فضلا عن دور العامل الإقتصادي.

1.1 خصائص البيئة الطبيعية و أثرها في البناء الحضاري لبلاد الإغريق

يذهب دعاة الفكر الماركسي من أصحاب الاتجاه المادي التاريخي إلى أن الشروط الطبيعية على الأرض هي الأساس الجغرافي للإنتاج، لذلك فهي تؤثر على قوى الإنتاج و توزيعها، و تؤثر في تقسيم العمل، و من خلال الإنتاج يتضح لنا تأثير الوسط الجغرافي في وتيرة التطور الحضاري للشعوب.

و لقد اعتمد أنصار نظرية المعجزة الإغريقية على دور هذه العوامل في تطور الفلسفة و العلوم عند الإغريق. و سنحاول معرفة طبيعة هذه العوامل و دورها في عملية البناء الحضاري لبلاد الإغريق¹ من حيث طبيعة موقعها في منطقة البحر البيض المتوسط التي كانت المهد الأول لقيام الحضارة البشرية، و ما ارتبطت به من منطقة الشرق الأدنى، فلا يمكن بالتالي دراسة جغرافيا بلاد الإغريق دون وضعها في هذا الإطار الذي يشكل الوحدة الحضارية لشعوب المنطقة.

1.1.1 البناء الحضاري لمنطقة البحر الأبيض المتوسط :

لقد انتشر الإغريق في كل جهات البحر الأبيض المتوسط* الذي أثر بجغرافيته على أدوار التاريخ الإغريقي** و هو ما يستلزم البحث في الملامح الطبيعية لهذه المنطقة المساعدة في تكوين الحضارة الإغريقية، لأن منطقة حوض البحر المتوسط كانت مهدا لأقدم الحضارات البشرية²، بحكم

1 : محمود محمد علي، المرجع السابق، ص 52

* : تعاقبت أحداث التاريخ الإغريقي في جزر بحر إيجه و سواحل آسيا الصغرى كما أسسوا مستعمرات جنوب إيطاليا و صقلية وحتى شواطئ بحر مرمرة و البحر الأسود في الشمال، و وصلت إلى غاية اسبانيا غربا .

انظر : محمد كامل عياد ، تاريخ اليونان ، ج 1 ، ط 1، دمشق ، ص 18 .

** : عند الحديث عن اثر العوامل الجغرافية في نشأة الحضارة خاصة حضارة بلاد الإغريق لا يجب الاقتصار بالقول على أنها وحدها من صنعت الحضارة ، حيث يذهب الفيلسوف الألماني (هيجل Hegel) إلى القول أن الأتراك سكنوا بلاد الإغريق مدة طويلة دون أن يتركوا شيئا يشبه حضارة الإغريق ، بل وصل إلى غاية مهاجمة أحفاد الإغريق الحاليين الذين سكنوا البلاد نفسها ، لأن الفرق بين الأجداد و الأحفاد كبير و كبير جدا ، لأن الحضارة إلى جانب ذبك تتوقف على ظروف تاريخية خاصة كانت متوفرة مع بداية التاريخ الإغريقي .

انظر المرجع نفسه ، ص 19 .

2 : G. GLotz, la civilisation Égéeenne, La renaissance du livre, Paris, 1923, P1. 2

أنه أطف منطقة في العالم و أصلح مكان يرتاده الإنسان و هو ما جعله دائما هدف الشعوب المهاجرة إليه من الصحاري الحارة في الجنوب أو الغابات الباردة في الشمال لذلك تميزت هذه المنطقة بمحاسن أغدقتها عليها الطبيعة¹.

و يمتاز الحوض المتوسطي بلطافة المناخ و اعتدال الطقس و صفاء الجو و تعاقب الفصول بانتظام². ففي الشتاء تهطل الأمطار التي تغذي الأرض، أما في فصلي الخريف و الربيع تهب الرياح المعتدلة المنعشة للنشاط البشري و التي تمكن الإنسان من العيش لساعات طويلة في الهواء الطلق بفضل الشمس المشرقة و الدافئة³ و مهما ارتفعت درجة الحرارة صيفا إلا أنها لا تصل إلى مستوى يؤثر على سلوكيات البشر بطريقة سلبية.

و تتقارب شواطئ البحر المتوسط بدرجة كبيرة، حيث تجمع بين القارات الثلاث و هي إفريقيا و آسيا و أوروبا، و تمتاز هذه الشواطئ بكثرة التعاريج حيث تشكل موانئ طبيعية للسفن، وما يميز المنطقة أيضا كثرة الجزر و هدوء حركة المياه طوال السنة تقريبا، و هو ما شجع شعوب المنطقة على ارتياد البحر الذي ساعد على امتهان الملاحة و دفع السفن الشراعية، ذلك لأن الملاحة قد ظهرت أول مرة منذ القدم في هذه المنطقة و بلغت مرحلة هامة من التقدم و التطور، و مكنت بالتالي سكان المنطقة من تأمين معيشتهم عن طريق التجارة و غيرها من الحرف و المهن التي مارسها الإنسان خلال تلك العصور⁴.

و منه فإن الشروط اللازمة لنشأة الحضارة و تطورها و تقدمها متوفرة في هذه البقعة من العالم أكثر من أي مكان آخر*، و إذا كان مناخ المنطقة معتدلا فإن الزراعة فيه متفاوتة الصلاحية مما

1.1 : Emile Burnouf , l'histoire de la littérature grecque, P 1

2 : محمد كامل عياد ، المرجع السابق ، ص 2 .

3 : Emile Burnouf , Op Cit , P 2

5, Ibid , P 2

* : يعتبر تميز المنطقة بوجود مناخ معتدل و وحدة البناء الجيولوجي عامل ساعد على تشكيل همزة وصل بين أطراف أي وحدة سياسية تقوم فيه، حيث استطاعت الكيانات الحضارية الموجودة فيه من تكوين أساطيل بحرية قوية .

أنظر حسين الشيخ ، اليونان ، درا المعرفة الجامعية ، مصر ، ص 56 .

فرض طابع التعاون الاقتصادي، لأن هناك مناطق صالحة لزراعة القمح كمصر و مناطق أخرى فقيرة كبلاد الإغريق، و لكن مع ذلك فهي تنتج كميات هامة من زيت الزيتون و النبيذ، حتى أن الموارد الأولية توزعت في المنطقة بنسب متفاوتة، و هو ما أدى إلى ترويج حركة التجارة، و ممكن ذلك بدوره من تطور مجال الصناعة.**

غير أن هذا المناخ المتوسطي و رغم الجوانب الايجابية و المحاسن التي يتوفر عليها، إلا أن له بعض المؤثرات السلبية التي تؤثر على الإنتاج، و مثل ذلك ظاهرة الجفاف التي تبدأ قبل الأوان، و تستمر أحيانا أكثر من المعتاد، و هو ما يدفع الفلاحين إلى عدم الانقطاع عن العمل و الانصراف للاهتمام بمحصول الزيتون و الكروم لتوفير ما يمكن أن يخسروه من زراعة الحبوب، و حتى لا تذهب الجهود في

زراعة الأرض سدى.***

** : من بين أهم من اهتم بدراسة جغرافيا العالم القديم سترابون Strabon و بروليمي (Prolemaa) و قد كانت لهما طريقتين مختلفتين في وصف خريطة العالم حين بناها الاول على فرضيات و ابعاد محتملة انطلاقا من المياه ، أما الثاني فحددها على ملاحظات فضائية ، و مهما كان القدماء فقد وجدوا صعوبة في إيجاد المفارق الجغرافية .
أنظر :

Cosselin, Geographie des grecques, Analyse ou les systèmes ératosthenes de Strabon et Prolemer, Academie royal des instruction et belle lettres , Paris .

P 1

*** : توجد في المنطقة مجموعة من السلاسل الجبلية (جبال البرانس و الألب) و البلقان ، كما توجد من الجهة الشرقية جبال أرمينيا و طوروس ، و لكن رغم كثرة هذه الحواجز لم تكن بلاد الإغريق و المنطقة ككل معزولة عن بقية العالم . بل توجد في المنطقة العديد من الممرات و المنافذ المساعدة على الاتصال ، بل كان في القديم يمثل ملتقى تقاطع الطرق التجارية، و منه تسربت العديد من الشعوب لتسكن على شواطئه ، و المتمعن في جغرافيا البحر المتوسط يلاحظ انه يكاد يكون بحرا مغلقا لولا المضيق الذي يفصل بين شبه جزيرة أيبيريا و الساحل الإفريقي في الغرب و هو مضيق جبل طارق ، ولقد كان ذلك بسبب هدوئه إلى حد كبير ، إذا استثنينا بعض العواصف المحلية البسيطة التي تتعرض لها في بعض المواسم ، و لعب ذلك الهدوء دورا في جذب السكان لارتياح البحر مبكرا ، أما من جهة الشرق يكاد يكون الطرف الجنوبي لشبه جزيرة ايطاليا يلتقي بالشاطئ الإغريقي عبر جزيرة صقلية ، كما تكاد تلتصق الشواطئ الأوروبية و الآسيوية عند مداخل البحر الأسود في الطرف الشمالي الشرقي للبحر المتوسط .

أنظر : حسين الشيخ ، المرجع السابق ، ص 20 .

و انطلاقا من ذلك نلاحظ وجود مقومات صلبة للنشاط الحضاري في منطقة البحر الأبيض المتوسط يجعلنا نفر أنه مركز الوحدة الحضارية في العالم القديم*، وإن لم تكن هذه المقومات متجانسة تماما في كافة مناطقها فهي تكاد تكون متكاملة تخلق جوا للتواصل بين مختلف المناطق.

2.1.1. المظاهر العامة للوحدة الحضارية في منطقة الشرق المتوسطي و الشرق الأدنى و

بلاد الإغريق

تعددت مظاهر التفاعل الحضاري في هذا المجال الجغرافي بشكل ملفت للانتباه، فمن الناحية البشرية نجد أن هذه المنطقة التي يشكل المجتمع الإغريقي احد عناصرها تعتبر مسرحا لحركة دائمة و دائبة للعديد من الشعوب والأقوام والقبائل، فمثلا انطلقت المجموعات البشرية (الأيونية و الأيولية و الدورية) التي تكون منها المجتمع الإغريقي، انطلقت نحو آسيا الصغرى و استقرت فيها¹، و من الناحية الحضارية لا يمكن الفصل بين مختلف الكيانات الحضارية التي ظهرت في كريت و موكناي و بين الحضارة المصرية في شمال إفريقيا و الساحل الفينيقي.

و انظر أيضا : لطفي عبد الوهاب يحي ، اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري ، دار المعرفة الجامعية 2008 ، ص 28-29. * : اختلف تصور القدماء لجغرافيا للعالم القديم عن التصور الحالي، حيث لم تكن أوروبا تقع بين القطب الشمالي المحيط الأطلسي و البحر الأبيض المتوسط و البحر الأسود، بل كانت تتألف من السواحل الشمالية للبحر الأبيض المتوسط و البحر الأسود، كانت تتمون من أشباه جزر ثلاث و هي بلاد الإغريق ، ايطاليا و اسبانيا، و ما يوجد بها بلاد لم تكن معروفة، ولم تكن آسيا القارة المعروفة بالشكل اليوم ذات المساحة الواسعة، بل كانت تتألف من الجزء من شبه جزيرة آسيا الصغرى سواحل فينيقيا و أن ابعد امتدا يكون وراء بلاد ما بين النهرين، أما منطقة الهند فلقد ظلت في نظر القدماء بلادا عجيبة شبه خرافية تقع في الطرف الأقصى من العالم، في حين أن إفريقيا التي أطلق عليها اسم ليبيا لم تكن تتألف إلا من السواحل المشكلة للحافة الجنوبية من البحر المتوسط، أي أن تصورهم كان أن الأرض هي المنطقة المطللة حول البحر الأبيض المتوسط.

أنظر :

Strabon , géographie , livre 1 , Chapitre 1 , trad , AndéeTardier , Paris 1865 ,

وانظر ايضا :

M .Cosselin , Op Cit , PP 2.3 .

1 : لطفي عبد الوهاب يحي ، المرجع السابق ، ص 26 .

أما من الناحية السياسية فشكل **حوض المتوسط** المجال الأول لتكوين كيانات سياسية هامة كمصر التي امتدت توسعاتها في عهد **تختمس الثالث** إلى غاية ربوع **مجر إيجيا**، و شكلت في فترة لاحقة **آسيا الصغرى** و **فينيقيا** ولايات من **إمبراطورية الإسكندر المقدوني** على شواطئ **البحر الأبيض المتوسط**، كما تعددت مجالات التفاعل إلى الديانات و التيارات الفكرية و الثقافية، وفي ظل هذه الوحدة احتك المجتمع الإغريقي بغيره من الشعوب التي سبقت **كمصر** و **فينيقيا** والشعوب التي تلت **كالإمبراطورية الرومانية***، و قامت التجارة بدور حاسم في توطيد الروابط الحضارية بين شواطئ **البحر المتوسط**، و لقد أدى **الفينيقيون** دورا هاما في هذا المجال و هو ما تطرقت له المصادر الإغريقية و أهمها **الإلياذة والأوديسا**، فالنشاط التجاري هو محصلة تفاعل بين المجتمعات و تأثيره فيها، ويتضح هذا جليا في التأثير و التأثير المتبادل خاصة في سهولة تواصل الشعوب ببعضها البعض، مما ينمي قوة الشخصية الحضارية لها.¹

* : ليست الحضارات كيانات نهائية ساكنة و جامدة، و إنما هي كيانات حية و متحركة متجددة بالضرورة، و جوهر حركتها هو دائما الاستجابة للتغيرات التي مرت بها الحياة الإنسانية طورا بعد طور، و جميع الحضارات يسود فيها مبدأ المساواة، فلا توجد حضارة مهما بلغ امتدادها يمكن أن نزع منها أنها تحتكر عناصر الرشد و العطاء و بناء الثقافة الإنسانية، و منه فالحضارات متحاورة بالضرورة و جوهر الحوار هو حوار ثقافي بكل أبعاده الدينية و الفكرية السياسية و الاقتصادية و كل ما يدخل في بناء الفكر و الشخصية و أنماط السلوك، و الحوار يعني التعارف بذاته و يحتاج إلى علاقات، و لا علاقات بدون تعارف و لا تعارف بدون حوار، و أساس الحوار هو تقبل كل طرف للطرف الآخر، و مجمل القول أن الحضارات بحكم مسارها الزمني هي ذات جوهر تجاوري متقدم. يستفيد كل واحدة من الأخرى، و هذا الحوار في النهاية هو تغليب لعناصر التواصل و التكامل على عامل التضاد و التنافر.

أنظر : خليل سارة ، المرجع السابق ، ص 19 .

: M. Commop , The R L Wall , histoire de l'origine de la Grèce ancienne , Trad par Adolph 1 Joanne , Pontin et Chevalier , editeurs , Paris , 1852 . P 53 .

3.1.1. خصائص البيئة الطبيعية و أثرها في البناء الحضاري لبلاد الإغريق .

1.3.1.1 خصائص الموقع :

تقع بلاد الإغريق في أقصى الجزء الجنوب شرقي من القارة الأوروبية المطلة على البحر المتوسط، وتكاد تلامس منطقة الأناضول عبر مئات الجزر المنتشرة في المنطقة الفاصلة بينهما. وتغلب على المنطقة الطبقة الجبلية و البحرية، حيث تغطي الجبال حوالي 80 % من مساحة بلاد الإغريق و تنتشر في شكل سلاسل¹، و أشهرها جباليندوس (Pendos) الممتدة في شكل قوس ضخم من البلقان الغربية إلى بلاد الإغريق و جزر بحر إيجة و غرب آسيا ، و تتفرع من هذه السلسلة شعاب جبلية تغطي الجانب الشرقي من بلاد الإغريق* . و رغم كون هذه الجبال متوسطة الارتفاع (حوالي ثمانمائة قدم) إلا أنها تشكل حواجز طبيعية بين السهول ، و تحول دون الاتصال بين الجماعات المختلفة²، و من هنا انقسمت بلاد الإغريق إلى أقاليم تكاد تكون معزولة عن بعضها البعض إلا تلك الممرات الضيقة بين المرتفعات الجبلية* .

و تعد الجبال عنصر فصل بين مختلف المناطق لأنها شكلت ممرات صعبة للسكان الذين لم يهتموا بتعبيدها حتى لا تكون مصدرا للغزوات الخارجية. و تمتد سلاسل الجبال داخل البحر مكونة أشباه جزر بارزة ، ثم تستمر لتشكيل كذلك جزرا متناثرة ، إضافة إلى التداخل الشديد بين اليابسة

1: A.H.L Hearen, de la politique et du commerce des peuples de l'antiquité, A.S Hutte, Paris, 1844, Pp 19-19.

*: يتميز التكوين الجيولوجي لبلاد الإغريق و منطقة البلقان ككل بقلة الأراضي السهلة الصالحة للزراعة إلى جانب تميزها بخصوبة التربة، و يسود الجفاف منطقة الحوض الإيجي مما دفع بشعوب المنطقة إلى الهجرة إلى المناطق الأخرى الحافلة بالمنافذ والخلجان. أنظر : عاصم احمد حسين ، مدخل إلى تاريخ و حضارة الإغريق ، مكتبة نهضة الشرق ، بدون تاريخ ، ص 53.

2: ابراهيم عبد العزيز جندي، المرجع السابق ، ص 56.

* : لم تكن هذه الممرات سهلة العبور ، و الدليل على وعورة بعضها جبال جرانيا (Geranea) و جبال كراتيه (kareta) الفاصلة بين منطقتي كورنثا و إتيكا ، و يوجد ممر على الحافة الشرقية لهذا الجبل يتراوح ارتفاعه بين 600 - 700 قدم مما يخلق صعوبة لعابريه من المسافرين بسبب الرياح الشديدة و الاندفاع إلى البحر ، كما كانت هذه الممرات تضيق في بعض أجزائها حتى أصبحت لا تكفي لعبور شخص واحد فقط .

أنظر نفسه ، ص 56 .

والبحر، لذلك كان البحر الطريق الوحيد للمواصلات بين مدينة و أخرى، خاصة الجزر وأشباه الجزر، و الوصف نفسه ينطبق أيضا على البحر المحيط بها ، حيث لا تكاد تغيب اليابسة عن عين الملاح. و لقد أسفرت التغيرات الجيولوجية عن غرق المناطق المنخفضة من السلاسل الجبلية، لتبقى المناطق المرتفعة على هيئة جزر. و يوجد في منطقة بحر إيجة أربع مائة و ثلاثة و ثمانون جزيرة، و في غرب البلاد حوالي مائة و ستة عشر جزيرة.

و إذا كانت الجبال و البحار تمنع تحقيق الوحدة ، فان الأنهار هي الأخرى لم تكن تساعد على تحقيقها كونها أنهار قصيرة المجرى و قليلة الماء مثل نهر بينوس (Peneus) في تيساليا و نهر ألفيوس (Alpheus) في البيلوبونيز، و نهر أخيلوس (Achelous) عند حدود اقليمي أكراتانيا و ليتوانيا¹، أما بقية الأنهار فهي لا تزيد على أن تكون سهولا لا تمتلئ بالماء إلا بعد العواصف الشديدة أو خلال فصل الشتاء و تحف بقية فصول السنة*.

و لقد أثرت هذه الطبيعة الجبلية البحرية الجزرية المعقدة على الشعب الإغريقي الذي انقسم إلى جماعات كثيرة صغيرة منفصلة عن بعضها البعض، و كل واحدة منها حريصة على استقلالها التام والتمسك بسيادتها، و لم تتصل أبدا بنظام حكم مشترك و هو ما شجع تأصل النزعة الانفصالية السياسية عند هذه الجماعات و أدى إلى تكوين المدن بالدول الذي أشاد به مفكرو الإغريق الذين اعتبروه النظام الوحيد الذي يمكن للإنسان أن يعيش في ظلهم بمرور الوقت

1 - إبراهيم عبد العزيز جندي : المرجع السابق ، ص 55-58 .

* : يمكن تقسيم شبه جزيرة بلاد الإغريق تضاريسيا إلى ثلاثة أقسام، المنطقة الشمالية أين تتمركز مقدونيا و تساليا، و تحتل مركزا هاما بسبب سيطرتها على المدخل الشمالي للبلاد، و هي كذلك مهد مقدونيا التي انطلق منها الإسكندر المقدوني بفتوحاته فيما بعد. و المنطقة الوسطى و تشمل عدة أقاليم منها لاخارين الواقعة بين خليج أكثيوم و خليج كورنثا، و إلى جنوب شرقه يقع إقليم إيدوليا الذي يحده شلاقا إفليمونوكريس، و إلى جنوبها يقع إقليم فوكيس الذي إشتهر بمدينة دلفي المقدسة التي شكلت مركز نبؤات الإله أبوللو. و اعتقد الإغريق أنها مركز الأرض. أما المنطقة الجنوبية شبه جزيرة البيلوبونيز، أي شبه جزيرة المورة حاليا فهي تتصل بالمنطقة الشمالية و الوسطى عن طريق برزخ كورنثا. و من أشهر مدنها أولمبيا مهد الألعاب الأولمبية ، حيث أقام معبد الإله زيوس الذي به تماثله الشهير المرصع بالذهب و العاج، و هو من صنع النحات الأثيني فيدياس.

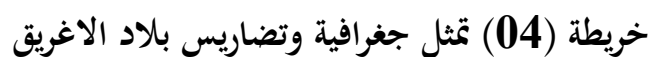
أنظر : حسين الشيخ ، اليونان، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، ص 69 - 70 .

تأسست مستعمرات إغريقية في أراضي سهلة في سواحل آسيا الصغرى و إيطاليا و صقلية¹.
(والخريطة المرفقة رقم 3 تبرز العالم الهيليني الى غاية القرن الرابع ق م ، والخريطة 4 تبين تضاريس بلاد الاغريق)



خريطة (3) توضح العالم الاغريقي الهيليني ما بين القرنين التاسع والسابع قبل الميلاد.

1 - إبراهيم عبد العزيز جندي : المرجع نفسه ، ص 59 .



للمناخ اثر كبير على تكوين شخصية الفرد الإغريقي لأن مناخ البحر الأبيض المتوسط معتدل، صيفه حار و جاف و شتاءه معتدل و ممطر دافئ*. و إن كان يختلف من منطقة إلى أخرى في

69

بلاد الإغريق، حيث كلما توغلنا داخل البلاد أو ابتعدنا عن سطح البحر يصبح يشبه المناخ القاري - أي مناخ وسط القارة الأوروبية - و مهما يكن فإن هذا المناخ ملائم لنشأة الحضارات التي قامت على سواحل البلاد كحضارة كريت و حضارة موكناي.

ويؤثر المناخ المعتدل و سطوع الشمس لوقت طويل صيفا و شتاءا على طبيعة الفرد الإغريقي الذي يقضي ساعات طويلة من اليوم خارج البيت حيث يحتك ببقية الجماعة، و هو ما يساعد على تبادل الأفكار و شحذ القدرات العقلية و تنمية الروح الجماعية، و كان تداول هذه الأفكار المشتركة يتم في ساحة المدينة العامة أو السوق (Agora)** . و لقد أدى ذلك في النهاية إلى النضج السياسي.¹

3.3.1.1 موارد الدخل و الثروة في بلاد الإغريق :

لم تكن الموارد الطبيعية في بلاد الإغريق بالمستوى الذي يسمح بتقديم عطاء من الناحية الاقتصادية، حيث لم تتجاوز نسبة السهول حوالي 20 % من إجمالي المساحة، في الوقت الذي تشكل الجبال المساحة الباقية. و هو ما أدى إلى استغلال سفوح الجبال.* و لقد تزايدت حاجة الإغريق بتزايد عددهم، و هو ما استلزم استصلاح أراضي المراعي، كما حافظ الإغريق على خصوبة

** - كانت السوق (Agora) في بلاد الإغريق ساحة متعددة الأغراض لتبادل السلع و المنافع و الأفكار و التفاوض، وكذلك للتعاور بين الناس .

أنظر نفسه ، ص 60 .

1 - لطفي عبد الوهاب يحي ، (اليونان ..)، المرجع السابق، ص 39 .

* : تتركز السهول الرئيسية في المناطق التالية:

- منطقة تساليا، حول لاريسيا، و شرق فارسالون، و سهول نهر اسبرخيموس شرق ماليس في فوكيس.
- سهل بوؤيتا .
- سهول إتيكا منها سهل البوسيس .
- سهل أرجوليس . سهل جزيرة يوبويا .

انظر : إبراهيم عبد العزيز جندي ، المرجع السابق ، ص 90 - 91 .

أراضيهم، و ذلك بتقسيمها إلى قسمين: أحدهما يُزرع و الآخر يُترك بورا. على أن يُزرع في العام التالي مع ترك الأول بغير زرع. و هكذا كان تناوب العملية الزراعية.*

و من أهم المحاصيل : القمح و الشعير باعتبار أنهما الغذاء الرئيسي لسكان البلاد. و كانت كل منطقة مجبرة على تحقيق الاكتفاء الذاتي، و إذا قل العرض عن الطلب يفرض على المنطقة الاستيراد. و من الزراعات التي تسد الاستهلاك المحلي العنب، حيث يشكل عصيره الشراب الرئيسي للشعب الإغريقي، حتى أنهم كانوا يصدرونه إلى الخارج. فضلا عن زراعة الزيتون، إذ يستخدم في أغراض حيوية (الطعام و النظافة و الإضاءة) في الوقت التي تستخدم المخلفات كوقود، و كان ينتج بكميات كبيرة بسبب ملائمة التربة له، كما زرعوا التين و التفاح و البرتقال.

ومجمل القول أن زراعة الحبوب لم تكن لتسد الاستهلاك المحلي، فكانوا يلجأون إلى الاستيراد في الوقت الذي كانوا يكتفون ببعض الموارد كالزيتون و النبيذ ، ويقومون بتصديره إلى الخارج.

أما الأخشاب فكانت تستعمل لسد الاحتياج اليومي، و مع مرور الزمن قلت مساحة الغابات بسبب امتداد يد الإنسان إليها. و لم تكن الزراعة هي مصدر الثراء الوحيد، فكانت حرفة الرعي تمثل مصدر دخل ثاني، حيث استغل الإغريق أراضيهم على السهول و على سفوح الجبال، فاهتموا بتربية الأبقار، الأغنام ، الماعز ، الخيول و البغال و الخنازير.

أما عن ثروة البلاد من المعادن و الأحجار فهي متعددة الأنواع ، و إن كانت غير وفيرة، حيث اقتطعوا الرخام بكميات كبيرة، و استخرجوا الذهب من مناجمه في منطقة سترافياومقدونيا و جزيرة

* : تنحصر المناطق الصالحة للزراعة في السهول القليلة الإتساع التي تطوقها الجبال، مثل إسبارطة و تساليا و الجزء الأوسط من سهل أركاديا ، و لقد عاش الإغريق على ما تنتجه أراضيهم و إستيراد منتجات أخرى. و رغم قلة المحصول فإن القمح و الشعير كانا يشكلان الغذاء الأساسي للإغريق. و قلما كانوا يأكلون اللحوم، إلا في الأعياد حيث كانت توزع عليهم الأضاحي. أما شجرة الزيتون التي كانت تستغرق وقتا طويلا - حوالي عشرين سنة - لتؤتي ثمارها تشكل عنصرا أساسيا في بنية محاصيلهم، و كان تدميرها يشكل خسارة قاذحة، و هو ما حدث لأثينا في حروب البيلوبونيس .

انظر : حسن الشيخ، المرجع السابق ، ص 73 .

ثاسوس (Thasos) و الفضة من مناجمها في لوريوم (Laurium) في منطقة إتيكا، أما النحاس فكان يستخرج من خالكوس و قبرص، و الحديد من مناجم لاكونيا. و الملاحظ كذلك أن هذه المعادن لا تكفي في مجملها الاستهلاك المحلي حيث كانوا يسدون حاجاتهم عن طريق الاستيراد من الخارج.

و مجمل القول أن الإغريق -على ضوء ما تقدم - نتيجة الظروف المناخية و التضاريسية، قد عانوا من نقص الموارد، فاستلزم ذلك العيش في جماعات صغيرة تعرف كل جماعة بعضها البعض، و يتبادلون الرأي و المشورة بينهم.

أما سياسة الاكتفاء الذاتي لكل جماعة إذا وجدت، تؤدي إلى ترسيخ الروح الفردية الانعزالية لدى كل جماعة بمرور الزمن، و هو ما استلزم بدوره إلى حركة الاستعمار و الهجرة عندما ضاقت بهم الأرض، و أصبحت لا تسد الحاجيات الضرورية في أحيان كثيرة. فانتقلوا إلى مناطق جديدة، نقلوا إليها أفكارهم و نظمهم، و أسسوا تنظيمات منفصلة عن المدن الأم أو مساقط رأسهم.¹

4.3.1.1 تأثير البيئة الطبيعية على تكوين الفرد :

لقد أثرت مختلف تلك العوامل على تكوين الفرد الإغريقي و توجيه تفكيره، كاعتدال المناخ ولطافة الجو، وندرة المراعي الجيدة ، و طبيعة التساقط غير المنتظم للأمطار خلال فصول السنة، ولكن رغم ذلك لم يهمل الإغريق فلاحه الأراضي حيث اهتم المزارعون باستثمار كل قطعة صالحة للزراعة لتحسين تربتها و استعملوا كل الطرق للري.

ورغم ذلك فإن محصول الحبوب لم يكن كافيا لسد متطلبات السكان، مما فرض البحث عن موارد أخرى تمثلت في الأشجار المثمرة، حيث يصلح هذا المناخ لزراعة الكروم و التين والزيتون*،

1 : عبد العزيز جندي ، المرجع السابق ، ص 64 .

* - يساعد هذا المناخ خاصة على زراعة الزيتون ، ففي الأساطير الإغريقية أدخلت الربة أثينا شجرة الزيتون إلى إتيكا ، في وقت لم تكن نبتت في الجهة الأخرى من بلاد الإغريق ، إذ اكتشف الأثريون معصرة لزيت الزيتون في قصر (مينوس) بمدينة كنوسوس

ذلك لأن هذه الأشجار لا تحتاج للكثير من الأمطار للنمو و الإثمار، و اهتم الإغريق بزراعة الزيتون إلى درجة التمجيد فضلا عن ذلك أنه يشكل أهم مصدر من مصادر الثروة في إتيكا خاصة¹.

وأمام اعتدال المناخ أصبح الإغريق يميلون إلى ارتداء الملابس البسيطة المتمثلة في رداء الصوف الذي يلفونه على أجسامهم كما أنهم يتجولون حفاة عادة إلا في فصل الشتاء، و لقد كانت بيوتهم متواضعة تقتصر على فناء حوله بضع حجرات مجهزة بأبسط الأثاث، تتصرف فيها النسوة في مختلف الأعمال المنزلية².

والإغريقي لا يميل إلى العزلة، بل يفضل المحادثة و المناقشة مع مواطنيه في مختلف القضايا بما في ذلك السياسية، فنجد هذا المجتمع تعود على الصبر، و احتمال الشدائد التي غالبا ما تقوي ملكاتهم و مواهبهم، فضلا عن ذلك فان طبيعة البلاد تولد روح الإقدام والمغامرة، فأصبحوا بحارة مقتدرين بعد أن كانوا رعاة، كما اهتموا بالتجارة و احتكوا بالأمم المجاورة، و أقبلوا على الصناعات و الفنون كما برعوا في صناعة السفن و تمرسوا في فن الملاحة³.

الكريتية، و يرجح أن شجرة الزيتون كانت أصلية في بلاد الإغريق، و إذا كان إكليل الزيتون هو الجائزة المفضلة في الألعاب الأولمبية عام 776 ق.م، و تنمو هذه الشجرة في أي جهة من البلاد تصلح فيها التربة للزراعة، و ازدهرت في إتيكا حيث أصبحت سلعة للتصدير حتى إن صولون (Solon) حرم تصدير كل المنتجات الزراعية استثنى الزيت، و من ثم كثرت الإشارة إلى الزيتون في الشعر الإغريقي. و الزيتون لا ينضج إلا بعد مدة طويلة من غرس الأشجار، و من هنا أصبح غصن الزيتون رمزا للسلام، أي أنه يحتاج لفترة سلام طويلة تحت ظل حكومة قوية تكفل الأمن فلا تتعرض الأرض للتخريب، حيث تتاح الفرصة لنمو الزيتون و نضجه و مثلما كانت شجرة الزيتون نعمة فان فقدانها يعد خسارة، إذ بعد إتلاف المحصول من مزارع الزيتون يحتاج الإنسان وقتا طويلا لإعادة جنيته، بعكس القمح الذي يعتبر محصوله سنويا، و نجد أن إتيكا أصيبت بأضرار فادحة بسبب التخريب أثناء الحروب الميدية عام (467-490 ق.م) و حرب البيلوبونيز عام (404-431 ق.م).

أنظر لطفي عبد الوهاب يحيى : المرجع السابق، ص ص 40-41.

1 - محمد كامل عياد، تاريخ اليونان، صص 31 - 32.

2 - المرجع نفسه، ص 37.

3 - نفسه.

ولعامل القرب الجغرافي بين بلاد الإغريق و منطقة الشرق الأدنى (مصر و بلاد ما بين النهرين) أهمية كبيرة جعلت منها البوابة الشرقية لأوروبا، حيث اعتبرت جزيerty قبرص وكرت بمثابة المعبر الجنوبي للاتصال التجاري و الحضاري، و ساعد ذلك على خلق تفاعل حضاري بين مختلف هذه المناطق .

ولقد أورد س.مباورا في كتابه (التجربة اليونانية) فضل العوامل الطبيعية في تكوين العقلية الإغريقية، ذلك لأن الجغرافيا تؤثر كثيرا في نمط الحياة السياسية و العامة. فلقد دفعهم ضعف مواردهم الطبيعية إلى العمل المتواصل في مجالات الصناعة و التجارة وتبادل المنافع، مما خلق روح التعامل كالأنداد. و منه كانوا يجتمعون في الميادين العامة التي كانت تعد لمناقشة الأفكار. ناهيك عن قوة الضوء التي شكلت مصدرا لاستلهم أفكارهم و طبيعة البحر المساعدة على سرعة الإتصال¹.

وإذا أردنا تحليل طبيعة علاقة الجغرافيا بتبلور الوعي الفكري، فإن عدم تلبية متطلبات الزراعة بسبب قلة الراضي أدى إلى التركيز على التجارة و اللجوء إلى تكوين المستعمرات. و كل ذلك ساعد على أن يكون الشعب الإغريقي مستقبلا لأفكار مختلفة تصل إليه أو يتلقاها من اتجاهات مختلفة. ثم إن عدم الاستقرار الزراعي يساعد على إضفاء طابع المرونة و سهولة التحول عن الأفكار السابقة على خلافا لحضارتي مصر و العراق التي ساهمت عراقة تقاليد الزراعة فيها على تأصل طابعها الفكري*.

وإذا قمنا بمناقشة العامل الجغرافي و دوره في تكوين الفكر الإغريقي أكثر، فإننا نستنتج أن الطبيعة الجغرافية الإغريقية ما هي إلا جزء من الكل، الذي هو المجال الجغرافي للبحر الأبيض المتوسط

1 : م.سباورا، التجربة اليونانية، ترجمة أحمد سلامة، محمد السي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989، ص 29 – 31 .
* : يساهم اعتدال الطقس و صفاء الجو في وضوح الألوان، و هو ما يؤدي إلى الرغبة في وضوح الأفكار و التصورات، وكلمة (Theoria) توحى إلى التأمل و الدراسة، و هي في اللغات الأوروبية اليوم بمعنى (Theorie) أو (Theoty)، و تعني النظرية، و هي في الأصل اشتقت من الفعل ينظر، يلاحظ.
أنظر : عزت القرمي، أثينا، مقال أثينا و الفلسفة، مجلة عالم الفكر، المجلد 38، الكويت، 2009، ص 34 .

الذي يشهد زخما حضاريا و فكريا، و ما بلاد الإغريق إلا جزء من هذا البناء الحضاري و الفكري المرتبط ببعضه البعض، ضف إلى ذلك ضآلة مقوماتها الطبيعية التي دفعته للتواصل مع هذا البناء الحضاري المتوسطي بكل معطياته ومختلف الاتجاهات، و أكسبه طابع التنوع والتطلع.

فيمكن إذن للموقع الجغرافي أن يفيد الجانب الحضاري و الفكري من هذه الناحية كونها ليست منعزلة عن العالم الخارجي، و لكن لا يمكن في نفس الوقت أن نكتفي أو نمجد هذا العامل فقط، ذلك أنه إذا قارنا تطور أوروبا منذ العصور القديمة فقد شهدت عدة أنماط في الحكم من ملكية و ديمقراطية و نظام الرق و الإقطاعي و الرأسمالية و الاشتراكية، في وقت لم تتغير فيه الظروف المناخية، فوتيرة التطور الاجتماعي و السياسي أسرع بكثير من المعطيات الجغرافية. كما أن تقييم الخصائص الجغرافية في مجملها تشكل نقطة ضعف في بناء لبنة التطور الحضاري عندهم .

ومنه نقول لدعاة المعجزة الإغريقية الذين اتخذوا من العامل الطبيعي و الجغرافي عاملا أساسيا في التطور، أن الوسط الطبيعي لا يمكن أن يلعب الدور الكافي في تطور المجتمع و بناء ثقافته وحده فقط، بل يجب إدراج عوامل أخرى¹.

2. العوامل التاريخية :

إذا وضعنا الحضارة الإغريقية في إطارها التاريخي الصحيح، علينا أن نتبع مراحل تطورها منذ البداية، بما في ذلك علاقاتها التاريخية و الحضارية مع حضارات الشرق القديم، خاصة خلال العصر المبكر الذي تشكلت فيه البواكر المحلية للحضارة منذ ظهور حضارة كريت إلى غاية بداية العصور الكلاسيكية.

1 : محمود محمد علي، المرجع السابق، ص 55 .

1.2 حضارة بحر إيجة:

في الوقت الذي اعتقد فيه فريق من المؤرخين أن أوائل التاريخ الإغريقي تبدأ من الألعاب عام 776 ق.م*، قدم لنا علم الآثار معلومات تعود إلى البواكر المحلية للحضارة الإغريقية، التي فاقت الحضارة الهيلينية قدما و عراقا، بل أكثر من ذلك أنها مهدت السبيل لظهورها. و لقد أطلق العلماء على هذه الحضارة القديمة اسم حضارة بحر إيجة، ذلك لأنها انبعثت من عدد كبير من جزر هذا البحر، ومدينه الساحلية، خاصة كريت و موكناي، و طروادة.¹

وينتمي سكان هذه الحضارة إلى جنس البحر الأبيض المتوسط، و تمتد أصولها إلى غاية العصر الحجري الحديث. ذلك أن كريت عملت على بلورة حضارتها بأسلوبها الخاص. و انهارت حضارة كريت حوالي 1400 ق.م، لتظهر محلها حضارة موكناي، أين اندفع الآخيون في حرب ضروس ضد مدينة طروادة، التي دمرت حوالي النصف الثاني من القرن الثاني عشر قبل الميلاد، إلا أن الموكينيين قد تعرضوا إلى هجوم مدمر على يد الدوريين حوالي القرن العاشر قبل الميلاد.²

* : كانت الألعاب الأولمبية تقام نهاية الصيف كل أربع سنوات في قرية ألتيس (Altis) في أولمبيا، و حسب الأسطورة أن هرقل هو أول من أقامها، و يؤرخ لها منذ 776 ق.م، و تبدأ الألعاب بعد إقامة الإحتفالات الدينية و تقديم القرابين، ويستغرق برنامج الدورة سبعة ايام ، يخصص اليوم الأول للإحتفال ثم للعب في الستة ايام الباقية. و تبدأ كذلك بقسم يردده المتسابقون أمام معبد كرونوس بعدم الغش. و يتضمن البرنامج : الجري ، الوثب، رمي القرص، رمي الرمح، المصارعة، الملاكمة، سباق العربات و سباق الخيل. وكانت تخصص برامج للأطفال كذلك. و كان الفائز يتوج بإكليل من غصن الزيتون، و تخصص المدن لأبطالها الفائزين إحتفالات هامة، و تخلدهم بالتمثيل. و لا يسمح للنساء بالمشاركة فيها .
انظر حول الفكرة : فوزي مكاوي ، تاريخ العالم الإغريقي و حضارته ، ط 1 ، 1980 . ص 62 .
و الجدير بالذكر أنه قبل هذه الفترة كان ينظر للأحداث السابقة على أنها خرافة و أساطير ، بل أكثر من ذلك إعتبر ذكرها من طرف المؤرخين القدماء بمثابة سد الفراغ غير المعروف الموجود في ماضيهم.
انظر :

Gerrardeaux et Alessandro Baricou , Le mythe littéraire de la Guerre fr Troie , B N F Gallica
و انظر أيضا

Victor Birsad ,l'Odysseed'Homere , Bibliotheque de Clyry, 1931 .

1 : مفيد رائف العابد ، دراسات في تاريخ الإغريق، الطبعة الجديدة ، دمشق 1979 . 1980 . ص 9 .

: Roland Etienne , Christel Muller , Francis Prost : Archéologie historique de la Grèce 2 antique . SD.

2.2 حضارة كريت :

يذكر الشاعر هوميروس في الأوديسا بعض الوصف عن جزيرة كريت، كون هذه الجزيرة فيها حوالي مائة مدينة، و يذكر هو سبعة منها تقع في قلب الجزيرة و أهمها: (كنوسوس، جورتين، ليكنوس، ميلتوس، قايموس، ريتيون) و يذكر في موضع آخر أن كريت قدمت حوالي ثمانين سفينة عسكرية في الحملة الطروادية، و يصفها قائلا :

ثمة وسط البحر الواسع ، جيرة اسمها كريت

رائعة خصبة معطاء ، غاصة بالسكان

تلتحق بها تسعون مدينة و سكانها لا يتكلمون اللهجة ذاتها . " ¹

و يقول أيضا : " توجد كنوسوس حيث مينوس رفيق الآلهة الأكبر زيوس ، الذي اعتاد أن يكون ملكا لمدة تسع سنوات . " ² و هكذا نجد هوميروس يشير إلى كثافة و غنى و ثراء كريت في نهاية عصر البرونز. ³ (والخريطة المرفقة تبين المجال الجغرافي لجزيرة كريت)

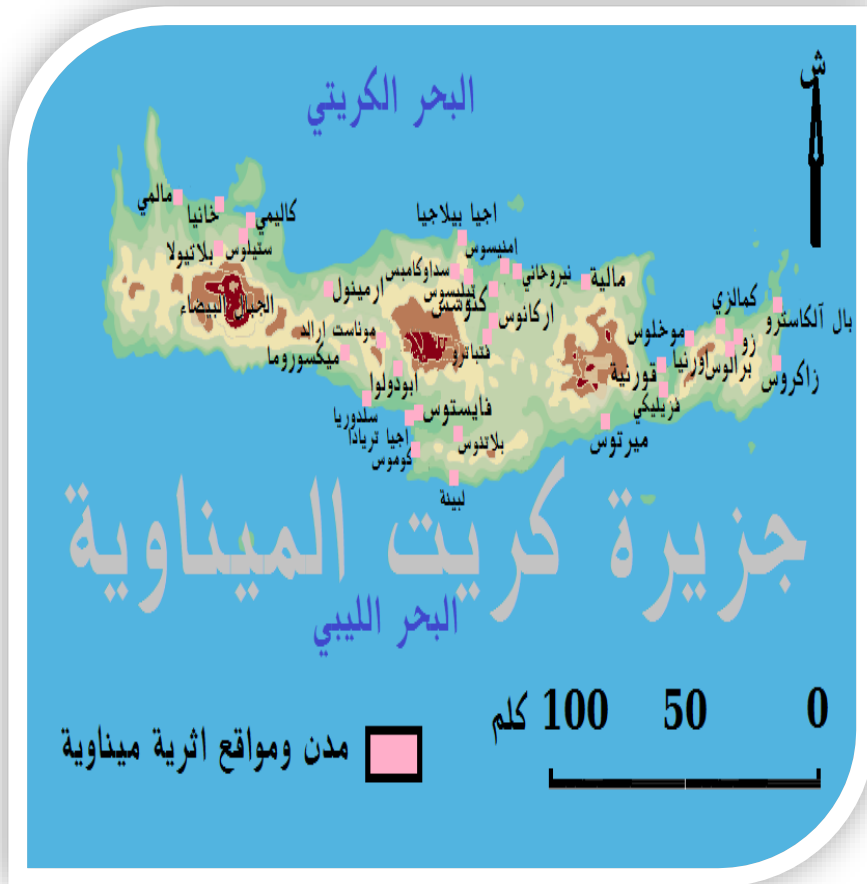
: Ibid ,1

2 . Homère , Odyssée , Chant 19 , P 172 -

3 : محمد كامل عياد / المرجع السابق ، ص 40 .

و انظر أيضا :

G. Goltz, Op Cit, P 37 :



خريطة (5) تمثل اهم مدن ومواقع حضارة جزيرة كريت

1.2.2. اكتشاف كريت :

لقد توصل العلماء إلى جمع النقوش و مختلف المخلفات الأثرية التي شكلت المادة العلمية إلى درجة أنهم لا يزالون يراجعون اكتشافاتهم و يستخرجون منها مختلف المعلومات القيمة، و مهما يكن فان المعلومات الأثرية تؤكد أن الجزيرة لعبت دوراً هاماً في الحضارة الإغريقية و الأوروبية ككل .

في عام 1878 م عثر تاجر كريتي (مينوس كالييتوس) على بعض الآثار القديمة في التلال الواقعة جنوب عاصمة كريت، و عندما سمع بها الباحث الألماني (هنريج شليمان) جاء إلى كريت عام 1879 م، حيث دخل في مفاوضات مع صاحب الأرض، إلا أن المفاوضات لم تستمر بسبب عدم الاتفاق بينهما في تحديد ثمن الأرض. إلا أن باحثاً آخر و هو السير آرثر إيفانز استطاع شراء

الأرض و باشر أبحاثه حول قصر الملكمينوس في كنوسوس، و استمرت عمليات الحفر حوالي خمس سنوات، عام 1900 إلى 1905 م، و من نتائجها اكتشاف معالم حضارة قديمة امتدت إلى عصر النحاس، حيث أطلق عليها اسم الحضارة المينوية نسبة إلى الملكمينوس¹.

2.2.2. المظاهر الحضارية في كريت من خلال البحوث الأثرية :

كشفت الآثار عن تقدم الكريتيين في عدة مجالات* منها صناعة الحلي و أدوات الزينة المرصعة بالذهب و الفضة و العاج و حجر اللازورد ، كما تميزوا في صناعة الأواني الفخارية فضلا عن صناعة الزجاج و استخدموا الخزف الملون* . كما لوحظ أيضا تقدما في مجال العمارة إلى جانب وجود علاقات تجارية بين كريت و الدول المجاورة لها في تلك الفترة كفينيقيا ومصر**.

1 - سيد أحمد الناصري ، المرجع السابق ، ص 36 .

* : شهدت مدن كريت بناء قصور تميزت بعمارتهما بفن رفيع، و الملاحظ أن هذه المدن لم تكن محصنة بأسوار ما جعلها عرضة للغزاة. وطابع العمارة يكون ذو طابق واحد في قسم، وذو طابقين في قسم آخر. و لقد عثر في قصر مينوس على أواني فخارية تستعمل في حفظ النبيذ و الحبوب، و مجموعة من الحلي الذهبية، و أختام مختلفة الأشكال و تماثيل من الطين .

انظر : عبد اللطيف محمد سلمان، تاريخ الفن و العمارة (فنون العالم القديم)، منشورات جامعة دمشق، ص 216 .
* لقد جمعت هذه النقوش في أربعة مجلدات و أشرفت على نشرها عالمة الإيطالية (مارجوريت اجواردوكي) (Marguerita Guarducci)، و تمتد هذه المعلومات إلى غاية القرن السابع قبل الميلاد ، و قد عثر على نقوش أخرى خاصة بكريت في جدار طاحونة سنة 1857 م ثم اشتراها مندوب متحف اللوفر و تم نقلها إلى باريس.

أنظر : عبد اللطيف محمد سلمان المرجع السابق ، ص 46 .

** - لقد امتدت عمليات الحفر بكريت حوالي ثلاثة و أربعين قدما تحت الأرض ، فاستخرجت من الطبقة السفلى أواني فخارية و هي تعود إلى العصور الحجرية مصنوعة باليد و تقتصر التزيينات فيها على خطوط بسيطة و يمتد تاريخ كريت على ثلاثة عصور و هي :

1 - العصر المينوي القديم :

- الدور الأول : من عام 3000 ق . م إلى عام 2800 ق . م

- الدور الثاني : من عام 2800 ق . م إلى عام 2400 ق . م

- الدور الثالث : من عام 2400 ق . م إلى عام 2100 ق . م

2 - العصر المينوي المتوسط :

- الدور الأول : من عام 2100 ق . م إلى عام 1900 ق . م

3.2.2. الحياة السياسية :

من خلال المباني و الحصون يتضح أن السلطة كانت بيد القبائل الكبرى الذين كانوا يحكمون البلد حكماً إقطاعياً، حيث أبرزت الرسوم أن أفراد طبقة الأشراف لا يخرجون بين الناس إلا و هم يحملون خناجر، و لكن ذلك كان أثناء العصر المينوي المتأخر، و لم يبق تقريباً آثار الخناجر و الحصون و هو ما يدل أن السلطة أصبحت بيد ملوك كنوسوس. و لقد أطلق على ملك كريت اسم " مينوس " ولا نعرف بالضبط ماذا تعني هذه الكلمة، ويستمد الملك سلطته من الآلهة، و إشارته هي العصا و زهرة الزنبق، و كان يسير البلاد بواسطة عدد من الموظفين و الكتاب الذين يسجلون تفاصيل الحياة اليومية، وكان لكل موظف ختم خاص يوقع به المعاملات، إلا أن المسائل الهامة يجب أن توقع بختم الملك، و أهم قوة يعتمد عليها الملك هي الأسطول، و يذهب المؤرخ تيوكديدس إلى القول أن مينوس هو أول من صنع أسطولا بحريا و بسط سيطرته على البحراهيليني.

4.2.2. الحياة الاقتصادية :

إن بلاد كريت صالحة لزراعة الحبوب والبقول، وكذلك تربية المواشي بالإضافة إلى الكروم والعنب والزيتون و السفرجل و النخيل، و لما كانت مادة الزيت تفوق حاجيات السكان كان يتم تصديره للخارج، أما في مجال الصناعة فقد وجدت محلات لصناعة المجوهرات و كذلك صناعة الخناجر و السيوف¹

- الدور الثاني : من عام 1900 ق . م إلى عام 1750 ق . م

- الدور الثالث : من عام 1750 ق . م إلى عام 1580 ق . م

3 - العصر المينوي المتأخر :

- الدور الأول : من عام 1580 ق . م إلى عام 1450 ق . م

- الدور الثاني : من عام 1450 ق . م إلى عام 1400 ق . م

- الدور الثالث : من عام 1400 ق . م إلى عام 1200 ق . م

انظر : محمد كامل عياد ، المرجع السابق ، ص 43 .

: G. Goltz, Op Cit, P 99 – 104 . 1

5.2.2. الديانة :

طغى على الديانة الكريتية الطابع الأسطوري و تمجيد القوى الخفية، ولقد عبدوا الحجارة و الأشجار و الشمس و الماعز و الأفاعي و الثيران و الحمام و يقدسون العدد ثلاثة ويعتقدون بوجود الجن و العفاريت و بنات البحر، و كانوا يلجأون إلى الأدعية و التعاويذ ويقومون بطقوس خاصة تحت إشراف الكهنة كما استخدموا البخور لطرد الأرواح الشريرة، و لم يكن الكريتيون يهتمون بتشديد المعابد الضخمة كما وجد في مصر و بابل¹ و إلا ما يقتصر على بعض الأماكن المقدسة حيث كانت العبادات اليومية تقام في البيوت، كما أن الكريتيين اظهروا شيئاً من الاهتمام بموتاهم، حيث كانوا يدفنونهم في توابيت من الفخار و يضعون معها كمية من الأغذية و بعض الأشياء مثل لوحة الشطرنج أو آلة موسيقية أو تماثيل نسائية صغيرة .

6.2.2. دمار كريت :

يبقى دائما السؤال المطروح حول الاختفاء المفاجئ لمدينة كريت، حيث يرى البروفيسور (سيريدون مارتينوس)* أنه خلال تنقيبات لبناء امنسوس المجاور لكنوسوس تم اكتشاف حفرة مليئة بالرماد البركاني، و وجد دلائل أمواج عاتية طغت على الموقع، حيث استنتج أن دمار كريت لم يكن على يد غزو أجنبي بل يعود الأمر إلى كارثة طبيعية عنيفة حلت بالجزيرة. و المحتمل أنها من جزيرة تيرا البركانية شمال كريت و ذلك لا يتناقض مع الدراسات الجيولوجية الحديثة التي ترجع ذلك إلى نشاط بركاني** .

1 - محمد كامل عياد ، المرجع السابق ، ص 55 .

* - شغل منصب المدير العام لمصلحة الآثار اليونانية ، و نشر دراسته تحت عنوان (الدمار البركاني للحضارة المينوية في كريت).

انظر : محمد الغرب موسى ، الحضارات المفقودة ، القاهرة ، مصر ، 1979 ، ص 31 .

** - نتج عن هذا الدمار انهيار سطح القشرة الأرضية و سقط جزء منها في البحر مكونا بذلك الخليج الأوسط المعروف حالياً باسم خليج كالديرا .

نفسه ، ص 53 .

و قد قام هذا البروفيسور بتنقيبات هامة في (أكروتيري) عام 1956 م بعد أن حدث زلزال في الجزيرة أدى إلى تشقق أرضها، فكتشف أطلال مباني قديمة و عظام بشرية و أخشاب محروقة، كما اكتشف العالم الإغريقي (أنجيلوس جالاتوبوس) عن هذه المخلفات بطريقة الكربون المشع، و تبين أن عمرها حوالي 3500 سنة، و أجريت اختبارات إضافية سنة 1967 على تلك المخلفات دلت على أن البركان حدث بين 1500 ق.م و 1450 ق.م. وهو ما يتوافق مع تاريخ سقوط الحضارة الكريتية و المينوية المفاجئ، و قد أدى ذلك إلى انتقال مركز القوة من كريت إلى الشاطئ الإغريقي حيث حملت مشعل الحضارة موكنياي¹.

وما نخلص إلى قوله إن المخلفات الأثرية كشفت عن تقدم كريت في مجال الفن والعمارة، وانتقل هذا الأسلوب بمختلف ألوانه إلى الحضارة الموكينية ومنه إلى الهيلينية، كما كشفت الحفائر عن وجود مواد مشتركة بين كريت ومصر، حتى أن الكتابة الأولى في كريت كانت شبيهة بالكتابة المصرية الهيروغليفية. و هي الكتابة المقطعية المعروفة بإسم (linear A)، و صور أصل كريت الذين عرفوا بأهل (كفتون، Keftun) و هم يقدمون الهدايا لفرعون مصر، و هو دليل على تأثير الفن المصري الذي أكسبه الدقة و الجمال. كما عثر على مخلفات تؤكد وجود صلات تجارية بينها و بين قبرص و فينيقيا².

3.2 الحضارة الموكينية :

في الجهة الشرقية من شبه جزيرة البيلوبونيز على سهل جبل حيث يمتد سهل (أرغوس) تقع مدينة (ميكيناى) (Mycènes) حيث ظهرت أقدم الآثار للحضارة في بلاد الإغريق، كما توجد أيضا مدينة لا تقل أهمية وهي مدينة تيرينس (Tirynthus) وتروي القصص الإغريقية ان مؤسسها

1 - محمد الغرب موسى ، المرجع السابق ، ص 57 .

2 : محمد كامل عياد، المرجع السابق، ص 46 .

هم الملك بريسيسوس (Perseus) في القرن الرابع عشر قبل الميلاد و المدينة يوجد بها احد المداخل التي تحمل اسم باب الأسد .

الشكل 13 : بوابة الأسد بموكيناى



كانت بوابة هي المدخل الرئيسي للميسينا Mycenae . بنيت هذه البوابة حوالي عام 1250 ق . م قد يكون الاسدان المحفوران فوق البوابة يعبران عن رموز للأسرة المالكة الميكينية .

و منذ البداية وعلماء الآثار يحاولون البحث عن خبايا هذه الحضارة، إذ تشير البحوث الأثرية إلى أن الموكينيين هم أجداد الإغريق الأوائل، ذلك لأن بلاد الإغريق في العصر البرونزي كانت محط القبائل و الشعوب المختلفة، و بعد امتزاج هذه الشعوب بالسكان الأصليين خرج العنصر الذي

سمي فيما بعد بالإغريق . و الملاحظ من خلال الآثار أن الحضارة الموكينية كانت أكثر بساطة و اقل بذخا من الحضارة المينية¹.

1.3.2. دور السجلات الكتابية في الكشف عن الحضارة الموكينية :

استطاع العالم إيفانس أن يميز نوعين مختلفين من الكتابة وهما المجموعة الخطية الأولى (Linear A) و المجموعة الخطية الثانية (Linear B) و ذلك من خلال الحفائر التي وجدت بكريت حيث استخرج من قصر كنوسوس حوالي 3000 إلى 4000 وثيقة². و ارتبطت هذه الوثائق كلها بحضارة بلاد الإغريق* حيث مكن حل رموزها من كشف الغطاء عن هذه الحضارة.

ولقد تمكن المهندس البريطاني (ميخائيل جورجفنتريس)، (Michael George Ventris) من حل رموز الكتابة الموكينية، حيث نشر عمله تحت اسم (وثائق باللغة الموكينية اليونانية)، و أشارت هذه الوثائق إلى طبيعة المعاملات في تلك الفترة بما في ذلك الضرائب المفروضة على الناس لخدمة الآلهة منها أثينا و هيرا، كما كشفت الألواح عن العناية الكبيرة ببناء شبكة الطرقات لخدمة التجارة و الجيش، و ذكرت أيضا أسماء بعض الشعوب القديمة التي تعاملت معها تجاريا منها قبرص و ذكرت باسم (Arasiyo) مصر (Aikniptyo) إلى جانب لفظ (pi-ni-ko) الذي تردد للدلالة على العلاقات التجارية مع فينيقيا³.

4.2 ب العلاقات الحضارية بين حضارات بحر إيجه و حضارات الشرق القديم

مع تطور حضارات بحر إيجه بداية من الألف الثاني قبل الميلاد، بدأت ملامح التواصل بين

1 - Collignon Max , Op Cit , P 14 .

2 - Roland Etienne , Op Cit , P 47 .

* - هذه الوثائق عبارة عن لوحات طول كل منها حوالي ثلاث بوصات ، و هي مختلفة الأشكال منها ما هي مستطيلة أو مربعة أو مخروطية ، و بعض هذه الوثائق مصنوعة من الطين اللين غير المحروق ، حفظت هذه الوثائق بفضل الدمار المفاجئ الذي حل بالمنطقة بعد انهيار القصور فحفظت هذه الوثائق تحت الأنقاض .

انظر : سيد أحمد الناصري ، المرجع السابق ، ص 54 .

3 - Robert Flaceliere , Op Cit , P 10 .

الشرق و الغرب عبر البحر الأبيض المتوسط و آسيا الصغرى، و ذلك عبر جزر السيكلااد، و ارتبطت ببلاد ما بين النهرين عبر بلاد فارس و رودوس و صقلية و قبرص و الدليل على ذلك ملامح التشابه في المظاهر الحضارية خاصة في مجال النحت و الحدادة و الهندسة.

كما أفرزت هذه العلاقات تطور صناعة العربات العسكرية في ميسينيا منذ 1450 ق.م . فضلا عن انتعاش المبادلات التجارية خاصة في مجال النحاس عبر أوجاريت و قبرص، حيث تغلغل الآخيون إلى غاية منطقة (بيلوس - جيل) في فينيقيا، و هو ما أكد تبلور حضارة مشتركة ميسينية قبرصية و شرقية نتج عنها امتزاج العناصر الحضارية الإيجية الآسيوية، حتى أن مصر هي الأخرى انفتحت على الإيجيين خلال القرن الخامس عشر قبل الميلاد بفضل علاقاتها التجارية مع كريت ما بين 1400 و 1300 ق.م . فكريت إذن كانت هي المحور الأساسي في هذا التواصل بين الشرق الأدنى و فينيقيا و بلاد الإغريق.

كما أثبتت البحوث الأثرية وجود جاليات كريتية في منطقة (تل العمارنة) في عهد أمنحوتب الرابع (أخناتون) و يقول فرنان في كتابه (أصول الفكر اليوناني) أن طابع التنظيم الإداري الميسيني نستلهم من الكريتي. و يحمل صفة الاقتباس، حيث انتقل الكتبة الكريتيون إلى خدمة السلالة الميسينية، و منه انتقل إلى الحضارة الإغريقية

5.2 مدينة طروادة :

اقترن اسم هذه المدينة بما ورد في إلياذة هوميروس حيث أطلقت عليها عدة تسميات منها (إليون، إليوس، طرويا، Throie) و من لفظ طوراس اقتبس (Tored) ومنه جاء الاسم العربي طروادة. و تقع المدينة في إقليم ميسينيا شمال غرب آسيا الصغرى*. يحدها غربا البحر المتوسط و

* : في سنة 1870 ذهب شليمان إلى الزاوية الشمالية الغربية من شواطئ آسيا الصغرى حيث كانت مدينة طروادة حسب الروايات القديمة، و قرر بداية الحفر تحت هضبة تسمى (حصار ليك) بعد مفاوضات مع الحكومة العثمانية دامت مدة سنة. و بعد موافقتها بدأ الحفر رفقة فريق عمله تحت إشرافه هو و زوجته، حيث تحدث في كتابه عن كل الظروف التي أحاطت بعملية

شرقاً جبل أيدا، و من الشمال الغربي مضيق (اهيليبييت) و من الجنوب خليج (ادراهيثوم) و تبعد المدينة عن البحر حوالي أربعة أميال و يفصلها عن كريت جبل أيدا المقدس، أما سكانها فتذكر المصادر التاريخية بما في ذلك إحدى البرديات المصرية يسمون بالدردنيوس (Derdenus) وهي نفس التسمية التي وردت في إلياذة هوميروس و يتكلم أهلها اللغة الإغريقية¹ و يعبدون الإلهة أثينا*.

اشتهرت المدينة بحصارها الذي يندرج في إطار أول صراع بين الآسيويين و الأوروبيين أو بين الشرق و الغرب*، ذلك لأن الإغريق في حد ذاتهم يصفون أن المدينة آسيوية المنبع إلا أن هذه المدينة ظلت من قبيل الأسطورة إلى غاية النصف الثاني من القرن التاسع عشر قبل الميلاد²، حيث أكدت وجودها البحوث الأثرية التي قام بها الباحث الألماني (شليمان) إلا أن الجدل الذي يبقى قائماً أي الطرودات التي بين تسعة* مدن كانت المدينة التي شهدت الحرب، حتى أن بعض

الحفر حيث يقول : « كانت درجة الحرارة شديدة، حيث تتراوح ما بين 34 و 38 م° على العاشرة صباحاً. و أنهت التنقيب في حصارليك مع نهاية شهر جويلية، و قبل ذلك بأسبوع أصبت بحمى الملاريا و لم اشف منها إلا بعد أربعة أشهر . »
انظر :

Henry Schleiman, Troja result of latest research discoveries of the site Homer, Troy, Paul P.B Minot Charchely, 1979 , P 21 .

و انظر أيضاً :

Maxime Gollingom, manuel d'archéologie grecque, Paris , Pp 12- 13 .

1. - Thucydide , Op Cit , P 11 .

** - لقد عرف عن الطروديين أنهم كانوا مروضون للخيل ، يصفهم أعداءهم أنهم أكثر وفاءً و اقل خداعاً و أحسن تهدياً من الإغريق الذين شعروا بهذا الفارق .

انظر : ول ديورانت ، المرجع السابق ، ص 71- 72 .

*- يقول هيرودوت في كتابه : " عن سقوط مدينة إليون بشكل أحد أبرز أسباب الكراهية بين الفرس و الإغريق . "
أنظر :

Herodote , Op Cit , P 5 .

2- André Rousseaux ,Op Cit , P 28 .

** - حاول العديد من العلماء بعد شليمان استكمال البحوث الأثرية عن طريق المدينة المفقودة منهم (دوفيلدويلهام) ، الذي وضع التسلسل الزمني لهذه المدن التي وجدت بصفة متتالية تعلو الواحدة الأخرى ، و لكن العديد من العلماء يرفضون هذا التصنيف ، إلا أن هذا التسلسل جاء كما يلي :

- طروادة الأولى : من 3000 ق.م إلى 2500 ق.م

- طروادة الثانية : من 2500 ق.م إلى 2250 ق.م

الألواح الطينية منها ألواح (بيلوس) كشفت بعض الأسماء الطروادية مثل اسم هكتور، إلا أن سقوط المدينة أنهى عهد الحضارة الإيجية ليفتح عهد التاريخ الإغريقي.

1.5.2. الحياة السياسية :

لقد ساد المنطقة خلال هذه المرحلة النظام الملكي، ذلك لأن أغاممنون قائد الحملة على طروادة هو ملك موكناي، إلى جانب برياموس الذي كان ملك طروادة، حيث كان يتربع على هرم السلطة المكون من الملك، رؤساء القبائل الذين يمثلون الشعب، و كان للملك سلطة دينية لأنه يمثل الإرادة الإلهية على الأرض، و كان يمثل قائد الجيش و القاضي الأعلى، و رغم سلطته المطلقة إشتراك معه أشخاص آخريين و هم الأشراف الذين يكونون مجلس الشيوخ الذي يعتبر الهيئة الاستشارية¹، و إلى جانبه توجد هيئة اقل أهمية و هو مجلس العامة الذي يستدعى في حالة التعرض للحرب، و كان الحكم وراثيا.

2.5.2. الحياة الاقتصادية :

استعمل الموكينيون الحديد في العصر الهيلادي المتأخر، حيث عثر على أقدم سيف مصنوع من الحديد، و عثر العلماء في مقبرة على بعض الأسلحة بين القرنين الثاني عشر و العاشر قبل الميلاد، وكانت الزراعة هي المورد الاقتصادي الأهم، حيث كانت الأراضي ملكا للعشيرة وليست

- طروادة الثالثة : من 2250 ق.م إلى 2050 ق.م
- طروادة الرابعة : من 2050 ق.م إلى 1900 ق.م
- طروادة الخامسة : من 1900 ق.م إلى 1800 ق.م
- طروادة السادسة : من 1800 ق.م إلى 1300 ق.م
- طروادة السابعة A : من 1300 ق.م إلى 1260 ق.م
- طروادة السابعة B : من 1260 ق.م إلى 1100 ق.م
- طروادة الثامنة : من حوالي 700 ق.م

انظر :

Carl.WBolegom ,Op Cit , P 127 .
1 - Thucydide , Op Cit , P 6 .

للفرد، و لم تكن تباع و الواضح أن مساحة هذه الأراضي كانت واسعة¹، كما اهتم سكان المنطقة بتربية المواشي إلى جانب الاهتمام ببعض الصناعات اليدوية، حيث انتشرت حرفة الحدادة و الصناعة الفخارية فضلا على صناعة السفن و الأسلحة، واهتموا كذلك بالتجارة حيث كانت داخلية تتم بين مراكز حضارية في بلاد الإغريق*. و في حوالي القرن التاسع قبل الميلاد اتسعت هذه المراكز التجارية إلى فينيقيا و منه عرف الإغريق الأبجدية و طوروا صناعة سفنهم.

3.5.2. الحياة الاجتماعية :

وما نخلص إلى قوله أن مجتمع تلك الفترة كان يعتمد على الارستقراطية الإقطاعية²، فضلا على ارتفاع عدد السكان الذي لا يتماشى و التطور الاقتصادي والقدرة على تحقيق الموارد، كما اتبع الإغريق في تلك الفترة نظاما في التوريث يعتمد على توريث الابن الأكبر و ترك الأبناء الآخرين دون ميراث، و ذلك للحفاظ على مساحة الأراضي المملوكة، و هو ما أدى إلى ازدياد عدد الذين لا يملكون، و نتج عنه عجز الأراضي عن إنتاج المحصول الكافي لتلبية حاجيات السكان³.

أما النظام الأسري كان يعتمد على العشيرة (Genmos) و هم الأفراد المنحدرين من أصل واحد، و تربطهم روابط اجتماعية و عرقية وثيقة، ثم الأسرة التي يضمها منزل واحد المكونة من الأب و الأم و الأبناء و زوجاتهم و أولادهم والبنات الذين اعتبروا أعضاء إضافيين**.

1- A . G Arbanese ,Op Cit , P 5 .

* - في هذه الفترة كانت للتجارة نظرة لا تنم عن الاحترام كثيرا مقارنة بالحرف الأخرى —عندما ظن البعض أن أوديسيوس كان تاجرا شعر هذا الأخير انه أهين .

انظر : أحمد السعيد عمران و آخرون ، المرجع السابق ، ص 71 .

2- Emile Burnouf ,Op Cit , P 3 .

3 - Thucydide , Op Cit , P 6 .

** : أما عن اللباس، فقد كانوا يرتدون قطعاً قماشية مربعة الشكل مسندة فوق الكتفين، و يشبكونها بدبوس، و يصل الثوب إلى قرب الركبة، أما عن المأكل فقد كان الفقراء يأكلون لحم السمك و البقول و الخضروات، أما المحاربين و الأغنياء فيعتمدون على اللحم المشوي/ حيث يتشكل فطورهم من اللحم و النبيذ، و يستعملون عسل النحل بدل السكر، و دهن الحيوانات بدل الزبدة .

انظر : ول ديورانت، المرجع السابق (حياة اليونان) ، ص 88 .

4.5.2. الحياة الدينية :

كانت ديانة هذا العصر وثنية، حيث كان لكل اله اسم و صفة، و كان يعبد في المعابد، ولكل اله موطن خاص به، يذهب إليه الناس لتقديم القرابين. و لقد كان الملك يتكفل بالواجبات الدينية كونه يعتبر الكاهن الأكبر¹. حيث يقوم و يشرف هو بنفسه على تقديم القرابين أيام الحرب خاصة*.

5.5.2. الحياة العسكرية :

تميزت الفترة بوجود الأبطال الذين كانوا يقودون الجيش الذي يتكون من الرماة الذين كانوا يحمون أنفسهم بصدريه صلبة من الجلد معلقة في أعناقهم، و يكون هؤلاء في خط القتال الأول، غير أن تنظيم الجيش في تلك الفترة كان جد بسيط، حيث لا رتب فيه إلا رتبة الملك و الأبطال و الجنود والمنادي الذي كان بمثابة المساعد، و لم تكن هناك تشكيلات إدارية تشرف عليه، و كانوا يحصلون على الغنائم بالسلب و النهب، فيبارز الملوك و الأبطال ملوكا و أبطالاً آخرين مثلهم، و يقاتل الرماة رماة آخرين و يرمي الرماة على الجميع. و لقد وصفت المصادر القديمة الكثير من المعارك بما في ذلك **إلياذة هوميروس** ** التي وصفت التضحية معيارا للشرف والشهامة، و الجدير أن هذه العقائد رسخت إلى غاية حوالي القرن الخامس قبل الميلاد.

1 - A . G Arbanese ,Op Cit , P 5 .

* - ورد في الأساطير أن الكاهن خريسييس كاهن أبولون هاجمه أغاممنون فقامت الآلهة بنشر الطاعون في صفوف الجيش الآخي ، لذلك قدم أغاممنون مذبحه هائلة كتعويض ، و أنهى الإله الطاعون و ارسلوا هواء نظيفا .
أنظر :

Ibid , P 11

** - لقد تناولت إلياذة هوميروس بالتفصيل و وقائع الحرب طروادة التي سبقت الاجتياح الدوري مع أواخر العصر الموكيني، التي شنها حلفاء أغاممنون حوالي عام 1180 ق.م ، و رغم أن الإلياذة تناولت الأيام الأخيرة من هذه الحرب إلا أنها استطاعت أن تبرز أهم معالم تلك الفترة التي تلتها بعد الغزو الدوري ، حيث ذكر فيها سلاح الحديد كثيرا ، و تعود أسباب هذه الحرب حسب الأسطورة إلى أن هرقل (Hercules) البطل الإغريقي أغار على طروادة و قام بتخريبها في فترة حكم ملكها (لايوميدون) (Laomédon) والد برياموس، حيث اختطف ابنة الملك أي شقيقة برياموس ، الذي لم ينسى سي الإغريق لأخته ، فجهز حملة صغيرة بقيادة باريس لاستعادة عمته، و توجه باريس نحو إسبارطة حيث التقى هيلين، والرحلة كانت من تدبير أفروديتي ،

6.5.2. انعكاسات الحرب الطروادية على الوضع العام في المنطقة:

لقد مجدت إلياذة هوميروس الحرب الطروادية التي حدثت حوالي القرن الثاني قبل الميلاد بين طروادة و بلاد الإغريق، غير أن الإلياذة لم تكن وحدها من مجد هذه الحادثة، بل هناك مصادر أخرى تتمثل في ألواح تم العثور عليها في بلدة بوغاركوي في آسيا الصغرى، فضلا عن الفرضيات العلمية التي ظهرت بهذا الشأن فضلا عن الأساطير التي تحيط بمنطقة (بحر إيجة)¹.

لقد عمل الآخيون على تقوية مركزهم خلال منتصف القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وقاموا بهجمات على الإمبراطورية الحيثية في سواحل آسيا الصغرى و أدى ذلك إلى سقوط إمبراطوريتهم أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد ليشنوا هجوما على مدينة طروادة دمرها بسبب تضارب المصالح الاقتصادية، و تجمع الدراسات على أن هذه الحرب كانت حوالي 1198 ق.م أين كانت المنطقة في حالة اضطراب أعقبت تدمير المدينة².

و بدأت حضارة الآخيين في التدهور و الانحدار، و هو ما لوحظ على صناعة الفخار التي فقدت جودتها، و توضح الدراسات أيضا أن الدوريين لم يكونوا قد وصلوا إلى المنطقة بعد، حيث أدركوها بعد فترة من الزمن، لأن الفترة شهدت توافد شعوب البحر، و تسببت في فوضى واضطرابات

حيث تصرف باريس بإيجاء منها و إختطفها ، و منه جهز الإغريق حملة لاسترداد هيلين ، و تكون الأسطول من 1200 سفينة، و لم يتخلف احد من قادة الإغريق لنجدة أغاممنون في الوقت الذي تحالفت فيه الشعوب الآسيوية لنجدة مدينة طروادة التي لم تسقط إلا بعد الحيلة التي جاء بها أوديسيوس ، ببناء حصان خشبي ضخيم يخفي بداخله أهم القادة الإغريق . في الوقت الذي أكد فيه كاهن إغريقي أن الحيلة هي الأسلوب الوحيد للاستيلاء على مدينة طروادة، وتضمنت الإلياذة وقائع هامة تصور طرق المباراة بين الأبطال مثلما كان بين هكتور و اخيليوس في النشيد السابع .

أنظر : إلياذة هوميروس ، النشيد السابع ، ص 501 .

و انظر أيضا :

Hérodote, Op Cit, P 3.

و أيضا

Thucydide ,Op Cit , P 11 .

1 - Victor Dyr , Op Cit , P 107

2 - CollegmomMax , Op Cit , P10

في مصر و فينيقيا و منطقة بجرايجا¹، و لقد أدت هذه التطورات إلى تدهور التجارة الموكينية بسبب إغيار القصور والمنازل في موكيناي، حتى أن مدينة أولكسوس (Tulcus) قد احترقت في تيساليا وبيلوس، و ربما يعود ذلك إلى الصراع الذي كان موجودا بين مختلف الممالك بسبب الرغبة في السيطرة و فرض النفوذ بالقوة .

كما عرفت الفترة انتشار المجاعة، و يعود السبب في ذلك إلى الأحوال الطبيعية و هو ما تسبب في الهجرة للبحث عن ظروف أحسن، و شهدت الفترة كذلك غزو شعوب البحر للمنطقة رغبة منهم في الحصول على غنائم على حساب القلاع و الحصون الموكينية، إلا أن هؤلاء قد انسحبوا مخلفين دمارا كبيرا مس المنطقة، و من مخلفات ذلك انخفاض عدد سكان المنطقة، حيث تقلص عدد المستوطنات في موكيناي و تريفيليا (Triphylia) من 150 إلى 140 مستوطنة، و تراجع في أرجوليس إلى الربع و في كورنثا إلى اقل من الثلث ، فضلا عن ازدياد حركة الهجرة².

3. دور العامل البشري في التطور التاريخي للمنطقة :

1.3 التركيبة البشرية للمجتمع الإغريقي :

نشأت هذه الحضارة في العصر النيوليتي (العصر الحجري الحديث) الذي كان حوالي 3500 ق.م و انتهى حوالي 2000 ق.م إلى 1900 ق.م ليليه عصر البرونز الذي انتهى حوالي 1100 ق.م، و المؤكد أنه خلال العصر التوليبي دخل المنطقة قوم أطلق عليهم اسم البلاسجيس (Pelasgoi)،* الذين وفدوا من جنوب غرب آسيا الصغرى و دخلوا الجزيرة عبر السواحل الشرقية و الجنوبية، و لقد قامت لهم حضارة ذات طابع زراعي، عثر الأثريون على اغلب مراكزها في إقليم

- Thucydide , Op Cit , P 12 1

2 - ابراهيم عبد العزيز جندي ، المرجع السابق ، ص 137 .

* - البلاسجيس : اسم أطلق على شعب آسيوي احتل منطقة بحر إيجا و مناطق أخرى من بلاد الإغريق قبل قدوم الآخيون . انظر محمد كامل عياد، المرجع السابق، ص 86 .

حول أصل الإغريق، انظر

Thucydide, Op Cit, Pp 2.3 .

تيساليا (حوالي 150 مركزا) وكذلك في منطقة كورنثا وانتشرت غربا حتى جزيرة (كركيريا) (كورغو) و جنوب شرق إيطاليا (إقليم أيوليا)، كما أن لغتهم لم تكن تنتمي إلى عائلة الهندوأوروبية، و هو ما يمكن استنتاجه من خلال أسماء المناطق و النباتات والطيور و هي بالتالي غير أصلية في اللغة الإغريقية. (و الخريطة 6 تمثل اهم لهجات العصر الكلاسيكي ببلاد الإغريق).



خريطة (6) تمثل اهم لهجات العصر الكلاسيكي ببلاد الإغريق

و مع بداية العصر البرونزي (حوالي عام 1900 ق.م) و بعده بفترة اختلف الباحثون في تحديد مداها ، دخل المنطقة قوم جدد يعتقد أنهم وفدوا من منطقة الدانوب أو شمال شرق أوروبا أو حتى من شرق بحر قزوين و أواسط آسيا (وهي منطقة شديدة البرودة و بعيدة عن البحر) حيث دخلوا البلقان من شماله أو عبر سواحله الشرقية، والمعتقد السائد أنهم من السلالة الهندو أوروبية،

و هذا القوم الذين سكنوا المنطقة وامتزجوا بالسكان الأصليين و قاموا بالحرب على مدينة طروادة في بداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد هم من أطلق عليهم هوميروس في إلياذته (الآخيون)¹.

و بعد سنة 1900 ق.م بدأ عصر النحاس و البرونز حيث توالى على المنطقة موجات متسابقة من الغزاة، و المعتقد أنهم ينتمون إلى العنصر الهندوأوروبي، وعلى وجه التحديد الوردية الألبانية، و لقد تركزت هذه المناطق شمال شرق البلوبونيز، حيث ظهرت مدن مثل (موكيناى)، (تيرنز)، (Tiryns) وظهرت كذلك مدينة بيلوس (Pylos) غرب البيلوبونيز، كما عرفت شعوب هذه الحضارة بالموكينيين (Myceniens)، وتسمى هذه الفترة بالعصر الهيلادى الثاني، وأطلقوا على أنفسهم اسم الهيلينيين (Hellènes) و ذلك نسبة إلى الجد الأسطوري هيلين (Hellèn)، و المرجح انه كانت هناك قبيلة بهذا الاسم شمال شبه جزيرة البلقان ليعمم الاسم على كل العصر* .

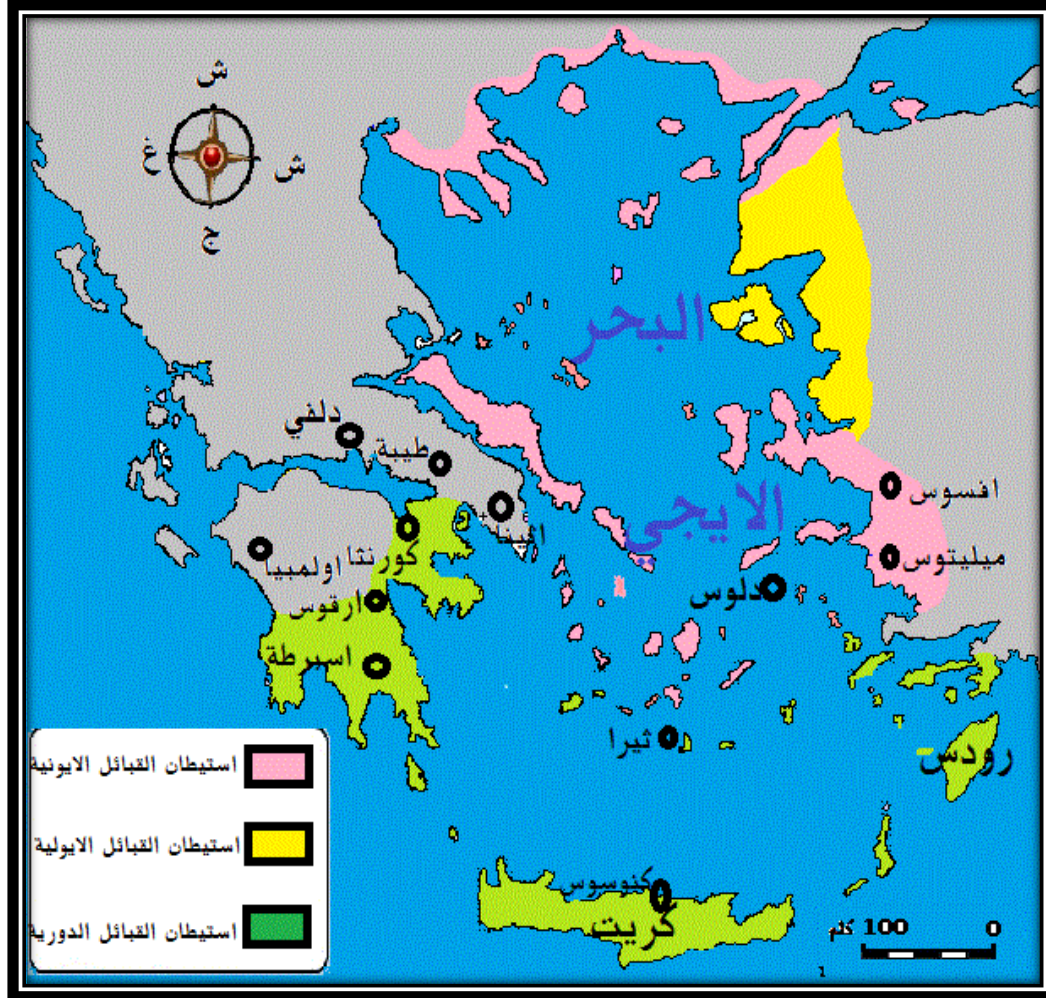
و مع مطلع القرن الحادى عشر ق.م وصلت إلى بلاد الإغريق موجات جديدة من الهجرات وهم الدوريون (Dorians) الذين كانوا ينحدرون من قبائل هندوأوروبية و جلبوا معهم الحديد، و بالتالى انتهى عصر البرونز و بدأ عصر الحديد، حيث هاجر هؤلاء إلى جنوب غرب ساحل

1 : Maurice Groiset, Op Cit, P 11.

* - كان قدماء الإغريق يتألفون من قبائل تتفق في أصولها و تجمعها صفات مشتركة كثيرة ، و لكن تختلف مع ذلك بعضها عن بعض اختلافا غير يسير في التقاليد و النظم الاجتماعية و كثيرا من شؤون الحياة ، و لقد ظهر هذا الاختلاف بين مجموعتين كانتا من أبرز مجموعات القبائل الإغريقية و أعظمها أثرا في التاريخ ، و كانت نظم كلتاهما مثالا يحتذى به في عدد كبير من القبائل و المدن الإغريقية الأخرى ، حتى كانتا تمثلان إلى حد كبير معظم الشعب الإغريقي . أحدهما مجموعة القبائل الدورية التي كانت تسكن منطقة لاقونيا (Lacinie) في شبه جزيرة البيلوبونيز ، و لقد اشتهرت بلادهم باسم عاصمتهم إسبارطة (Sparte) أو لاسيديمونيا (Lacédémonie) كما اشتهروا باسم الإسبارطيين ، و ثانيهما قبائل الأكثيين (Actéens) التي كانت تسكن منطقة إتيكا و اشتهرت باسم عاصمتها أثينا (Athens) و اشتهروا بالآثينيين ، و لقد كانت إسبارطة في معظم ادوار تاريخها خاضعة للنظم التي سنّها مشرعها ليكورغوس (Lycurgos) في القرن التاسع قبل الميلاد ، كما كانت أثينا خاضعة طول مرحلة تاريخها لمشرعها صولون (Solon) (460-588 ق.م) .

أنظر : علي عبد الواحد وافي ، الأدب اليوناني القديم ، دار المعارف - مصر ، ص ص 7-8 .

آسيا الصغرى و جزيرة رودس و كريت¹. (و الخريطة المرفقة رقم 07 تمثل اهم مناطق استيطان القبائل الاغريقية المهاجرة عبر التاريخ).



خريطة (7) تمثل اهم مناطق استيطان القبائل الاغريقية المهاجرة

2.3 دور الهجرة في تكوين الشخصية الإغريقية :

لقد نتج عن ذلك أن اجتمعت مجموعات من المؤهلات كونت شخصية المجتمع الإغريقي القديم و من جملتها:

1 - عاصم أحمد حسين : المرجع السابق ، ص 58-59 .

- تنوع استعداداته ونبوغه في مختلف مجالات الحياة، حيث رغم إمكانياته المتواضعة طور مختلف أساليب الزراعة و الصناعة و التجارة، و كذلك مختلف المعارف العلمية و التربية البدنية و مختلف الفنون العسكرية، و طرقوا مختلف جوانب التفكير الفلسفي .
- تميز المجتمع الإغريقي القديم بعمق التفكير و الدقة، وعدم القناعة بالفهم السطحي للأمور، حيث بفضل هذه الخاصية تمكنوا من الاستدلال العقلي والتحليل المنطقي لمختلف الظواهر السياسية، الاجتماعية، الفكرية و الفلسفية المحيطة.
- وضوح تفكيره و نفوره من التعقيد و الخيال و الإبهام رغم ما تميز به الطابع الأسطوري الذي مجدوا فيه قوى الطبيعة و مظاهر الكون.
- الميل إلى التحرر من القيود و النفور من كل ما يحد الاستقلال الفردي، و حرية التفكير، ففي المسرح مثلا كان موضوعا واحدا يتناوله العديد من الشعراء في أزمنة مختلفة لكن نادرا ما نجد شاعرا واحدا ينقاد انقيادا تاما إلى آراء سلفه، و ترتبط أهم المؤثرات في العقلية الإغريقية، و أهم الأمور الموجهة لتفكيرهم، و آدابهم ارتباطا وثيقا بعاملين أساسيين أحدهما روحي يتصل بعقائدهم و ثانيهما مادي يتصل بنظمهم الإقتصادية¹ و التعاملات التجارية .
- تعدد الطبقات أو التركيبية السكانية، و لكل منها خبرات جديدة تضاف إلى خبرة سكان البلاد الأصليين (البلاسجيس) و إلى تراث حضارة بلاد الإغريق التي تأثرت هي الأخرى بحضارات الشرق القديم.

- تسارع حركة الهجرة نسبيا مع ما تركته من مخلفات عقلية خاصة*

1 - علي عبد الواحد وافي : المرجع السابق ، ص ص 09-10 .

* : حول الموضوع و علاقة الهجرات الإغريقية بالتطور التاريخي . انظر جورج سارتون، المرجع السابق، ص ص 271 - 272 .

و انظر أيضا

Robert Falaceliere, Op Cit, Pp 1.2 .

- كانت اغلب العوامل المؤدية إلى حركة الهجرة هي الظروف الطبيعية و السياسية، منها الجفاف و الحروب. و مهما يكن فإن حركة الهجرة وسعت الإمتداد المكاني للحضارة الإغريقية من غرب آسيا و أوروبا و سواحل البحر المتوسط¹. و بالتالي يتضح مما سبق الطابع العام لتركيبية المجتمع الإغريقي ساهمت ظروف تاريخية و جغرافية في تكوينه، و أثرت بالتالي على طريقة تفكيره لتظهر أولى بوادر الفكر و الفلسفة على السواحل الغربية لآسيا الصغرى.

3.3 دور الانتقال إلى مرحلة التكوين الحضاري :

يذهب العديد من المؤرخين إلى الاعتقاد أن التاريخ الفعلي لأي حضارة لا يبدأ إلا بعد قيام المدن، و ما يترتب عنه من تعقيد في أمور الحياة، و التحول من مجتمع صغير تحكمه التقاليد القبلية، إلى مجتمع كبير تحكمه أنظمة سياسية تنظم حياة البشر، الذين يقومون بخدمة هذا المجتمع لتكريس أسس الثقافة و الحضارة و نشرها في مناطق متفرقة من العالم.

و الحقيقة أن الدول لم تخرج إلى الوجود إلا بعد فرض الوحدة السياسية على المجتمعات² و بلاد الإغريق بين القرنين الثاني عشر و السادس قبل الميلاد اجتازت مرحلة الانتقال، التي كانت في بعض الأحيان غير واضحة المعالم، إلا أن من بين أهم خصائصها هو تمركز القبائل المختلفة في شبه جزيرة البيلوبونيز و كذلك المستعمرات، و انتقلت تدريجيا من طور البداوة إلى الحياة الحضرية، و لا شك أن أهم الحوادث في هذه المرحلة، هو هجرة عدد كبير من السكان إلى مناطق مختلفة من البحر الأبيض المتوسط، و تأسيس مستعمرات قد شكلت جزءا من العالم الإغريقي، و التواصل بالأمم القديمة بما فيها الشرقية منها.

1 : عزت القرمي، المرجع السابق، ص 7 .

2 - مفيد رائق العابد ، المرجع السابق ، ص ص 42 - 43 .

كما تميزت المدن الإغريقية القديمة* التي أصبحت تشكل وحدة سياسية واقتصادية وعسكرية تتمركز حول معبد الآلهة و أبطالها المقدسين، وكانت الواحدة من هذه المدن أو مجموعة صغيرة منها تؤلف دولة مستقلة، مكونة من قلعة حصينة و ساحة كبيرة للإجتماعات العامة و الأسواق التجارية، وكانت المدن عادة قريبة من ساحل البحر ما يمكن من إقامة مرفأ تابع لها تتصل بواسطته بالعالم الخارجي، و لقد أدى هذا الانتقال إلى تغييرات في جميع جوانب الحياة لدى المجتمع الإغريقي، و سنتطرق لاحقا إلى دور المدينة في التكوين السياسي للمجتمع الإغريقي، و مدى تأثيره على تطور الحضارة.

4.3 أيونيا المهده الآسيوي للحضارة الإغريقية

1.4.3. عوامل التطور الحضاري في آسيا الصغرى :

يرى بعض المفكرين أن الإغريق الذين هاجروا إلى سواحل آسيا الصغرى - خاصة منهم العنصر الأيوني - سبقوا الإغريق في بلادهم الأم في بعث الحضارة، و تطوير المدينة. و استند هؤلاء إلى جملة من الأدلة و الحجج أهمها :

- إن الإغريق المهاجرين إلى آسيا الصغرى¹ لم يعرفوا التوقف الحضاري، كما حدث بالنسبة لإغريق البلد الأم عندما تعرضوا للغزوات، منها الهجرة الدورية، حيث ناضلوا لأجيال ضد الفوضى و الاضطرابات التي أدخلت المنطقة في مرحلة الللاستقرار .
- إن إغريق آسيا الصغرى كانوا على اتصال دائم بحضارات منطقة الشرق، و أخذوا عنهم الكثير من الجوانب الحضارية التي اقتدوا بها في حضارتهم .

* - أبرزت التنقيبات الأثرية أن ميكناي مثلا كانت أكبر المدن في العهد الآخي ، و لكنه في حقيقة الأمر لم تكن سوى مجموعة قرى انضمت بعضها إلى بعض . و عرفت فترة ما بين القرنين الثاني عشر و السادس قبل الميلاد تكوين أهم المدن الإغريقية . انظر :

محمد كامل عياد ، المرجع السابق ، ص 119 .

: Maurice Groiset, Op Cit, Pp 38.39. 1

- لقد كان جيرانهم من حضارات الشرق القديم يمارس عليهم ضغطا منه ما كان عسكريا، كالمدينين و هو ما استلزم و فرض عليهم تطوير أساليبهم الدفاعية، و فرض تطوير مدينتهم من جميع الجوانب.¹

لقد صاحب حركة الهجرة الدورية حركات معاكسة من بلاد الإغريق القارية إلى سواحل آسيا الصغرى. و من المحتمل أن الهرم السكاني الذي ساهمت في تكوينه هذه الهجرات ، أدى إلى توازن الوضع الأمني و الحالة الاقتصادية و الاجتماعية الناتجة عن الاكتظاظ السكاني الذي عرفته منطقة إتيكا. فهاجر بعض السكان بحثا عن الأمن و الرزق.

و ربما ساعد ذلك التشابه في التكوين الجغرافي بين سواحل آسيا الصغرى و بلاد الإغريق من حيث كثرة الخلجان التي تعد منفذ للشعوب المقيمة على البحار. فضلا عن تشابه التركيبة التضاريسية للمنطقة، و المتمثلة في كثرة الجبال و الأنهار، و وفرة الأمطار التي ساعدت على تكوين قناعة لدى المهاجرين بصواب فكرة التوجه إلى هذه المنطقة أكثر من غيرها من مناطق البحر الأبيض المتوسط.²

لقد استوطن الأيوليون في المنطقة الشمالية من سواحل آسيا الصغرى، خاصة جزيرة ليسبوس و سهل طروادة. و أقاموا مستوطنات حول بعض المدن القديمة، كما أسسوا مدنا حديثة أشهرها مدينة (ماجنيزية). و أطلقوا على المدن التي أقاموا فيها اسم أيوليس (Aeolis) في حين استوطن المهاجرون الآخرون الأتيكيون و بعض التساليون و الأيونيون المنطقة الجنوبية من آسيا الصغرى.³ و أسسوا مستوطنات لهم أصبحت أهمها مدينة (ميليتوس) و أطلقوا على هذه المدينة اسم أيونيا.

1 : عبد العزيز جندي ، المرجع السابق ، ص ص 278 – 279 .

2 : رائف العابد ، المرجع السابق ، ص 40 .

: Cyril Morama et Eric Oudin , découvrir la philosophie antique , Eyrolles , 11 3

والحقيقة انه يصعب وضع حدود إقليمية واضحة بين أيونيا و أيوليا. و من دلائل ذلك مستوطنة (فوكاية - Phokaea) التي تقع في المنطقة الجغرافية الأيولية و ينسب سكانها إلى قبائل أيولية ، و لكنها تقع تحت النفوذ الأيوني. و الحالة مشابحة لجزيرة خيوس¹

وعموما فلقد سيطر النفوذ الأيوني حتى على منطقة أيوليا لتصبح المنطقة الأيونية تشمل كل الساحل الغربي لآسيا الصغرى، و لم تقتصر ظاهرة سيطرة النفوذ على تعميم التسمية، بل ساعدت على التكوين القومي للمنطقة، و ذلك بتحقيق الوحدة، و إقامة الروابط الدينية.*

2.4.3. تأسيس أيونيا :

استقر الأيونين في آسيا الصغرى، و لا يمكن تحديد تاريخ استقرارهم بدقة، و المحتمل أن أثينا قامت بدور هام في تنظيم الهجرة إليها من بلاد الإغريق الشمالية و الشرقية و الوسطى، و حتى الجنوبية. و أمام تصاعد الغزوات الدورية، و أمام قلة موارد إقليم إتيكا، حيث أرسل الأثينيون هذه الزيادة السكانية إلى أيونيا. و تذكر الأساطير عن أسرة نيلوس (Neleus) التي تم طردها من بيلوس بإقليم ميسينا على يد الغزاة إلى أثينا، أن ميلانتوس زعيم هذه الأسرة إعتلى عرش أثينا. حيث قام ابنه كوردوس بالتضحية بحياته لإنقاذ أثينا من الهجوم الدوري.

وقد نشب صراع على خلافته بين ثلاثة من أبنائه و حلفاءه في الحكم. حيث كان النجاح حليف ابنه ميدون. بينما نجد أن آخرون (أندروكلوس و نيلوس) قد قادا مجموعات مختلفة من المهاجرين إلى منطقة آسيا الصغرى. أين نجح أندروكلوس في تأسيس أفنوس. في حين نجد أن نيلوس نجح في تأسيس مدينة ميليتوس.*

1 : عبد العزيز جندي ، المرجع السابق ، ص 146 .

* : كانت لهذه الروابط اتجاهات اقتصادية ساعدت على تطور التجارة، و بالتالي إقامة مستعمرات جديدة على شواطئ البحر الأسود، و هو ما ساعد على انبثاق الشعاع الحضاري الذي كانت المنطقة سبابة لظهوره.

انظر : رائق العابد ، المرجع السابق ، ص 41 .

* : كانت هذه الهجرة عسكرية، لأنهم لم يصبطحوا معهم النساء ، فاضطروا للتزاوج بالآسيويات بعد استقرارهم في المنطقة.

وبحلول القرن التاسع عشر قبل الميلاد تأسست اثنتي عشرة مدينة من المدن الأيونية وهي: ميليتوس، ميوس (Myos)، أفنوس، كلوفوس، ليبيدوس (Lebedos)، تيوس (Teos)، كلاتزومينا (Clazommenae)، فوفيا (phoea)، إريتري (Erythrae)، وخيوس¹ و لقد كان هناك مركز ديني مشترك لتكريم الآلهة بوسيدون، هيليمونيوس (Heliconios) في بانيونيوس (Panionios) الواقعة في نتوء جبل ميكالي (Mycale).

ولم يرد من الأخبار إلا القليل من الفترة المبكرة لهذا الحلف، لكنه قد ساعد على إعطاء الشعور بالوحدة بين الأيونيين الذين كانوا مختلفين في الجذور. كما أن هناك عامل آخر ساعد على نمو الشعور بالوحدة وهو الاحتفال بالعيد المعروف بالأباتوريا (Apaturia). و بمرور الزمن أصبح الاحتفال بهذا العيد علامة على إلتواء الفرع الأيوني للإغريق، إلا أن عضوية افسوس وكلوفون استثنيتا من الحلف لأسباب غير معروفة.²

3.4.3. دور الموقع الجغرافي في نمو المدن الأيونية .

احتلت أيونيا موقعا هاما كونها قامت على مصب الأنهار، و ملتقى الطرق التجارية المنفتحة على البحر الأسود و بلاد ما بين النهرين. كما ارتبطت بسواحل بحر إيجه. و تعد ميليتوس - وهي إحدى المدن الأيونية - أغنى مدينة في العالم الإغريقي إلى غاية القرن السادس قبل الميلاد. بسبب الموقع الجغرافي الممتاز³. و نزامن ذلك مع تنامي الطبقة الارستقراطية، التي ساهمت في تطوير ثروة المدينة حوالي القرن السادس قبل الميلاد. حيث تأسست معامل النسيج التي تنتج اكبر عدد من

انظر عبد العزيز جندي ، المرجع السابق ، ص 146 .

1 المرجع نفسه ، ص 147 .

2 : عبد العزيز جندي ، المرجع السابق ، ص 147 .

: Maurice Groiset, Op Cit, P 43.3

المنتجات الصوفية، كما اهتم سكان المنطقة بتطوير صناعة السفن، و ساعد ذلك على تطوير التجارة، و دفعهم إلى إقامة مستوطنات على شواطئ البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود.*

كما ساهم تراكم الأموال في أيدي تجار المدينة في إقامة المشاريع مقابل فوائد معينة، و منه ظهرت المصارف التي لعبت دورا أساسيا في الحياة الاقتصادية. و لم تكن المدينة ملتقى الطرق التجارية فحسب، بل ملتقى الأفكار و العادات و التقاليد المتنوعة. و هو ما ساعد على يقظة العقل الإغريقي نتيجة تصادم هذه الأفكار.¹

وساعد غياب سكانهم المطول عن بيوتهم بسبب النشاط التجاري على التحرر من التقاليد الموروثة. حيث كانوا يبحرون عبر البلدان، كليديا التي كانت أول منطقة تصك فيها العملة الذهبية، حوالي القرن السادس قبل الميلاد.

و لم يكن للإغريق كتاب مقدس يضبط ممارساتهم الدينية ، إلا أشعار هوميروس التي اعتبرت إنجيل الإغريق، حتى هي لم تكن خلال هذه الفترة قد دُونت بشكل نهائي. أي أن الفكر البشري قد تحرر من العقائد الدينية و اندفع إلى إيجاد حلول عقلية منطقية لمشاكل العالم و البشر. لكن لم يكن العقل ليبرز لولا ظهور مؤثرات أخرى منبعثة من مناطق العالم القديم المجاورة.²

4.4.3. أثر البيئة الأيونية في بروز العلم و الفلسفة :

لم تكن التغيرات الجغرافية و الاقتصادية كافية لمولد الفلسفة و العلم الإغريقي في أيونيا. لأن البيئة على جانبي بحر إيجة متشابهة بكثير. حتى أن التركيبة البشرية لم تكن كذلك مُبررا. لأن هذا

* : بلغ عدد هذه المستعمرات الثمانون. كان ستون منها على شواطئ بحر مرمرة و البحر الأسود، و أشهرها (سيتوس).

انظر محمد كامل عياد، المرجع السابق ، ص 141 .

1 : المرجع نفسه ، ص 142 .

2 : محمد كامل عياد ، المرجع السابق ، ص 143 .

الخليط البشري عاش في مناطق مختلفة من ذلك الإقليم، بل ساهمت عوامل أخرى و في هذا الصدد يقدم الأستاذ جورج سارتون في كتابه (تاريخ العلم) تفسيرين آخرين في هذا الصدد.

وأولهما أن المستعمرين الأيونيين الأوائل كانوا جماعة ممتازة من الناس يعيشون في بيئة سياسية جديدة من صنع أيديهم إلى حد كبير، أي أن البيئة تطابق ميولهم حيث اتصفوا بالشجاعة، و سعة الحيلة، و المبادرة، و الحرية النسبية من القيود، و كانت المدينة بالتالي أرضية مناسبة لذلك.¹

أما التفسير الثاني هو أن الشاطئ الغربي للأناضول كان إقليما مناسباً لامتزاج الأفكار و الثقافات، و الحوافز الناشئة، و بالتالي لم يشغل هؤلاء تفكيرهم بالمسائل التي سبق طرحها، لأنه تم الإجابة عليها، بل اشتغلوا بمسائل جديدة في الوقت الذي ارتبطت فيه الموانئ الأيونية، بالطرق البرية و البحرية لمنطقة غرب آسيا و الشرق الأدنى. و لم يكن ذلك بعسير عن الأيونيين الذين سبق لهم و أن برزوا في أدب الملاحم ليرزوا فيما بعد بظهور الفلسفة الطبيعية.²

ومجمل القول أن أيونيا كانت مركزاً هاماً للمواصلات بين الشرق و الغرب. و أن السكان وجدوا عوامل ممتازة ساعدت على ازدهارهم المادي، و كذلك الفكري، حيث تأثرت بالمؤثرات الشرقية، و استطاعت التوفيق بين التقاليد القديمة و المغامرة الجديدة، حيث تجددت التقاليد الإيجابية بفضل المتغيرات الوافدة من وراء البحار بالحريات و التطلعات الجديدة.³

4. العامل السياسي

يمكن تلخيص العوامل السياسية في جملة من الظروف التي أحاطت بفترة نضج الفكر الإغريقي مع بداية القرن السادس قبل الميلاد. و هذه العوامل ذات الطابع السياسي منها ما كانت خارجية و منها ما كانت داخلية.

1 : جورج سارتون ، المرجع السابق ، ص 349 .

2 : جورج سارتون ، المرجع السابق ، ص 350 .

3 : المرجع نفسه ، ص 353 .

1.4 العوامل الخارجية :

عرف العالم القديم خلال منتصف الألف الأول قبل الميلاد تطورات هامة أدت إلى تغيير موازين القوى في العلاقات السياسية بين الشعوب آنذاك. هذا التغير الذي أدى إلى تراجع قوى قديمة، و بروز قوى جديدة على مسرح الأحداث السياسية. و من جملة المعطيات:

- تراجع قوة البابليين و المصريين أمام تنامي قوة الإمبراطورية الفارسية، حيث سيطروا على بابل حوالي 539 ق.م، كما استولى (قمينز) على مصر حوالي 525 ق.م .
- استمرار التوسعات الفارسية في المنطقة و دخولهم في صراع مع قوى أخرى كالقرطاجيين الذين دخلوا في حروب ، خاصة مع الإغريق الذين هزمهم سنة 480 ق.م .
- الصراع الفارسي الإغريقي - خاصة حول المدن الأيونية - الذي انتهى بهزيمة الفرس وطردهم من المنطقة قرب (بلاتيا) حيث مني الفرس بهزيمة نكراء بسبب تحالف أثينا بقيادة (أرستيديس) و اسبارطة بقيادة (بوزينياس)، وكان ذلك عام 479 ق.م¹. وهزيمتهم في معركة سلاميس وما نتج عنه من تراجع للخطر الفارسي وبالمقابل تنامي قوة الإغريق. والخريطة المرفقة رقم 07 تبين الأوضاع الجيوسياسية إبان الحروب الميدية الإغريقية.
- بروز مكانة المدن الإغريقية خاصة أثينا ، التي تفاخرت بتحقيقها لهذه الانتصارات و الرغبة في بسط السيطرة على باقي المدن الإغريقية، و كان حلف ديلوس أبرز مظهر له. حيث ساهمت مداخل هذا الحلف في تطور أثينا في جميع المجالات، و هو ما اثر خاصة على الجانب السياسي و الفكري .

و منه نستنتج أن فترة منتصف الألف الأولى قبل الميلاد شهدت زحما من الأحداث التاريخية ذات الطابع السياسي العسكري أفرزت معطيات جديدة أزاحت بعض القوى التي دخلت مرحلة

1 : فوزي مكاوي، المرجع السابق، ص 144 .

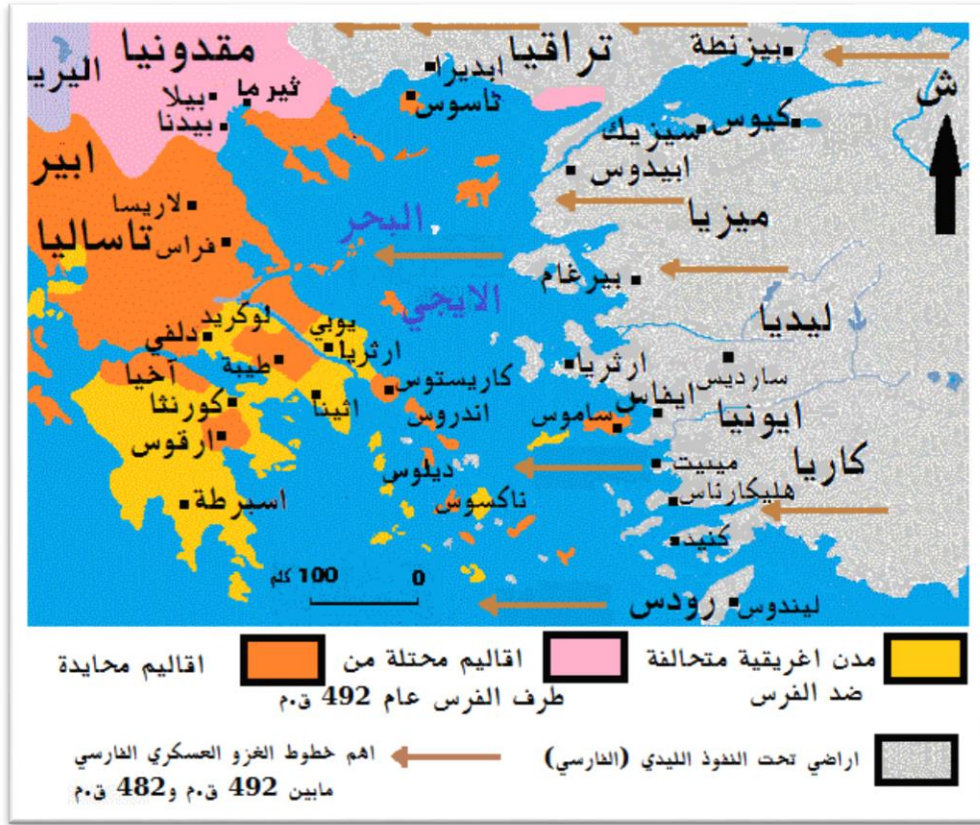
التراجع، لتبرز محلها قوى جديدة سيطرت على مسرح الأحداث، فاستفادت بالتالي المدن الإغريقية - منها أثينا - من هذه المعطيات لتظهر كقوة سياسية و فكرية.

2.4 العوامل الداخلية :

و تلخصت في تنامي قوة المدن الإغريقية، حيث أتاحت المدن الإغريقية للأفراد كيفية الإندماج*، فضلا على أنها أدخلته في نمط منظم**. في بداية الأمر كانت قضايا المصلحة العامة تابعة للملك الذي كان يقرر بشأنها، لكن ظهور المدن حوالي القرنين الثامن و السابع قبل الميلاد، حوّل شؤون الحكم إلى إطار آخر، أصبحت فيه الخطابة و المناقشات مجالا للحكم و السياسة، ذلك ما أدى إلى غلى نمو علاقة وطيدة بين الخطابة و السياسة. فالخطابة تبرز فعاليتها عبر السياسة و ممارسة الخطابة و السفسطة و المناقشات الحادة التي فتحت الطريق أمام قوة التحليل و كيفية صياغة الخطب، الذي يعد أداة للفوز في صراعات المجالس العامة و المحاكم. والخريطة المرفقة تشير الى الوضع الجيوسياسي خلال الحروب الميدية

* : لقد توقفت حركة التوسع الهيليني قبل القرن السادس قبل الميلاد، بسبب انقلاب موازين القوى في العلاقات الدولية آنذاك، من إحكام الفينيقيين في سيطرتهم على التجارة، التي وصلت إلى غاية الهند، و هو ما هدد مصالح الإغريق. كما تم تأسيس قرطاجنة عام 853 ق.م ، التي شكلت مركز قوة في منطقة شمال إفريقيا، و ما قابله من تطور قوة الأتروسك الذين تحالفوا معهم في بادئ الأمر ضد الإغريق.

انظر : أرلند تويني ، تاريخ الحضارة الهلينية، ترجمة رمزي جرجس، مكتبة الأسرة، ص 118 .
**يقول أرلند تويني في ذات الصدد أن الفرد كان يمارس عبادة المدينة التي لم يكن ينظر لها كمرفق عام، فكانت المدن مؤهلة عندهم. انظر : المرجع نفسه ، ص 87 .



خريطة (8) تمثل الاوضاع الجيوسياسية ابان الحروب الميدية الاغريقية.

و على صعيد آخر لازم ذلك تطور فن الكتابة المقتبس من الفينيقيين و الذي سهل عملية تدوين القوانين، لأن التدوين يضمن الديمومة و الثبات، و القانون يحمي الأفراد من تعسف السلطة بحكم أنه قاعدة عامة ، يمكن تطبيقه على الجميع بنفس الطريقة، فهو مقدس، و أعلى و فوق الجميع.

و تزامن هذا كله مع ظهور طبقة الفلاسفة الذين أثروا في تطور المدينة الإغريقية خاصة أثينا، كما عرفت الفترة مشاركة جميع المواطنين في ممارسة السلطة، و هو ما أدى إلى تطور النظام الديمقراطي مع حلول القرن الأول قبل الميلاد، و كان هذا مع تراجع مكانة العسكريين حيث أصبحت وضعية الجندي تتساوى مع وضعية المواطن العادي، و من يثبت كفاءته في الجانب السياسي يستطيع أن

يحتل مكانة عسكرية*.

و في مدينة الدولة الإغريقية خاصة أثينا يوجد المواطنون الأحرار إلى جانب العبيد. حيث كان العبيد يقومون بكل المهام الشاقة في الوقت الذي تفرغ الأحرار فيه للفكر و العلم. كما أن نظام مدينة الدولة يولد استقلالية الفرد عن الآخر ، عكس نظام الحكومات المركزية الذي تكون فيه التبعية التامة و الخضوع للدولة و سيطرتها، فنظام مدينة الدولة يولد حرية ممارسة التفكير و الجدل و المناقشة، و كل ذلك تطور، و نما في ظل النظام الديمقراطي الذي فرض احترام الحريات ليكون بالتالي المنبت الصالح للتفكير الحر و الفلسفي¹.

فالنظام الديمقراطي أدى إلى حرية التعبير، و هذه الحرية هي عنصر جوهري إلى درجة أن الإغريق ضمن رزنامة قوانينهم لم يسنوا قانونا يعاقب على التشهير أو القذف، و من ثم تميزت مناقشاتهم بالصراحة والإفراط في الجدل، فلقد أطلقت الحريات العامة إلى درجة أنها تمس بالشخصيات العامة بالتجريح و التحقير و السخرية، كأرسطوفانيس الذي كان يسخر علنا من سقراط. فقد تميز الإغريق إذن بكونه مجتمعا نمت فيه الحريات نتيجة الإفراط في الثقة بالذات، و تميزوا بها حتى خلال الحروب. غير ان تلك الحريات كانت محط نقد من طرف الفلاسفة و المفكرين، فالإفراط فيها حول فيما بعد النظام على فوضى أدت بمرور الزمن إلى أفول نجم هذه الحضارة².

لكن يجب أن ندقق في الأمور أكثر ، و علاقة الحرية بالسلطة و إلى أي مدى ساهمت السلطة في إطلاق العنان لتلك الحريات العامة. يُلاحظ أنه لا شك من أنه هناك ثمة مبالغة في تقدير الحرية

* : في مدينة إسبارطة لعب العامل العسكري الدور الحاسم، فبعد أن كانت هذه المدينة خلال القرن السابع قبل الميلاد مندرجة في الحركة العامة للحضارة، انطوت حول نفسها، و هو ما اتضح في طبيعة مؤسساتها التي كرسَتْ بأكملها للحرب، و بقيت بالتالي خارج التيارات الفكرية الكبرى، و هو ما جعل فرنان يقول أن الفلسفة و العلم الإغريقين لا يدينان بشيء لهذه المدينة. أنظر : جون بيار فرنان، المرجع السابق، ص ص 52-53 .

1 : عزت القرني (أنا و الفلسفة) مجلة عالم الفكر، المرجع السابق، ص 35 .

2 : م. سباورا ، (التجربة اليونانية)، المرجع السابق، ص 122 .

التي ميزت الإغريق في ظل النظام الديمقراطي الذي أوجدته دولة المدينة، فهو ادعاء مشكوك في صحته، و لاسيما أن التاريخ يؤكد أن الفلاسفة الإغريق كانوا مواطنين غير مرغوب فيهم، فكانوا طيلة فترة بحوثهم ضحايا لاضطهاد شرس على يد السلطة الحاكمة في أثينا¹.

3.4 السلطة السياسية لدولة المدينة بين تشجيع الحرية الفكرية و اضطهاد المفكرين والفلاسفة:

لقد كانت الأمة الإغريقية تضم مجموعة كبيرة من الشعوب المتباينة المختلفة من حيث العادات و التقاليد ومن حيث التركيبة الاجتماعية. بين المحافظ والمجدد و المتأخر والمتقدم، والخرافي و المفكر، و من أيونيا حاول الفلاسفة البحث عن أصل العالم، لتصبح أثيناهم مدن الإغريق فيما بعد، و عرفت خلال مرحلة بركليس تطبيق الديمقراطية بمعنى الكلمة، و عرف على أنه صديق الفيلسوف (أناكساجوراس) الذي جاء به من أيونيا للتدريس في أثينا. حدث ذلك في وقت استغل فيه أعداء بركليس الفرصة لمهاجمته و صديقه الفيلسوف، و فرض عليه سن قانونا لمعاقبة الزندقة و الملحدين، و كل من يبتكر نظريات من عالم آخر. فكان من أسهل الأمور عليهم أن يشبثوا أن أناكساجوراس زنديق لأنه أقر بأن الآلهة ليس لها أجساد ، و أن الشمس التي عبدها الجمهور الآثيني ما هي إلا كتلة ملتهبة ، و نجا من الموت بفضل نفوذ صديقه بركليس ، ففرض عليه غرامة مالية ، و أرغم على مغادرة البلاد ليلجأ إلى (مباكوس).

أما سقراط فكان من أهم معلمي الإغريق ، فكان يعلم الشباب دون مقابل*. لكن ورغم

1 : محمود محمد علي، المرجع السابق، ص 59 .

* خلال منتصف القرن الخامس قبل الميلاد حلت المسرحيات محل الصحافة المعروفة اليوم بالترويج لحمالات مختلفة الأغراض، حيث كانت المسرحيات تسخر من الفلاسفة و السوفسطائيين، و الإدعاء أن مذهبهم خطيرة و عقيمة، حيث وصفت مسرحية السحاب لأرسطو فأنشد أن سقراط أكبر مهدم و ملحد، و أفسد عقول الشباب الآثيني. انظر :

ج. بيروري، حرية الفكر، ترجمة عبد العزيز إسحاق، العدد 1712، المركز القومي للترجمة، مصر 2010، ص 35 .

ذلك أعدم سقراط لأن طريقة تفكيره لا تتفق مع الديمقراطية السياسية الآثينية، فهو دعا إلى ضرورة الحد من سلطان الديمقراطية المطلق.

و تجدر الإشارة إلى أن أرسطو هو الآخر أكره على مغادرة أثينا بعد قرابة سبعين عاما من موت سقراط إثر اتهامه بالزندقة من طرف المحكمة، و هو ما يؤكد أن اضطهاد الفكر لم تكن له حدود جغرافية أو تاريخية ، حتى في أثينا التي كانت قلعة و رمزا للديمقراطية و حرية الفكر، تعرض فيها الفلاسفة إلى مضايقات تؤكد على أن التركيز على قوة العامل السياسي و دور المدينة الدولة في تطور الفكر الإغريقي لم يكن بنفس الدرجة التي ركز عليها دعاة المعجزة الإغريقية، وعلاقتها بالعامل السياسي، فسياسة أثينا الديمقراطية حالت دون رغبة العديد¹ من المفكرين

والفلاسفة ، حتى أن أفلاطون في حد ذاته قد بيع في سوق النخاسة*، و قبل هؤلاء سبق فيثاغورس الذي طرده السلطات و أبعده من كروتون إلى إيطاليا.

و منه يمكن القول أن الديمقراطية الآثينية بقدر ما فتحت الباب على مصراعيه أمام حرية الفكر و المناقشة ، بقدر ما وقفت في طريق أكبر الفلاسفة و المفكرين ، ليس في أثينا فحسب، بل في العالم القديم ككل. و ما كان يحدث في مدينة إلا تطورات شملت تناقضات مختلفة أكدت أن النظام السياسي الآثيني كانت له نجاحاته كما كانت له إخفاقاته.

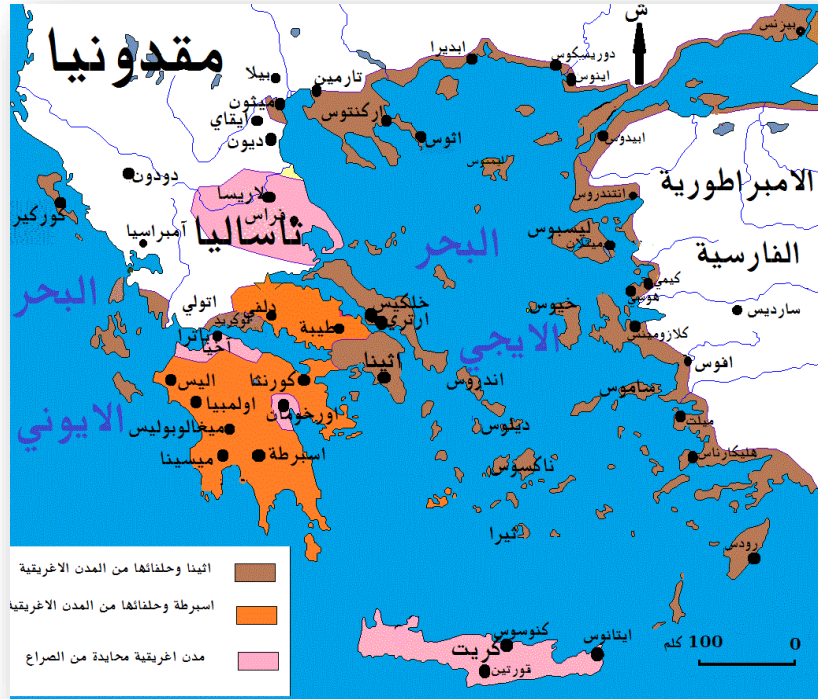
فبلاد الإغريق منذ أيام طاليس إلى أيام أرسطو عرفت مراحل من التفكك الداخلي واضطرابات سياسية انعكست عليها تلك الحروب التي فرضها عليهم عدوهم القادم من الشرق، و هم الفرس. و رغم تحقيق النصر عليهم، إلا أن اللاإستقرار السياسي كان أهم ميزة في تاريخ المنطقة

1 : المرجع نفسه، ص ص 37- 38 .

* : وضع أفلاطون في أواخر حياته مشروعا لدولة مثالية بدين يختلف عن الدين الحالي، يكون قادر على ضبط السلوك البشري وفق قواعد خلقية.

أنظر : المرجع نفسه ، ص 38 .

التي دخلت في حروب داخلية بين أثينا و اسبارطة عرفت بحروب البيلوبونيسيز. فما إن دخلت المنطقة في طور الوحدة السياسية على يد فيليبالمقدوني، ثم ابنه الإسكندر، حتى اضمحلت و تدهورت الحضارة الهيلينية، و معها الفلسفة بعد موت أرسطو، لتدخل في مرحلة أخرى عرفت بالمرحلة الهيلينية. و الخريطة (9) تمثل التحالفات العسكرية الاغريقية خلال الحرب البيلوبونيسية (431 ق.م/404 ق.م) كدليل على الإنقسام الداخلي



خريطة (9) تمثل التحالفات العسكرية الاغريقية خلال الحرب البيلوبونيسية (431 ق.م/404 ق.م)

5. العوامل الاجتماعية و الشخصية:

لقد نتج عن تلك التحولات السياسية التي عرفها المجتمع الإغريقي، و الانتقال من مرحلة النظام الملكي إلى الديمقراطية عدة تطورات تمثلت في انهيار الألقاب و الرتب الاجتماعية، فضلا عن تراجع الملكية و تنامي الطبقة الأرستقراطية، التي مثلتها عائلات لها صلاحيات دينية و عرقية، فالمجتمع الإغريقي بني على تضارب مصالح بين مجموعات مختلفة ذات امتيازات و وظائف متناقضة، فبنت الدولة على عناصر متنافرة، و غالبا ما كانت (الأغورا—Agora) مركزا لهذه المجابهات، فبني

المجتمع أنه وفق قاعدة هيزيود (كل خصومة تفترض علاقة المساواة و المنافسة، لا يمكن أن تكون إلا بين الأنداد)¹ . و انتقل مركز القرار و المداولات من قصر الحاكم الى الساحة العامة، فأصبحت هذه الساحة هي المكان العام الذي تناقش فيه هذه القرارات، و المكان الذي تناقش فيه القضايا العامة²

و من العوامل الأخرى التي كانت مؤثرة على المجتمع الإغريقي هي ممارسة التجارة التي أدت إلى الاحتكاك مع الشعوب الأخرى الشرقية ، و بالتالي الإطلاع على روافد المعرفة. كما كان لانتشار الأساطير داخل المجتمع دور آخر في القدرة على الإطلاع على بعض الأفكار في مجالات جغرافية و فلكية.

و منه في عام 776 ق.م أقبل الإغريق على تنظيم ألعاب رياضية³ قرب جبل أولمب، كانت لها أبعاد إجتماعية و دينية، غير أن الإقدام على ممارسة هذه الألعاب ساعد في القدرة على الإطلاع على الجسم البشري، الذي غالبا ما يتعرض لإصابات مختلفة كالكسور و الإلتواء العضلي التي تفرض ضرورة البحث عن سبل العلاج و المداواة، فكان الطب إذن مجالا لذلك.⁴

- تراجع مكانة النظام الملكي ساهم في توجه المجتمع نحو التوازن، و هو ما ساعد على تنامي دور الفرد في المجتمع باعتباره عضوا مستقلا منفردا و متميزا بعد أن كان ينظر إليه في إطار الجماعة.

- تطور اللغة الإغريقية ، حيث أصبحت حرة و تجريدية أكثر⁵ ، و ساهم في تطويرها الأخذ من اللغات الأخرى، مع قوة الميل إلى الثثرة و بالتالي تطور فن الجدل.

1 . 6 – 25 , les travaux et les jours, Hésiode

2 : جان بيار فرنان، المرجع السابق، ص 39 .

3 . 274 , Op Cit, Commop

4 : م.سباورا ، (التجربة اليونانية) المرجع السابق، ص 248 .

5 . 172 , Op Cit, Commop

- وجود طبقة العبيد ساهم في تطور هذه المناقشات بسبب ساعات الفراغ* و في سياق آخر يذهب بعض مفكري الغرب إلى القول أن هناك عوامل موضوعية ساهمت في تطور الفكر الإغريقي خلال هذه المرحلة و تلخص فيما يلي:

- التحرر النسبي من ضغط العقائد الدينية و هو ما يندرج ضمن إطار العوامل الدينية، فلم تكن لطبقة الكهنة خلال القرن السادس قبل الميلاد سيطرة و نفوذ تجعل من المعبد مركز القرار. و لم تكن له القدرة على إسكات و إخراس الأصوات التي تتعارض و التقاليد الدينية الموجودة، حيث كانت السلطة السياسية هي التي تشرف على العبادات في الوقت الذي كان فيه الكهنة في خدمة الدولة ، و ذلك عكس ما حدث في حضارات الشرق.

و إذا عدنا لمناقشة تأثير الوضع الديني على تطور الفكر الإغريقي لوجدنا أن طبقة الكهنة لم تفرض سيطرتها على المجال المعرفي كما في مصر القديمة حيث كانوا يشرفون على التعليم بطريقة يحيط بها الكثير من السرية لكل لا تنتشر هذه المعارف بين أفراد العامة، و هو ما أدى إلى اندثار الكثير من علوم المصريين، حتى أن أوروبا في حد ذاتها لم تدخل عصر النهضة إلا بعد انتصار الفكر على سيطرة رجال الدين الذين حجروا و جمدوا الفكر الأوروبي خلال قرون من الزمن طيلة فترة العصور الوسطى ، فإذا كان هذا قد حدث خلال منتصف الألف الثاني بعد الميلاد حوالي القرن الخامس عشر ميلادي، فما بالك بالفكر الشرقي الذي سيطر عليه الكهنة لفترة ذات جذور ضاربة في القدم.

أما القول بتميز الجنس الإغريقي و بنقاء عرقه و سلالته، فلقد كان هو الآخر أساسا اعتمد عليه أنصار نظرية المعجزة الإغريقية، و لكن سنعود إلى هذه الفكرة في الفصول المقبلة بكثير من

* : تدل كلمة (Skhole) الإغريقية على الفراغ، الكلام، المنافسة، طلب المعرفة. و هي في اللغة الهندو أوروبية scol ، ecole ، وتعني المدرسة. و من ثم انبثق مصطلح التعليم .
انظر : عزت القرني (أثينا ...) ، المرجع السابق، ص 41 .

النقد والتحليل.

و ما نخلص إلى قوله من خلال هذا العرض أنه ثمة عوامل مختلفة المجالات ساهمت بطريقة موضوعية في تبلور الفكر و الفلسفة في بلاد الإغريق منذ القرن السادس قبل الميلاد، ومن خلال هذا العرض نستنتج أن الأرضية كانت مهياة لميلاد هذا الفكر، خصوصا و أن الحضارة الإغريقية لها أصول كريتية و ميسينية تسبق القرن السادس قبل الميلاد بحوالي ألف سنة، و لو أرجعنا بداية التاريخ الحضاري و التطور الفكري فقط إلى القرن السادس قبل الميلاد فإننا نلقي بإنجازات كريت و موكناي خارج نطاق التاريخ .

كما ساهمت عوامل أخرى طبيعية أدت إلى ازدهار الوضع الاقتصادي و ازدهار حركة التجارة، و هو ما نتج عنه الإحتكاك بالشعوب الشرقية و الاطلاع على معارفها. و لم تكن المدينة الإغريقية إلا صورة مبسطة لنشاط سياسي مر بتعاقب أدوار التاريخ بعدة مراحل من الحكم الملكي إلى الديمقراطي كانت لكل مرحلة مخلفاتها السلبية.

و مهما يكن فإن للحضارة و الفكر و الفلسفة الإغريقية بواكير محلية مختلفة العوامل ساهمت في تطويرها ، و لكن لم يكن هذا التطور يكفي لإفراز منتوجها الحضاري دون الإعتماد على العامل الخارجي المستمد من حضارات الشرق القديم التي سبقت زمنيا الحضارة الإغريقية.

الفصل الثالث: الأساطير والأدب والمسرح بين

الأصول الشرقية والإغريقية

- 1- الأساطير أولى بؤادر التأثير و التأثير .
- 2- الأدب
- 3- المسرح
- 4- اللغة الاغريقية بين الجذور السامية و المصرية

1. الأساطير أولى بؤادر التأثير والتأثر

تركزت الحضارات القديمة الشرقية منها والإغريقية تراثا ضخما من المعارف المتنوعة المجالات، ولفهم مضامينها علينا أولا أن ندرس الأسطورة التي تشكل إحدى ركائز الثقافة التاريخية القديمة، فلا يمكن أن نجد عملا أدبيا أو علميا أو فنيا يخلو منها، بل أكثر من ذلك أنها كانت المادة الأولية التي اعتمد عليها مؤرخو العصور القديمة كهيرودوت

ويجمع المؤرخون و الباحثون في مجال الدراسات التاريخية أن الأسطورة الإغريقية القديمة تمثل خلاصة تلاقي الثقافات الشرقية (المصرية و البابلية و الفينيقية) و الإغريقية خاصة ، بدليل أن العديد من أسماء الآلهة الإغريقية مأخوذة من التراث المصري و الفينيقي*

وما اختطاف أوربا الفينيقية من طرف الإله زيوس الإغريقي إلا افضل تجسيد أسطوري للقاء إغريقي- سامي كانت جزيرة كريت مسرحا له، فيمكن القول أن الأساطير البابلية و الإغريقية تكاد تتطابق في موضوعاتها خاصة بالنظر إلى الشخصيات البطولية ، فشخصية الإله زيوس تكاد تتطابق و شخصية الإله مردوخ البابلي لأن زيوس حسب الأسطورة الإغريقية واجه العديد من الصعاب وقتل جميع الذين اعترضوا طريقه ليجلس في النهاية على قمة جبل أولمب. أما في الأسطورة البابلية فإن الإله مردوخ جابه كل الفوضى التي أحاطت من حوله و أعاد الأمور إلى نصابها ليجلس في النهاية على العرش و ينظم شؤون الكون

و من الصعب الفصل بين الأسطورة و الملحمة القديمة رغم محاولة الدارسين القيام بذلك، لان عملية الفصل و التمييز لا يكون لها وجود في ذاكرة المبدع الذي كتب نص الملحمة و رغم

* : جسدت الأسطورة موضوعات إنسانية ولكنها ذات طابع عام، كموضوع خلق الكون و تربيته وتنظيمه ودور الآلهة فيه و الصراع بين الخير و الشر ، و هي في مجملها خارجة عن إطار التأثير البشري
أنظر :

Emile Burnouf , Op Cit, P 110 .

كون كليهما (الملحمة و الأسطورة) ميزتا بين صفات الإله و البشر، إلا أن الآلهة انفردت بصفة الخلود و اشتركت مع البشر في بعض الصفات¹

1.1 التراث الشرقي مصدر إلهام الفكر الديني الإغريقي و نقطة بداية الفلسفة .

استمدت الأساطير و الفلسفة الإغريقية الكثير من مضامينها من تراث الشرق القديم، خاصة تلك التي تعلقت بالتراث السومري، و البابلي و الكنعاني، و إذا كانت الفلسفة الإغريقية بدأت من مضامين أسطورية، فإنها أضفت عليها طابع العقلانية، و جاءت للتخفيف من دور الآلهة في عمليات التكوين الأساسية للعالم و الإنسان. كما أنها تدين بولادتها و تطورها لهذه الأساطير التي شكلت نقطة انطلاق الفلسفة.

و يركز الفكر الديني الشرقي على قضية التكوين و الخلق، و نظرة الانسان إلى خلق العالم و نفسه، و ركزت هذه المسلمة على الدور الاستثنائي و المميز للآلهة في عملية التكوين. وتفسر ذلك بأن الإنسان عجز ان يكون مصدر التكوين، و ان الآلهة هي التي تخلق و تمنح الحركة و السكون، و النظام و الديمومة، و بدون الآلهة يستحيل وجود الآلهة و الإنسان.

و تعد الحضارة السومرية مرجعية تاريخية، و حضارية، و فكرية فيما يتعلق بتفسير نظرة الإنسان إلى الحياة و العالم، و كذلك إيجاد الوسائل التي تعامل معها الإنسان في بداياته الأولى، و مهما يكن فدور الإنسان آنذاك، هو جملة من النشاطات التي تصدر عنه بوحى من الآلهة، و هذا ما ينطبق أيضا على الحضارة الإغريقية، التي قدمت أساطيرها كافة تصورات الإنسان، و علاقته بمجتمعه، حيث اعتبرت أساطير الخلق و التكوين السومرية و البابلية مصدر إلهام للفكر الديني الإغريقي، و الفلسفة الإغريقية منذ فجر ولادتها.

: Emile Burnouf , Op Cit, P 108 .1

و هذا لا يعني أن الدين و الأسطورة هما فقط مصدر التأثير ، وإنما أيضا مجمل البناء الحضاري الذي كانت الأسطورة احد أهم تعبيراته الفكرية. و رغم ان الأساطير الإغريقية أخذت من الشرقية، إلا أنها أضفت عليها الروح الإغريقية.¹

2.1 الديانة الإغريقية اقتباس خضع للتعديل.

لعب الدين أثرا واضحا في حضارة الإنسان منذ القدم، ذلك لأنه كان يعكس مستوى الجماعات البشرية الفكري، و لقد خضعت الديانة الإغريقية لعامل الاقتباس و التعديل، لأنه العنصر الأكثر حساسية، و الواقع يثبت انه كلما كانت متأخرة البروز بزمان مقارنة مع المعتقدات الأسبق، رافق التداخل و التعقيد الابتعاد عن الأصول الأولى.

و الحديث ينطبق عن الديانة الإغريقية التي كانت متأخرة بزمان مقارنة بديانات الشرق القديم، و هو ما يفرض عليها الخوض في عناصرها، و إيضاح مدى خضوعها للأفكار السابقة لها، كأسماء الآلهة و وظائفها، و علاقتها ببعضها و المجتمع. و ليس من السهل الخوض في هذا الموضوع بسبب تعقيده، و تعدد الآلهة و تشابه وظائفها، فقد كانت للأفكار و الجبال و الأودية، و السهول و الينابيع آلهة خاصة، كما كان للرياح وحدها عدد من الآلهة مثل (بورياس، نوتس، بوردس، يسدايوس)* و تميزت آلهة الإغريق بالتمرد، كزيوس و بوسيدون، و أبولو، و أريس، و هيرميس).

و ما يهمنا هنا، أنه رغم تعدد تسميات هذه الآلهة، و مواصفاتها و مقارنتها بمشيلاتها في حضارات الشرق القديم، نجد ان الشبه واضح بينها. و من هنا لا يمكننا القول أن آلهة الإغريق

1 : محمد الخطيب، الفكر الإغريقي، ط 1 ، دار علاء الدين، سوريا، 1999 ، ص ص 19 – 20 .

* : كانت آلهة العراق و مصر موطنها الأرض و السماء، أما في بلاد الإغريق فكانت الأرض موطنها لا السماء، ثم تأتي آلهة السماء كمرحلة ثابتة للآلهة الأرض، و السبب أن محيط الأرض أقرب لمدارك الإنسان، و عليه انتقالات الآلهة إلى السماء ما هو إلا مرحلة تيريرية، لما فشلت في تحقيقه قوى و طقوس آلهة الأرض، لأن الإنسان لاحظ وجود قوى أخرى غير أرضية في مصيره، الأمر الذي جعله يدخل الكواكب السيارة في مصيره، مدخل التأليه، ذلك لأن عناصر الأرض بقيت ثابتة فرد عناصر أخرى للسماء.

انظر ماجد عبد الله الشمس، الحضارة العربية و أثرها في إيران و اليونان، منشورات علاء الدين، ط 1 ، 2011 ، ص 74 .

أصيلة، و ليس فيها العنصر الدخيل، و لكن لو تمعنا لوجدنا أن آلهة الأرض الإغريقية ذات أصول عراقية، مثل الآلهة (كي) أو (جي) في البداية، و هي آلهة الأرض الإغريقية، و كلمة (جي) أو (كي) باللغة السومرية هي الأرض.¹

و على الرغم من تعدد آلهة الإغريق، إلا ان أضخم مجموعة من هذه المعبودات، كانت تلك المعروفة بالآلهة الأثني عشر، و الذين كانوا يُعبدون في معظم الأحيان، و مهما كان، عندما نأتي للمقارنة بينها و بين مثيلتها العراقية، يتضح لنا جليا الشبه بينهما، فالإله زيوس، هو إله كوكب المشتري، مردوخ، أما بوسيدون، فهو إله البحر ، و يمكن مطابقته بالإله (أيا) الذي كان مقره السماء و مدينته (أريدو) جنوب العراق، و رمزه السمكة، في حين كان الدلفين رمز بوسيدون، الذي عرف بشوكتة الثلاثية، التي لها ما يماثلها في الفن العراقي منذ العهد الأكادي،

أما أبولو وردت الإشارة عنه انه له ما يماثل به إله الشمس البابلي، أما أريس و هو كوكب المريخ و إله الحرب، و هو (بركال) السومري، و إله العالم السفلي أيضا، أما هرمس فهو كوكب عطارد الذي أطلق عليه العراقيون القدامى اسم (نابو)، و كان ابن الإله مردوخ في الجنوب، و عبد في الشمال في مدينة (نمرود)

في حين امتزجت أثينا و أفروديت بعشتار، أما أرتميس و ديانا، كانت آلهة الصيد التي تقتزن القوس و الحيوان، و هي صفات (نينورتا) إله الصيد ، و هو ما يتضح في الأختام الأسطوانية العراقية، و لكن عند العراقيين كان ذكرا لا أنثى.

و رغم تشابه أعمال الآلهة بين العراق القديم و بلاد الإغريق، إلا ان بعض الآلهة انتقلت معها حتى أسماءها مثل (أترقانيس) (أتركانس) المحور من عشتار التي عُبدت في بلاد الشرق بإسم (أنرعتا) وكانت أولى المعبودات السامية التي دخلت عبادتها الأرض الأثينية منذ القرن الثامن قبل

1 : ماجد عبد الله الشمس ، المرجع السابق ، ص 74 .

الميلاد، وانتشرت بين أوساط العبيد، و ذلك بعد ان عمت هذه العبادة منطقة الشرق الأدنى. ويذهب البعض إلى أنها أفروديت، و البعض الآخر يرى أنها (هيرا) و انتشرت عبادة (لوكيانوس) بين الإغريق في العصر السلوقي، و منهم وصلت إلى غاية الرومان، و أنشأ لها معبد بإسمها، وتلاحظ في الآثار الرومانية جالسة بين أسدين*.

و كان (أمون) إله مصري كبير شيد له معبد الكرنك الكبير، و قد انتشرت عبادته خارج مصر، و لاسيما في بلاد الإغريق، حيث نجد أن لهذا الإله مكانته في أثينا التي عرفت عبادته قبل الثلث الأول من القرن الرابع قبل الميلاد، إلى درجة أن الإسكندرمقدوني يقرنه بالإله زيوس، كبير آلهة الإغريق، و يتخذ منه إلها هاديا يستوحيه في أكثر من مناسبة أثناء حملاته التي حققت تكوين إمبراطوريته.**

و من القصص المهمة التي تناولها الإغريق، قصة الطوفان، و حسب مصادرهم أن الأرض عاشت العصر الذهبي، ثم حل محله القسوة و الجور بين الناس، الأمر الذي دفع بالآلهة لإحلال

* : حسب المؤلف، إن هذه المطابقات ليس المقصود بها جعل الشرق هيلينيا، بقدر ما هو جعل العالم الهيليني شرقيا، و ذهب إلى عقد مقارنة بين الآلهة المصرية و البابلية، و أن الكثير من مصادرها واحدة، خاصة فيما يتعلق بعبادة الشمس. انظر ، ماجد عبد الله الشمس، المرجع السابق ، ص 77 .

** : لم يقف التأثير المصري هند ذلك الحد، نجد مثلا في أسطورة خلق تيفون من اتحاد الربة الأم (تارتاروس)، نجد انه عندما خافت الأرباب من تيفون هربوا إلى مصر، حيث أخفوا أنفسهم في شكل حيوانات، حيث حول زيوس نفسه إلى كبش، و أبولو إلى غراب، و هيرا إلى بقرة بيضاء، و أرتميس إلى قطة، و أفروديت إلى سمكة، و أريس إلى خنزير، و هيرميس إلى طير أبو منجل، و الملاحظ ان هذه الأسطورة أخذت من عبادة المصريين للآلهة في شكل حيوانات، و مطابقة أربابهم مع أرباب إغريقية، زيوس و أمون- الكبش، هرمس و توت- طير أبو منجل، هيرا و إيريس- البقرة البيضاء، أرطيميسوباتست- القطة. انظر: المرجع نفسه ، ص 78 .

الطوفان لإغراقهم، إلا من كتب لهم النجاة و هما ديكاليون و بيراس* ، و في الفكر العراقي القديم، نجد أن قصة الطوفان احتوت على جزءا مهما منه، حتى أن القرآن الكريم قد تحدث عنه أيضا.

و الجدير بالذكر أن الفيضانات التي حدثت في العراق القديم، و مازالت تحدث أمر طبيعي و اعتيادي لوجود نهري كبيرين، و ارض منخفضة في الوسط و الجنوب، مما يجعل اكتساحهما أمر طبيعي عند هطول الأمطار الغزيرة و تراكم الثلوج في أعالي الجبال، أما بالنسبة إلى بلاد الإغريق، فلا يعرف عن الأرض التي حدث بها مثل هذه الفيضانات الذي تخلقها الأنهار إلا في الأجزاء الغربية من هضبة الأناضول، أو في أيونيا، أو في شبه جزيرة الإغريق نفسها.

و إذا قارنا بين أسطوري الطوفان العراقية و الإغريقية، نجد ان العراقية أكثر تشويقا والقرب إلى الواقع، ذلك لأن الصندوق لا يمكن ان يضم شخصين لمدة طويلة مع طعامهما وشرابهما، في حين أنه يمكن للسفينة ان تتوفر على ذلك، و في القصة العراقية استمر هطول الأمطار لمدة سبعة أيام و سبع ليال، و أما في الإغريقية نجدها تسعة، و هو اختلاف بسيط .

كما انه و في كلتا القصتين ارتفع الماء حتى تخطى قمم الجبال، و لم ينج إلا (أوتونايشتم) و من معه من الصالحين في العراقية، و ديكاليون و زوجته في الإغريقية، و في القصة العراقية أرسل أوتونايشتم الحمامة ليعرف إذا انحسر الماء عن جزء من الأرض، ثم أرسل السنونو، ثم أرسل الغراب، الذي ذهب و لم يعد ، إشارة إلى ظهور اليابسة، أما في القصة الإغريقية أرسل زيوس حمامتين ليعرف منهما مركز الأرض، و في القصتين رست السفينة و الصندوق على قمة جبل، وهو في العراقية (

* : في الأسطورة نجد أنهما وضعا نفسيهما في صندوق أعد ذلك، و بعد نزول المطر الغزير لتسعة أيام و تسع ليالي امتلأت الأودية بالماء، و علت حتى طالت قمم الجبال، ليأخذ الماء في التراجع، و تبرز اليابسة، المر الذي جعل الصندوق يرتطم بما فوق جبل (بارناموس)

انظر : ماجد عبد الله الشمس ، المرجع السابق ، 81 .

نصير) و في الإغريقية (بارناسوس) و كما يبدو ان المقطع التالي في الكلمة (ناسوس) هو تحريف عن (نصير).

3.1 نشأة الكون بين الأسطورة العراقية و الإغريقية:

من الأمور المهمة في كلتا الحضارتين، محاولة الناس إيجاد تفسير لنشأة الكون، و تبريرات خلق البشر، و مما ورد في الأسطورة الإغريقية، انه في الماضي السحيق لم تكن هناك إلا كتلة معتمة تسمى السديم، و فيها كانت تختفي كل الأشياء، و بعد مدة طويلة من تواجده، تبدد شمله وافترت الأرض و السماء، لترتفع الشمس والقمر إلى أعلى سماء، وهبطت الأشجار والأحجار من السماء إلى جانب الماء، لتستقر على الأرض. أما في العراق القديم فقد ورد تفسير نشأة الكون في مدة تفوق ألفي سنة من التفسير الإغريقي* .

و في مقارنة أخرى لنصوص الخليفة بين المصدرالعراقي و المصدرالإغريقي** ، ترى تشابها بينهما، فقد تولد الكون من إلهين، و آلهة انقسموا إلى قسمين في الأسطورة العراقية، القسم الأول

* : جاء في إحدى القصائد السومرية:

بعد أن أبعدت السماء عن الأرض ، و بعد أن فصلت الأرض عن السماء ، و بعد أن عين إسم الإنسان، و بعد ان اخذ السماء (آن) إله السماء ، و بعد أن اخذ ارض (اتليل) إله الهواء .

و من خلال ذلك يتضح أن قدماء العراقيين كانوا يعتقدون أن السماء و الأرض كانتا متصلتان لتنفصل إحداها عن الأخرى، و هو ما يؤكد أسبقيتهم لهذه الفكرة، و التي تسمى حاليا نظرية الانفجار السديمي العظيم .

انظر " ماجد عبد الله الشمس ، المرجع السابق ، ص 83 .

و ورد في القرآن الكريم قوله تعالى : « أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (30) »

القرآن الكريم ، سورة الأنبياء ، الآية 30 .

** : في قضية تفسير خلق البشر و الآلهة قصص مشابهة لما ورد في العراق القديم و بلاد الإغريق. حيث جاء في المعتقد الإغريقي، أنه في السماء إله يسمى أرانوس و الأرض إسمها (جايا) ثم صارا زوجين، و أنجبا أبناء كثيرين من بينهم ستة قبيحو الخليفة، و اثني عشر جميلي الصورة، حيث في المجموعة الأولى كان لكل واحد منهما مائة ذراع و عين واحدة، و كان لكل منهم خمسون رأسا، و كان رأس كل منهم كالجبل في الضخامة، تنثر الهلع و الرعب، أما الإخوة الذين تميزوا بالجمال الذكور منهم و الإناث كانوا في صورة البشر، إلا أنهم اكبر و أعظم، و قد شن الآلهة الصغار الحرب على الكبار أرسلوا في طلب مشوهي الصورة، أما في المعتقد العراقي، لا توجد أكثر من أسطورة حول نشأة الحياة، منها قصة الحياة البابلية، و الأكثر انتشارا من

يريد النظام و الآخر يريد الفوضى ، أما في الأسطورة الإغريقية نرى آلهة قبيحة الخليقة و الأخرى جميلة، ومما نلاحظه انه في القصة الإغريقية تبدأ بزوجين من الآلهة (اوراتيس) و (جي) أو (جيا) و في القصة العراقية تبدأ بزوجان كذلك اله السماء بالأرض، ليتولد المطر ثم تشرق الحياة اثر ذلك و الملاحظ أن اسم (جي) يطابق (كي) بالسومرية و تعني الأرض، أما أورانوس فالقسم الثاني منه يتشكل من اسم (انو) و السين حرف إغريقي مضاف، أما القسم الأول من الكلمة، المعتقد انه من السومرية أيضا (أور) وتعني (الكلب)¹

4.1 أسطورة كادموس ترسخ الالتقاء الفينيقي الإغريقي .

شكلت هذه الأسطورة مظهرا مباشرا في التقاء الثقافة الفينيقية-الإغريقية في المجال الدينيو الميثولوجي. فتروي الأسطورة أن أوروبا ابنة (أجيفور) ملك صور الفينيقية اختطفت من طرف الإله زيوس، بعد أن ظهر لها في شكل ثور. و انتقل عبر البحر، حيث ذهب بها إلى أقصى الغرب. ونتيجة ذلك أمر الملك (أجيفور) ابنه (قادموس) أن يذهب للبحث عن أخته محرما عليه العودة حتى يجدها. لينطلق مع أمه و شقيقه (تاسوس) و (كليكيس) و بقي مع الأب (فوينيتقس (أي (فينيق). خلال الرحلة ماتت الأم حزنا على ابنتها. أما الأبناء فلم يجرؤوا على العودة بدون اختهم، فاتجه تاسوس إلى جزيرة (تراقيا) و أسس كليكيس في الشمال مستعمرة (كيلكيا) . أما قادموس مكث في أرض الإغريق ليؤسس المعابد و يروج للأجدية الفينيقية التي أخذها عنه الإغريق. و تتضح من هذه الأسطورة عدة أبعاد تمثلت في:

غيرها، نجد أنها تتحدث عن عنصرين أساسيين في الحياة ، الماء العذب و الماء المالح (ابسو) و (تيامات) ، ثم جاء منها إلهان و هما (نحمر) و (الخامر) ، و بمرور الزمن تولد إلهان هما (انتشار) و (كيشار) ، الذين ولدا الإله (أنوا) ثم جاء بعده إلهة حديثة لينشأ نزاع بين الجيلين من الآلهة، لأن الآلهة الحديثة تحزبت ضد الآلهة القديمة و أرادت أن تبسط النظام في العالم بدلا من الفوضى، و في خضم ذلك ولد مردوخ الذي كان على أتم صورة من الجمال.

انظر : ماجد عبد الله الشمس ، المرجع السابق ، ص ص 84 – 85 .

1 : المرجع نفسه ، ص 85 .

- أن هناك تأثير فينيقي في حضارة بلاد الإغريق . حتى أن الدراسات أثبتت أن العديد من الأسماء الواردة في الأوديسا فينيقية الأصل.
- أن هذه الأسطورة كانت حجة لدى الفينيقيين لاحتلال مناطق و مستعمرات من بلاد الإغريق منذ منتصف الألف الثاني قبل الميلاد. و الدليل حسبهم جزيرة (تاووس). وهو ابن (فينيقس) الذي جاء لاستعمار المنطقة و استغلال ثرواتها.¹
- ورد في الأسطورة أن أوروبا أنجبت لزيوس ابنين هما (رامانتس) و (مينوس) ملك كريت، و هو كذلك حسب الأساطير دليل على الأصول الفينيقية لكريت و بلاد الإغريق.
- اتساع الاستيطان الفينيقي في بلاد الإغريق حوالي منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، و أكثر من ذلك أن الأسطورة تكشف قوة العلاقة بين كريت و فينيقيا، خصوصا بعد عثور الأثريين على أواني و تماثيل كنعانية تعود إلى النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد.
- و الجدير بالذكر كذلك أن الإله زيوس كان إلها و بطلا يعتقد الكريتيون أنه ولد بكريت، و تربى في الكهف و مات فيه. و له قبر يقيمون حوله الاحتفالات. و تقترب هذه القصة من قصة (أودونيس) الفينيقي الذي تربى في كهف (نيسا)، كما عادت أوروبا في كريت، حيث وجدت قطع من العملة تحمل صورتها فوق الثور، وتحيط بها شجرة الصفصاف. وتعود هذه القطع الى القرن الخامس قبل الميلاد، كما كان في كريت ميناء يدعى فينيقس. و لا شك أنها مستوطنة فينيقية قديمة سبقت السيطرة الإغريقية على المدينة.

و تذكر الأسطورة كذلك أن قادموس عندما رسى في رودس أثناء بحثه عن أخته شيد معبد فيها و ترك نفرا من الفينيقيين ليقوموا على خدمته، حيث اختلطوا بالسكان الأصليين و شاركهم في

1 : تركي الهندال ، المؤثرات الحضارية الفينيقية في الحضارة اليونانية، المجلد 43 ، ملحقة 3 ، كلية الآداب للبنات ، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، الرياض ، 2016 ، (مقال بدون ترقيم الصفحات)

الحياة العامة و عبدوا الآلهة أثينا. كما عثر على آثار فينيقية في جزيرة (رودس) وخاصة في (ياليسيوس) (Yalissios) حيث اكتشفت دعائم معبد (بوسيدون) الذي بناه (قادموس)¹

و في مدينة ميلتوس عمل الفينيقيون على التبادل كذلك مع جزيرة كريت. و تروي الأسطورة أن (أريس) إله الحرب عند الإغريق تحول الى دب و قتل (أودونيس) عشيق أفروديت أثناء ذهابه إلى الصيد بجبل لبنان بحضور أفروديت. و منذ ذلك الوقت أصبحت الاحتفالات تقام على شرف أودونيس بهذه المنطقة.²

و مما ورد أيضا أن إسم بوسيدون دخیل على اللغة الإغريقية، و هو حسب الإعتقاد فينيقي الأصل (أخلصيدون) و ابن (ليونش) و كان ينافس أودونيس على بيروت حيث فاز بها (بوسيدون) بوزيدون، و كان أهل بيروت يطلقون على أنفسهم لقب (بوزيدونيس) مثلما حفظ في كتابات ديلوس.³

2. الأدب

1.2 بلاد ما بين النهرين مهد الملحمة القديمة

حفظت لنا الألواح الطينية أولى التجارب الإنسانية في مجال أدب الملاحم الذي كانت بلاد ما بين النهرين مهدا لنشأته قبل أن يظهر في أثينا و روما بقرون عديدة. و توصل الباحثون إلى مقارنة زمن تدوين أشهر هذه النصوص و هي ملحمة جلجامش الذي لا يتجاوز أواخر الألف الثالث قبل الميلاد، و بداية الألف الثاني قبل الميلاد. و بين تاريخ إبداع و إنتاج هذه النصوص

1 : المرجع نفسه ، بدون ترقيم الصفحات.

2 : تركي الهندال ، المرجع السابق ، بدون ترقيم الصفحات.

: Albert Lechese, La philosophie grecque avant Socrate, Librairie Bland et C, Paris, 1908, 3 P9 .

الأدبية التي تعود إلى قبل ذلك بكثير، حيث تناقلتها الأجيال عن طريق الرواية الشفهية و عرفت الكثير من التطور إلى أن دونت في شكلها النهائي على الألواح الطينية.*

1.1.2. حول المكان و الزمان في ملحمة جلجامش:

اعتمادا على ما توفر من المعلومات أثرية و تاريخية يمكن اعتبار اختيار مدينة أورك السومرية أول مدينة في التاريخ فضلا على أنها أكبر المدن السومرية ، و يذهب علماء الآثار إلى أن سورها بني حوالي 2600 ق.م ، و أحيط بمساحة تقدر بأربعمئة هكتار يسكنها حوالي 50 ألف نسمة،و هي فوق كل ذلك مدينة الملك جلجامش الذي نسبت إليه الملحمة السومرية.¹

و يعد اكتشاف هذا الإرث الحضاري خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي واحدا من أهم انجازات العلوم الإنسانية خلال العصور الحديثة غير أن مخلفات السومريين تأخر اكتشافها مقارنة مع نظيرتها البابلية و الآشورية ، لأنه إلى غاية عام 1870 م وجد اختلاف بين علماء الآثار اللغويين و المؤرخين حول حقيقة وجود الشعب السومري و لغته. و رغم وجود الرُّقم الطينية التي تحتوي الكتابة السومرية، و مع ذلك اعتبرت في بادئ الأمر إحدى أشكال الكتابة الأكادية.

و اتضحت الحقيقة بعد الكشف عن أول موقع سومري و هي مدينة (لاحبش) خلال العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر ميلادي لتخرج أدبيات سومر من تحت الأنقاض ومنها

* : إذا قرنت هذه الملحمة من زمن التدوين بأقدم الآداب العالمية، لوجدناها تسبقها جميعا بعشرات القرون، فأقدم ما عثر عليه في الأدب المصري القديم أو حتى الأدب الكنعاني في أقصى تقدير يعود إلى منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، و هو ما أثبتته اكتشافات أوغاريت الأدبية في 1928 م ، أي متأخرة عن حضارة وادي الرافدين بحوالي خمسة قرون، أما الأدب العبراني المتمثل في التوراة يعود إلى حوالي القرن السادس قبل الميلاد . و بالمقارنة مع الأدب الإغريقي المتمثل في الإلياذة و الأوديسا المنسوبتين لهوميروس اللتان تعودان إلى حوالي القرن التاسع قبل الميلاد.

انظر : طه باقر ، المرجع السابق ، ص 34 .

1 : فراس السواح .جلجامش .ملحمة الرافدين الخالدة .منشورات دار علاء الدين ، دمشق ، سوريا ، ص 29

نصوص ملحمة جلجامش الذي تعرف عليه الباحثون بعد حوالي نصف قرن من ظهور الألواح الأولى¹ للملحمة في مدينة نينوى.

2.1.2. ملحمة جلجامش قيمة أدبية وفنية وحضارية

تحتوي ملحمة جلجامش على قيم متعددة الجوانب فهي تقدم مادة معرفية لعلماء الاجتماع والنفوس والمؤرخين وتضيف الكثير من المعارف حيث تبرز صورة ملكية تعسفية محاطة بقداصة ملحوظة تجسدت في شخص جلجامش ملك مدينة أورك، ذلك الملك الذي حول مواطنيه إلى عبيد* كما أن المصالحة التي ينتهي إليها الصراع بين جلجامش و أنكيكو تمثل وحدة جدلية تؤلف بين القيم الأخلاقية التي يمثلها إنسان الطبيعة أنكيكو و أسلوب الحياة الحضرية التي يمثلها جلجامش حيث تظهر في الأخير نتيجة لذلك التآلف الجدلي بين هذين الضدين وهي التقاء الفساد الخلقي والسياسي الذي يمثله جلجامش والبعد الطبيعي البدائي لأنكيكو فتستقيم الشخصيتان اللتان تكمل الواحدة منها الأخرى على قاعدة الإنسان النوعي الجديد المتجه إلى تحقيق الذات.

كما ترمز شخصية أنكيكو إلى جدلية حضارية قائمة على التقدم و التخلف، و هكذا نجد أن الإرث الثقافي الإغريقي منذ عهد هوميروس قد تأثر بهذه المعالم القائمة على الحنين إلى العصر الذهبي حيث لاحظ المفكر كيرك (Kirk) في هذا السياق أن فكرة العصر الذهبي تركز على نماذج في ثقافات الشرق الأدنى أين كانت الأساطير تتحدث عن ارض كاملة الطهارة يعيش فوقها الآلهة فحسب والحقيقة أن هذا الحنين إلى العودة تتضح معالمه في مؤلفات هيزيود خاصة من خلال كتاب الأيام والأعمال حيث نجد رجال العصر الذهبي يعيشون كالألهة متحررين من مشقة العمل

1 : المرجع نفسه ص 39

*: كتبت الملحمة في زمن باتت فيه القيم التقليدية موضع رفض أو تشكك لان شعب أورك المدينة العراقية الجنوبية التي يحكمها جلجامش لم يعد متقبلاً للقضاء الإلهي .ولان الحضارة السومرية والبابلية مثل الحضارات القديمة تقبلت النظام الاجتماعي الطبقي واعتبرته حالة بشرية طبيعية لان المجتمع اتجه إلى فكرة الثورة الاجتماعية و المطالبة بخلق شخصية ضدية لجلجامش تضع حدا لحرية الملك المقدس فتخلق الآلهة شخصية أنكيكو من الصلصال .

انظر : عفيف فراج ، المرجع السابق ، ص 32 .

والحزن والشيخوخة ووجه القرينة هنا أن أنكيديو قد مات في عصره الذهبي دون أن يرى الشيخوخة أصلاً. والملفت أن أسطورة العصر الذهبي الإغريقية تقول أن رجال العصر البرونزي المتدني من العصر الذهبي والفضي يذهبون إلى عالم الموتى دون أن يتركوا ورائهم رسماً يذكر أي أن السمعة أو الشهرة كانت هاجساً ومحركاً للملوك الإغريق كما كانت عند جلجامش.¹

إن مأساة أنكيديو مع الحضارة و التناقض الموجود بين أفكار ومخططات ومقاصد البشر من جهة و المصير المفجع لهذه الأفكار و المقاصد من جهة أخرى يجعلان من ملحمة جلجامش محل اقتباس منها للأوديسا و كذلك التراجيدية الإغريقية و يؤكد صحة هذه الملاحظة التوازي الملحوظ بين العقاب الذي انزله كبير الآلهة السومريين أنليل بأنكيديو . و العقاب الذي فرضه رب الأرباب الإغريقي زيوس على بروميتيوس رداً على إفشائه لسر النار للإنسان و لقد جسد الإغريق جدلية التقدم و التخلف الملحوظة في ملحمة جلجامش في أسطورة باندورا (Pandora) التي خلقها زيوس ليحبط ما يمكن أن يحققه الإنسان من انتصارات حضارية بفضل استخدام النار

فجاءت باندورا حاملة معها إلى الأرض الأوبئة و المجاعات و الحروب و كل الشرور وهكذا يتحول التقدم الحضاري الذي شاءه بروميشيوس (صديق الإنسان و البشر) إلى اللعنة رد بها زيوس الرب الغيور و السلطان الاستبدادي المستأثر على ما صنعه بروميتيوس.²

3.1.2. ملحمة جلجامش رسائل فلسفية و أخلاقية

إن النتاج الفكري و الأدبي مرآة لحركة المجتمع و انطلاقا من ذلك فان جلجامش أول فرد في التاريخ منذ مطلع الإلف الثاني ق.م حدد التمايز للفرد عن الجماعة . حيث ظهر ذلك الشخص الذي يفعل في الجماعة و يؤثر في تطويرها ذلك لان قبل ملحمة جلجامش لم يعثر في أدبيات الشرق الأدنى القديم (و هي أول أدبيات مدونة في التاريخ) على ملامح واضحة للفرد . لان جل النصوص

1 : عفيف فراج ، المرجع السابق ، ص 40 .

2 : المرجع نفسه ، ص 67 .

تتعامل مع الشخصيات الإلهية التي صنعت الكون و خلقت الإنسان و بنت له مدنه و علمته و أسست له تقاليد الحضارة ليصبح الإنسان سلمي متلقي حيث لم يكن له دور مستقل يبرز به .

و **جلجامش** هنا هو أول شخصية تعلن عن حضورها في الاستقلال عن الجماعة، ليعلن عن بداية عصر الإنسان الذي يرث الأرض و منه كانت للملحة عدة معاني ورسائل يمكن التوصل إليها¹.

4.1.2. الفردية و الحرية المطلقة و المرأة

كان **جلجامش*** الفرد الحر الوحيد بين مجتمع العبيد و كان ملك مطلق السلطات أقوى الرجال جسدا و أكثرهم ذكاء مفعما بالنشاط الدائم و لم يكن الملك الشاب يعرف ماذا يفعل بحريته المطلقة و تكوينه الخارق الذي كان سبب في وحدته و عزلته عن بقية الناس حيث بحث عن جلائل الأعمال التي يمكن أن يرضي بها طاقته الكامنة فبني بها سور **أورك** الذي مثل أعجوبة عصره

و قدمت الملحمة أيضا صورة عن **أنكيديو** الذي خلق ضدا ل**جلجامش** و صورته الملحمة في شكل الإنسان البدائي قبل دخوله عصر التحضر ذلك لان علاقته ب**كاهنة المعبد** كانت أول اتصال له بعالم البشر حيث ودع معها الحياة البرية بسبب اكتسابه الحكمة و المعرفة من الكاهنة التي تابعت تعليمه و الأخذ بيده نحو عالم الحضارة تدريجيا . لتكون المرأة بالنسبة للإنسان الأول سبب الاستقرار في الأرض و توديع حياة التنقل و التوجه نحو إنشاء المستقرات الثابتة و هي بذلك الخطوة الأولى

1 : فراس السواح ، المرجع السابق ، ص 202 .

* : تمر عدة قرون من التاريخ المفترض لحياة **جلجامش**، و رغم ذلك لم يعثر على نص معاصر له يذكره، سواء من **أورك** نفسها أو من المدن السومرية الأخرى، و لكن هذا النقص يعوضه وجود أسماء الملوك المعاصرين له ، و الذين كانت لهم علاقات معه، و من هذه الشخصيات (أن ممباغيري) ملك كينس و غبنة (اجا) الذي نلزع **جلجامش** حسب نص (**جلجامش و أجا**) ، و هناك أيضا الملك (ميسانييا) ملك أور. و انطلاقا من هذه المعطيات يمكن القول أن **جلجامش** حكم الوركاء خلال النصف الثاني من القرن السابع و العشرين .

انظر : ليلي بومريش، أبحاث تاريخية و أثرية، إعداد بلقاسم رحمان، دار كنوز الحكمة، الجزائر 2015 – 2016 ، ص ص 366 – 367 .

تجاه الحضارة . ذلك لان علاقة هذه المرأة* به ليست مجرد علاقة رجل و امرأة بل هي دلالة على دور المرأة القديمة الضارب في المجتمعات الأولى**

5.1.2. القيم البطولية من خلال ملحمة جلجامش و إلباذا . هوميروس

لعل احد أهم أسباب التشابه بين ملحمة جلجامش و ملحمة هوميروس يعود إلى تزامن الملحميتين مع الحقبة البطولية من تاريخ بلاد ما بين النهرين و تاريخ بلاد الإغريق¹ لأن القيم الموجودة في سلوك أبطال الملحميتين هي قيم بطولية عسكرية تعلو شأن المحارب لأنها جسدت الشجاعة الجسدية و سعت إلى انتزاع الاعتراف الاجتماعي و بالتقدير و الشهرة عبر أفعال تظهر القوة و الفتوة . و جلجامش يحمل كل هذه الصفات في مرحلة ما قبل النضج كونه كان يحتاج غابة الأرز و يقطع أشجارها و يقتل الوحش المفترس و استمد شجاعته من قوة جسدية ورثها من أمه الآلهة (لينسون) كما ورث أخيلوس بطل الإلباذا القوة الجسدية و جمال الطلعة من أمه الآلهة (تيتيس Thetis) و هذه صفات جعلت البطلين معلقين بين السماء و الأرض فهما غير قادرين على التكيف مع البشر الأقل شان منهما و هما في نفس الوقت عاجزان عن الارتقاء إلى مستوى الآلهة

* : قادت الكاهنة أنكيكو إلى مناطق الرعاة و علمته أكل الخبز و لبس الثياب و تعطير الجسم و أخذت تحذثه عن الملك جلجامش البارز فوق جميع الرجال و حياته الإلهية و أورك المدينة التي تعج بالحياة لقد كان أنكيكو مطلق الحرية في البراري وكانت هذه الحرية مستمدة من الطبقة المستقلة عن الحضارة
أنظر : فراس السواح، المرجع السابق، ص 201 .

** : عرفت مكانة المرأة عند المجتمع الإغريقي مرحلتين متباينتين . ففي عصر الأبطال حظيت المرأة بمنزلة هامة إلى درجة انه كانت تشن الحروب لأجلها مثلما حدث في حرب طروادة وما تحدث عنه في الإلباذا و الاوديسا إلا أن مكانة المرأة تراجعت مع تطور مظاهر الحياة في بلاد الإغريق و يرجع ذلك صاحب الكتاب إلى تأثير حضارات الشرق في بلاد الإغريق أي أن المؤلف هنا حصر تأثير الشرق في بلاد الإغريق حول مكانة المرأة فقط في المجال السليبي .

أنظر : المرجع نفسه،

حول ذلك راجع :

L - A .Martim .histoire de la condition des femmes chez les peuples de l'antiquité
E. B RARD de librairie édition .paris 1839 . PP 148. 149
MYRIAM PHILEBERT .DICTIONAIRE DES METHOLOGIE GRECQUE 1
..MAXLIRERE .FRANCE 2002

و هذا التلاقي في الملحمتين السومرية والإغريقية يؤكد القواسم المشتركة لثقافات شعوب ما بين النهرين وبلاد الإغريق لان ملحمة هوميروس اشتهرت بسردها لقصة البطل اخيلوس و غضبه من الملك أغاممنون¹

6.1.2. عالم الآلهة محور تشترك فيه الثقافتين السومرية والبابلية والإغريقية

إن الدارس لمواصفات الآلهة وعلاقتها بالأقدار في الثقافة السومرية والبابلية ونظيرتها الإغريقية يلاحظ أنها مجتمع شبيه بالمجتمع البشري أي أن الآلهة هي أشبه ما تكون بالأسرة التي تلتف حول الأب الإله وتحيط به الزوجات والأبناء وبطانة الموظفين والخدم، وصفات الآلهة في المجتمعين تجمع بين النقيضين الخلود من جهة وصفات البشر الفانيين من جهة أخرى. و من بين المهتمين بهذا النوع من الدراسات - كرايمر - الذي يرى أن الآلهة شبيهة بالبشر في التخطيط والتنفيذ والأكل والشرب . و هو قاسم مشترك بين الآلهة السومرية و الآلهة الإغريقية التي تحدث عنها هوميروس في الإلياذة. لان آلهة الإلياذة يحبون الطعام و يجتمعون في المجالس طول النهار إلى غاية المغيب.

كما أن آلهة ما بين النهرين كانت تشارك في الحروب . وتعاني مثلهم المصائر المتقلبة بين المنتصر والمهزوم . و ورد الحديث عن إجراءات محاكمة الإله البابلي مردوخ لخطاياهم ضد آشور كما يذكر الفصل العشرين من الإلياذة الذي يتمحور حول ذهاب الآلهة إلى الحرب حيث نجد آلهة أولمب تنقسم إلى آلهة مناصرة للطرواديين وآلهة تقف إلى جانب الإغريق.² ويوضح البطل الإغريقي ديوميديس وهو يذل آلهة الحب عند الإغريق أفروديتي كما أذل جلعامش و أنكيدو عشتر آلهة الحب عند السومريين من قبل ذلك.³

MYRIAM PHILEBERT.DICTIONAIRE DES METHOLOGIE GRECQUE 1

...MAXLIRERE .FRANCE 2002

2 : عفيف فراج ، المرجع السابق ، ص 88 .

: E.G Arramere , Op Cit , PP 18,19 . 3

7.1.2. اثر الملحمة في ثقافات العالم القديم

لقد ساهمت أفكار هذه الملحمة* بنصيب في الحياة الفكرية والروحية لثقافات الشرق القديم والحضارات المجاورة له ، و من مظاهر التأثير في الأدب الإغريقي ما يلي :

1.7.1.2 جلامش وتيسوس :

يلاحظ في شخصية تيسوس في الأسطورة الإغريقية سمات واضحة من شخصية جلامش فهو ابن ملك أثينا وكانت أمه قبل إنجابه عشيقة لبوسيدون اله البحر وعن طريق بوسيدون تسلل إليه الدم الإلهي حيث نشأ متفوقا عن غيره من الرجال في قوته الجسدية وأنجز عملا بطوليا خارقا هو قتل وحش المينوتورالكريتي ثم هبط مع صديقه المخلص بيريتوس الذي كان يلازمه كملازمة أنكيدو و جلامش إلى العالم الأسفل لاختطاف (بيرسفوني) زوجة هاديس (اله عالم الموتى) ولكن العالم الأسفل امسك بالثاني كما امسك بأنكيدو واستطاع تيسوس تخليص نفسه والصعود تاركا صديقة في الظلام الأبدي ليحكم أثينا كملك بعد وفاة أبيه.

2.7.1.2 جلامش و أخيل :

كان أخيل الشخصية المحاربة* في إلياذة هوميروس أنجبته إلهة مائية اسمها (تيتيس) من زوجها (بيلوس) ملك صقلية فكان مزيجا من اله وبشر وهي مقارنة مع تنسون أم جلامش وشب قويا

* : كان في الملحمة زخم من المعاني الروحية المتشعبة بحب الحياة التي اعتبرت قصيرة مهما عاشها الانسان. ذلك لأنه قضاء الآلهة عليه، فهو في النهاية أدرك أن الخلود يكمل في الأعمال الجليلة التي تخلد إسم صاحبها الذي يبقى راسخا عبر الزمن، و يتضح من ذلك أن جلامش لم يكن يبحث عن الخلود فحسب، بل كان يبحث أيضا عن معنى الحياة، حتى أن عودته إلى مملكته بعد مغامراته لم تكن هدفه المنشود، و إنما ذلك إنتصار للحياة القائمة على التغيير الدائم.

أنظر : ليلي بومريش، المرجع السابق، ص 375 .

* : أخيلوس (أخيل) إبن تيتيس و بيليه ملك الميرميدونيين (Myrmidons) ، هو الشخصية الرئيسية في إلياذة هوميروس، غمسته والدته في نهر مقدس فلم تعد تقطع فيه السيوف، إلا في كاحله الذي أمسكته منه والدته عندما غمسته في مياه النهر. شارك في حرب طروادة، اختصم مع الملك أجاممنون فاعتزل القتال، و لكنه عاد إليه بعد مقتل صديقه بتروكليس ليقتل هيكتور زعيم الطرواديين. ليصيبه باريس بسهم مسموم في كاحله فمات .

وهو نفس تشبيهه جلعامش. شارك أخيل في حرب طروادة وعرف بحبه الكبير لصديقه باتروكلوس وكان مصرع باتروكلوس على يد الطرواديين سبب عودة أخيل إلى القتال بعد أن اعتزله مدة طويلة بسبب خلافه مع أغاممنون (وهي مقارنة في صداقة جلعامش بأنكيدو) تأخر أخيل في دفن جثة صديقه بسبب تأخر مراسيم الدفن. وهو¹ نفس الشيء كان عند جلعامش الذي تأخر في دفن صديقه بسبب الحداد الذي أقامه. وفي الأخير يموت أخيل بسهم باريس الذي يصيب كاحل أخيل في نقطته البشرية الضعيفة وهو ما يقابله فشل جلعامش في الحصول على سر الخلود وقبول الطبيعة البشرية. **

3.7.1.2 جلعامش و هرقل

في الأسطورة الإغريقية يقدم لنا هرقل* مثلاً واضحاً عن إمكانية المقارنة بالملحمة في بلاد الرافدين. حيث ولد هرقل من أسرة ملكية، و تروى الأسطورة أنه ابن زيوس الذي بدا لوالدة هرقل في هيئة زوجها الذي كان في الأصل غائب في إحدى غزواته وكانت ملامح القوة بادية عليه منذ ولادته حيث كان يصارع الوحوش الضارية و مولعاً بحب الألعاب الرياضية و هي نفس المقارنات

انظر : طلال حرب، معجم الأعلام و الأساطير و الخرافات في المعتقدات القديمة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1999 ، ص ص 20 – 21 .

1 : فراس السواح المرجع السابق ص 235

** : كما شكلت شخصية هكتور و إياس اللذان التقيا أول مرة كعدوين ، ثم أصبحا صديقين ، الصورة المماثلة التي رسمتها ملحمة جلعامش لعلاقته مع أنكيدو ،

انظر عبد الرحمان العابو ، المرجع السابق ، ص 115 .

* : هرقل (إكلاس) أشهر الأبطال في الساطير الإغريقية و الرومانية، كان شجاعته – حسب الأسطورة – خارقة و قوته جبارة، كرهته هيرا لأنه ابن زيوس من امرأة أخرى هي ألكمينة (Alcmenè) زوجة أمفيريون (Amphitryon) الذي اتخذ زيوس هيأته لإغوائها. و لقد قتل أولاده في نوبة جنون أصابته بها هيرا ليقوم بأعمال بطولية محاولة منه للتكفير عن ذنبه و خطيئته.

و لقد كرس حياته لمحاربة الشر، و لكن في النهاية أرسلت له زوجته (ديجانيرا) ثوبا وضعت عليه سائلاً منح لها للمحافظة على أمانة زوجها و حبه لها . و لكنه كان في حقيقة الأمر سماً، و ما إن لبس الثوب حتى اجتاحت جسمه الآلام، ليجمع الخطب و صنع محرقة ألقى بنفسه فيها، لتستقبله آلهة أولمب و تتوجه آلهة الشباب .

انظر : طلال حرب ، المرجع السابق، ص 347 .

التي وردت في ملحمة جلجامش و رغبته في مصارعة شباب أورك . ولقد رغبته الآلهة في منحه الخلود شريطة القيام باثني عشر عمل خارقا و ذلك ما ينطبق على ملحمة جلجامش التي وردت في اثني عشر لوحة¹ و لكن الفرق واضح في كون هرقل كانت له طبيعة إلهية في وقت كان فيه جلجامش طبيعة بشرية.

8.1.2. مقارنة بين الملاحم البابلية و الأساطير الإغريقية

لقد شكل الموروث الميثولوجي الإغريقي تراث الحضارة الغربية بسبب تلك الملاحم التي تسرد الماضي البعيد وما تضمنته حديث عن عالم الآلهة و البشر² و لكن رغم ذلك من الواضح جدا أن النتاج الفكري لمنطقة ما بين النهرين انتقل إلى الثقافات المجاورة و إن رمزية عبور جلجامش للحصول على سر الخلود تشبه أيضا رحلة أوديسيوس إلى بلاد الشمس من أجل* الحصول على المعرفة و مواجهة تلك المغامرات لتنتهي إلى نفس نهاية جلجامش و هي الفشل والعودة من حيث أتى.

9.1.2. التراجيدية الإغريقية تستوحي فكرة الانكسار و السقوط من المأساة السومرية

الملاحظ أن ملحمة جلجامش تنتهي بالجهد البشري إلى الإحباط و الخيبة حيث تغلب فيها الآلهة على أهداف الأبطال لتستبق الأوديسا و التراجيدية الإغريقية كذلك فالمأساة في ملحمة جلجامش كما في التراجيديا الإغريقية تبدأ بالكبرياء و الغرور الذين تولدهما النجاحات الأولى لان البطل الإغريقي مثل البطل السومري يصفه أسخيليوس إن سقوطه يأتي في ذروة نجاح و المأساة تأتي

1 : فراس السواح ، المرجع السابق ، 237 .

وانظر أيضا : فراس السواح ، مدخل إلى نصوص الشرق القديم ، منشورات علاء الدين ، دمشق ص ص 205 – 206 .
: F . G ELICH HOFT Poésie Héroïque de l'indiens à l'époque grecque et latin , August 2
Dinson ,Paris 1860 . P 52.

* : تشكل الملحمة البابلية و الأسطورة الإغريقية ملامح القوة الخيرة التي تدفع الناس للامتنال للأوامر و محاربة الشر ، و يمكن الجزم أن لها نفس النهاية و هي الإخفاق و العودة إلى نقطة البداية .

انظر عبد الرحمان العابو ، المرجع السابق ، ص 116 .

من ذروة الملحمة و هي ذروة يعلو بها جلعامش و أنكيدو حيث يقتلان وحش (خمبابا) و من بعده ثور السماء

و الحقيقة هو أن العداء الديني و العقلاني للاستكبار و الاعتقاد انه سبب السقوط هو كذلك المعتقد الذي استمرت به الثقافة الإغريقية القديمة . كما هو معتقد راسخ في ثقافة بلاد ما بين النهرين . لأن الديانة السومرية تتبنى موقف معادي للاستكبار والتقليل من الاحترام للآلهة لتؤكد أن الآلهة لا يمكن أن تهزم، و إن العقاب الإلهي أمر لا ريب فيه وهو ما ينطبق حرفيا على الأدب الإغريقي* من هوميروس و هيزيود و سوفوكليس و أسخيليوس¹.

أما الأدب المصري لا يسمو في مستواه إلى ذلك لا في الكيف و لا في الكم لكنه أصيل، و ما وصلنا لا يزال يشكل صورة ناقصة، لأن الوثائق التي وصلت إلينا حفظت جزءا منه فقط. في ظل ضياع معظمها، و لم تبق سوى ما احتوت عليه المقابر و نصوص الأهرام² التي تمثل في الأصل تعاويذ سحرية إلى جانب كتاب الموتى الذي يشتمل على طقوس و أناشيد و تسايح و خطابات ملكية و سجلات تاريخية و معاهدات.

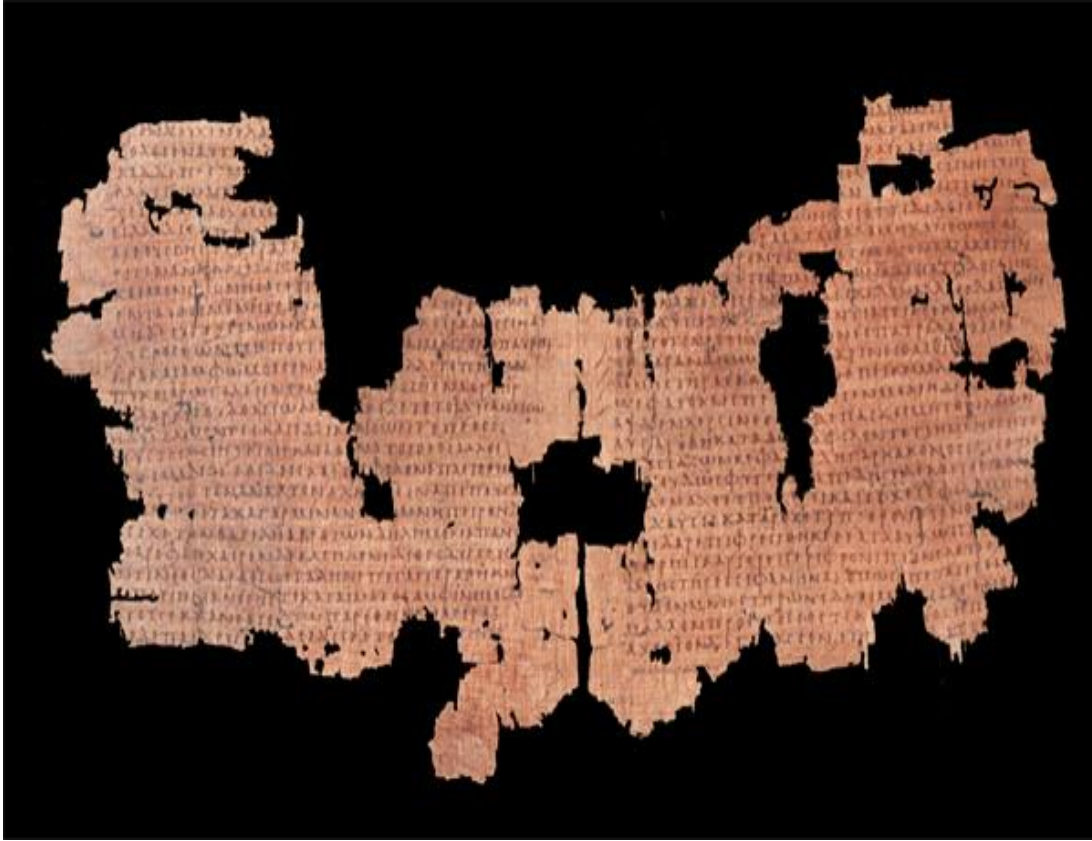
* : يقتصر اثر الثقافة السومرية - البابلية على الثقافة الإغريقية على تحديد مفهوم الاعتزاز و الاستكبار مصدرا للمأساة بل يتبع ليشمل الرؤية إلى الكون نشأة و نظاما دقيقا . و المتكبر هو الذي تبادر للإخلال بهذا النظام و الفكرة القائلة أن الكون قائم على النظام هي في الأصل فكرة سومرية فأسطورة التكوين البابلية تصور عملية الخلق بوصفها نتيجة لمعرفة كونية بين قانونين أساسيين كونيين هما الخير و الشر و النظام هو الخير و الفوضى هي الشر و انتصار الإله مردوخ على ربة المياه الأولية تيامة وهي ربة الفوضى السدمية السابقة لتكوين هو انتصار النظام على الفوضى . و ما رفض جلعامش للزواج الذي تقدمت بعرضه عليه عشتار هو رفض النظام للفوضى الذي يتمثل في قلب الأدوار بين الجنسين الرجل و المرأة و قلب الأدوار بين الجنسين هو الخطيئة التي ارتكبتها (كليمنسترا) حين بادرت إلى قتل زوجها لمساعدة عشيقها . وهو ما ورد في أدبيات أسخيليوس . و فكرة النظام الكوني هي الفكرة التي قامت عليها المبادئ العلمية الأولى للفلاسفة الأيونيين في محاولة معرفة أصل التكوين و الحقيقة أن أبطال التراجيدية الإغريقية عند سوفوكليس و أسخيليوس في القرن الخامس ق.م يسقطون مثلما سقط جلعامش حوالي ألفي سنة ق.م انظر عفيف فراج ، المرجع السابق، ص 120-121 .

1 : نفسه ، ص 117 .

2 : جورج سارتون، المرجع السابق ، ص 125 .

و الجدير بالذكر انه يعود إلى حوالي ألفين سنة قبل الميلاد ، و ذلك بوقت طويل قبل ظهور جميع الآداب العبرانية و الإغريقية، و الملاحظ عن الأدب المصري القديم تشيع فيه الصراحة و سرعة القصد و حسن التصور و الفكاهة، و لكن لا يمكن أن نحكم عليه برداءته، و ذلك لجهل اللغة فضلا على انه كان مبكرا.**

الشكل (14) بردية عليها أجزاء من إلياذة "هوميروس متحف الآثار بمكتبة الإسكندرية 1



** : إن بناء حضارة لا يمكن أن يتم في يوم واحد، و لا حتى في قرن واحد، بل إن تقدمها يتضمن استمرار جهود مجتمعة في حركة مركزية مدة طويلة، و لا يكون ذلك كافيا إن لم تتوفر المركزية السياسية و الاستقرار، و لقد تحقق هذا الشرط منذ زمنمبكر في منطقة وادي النيل، فتوفرت الوحدة السياسية في مصر منذ ما قبل التاريخ ، حوالي 4000 ق.م ، و إن كانت هذه الوحدة تجسدت في مملكتان، و رغم الاضطرابات التي شهدتها التاريخ السياسي لمصر في العصور القديمة إلا أن عصور الاستقرار كانت أطول، و هو ما ساعد على بروز مجالات معرفة مسبقة.

انظر : جورج سارتون ، المرجع السابق، ص 128 .

1 : <http://antiquities.bibalex.org/Collection/Detail.aspx?a=565&lang=ar/>

الشكل (15) مشاهد من ملحمة الحرب الطروادية إلياذة هوميروس¹



الشكل (16) مكتبة آشور نيبال الملكية نسبة إلى آخر ملك من الإمبراطورية الآشورية في العراق وأشهرهم وهو آشور نيبال، وهي عبارة عن آلاف الألواح الطينية والشظايا التي تحتوي على نصوص متنوعة من القرن السابع قبل الميلاد ، وقد كان من بين مقتنياتها ملحمة جلجامش الشهيرة²

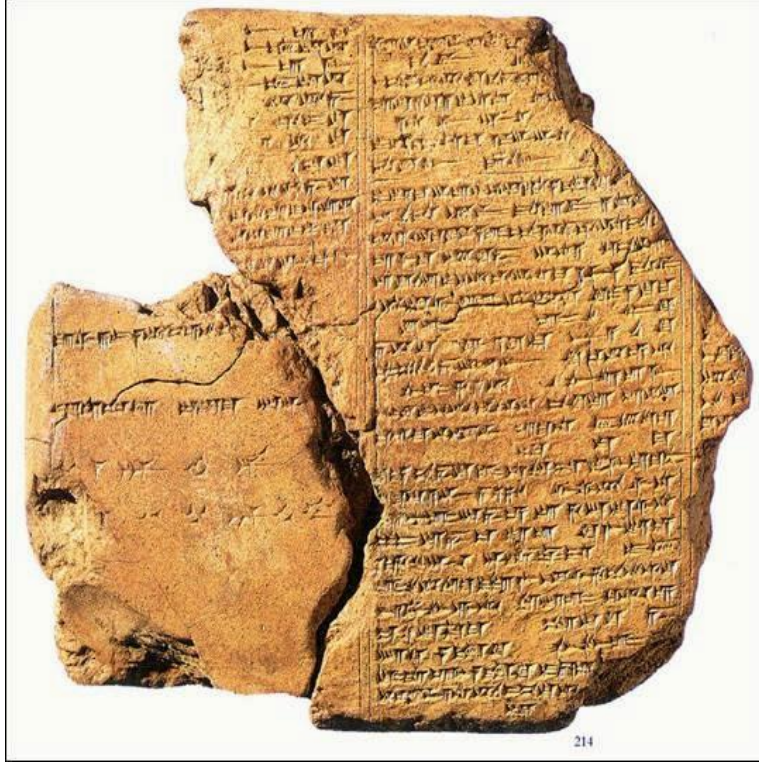


مكتبة آشور نيبال

1 : http://www.lgpn.ox.ac.uk/image_archive/mss/mss2.html/

2 : http://knowledge0world.blogspot.com/2014/05/the-oldest-10-libraries-in-world_17.html/

الشكل (17) لوح طينية للملحمة جلجامش الشهيرة¹



لوح طيني للملحمة جلجامش

2.2 الملحمة الهندية القديمة دليل القدم و الأصالة

1.2.2. المهابارتا :

تعتبر ملحمة "المهابارتا" (TheMahabharat) أطول الأعمال الملحمية في تاريخ الأدب الإنساني، أنشأت بداية كقصيدة نص (Jaya) للتغني بأجساد و انتصارات الملك "بهارات"، ولم تأخذ شكلها النهائي إلا في القرن الرابع ميلادي بعد ثمانية قرون متواصلة من الإبداع جعلتها تدريجياً مخزناً

1 : http://knowledge0world.blogspot.com/2014/05/the-oldest-10-libraries-in-world_17.html

*- المهابارتا : هي نص سنسكريتي قديم وتعني تاريخ الحرب الكبرى مجهولة الكاتب تسند خطأ إلى "غيازا" من الملاحم التي تحمل نهاية مأساوية

لويس رينو ، آداب الهند ، ترجمة هنري رغيب ، منشورات عويدات بيروت ، باريس ، ص16

ومستودعا للعديد من القصص والأساطير والخرافات الشعبية ومختلف النصوص المقدسة التي تعكس مجمل مظاهر الحياة الدينية و الدنيوية للمجتمع الهندي القديم .

واحتوت القصيدة على كل مقاييس الأدب الملحمي التي جعلها تحمل اسم "المهابهارتا" بمعنى "الملحمة الهندية القديمة" وهي من جنس الأدب الشعبي الذي يضم التراث القديم ويحكي سير الأسلاف و توزيع سلالات الملوك**

ولا ريب أن خبر هذه الملحمة شاع في القديم، فبلغ الإغريق و الرومان في عهد اسكندر المقدوني حيث اتصل الفلاسفة الذين حملهم معه في غزوه للهند بثقافتها ثم عادوا إلى بلادهم — أو بعضهم على الأقل — حاملين شيئا منها، خاصة وأن بعضهم استقر في الإسكندرية. فأثرت في مدرستها. كما تسربت هذه الملحمة إلى بلدان أخرى وتركت بصماتها في فنون الشرق وآدابهم*.

**- تتحدث هذه الملحمة عن حرب تاريخية تتضمن أبعاد كونية وهي حرب كانت قد وقعت بين شعبي " آل كورو (Kurus) و "آل بانشتالا (Panchala) . ويرى الباحثون أن هذه الحرب كانت النواة الأولى لهذه القصة، ولقد حدث فعلا على أرض كورو-شيتري في الفترة الممتدة بين (1000-1400 ق.م) ويعتقد الباحثون، منهم خوان ماسكارو أنه ليس من الشك أن الحرب الموصفة في المهابارتا ليست رمزية، والأرجح جدا أنها تكون مستمدة من وقائع تاريخية التي تناقلت عبر الأجيال المتعاقبة، وهي قصة حرب ضروس أبطاها من طبقة "شاترية" (Kshatrya) الحاكمة ، وتدور الملحمة حول صراع قوي بين الخير و الشر، ويجسدها "آل بنداغاس" و آل كورافاس" المنحدرين من سلالة الملك بهارات. حيث كان والد درتياراشتراوباندو ملكا على أرض هاستيناپورا(Hastinapura) الواقعة على بعد خمسين ميلا من مدينة دلهي حاليا. وإثر موت الملك تولى ابنه الثاني سد الحكم، وهو باندو بدل أخيه البكر درتيا-راشترا الأعمى، تهب الآلهة خمسة أبناء ويعرفون باسم "آل بانداغاس" أما درتيا-راشترا فيحظى بمائة طفل، كان أولهم دوربودانا الذي سيصبح ممثلا " لآل كورافاس" وتجسيدا حيا لقوى البشر في الطبيعة لما عرف عنه من غطرسته. ولما يموت باندو ويخافه عن العرش أخوه درتيا-راشترا الذي تصوره الملحمة كحاكم ضعيف بسبب عاهته، مما جعله يسند الحكم لابنه البكر دوربودانا الذي يسعى إلى تصفية أبناء عمه لكي يقيمونه الملك، وهو بسبب اشتداد الصراع بين آل بانداغاس و آل كورافاس وتنتهي الحرب بتحقيق آل بانداغاس نصرا كلف البشرية خسائر جسيمة في الأرواح

انظر: عبد القادر جموسي، ذرة الأدب الهندي المهابارتا، مقال في جريدة العربي الأسبوعي

*- اكتشف الكاتب الفرنسي جون كلود كارير و المخرج البريطاني بيتر بروك ملحمة المهابارتا على يد أحد أساتذة اللغة السنسكريتية ليجدا نفسيهما أمام نص عظيم بكل المقاييس يصلح كمادة لعمل درامي كان من أهم الأعمال المسرحية الحديثة. عبد القادر جموسي: المرجع السابق

ولقد قسمت الملحمة المكونة من حوالي 200.000 بيت إلى أناشيد، وجمعت في ثمانية عشر كتاباً¹.

3. جهود الإغريق في مجال الأدب :

إن ما تميز به الإغريق هو أدب الملاحم الذي يعد أول مظاهر التطور الأدبي، فلا إغريق ملحمتان شهيرتان و هما الإلياذة و الأوديسا المنسوبتين لهوميروس، فضلاً قصيدتي الأيام والأعمال و ثيوغونيا (أنساب الآلهة) لهيزيود. و لقد نشأت الملحمة الإغريقية* في إطار سياسي تميز بمرحلة انتقالية في طور التكوين تراجعت خلالها مكانة الملكية مقابل تنامي الطبقة الأرستقراطية. وكان ذلك خلال القرن التاسع قبل الميلاد، و جاءت هذه الفترة بعد حرب طروادة (القرن الثاني عشر قبل الميلاد) لتدخل المنطقة بعد الغزو الدوري مرحلة العصور المظلمة التي تناقلت خلالها الأجيال بطولات الحرب بطريقة الرواية شفوية التي خلدتها الإلياذة الهوميرية.

1- المهاجراتا،(ملحمة الهند الكبرى) ترجمة عبد الإله الملاح، 1991، ص10

** : الملحمة في اللغة الإغريقية تعني القصة أو الشعر القصصي الذي يختص بوصف القتال، و هي بالإغريقية (epos) وباللغة الانجليزية يطلق عليها اسم (EPIC POETRY) و كلمة EPIC مشتقة من كلمة EPOS الإغريقية و تعني الحكاية، و بالفرنسية يطلق عليها اسم Epopée . و الملحمة هي أحد الأشكال الطبيعية الثلاثة للأدب، (الأدب الملحمي، الأدب الغنائي، و الأدب الدرامي و المسرحي). و هي تعتبر المفاهيم الأساسية لتبلور الخصائص الفنية للأدب، و تتميز خصائص الأدب الملحمي عن تلك الخصائص التي تتوفر في الجنسين الآخرين، ففي الأدب الغنائي يتكلم المؤلف وحده، و الزمن المحال عليه هو الحال، و الضمير المستعمل هو المتكلم، و الروح التي يغلبها هي التأثر و الإنفعال. أما في الأدب المسرحي فلا يحق الكلام إلا للشخصيات، و الزمن المستعمل هو المستقبل، و الضمير الذي يقع اللجوء إليه هو المخاطب، و الروح التي تتميز بها هي التوتر. أما في الأدب الملحمي فيكون الكلام بزمان الماضي، و يستعمل فيه ضمير الغائب، و ترتبط به الرؤيا الشاملة.

انظر : نور الهدى لوشن، وقفة مع الأدب الملحمي ، 2006 ، ص 100 .

وانظر أيضاً : محمد القاضي ، معجم السرديات، الرابطة الدولية للناشرين المستقلين، 2001 ، ص 419 .

و انظر أيضاً .

Victor Purwy, Histoire de grecs , Tome 1, Gromz – Austria , 1968, P 30 .

1.3 الأدب الهومييري

1.1.3. إلياذة هوميروس :

سميت بالإلياذة أو ألياس نسبة إلى مدينة إليون عاصمة مدينة طروادة، و هي ملحمة شعرية تناولت موضوعا واحدا هو حرب طروادة، و غضب أخيلئوس، تضمنت أحداثا متسلسلة وشخصيات متنوعة¹، و لقد وصلت هذه الأشعار عبر الشعراء المتجولين². و موضوع الإلياذة قصير ، فقد استغرق أربعين يوما، و تتكون الملحمة من أربعة و عشرين نشيدا³ و يقدر مجموع أبياتها بخمسة عشر ألفا و خمسمائة و اثنين و تسعون بيتا. و يجمع النقاد على أن الإلياذة من أهم الملاحم الغربية - مع جواز استثناء الأوديسا - و لم تظهر هذه الملحمة في عصر الثقافة الإغريقية، بل ظهرت في فترة مبكرة لها. و لقد تضمنت الإلياذة قيما فنية و تاريخية فضلا عن اعتبارها أولى مصادر دراسة التاريخ الحضاري لبلاد الإغريق. لما تضمنته من معالم سياسية و دينية و عسكرية واجتماعية.⁴

2.1.3. الأوديسا :

تتكون من أربعة و عشرون أنشودة تتمحور حول موضوعات أساسية متعلقة بمغامرات أوديسيوس في عودته إلى وطنه و التخلص من الأعداء أو الذين احتلوا قصره، كما تتضمن تفاصيل إقامته في جزيرة فلاكيس (PHLAKS) بما في ذلك من وصف للرحلة التي قام بها للعالم الآخر. و يقول أرسطو في كتابه (الشاعر) أنه قد أدخلت تعديلات كثيرة في أسلوب الأوديسا، خاصة في النشيد الثالث و العشرين مقارنة مع الأناشيد الأخرى، أو حتى مقارنة مع الصيغة الأولى التي وردت فيها. و يقول أيضا أنها بقدر ما وصفت رحلة أوديسيوس قال أنها وصفت أيضا مغامرات

1 : هوميروس ، الإلياذة ، ص 30 .

: Monique Ired, BoulimerSauzanneSaid , Op Cit , P1 . 2

: Jacqueline De Romilly, Op Cit , P 14 . 3

: Maurice Groiset , Op Cit , P 31 . 4

(تيلماخولي) في البحث عن أبيه. 1 و وردت الاوديسا مثل الإلياذة بلغة أيونية – أيولية² بحكم أنها اللغة التي كانت متداولة في تلك الفترة قبل تداول اللغة الإغريقية . و يقول توكيديس في كتابه أن هوميروس هو أول من استعمل لفظ الهيلينيين، كما استعمل مصطلح الآخيين في حديثه عن الإغريق.³

2.3 الملحمة عند هيزيود (هيزيدوس) (معالم تربوية و تعليمية) :

ثاني أشهر أدباء الملاحم عند الإغريق، مثله مثل هوميروس تنحدر أصوله من آسيا الصغرى، غير أن والد هيزيدوس هاجر إلى بلاد الإغريق بالأوروبية في منطقة (أسكرا – ASKARA) الواقعة على سفح جبل (هيليكون) (Hellecon)، و من أهم منظوماته⁴ قصيدة الأيام والأعمال التي تتكون من ثمانمائة بيت و تنقسم إلى أقسام ثلاثة ، حيث يوجه الشاعر إلى أخيه – نتيجة خلافه معه – طائفة من النصائح و المواعظ مدعمة بأمثلة تاريخية كما تناولت القصيدة التقويم الفلكي الذي ابرزه الشاعر بتقسيمه لأيام الشهر وفق العقائد الدينية المنتشرة في عصره*.

1. Aristote ,Poetique, Trad F Dufan, Les belles lettres, Paris, 1932, Chapitre 24 .

و انظر أيضا :

Emile Burnouf , Op Cit , P 72

2 : Paul Mazon , Des commentaires sur la traduction de l'Iliade, , Les belles lettres, Paris, 2 1938.

3 : Thecydide , Op Cit , P 4 3

4 : Emile Burnouf , Op Cit , P 70 .

* : يضم القسم الأول ثلاثمائة و ثمانين بيتا، تظهر و كأنها قصيدة مستقلة، تضمنت نتيجة خلافه مع أخيه، حيث يوجه إليه طائفة من النصائح و المواعظ، و يضرب له المثل بوقائع تاريخية، و يوجه نظره إلى المنافسة المشروعة التي تحفز الهمة في ميدان العمل الشريف، و القناعة بالنصف خير من التنازل عن الكل.

و يضم القسم الثاني كذلك ثلاثمائة و ثمانين بيتا (أي من البيت 381 الى البيت 764) ، و تتمحور حول أعمال الحقل و ما يدور فيه ، و ألفه إثر ما أصيب به أخوه من نكبة بعد ضياع ثروته، و يظهر هيزيود أكثر هدوءا منه في القسم الأول، ربما يعود السبب في ذلك أن القضاء الإلهي قد ثار له من أخيه ليسكن غضبه و تهدأ ثأرته .

أما القسم الثالث فهو عبارة عن تقويم فلكي في نحو سبعين بيتا، قسم فيه الشاعر أيام الشهر وفقا للعقائد الدينية المنتشرة في عصره إلى قسمين، هما أيام السعادة أين تنجح فيها المشاريع و توفق كل الأعمال، و أيام نحس يخفق فيها الإنسان في كل ما يقوم به أو على الأقل في بعضه، و منه نلاحظ كأننا امام ثلاث قصائد مختلفة الموضوعات و الأغراض و العصور.

و ثاني أهم قصائد هيزيود (ثيوغونيا) التي تطرقت إلى تاريخ الآلهة في ذكر أصولهم وأنسابهم¹.
و انطلاقا من ذلك صنف كأقدم مؤلف في تاريخ عقائد الإغريق، حيث استمد المؤلف المادة من الأساطير التي انتشرت في عصره، و تتألف القصيدة من حوالي ألف بيت، و رغم تعرضها للتحريف كغيرها من القصائد الأخرى إلا أنها ما تزال متماسكة و متسلسلة .

3.3 القيمة الحضارية لملاحم هوميروس و هيزيود :

تعتبر هذه الملاحم درة الأدب الملحمي عند الإغريق و رمزا لتراثهم المحلي والأوروبي و مرجعية لا يمكن الاستغناء عنها عند دراسة تاريخ الإغريق لما تضمنته من وصف للوضع العام السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي و العسكري و الديني بما في ذلك إبراز جوانب من الحياة اليومية للمجتمع الإغريقي خلال القرنين التاسع و الثامن قبل الميلاد.

و رغم الاختلاف الواضح في أسلوب الشعارين، حيث اختص الأول بالطبقة النبيلة مركزا على حياة الأمراء و الملوك في الوقت الذي اهتم فيه هيزيودوس بالطبقة العامة أي طبقة الفلاحين التي ينحدر هو منها² و مما لاشك فيه أن لهذه الأشعار اثر عميق في تطور حركة الأدب عند الإغريق.

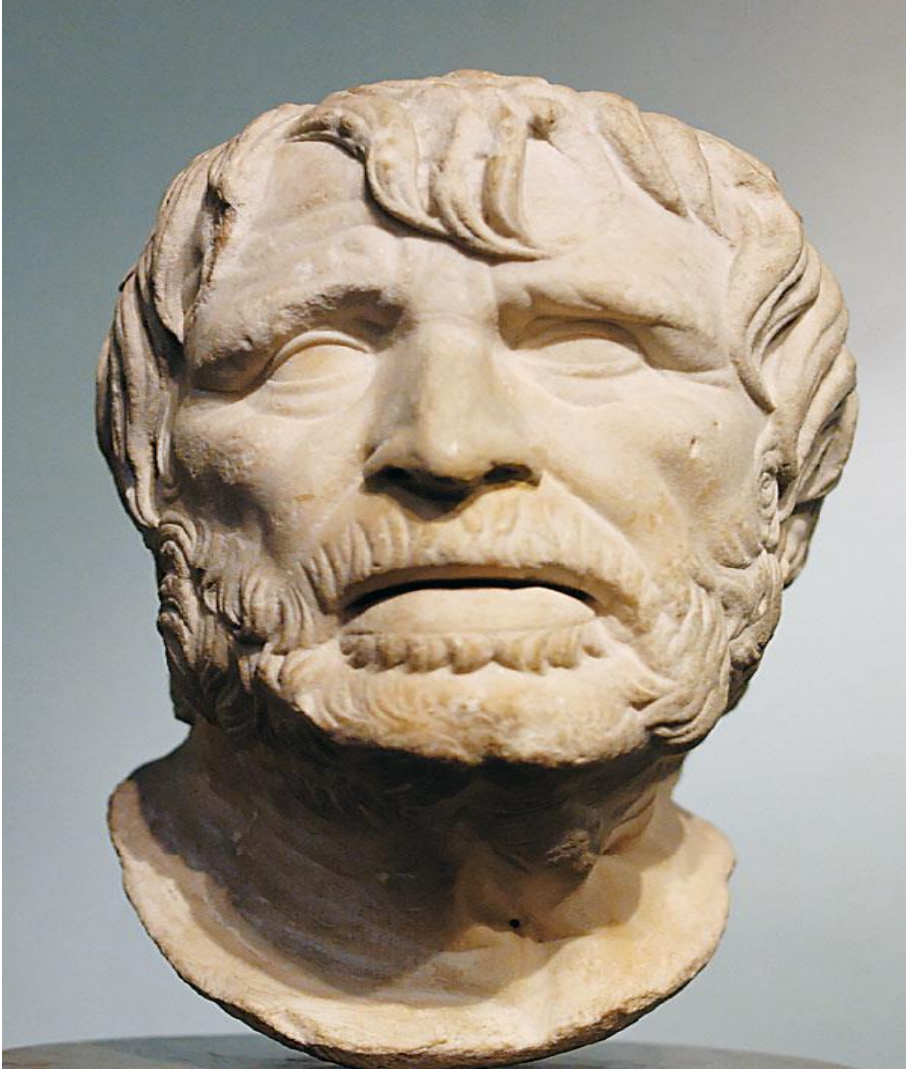
و مجمل القول ان ادب الملاحم يعد صدى لحياة الناس و يختلف تبعا لذلك ، فمنه ما يورد المعارك كالإلياذة، و منه ما يتناول مغامرات البحر كالأوديسا، و منها ما يجسد الكفاح اليومي للإنسان الفلاح كما ورد في الشعر التعليمي لهيزيود في قصيدة الأيام والأعمال. وعلى اختلاف ألوان التعبير في هذا المجال إلا أن القاسم المشترك هو انه يحمل صدق التعبير.

انظر : علي عبد الواحد وافي، الأدب اليوناني القديم و دلالاته على عقائد اليونان و نظامهم الاجتماعي، دار المعارف، مصر، ص 95 .

Hesiodé ,Theogonie , Trad , M Patin , Paris , 1872 , P 130.1
Mm GnlgniamT , Patin , JulerGerarad , Op Cit , P5 . 2

الشكل (18) : صورة هيزيود

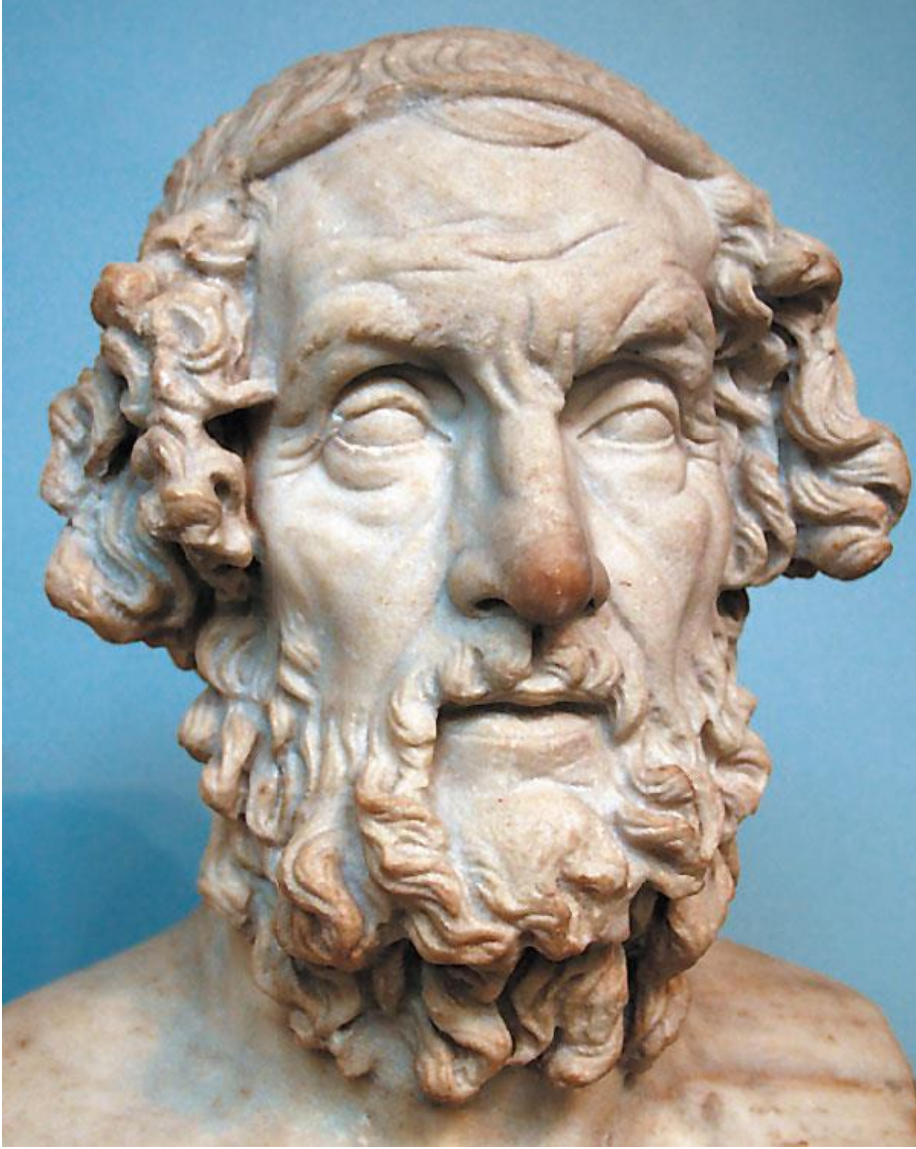
هسيودوس أو هيزيود Hesiodos أحد أوائل الشعراء المعروفين تاريخياً في بلاد الإغريق وأبرزهم¹



1 : <https://www.arab->

الشكل (19) : صورة هوميروس

هوميروس شاعر الإغريق وصاحب الإلياذة والأوديسة ، 1.



1 : <https://www.arab->

4. نشأة المسرح :

1.4 المسرح في بلاد الشرق :

المسرحية في أبسط أشكالها نشاط فني، و الفن نشاط إبداعي متعدد الوجوه مارسه الإنسان منذ أقدم العصور كونه يمثل شكلا من أشكال الوعي الاجتماعي و النشاط الإنساني. وتطور هذا النشاط شكلا و مضمونا تبعا لتطور وعي الإنسان بالعالم ليواكب هذا التطور تحسنا في حياته الاجتماعية.

و مع ترسيخ الوعي الديني الذي اتخذ أول الأمر قالباً أسطوريا، تطور الطابع المسرحي المصاحب لأداء الشعائر الطقوسية، و من هنا يميل معظم الباحثين إلى الاعتقاد أن المسرحية نشأت و تطورت عن أصل ديني، و أنها في أصولها الأولى لم تكن إلا وسيلة يستعان بها لمزاولة الشعائر و الطقوس الدينية في مناسبات معينة، و وجدت مشاهد لهذه الاحتفالات مصورة على مزهريات خزفية.¹

لقد كان من عادة سكان أثينا إحياء احتفالات الإله ديونيسوس في عرض تمثيلي، ويعتقد الباحثون أن هذه الاحتفالات هي النواة الأولى لظهور المسرح الإغريقي، و غالبا ما كانت مصحوبة ببداية مواسم كفصلي الشتاء و الربيع، و كانت مصاحبة أيضا للأعمال الزراعية . و لقد برهنت الدراسات المقارنة للأعياد الزراعية على العلاقة الوثيقة لهذه الأعياد بعبادة إلهي الموت والبعث في الربيع و الصيف.

ففي مصر القديمة كرسّت هذه النشاطات لعبادة أوزيريس، و في بلاد ما بين النهرين وجهت لعبادة الإله (تموز) و عند الإغريق لعبادة الإله ديونيسوس.*

1 : محمد الخطيب ،المسرح الإغريقي، ط 1 ، دار علاء الدين، سوريا، 2014 ، ص 81 .

* : أخذ الإغريق عن المصريين المسرحية، و من مواطن التشابه أن أوزيريس و ديونيسوس يرمزان إلى الخصب، إذا كان أوزيريس عند الفراعنة يموت على يد إله الظلام الذي يقطع جسده إلى أشلاء ، فإن ديونيسوس عند الإغريق هو الآخر يموت على يد الجبابة و يقطع جسده، الأمر الذي دفع بزيوس - والد ديونيسوس - إلى الانتقام من هؤلاء عندما أحرقهم بصواعقه، ثم أعاد الطفل الميت إلى الحياة، و الأمر ينطبق مع عودة أوزيريس إلى الحياة. و من بين الذين اهتموا بدراسة علاقة نشأة المسرح

2.4 الأصول الشرقية للمسرح الإغريقي :

يميل معظم دارسي تاريخ المسرح إلى البدء بالمسرح الإغريقي¹، ذلك لأن التراجيديات عندهم بلغت قمة ازدهارها حوالي القرن الخامس قبل الميلاد في أعمال أسخيليوس و سوفوكليس ويوريديس، كما تطورت الكوميديا مع ارسطوفانيس وغيره. و لكن ازدهار المسرح الإغريقي لا يعني أن يكون حتما البداية الأولى للمسرح، فقد وجد المسرح في الحضارات الشرقية القديمة السابقة للحضارة الإغريقية، و قد اتخذت أشكالاً و أنماطاً خاصة بها من حيث الطبيعة و البساطة، فمن المستحيل أن تكون الشعوب الشرقية التي وصلت إلى مستوى معين من المعارف في مختلف المجالات الفكرية و العلمية، و التي قطعت أشواطاً زمنية تقدر بآلاف السنين ، فمن غير الممكن أنها في مسيرتها لم تعرف المسرح، فقد كانت لهذه الشعوب تصورات أخرى للدراما تتماشى و ثقافة مجتمعاتها. لذلك فإن أي محاولة لإرجاع المسرح و الدراما إلى الإغريق دون غيرهم و التمسك بفكرة الأصل الإغريقي و إنكار وجود مسارح في الحضارات السابقة للإغريق إنما تصدر كلها من نظرة ضيقة لا تخلو من التحيز لكل ما هو غربي، و هي نظرة لا يزال بعض الكتاب إلى غاية الآن ينادون بها، و أن الثقافة الغربية هي قمة ما وصل إليه التطور الاجتماعي و الثقافي عند الجنس البشري و أن كل ما دونها يمثل مراحل أكثر تخلفاً و تأخراً.*

الإغريقي بالجانب الديني جيمس جورج فرازر في كتابه غضب الذهب. ، حيث طبع 1^ة جزءاً من الكتاب، و أبرز دور المعتقدات الدينية و مختلف الطقوس و ما كان يقوم به الكهنة، فهي كانت الملامح الأولى للمسرح و التراجيديات.

انظر : محمد الخطيب ، المرجع السابق ، ص 82

و انظر أيضاً :

Christine Peter Le mime Grecque antique , Thèse de Doctorat de littérature comparée , Université d'Avignon et des pays de Vaucluse , 2010 , PP 32-33 .

1 : محمد الخطيب ، المرجع نفسه ، ص 7 .

* : أن فكرة الأصل الإغريقي للمسرح يعد إنكاراً لقدرة الإنسان خلال عصور التاريخ السابقة للإغريق على التفاعل مع الحياة أو التعبير عن ذلك التفاعل بشكل قوي و مؤثر ، كما تعد إنكاراً لقدرة الإنسان على الترفيه عن نفسه، وذلك انطلاقاً من فكرة أن المسرح بقدر ما يعتبر أداة للترفيه هو كذلك وسيلة للتعبير .

انظر : المرجع نفسه .

و من الأمثلة التي نسوقها في هذا المضمار حول الأصول الشرقية للمسرح الإغريقي ما أورده المهتمون بهذا الإطار حول بعض المسرحيات التي سبق تمثيلها في كل من مصر و بلاد ما بين النهرين.

3.4 المسرح المصري القديم:

اتخذ المسرح في مصر القديمة شكلا دينيا كونه جسد تلك الأساطير المتداولة، خاصة اسطورة أوزوريس و إيزيس التي كانت تمثل في العيد السنوي المخلد لآلام أوزوريس و موته و بعثه، حيث كانت عملية التمثيل تستغرق عدة أيام ، كما أن التمثيل كان مصحوبا بالرقص والأغاني و الموسيقى.**

و تشير الدراسات إلى أن هذا المسرح لم يتخذ شكلا دينيا فحسب، بل ورد ما يدل على وجود مسرح دنيوي شعبي خال تماما من دور الكهنة في عملية التمثيل، و ليس له شأن بالعبادة و الطقوس الدينية، و عثر في (أدفو) سنة 1922 على نقش يعود إلى سنة ألفين قبل الميلاد و هو لخدم لدى أحد الممثلين الجوالين.

و الجدير بالذكر أن هذه التمثيليات كانت تقدم من طرف ممثلين يجوبون الأرياف في ساحات مستعنين بأدوات بسيطة¹، و تدل النصوص على أن الممثلين كانوا يظهرون أمام المشاهدين و على أكتافهم تكتب أسماء الشخصيات التي يمثلونها رغبة في أن يتعرف عليهم الجمهور*، كما أكد علماء الآثار على وجود نصوص مكتوبة للمسرح و فيها شبه كبير مع النصوص التي تكتب لمسرح اليوم. حيث تبدأ بإبراز اسم الشخصية في أول السطر على نحو يتطابق مع ما يُدَوَّنُ للأدب المسرحي، ثم

** : تراجعت المسرحيات المصرية بسبب غزو الهيكسوس، و هو ما أدى إلى تدهور هذه التقاليد لتنتقل إلى مناطق أخرى، خاصة بلاد الإغريق حيث بني على أسسه المسرح الإغريقي الذي تطور حوالي القرن الخامس قبل الميلاد.

انظر : إدوارد الخراط ، فجر المسرح ، دراسة في نشأة المسرح ، دار البستاني للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 2002 ، ص 86 .

1 : إدوارد الخراط ، المرجع السابق ، ص 105 .

* : وجد المسرح كذلك في الصين في العصور القديمة ، حيث كان الممثل يلجأ إلى طلاء وجهه بمسحوق ابيض و يرسم على جفناه و تحت عينيه خطان رأسيان دلالة على دور الشرير، و الممثل الذي يطلي وجهه باللون الأسود على الدور الصالح.

انظر : نفسه ،.

تأتي كلمة (يقول) أو هي ما يحل محل الأقواس التي نستخدمها لدلالة على إبراز النص الحرفي لقول القائل . كما أرفقت هذه النصوص بتوجيهات شبيهة بتوجيهات مخرج المسرحية اليوم، إذ تدون في كراسة الممثلين.

ومن دلائل أسبقية المسرح المصري عن نظيره الإغريقي هو اقتباس بعض المشاهد من مسرحية (إيزيس و أوزوريس) التي كانت تمثل في الحفل السنوي في (أبيوس) و لقد وصف بلوتارخوس هذا الحفل أنه إحياء لذكرى عثور إيزيس على جثة أوزوريس ، كما أمدت هذه الأسطورة الأدب الإغريقي كقصة قتل (سيت) لأخيه أوزوريس و إلقاء جثته في البحر، ثم رغبة حورس بعد أن يشب في الثأر من عمه لأبيه، ثم تتويج الآلهة له على مصر، و قبل بلوتارخوس كان هيرودوت قد تحدث عن مسرحيات دينية تقام لها حفلات في (بورميسيس).

و في ذات السياق عثر علماء الآثار على نقش محفوظ في قصر موتريخ في مدينة بوهيميا، و هو نقش دونت على وجهه صور تمثال حورس يطأ بقدميه التماسيح، و يردد ابتهالات سحرية تعد بمثابة نص درامي واضح و نموذجاً حياً للمسرحية الفرعونية¹، و سمي هذا النقش بلوحميتريخ، و استوحت هذه المسرحية من كراسة أحد الممثلين جرت أحداثها عند مستنقعات (خميس) التي فرت إليها إيزيس.*

1 : إدوارد الخراط ، المرجع السابق، ص 107 .

* : اتخذت المسرحيات المصرية طابعا سياسيا كذلك، و تعد تمثيلية الرياح الأربعة أشهر التمثيليات الغنائية حيث تناولت فيها أربع فتيات الإنشاد بالرياح ، و كل منهن ترمز إلى ربح تهب حسب الاتجاهات الأربعة، و قد انتقل كل هذا الموروث إلى الإغريق.

انظر ثروت عكاشة، الإغريق بين الأسطورة و الإبداع، ج 1 ، ط 2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994 ، ص 288 .

4.4 المسرح العراقي القديم :

اتخذ المسرح العراقي القديم - على غرار نظرية الطابع الديني - حيث وجدت ضمن النصوص السومرية المكتشفة نصا مسماريا يتحدث عن ممثلة تقوم بتمثيل دور الآلهة أنانا السومرية أو عشتار البابلية.

و كانت هذه الاحتفالات الدينية تقام في فترتي الاعتدالين الربيعي و الخريفي، والاحتفال الذي يقام في الربيع يكون بهيجا بخروج الإله قموز من العالم السفلي ليمارس فيه طقوس الزواج المقدس، و هو زواج الهي يتم بين الكاهنة من الدرجة الأولى تقوم بتمثيل دور الآلهة أنانا و كاهن من الدرجة العليا أو الملك و يقوم بتمثيل دور الإله قموز، و المعتقد لدى سكان بلاد الرافدين ان هذا الزواج يحقق الوفرة و الخير للبلاد. و الاحتفال الثاني كان يجري في الخريف، و تتمثل طقوسه في نزول الآلهة أنانا إلى العالم السفلي. و تدل الآثار على وجود مسرح بابلي له مدخل إلى العالم السفلي، و يتخذ الشكل الدائري.¹

5.4 المسرح الفينيقي أصل الاشتقاقات اللغوية للمصطلحات المستخدمة في المسرح الإغريقي

ارتبطت الاحتفالات الدينية التي كانت تقام عند الفينيقيين بالإله (أودونيس). و كلمة (دراما) سريانية الأصل يتمحور مضمونها حول الصراع بين قوى الخصب و قوى تدمير الخصب، أي بين أودونيس مخصب الزرع و الخنزير البري مدمر الزرع. و بين الحياة و الموت و الخير والشر. و من الناحية اللغوية فإن (دراما) مشتقة من فعل (در- dr) و تعني صارع و قاتل و حارب و كافح و خاصم (درر)*، و في السريانية تضاف الميم في نهاية الأسماء بدلا من التنوين في اللغة العربية الفصحى مثل (ملكوم - مريم) و بذلك تكون كلمة (درم) أو (دراما) بمعنى الصراع و

1 : فوزي رشيد ، المسرح العراقي الأصل، مجلة الاستشراق، كلية الآداب، جامعة بغداد ، بدون تاريخ

* : و منه اشتق الاسم العربي (درار) من (دورو) صراع، قتال، كفاح، و (دوريو) مقاتل، محارب، مكافح .

أنظر : أحمد داوود ، تاريخ سوريا الحضاري القديم، ط 1 ، دار الشرق للطباعة و التوزيع، دمشق، 2004 ، ص 151 .

الكفاح. و لما كانت التقاليد الاحتفالية تستوجب قرع الطبول إعلانا لبدء الصراع، فصارت الطبول تسمى (درام – drums)¹.

وحسب ول ديورانت عرفت البيلوبونيز و أتيكا طقوس الحزن لموت أودونيس و بعثه من جديد، فكان يطلق على هذه المحاكاة (درومينا) أي الأشياء التي تعمل. و لفظ (دراما) ذو صلة بهذا الاسم ، و يتصل ذلك بالمسرحية الآثينية مأساة كانت أم ملهاة كانت تقيم في جزء منها احتفالات أودونيس بإشراف طبقة الكهنة في دار للتمثيل تسمى بإسمه، علي يد ممثلين يسمون بالممثلين الأودونيسيين، و كان يأتي بتمثال أودونيس أمام التمثيل ليستمتع بالمشاهدة.² كما كانوا يقدمون الأضاحي للإله في جو من القداسة تشبه قداسة المعبد.

والحقيقة أن المجيء بتمثال أودونيس قد تكون أساسا لتحيته مع بدأ كل إحتفال بنشيد (نشيد بالعرش) و هو باللغة السريانية (داترامبو) (deatherambo) و التي لم يعرف لها معنى الى اليوم بسبب التحايل على الأصول السريانية للكلمة. فالدال في السريانية هي أداة للتعريف و أخذت منها الفرنسية (Le) و كذلك اللغة الإنجليزية (the) و (أترا) (ether) في السريانية تعني مقام أو مكان، أما (أمبو Ambo) و تعني بالسريانية كرسي او عرش. و هو اذن يعني (نشيد التحية لمقام رب العرش) الذي هو أودونيس الممثل بتمثاله.

وكلمة (يوترو – eothro) تعني في السريانية التمثال او الصنم. و لما كان التمثيل المسرحي مكرسا لصاحب المقام، و هو صاحب التمثال، فقد دعي المسرح باللغة السريانية (Etrot) أو (دييوترو). إذ أن (التاء) أو (الثاء) (th) هي بدل الدال (d) و الذال (th) كأداة كأداة للتعريف. و منه فإن كلمة (تيوترو – Theotro) هي التي ظلت ملازمة للفن المسرحي منذ يوم النشأة الى اليوم في كل اللغات الأوروبية و الأمريكية الحديثة (Teatr ، Teatro ، Theatre). و اذا كان

1 : المرجع نفسه .

2 : ول ديورانت ، قصة الحضارة ، حياة اليونان، الجزء الأول من المجلد الثاني، ص 422 .

معناها الفرجة فهي من كلمة (تيرا) بمعنى النظرو التأمل (تايرو - Teiro) ملاحظة، ناظر (تيوريا - Theorea) بمعنى نظر و تأمل. و منها وردت و انحدرت كلمة (Theory) في الإنجليزية و الفرنسية (Théorie) و الروسية (hTeoria) بمعنى النظرية، و التي أخذت من اللغة الاغريقية التي لها منبع سرياني.¹

1.5.4. أصل تسمية التراجيديا :

كان التيس هو الحيوان المقدس في العقيدة الأدونيسية، لذلك كلما قاموا بذبح قربان التفوا حوله راقصين مغنين، و إذا ما انتهوا من ذلك أكلوا من لحمه للتقرب من الإله بشيء منه. وكانوا يخطون من جلود التيوس أثوابا. و كانت هذه المراسيم تشعرهم أنهم قد غدوا تيوسا أي (تراجو)². والحقيقة أن هذه الكلمة في السريانية تعني التيس (Traho) وجمعها (تراجي) (Trah) أي تيوس . و حورت هذه الكلمة عند الإغريق (ترايجديا) (Traigedea) أي تيوس-جدي لأن الجدي بالسريانية هو نفسه الجدي بالفصحى³. لذلك كان اسم الجدي يطلق على الإله ذاته. و هو ما تفسره بعض الطقوس التي تحرم تقديم تيس كبير قربانا، بل يشترط تقديم جدي صغير بدلا منه. و يمثل الإلهفي نفس الوقت. و كلمة (تراجوس) دلالة على تقديس الإله وذلك من خلال تقديم القرابين.⁴

2.5.4. أصل تسمية كوميديا :

تتألف أعياد أودونيس من جزأين، أحدهما يتم من خلاله تمثيل موته و آلامه، و يجسد ذلك عن طريق النواح و البكاء، و الثاني يتمثل في قيامه من الموت، و يعبر ذلك عن طريق الفرح و

1 : أحمد داوود ، المرجع السابق، ص 154 .

2 : ثروت عكاشة ، المرجع السابق ، ص 246 .

3 : أحمد داوود ، المرجع السابق ، ص 156 .

4 : ثروت عكاشة ، المرجع السابق ، ص 266 .

الرقص، و هي الملهة أو الكوميديا. و رغم الادعاء أن أصل كلمة (كوموس) بالإغريقية يعني (أنشودة المرحين) هناك من أرجع أصلها إلى (كومي) القريبة إلى (كوما) أي الاستغراق في النوم.

ولكن الأرجح في الدراسات اللغوية أنها اشتقاقا حديثا بنيت على فهم غير دقيق لكلمة كوميديا. و أن لها أصل سرياني - كباقي مفردات المسرح السابقة الذكر - و تعود إلى كلمة (قوموت Komoth) و (قيوموت - Keomth) و تعني القيامة من الموت. و هي مشتقة من الفعل السرياني (قوم - Kom) أي قام - بشر، بعث. و حولت التسمية إلى (قوموتيا - Kmomthea). و بهذه الطريقة كانت تكتب و تلفظ في البداية. و المرجح أنها تتعلق بإعادة بعث أودونيس بعد موته، و ما يرتبط من أدوار كانت تمثل لتجسيد هذه الطقوس.

ومما تقدم نستخلص أن المسرح نشأ إبداعا و فنا و طقوسا و تقاليدا، و حتى من حيث المفردات من حضارات الشرق الأدنى القديم. و إن لوحظ مما تقدم أن المفردات كانت من أصول سريانية، فإن ذلك يفسر الدور الفعال الذي لعبه الفينيقيون في نقل لغتهم و تقاليدهم و عباداتهم إلى بلاد الإغريق. و ما التجارة و الملاحة إلا وسيلة و أداة للتواصل الحضاري و الثقافي و اللغوي بين بلاد الشرق و بلاد الإغريق.

6.4 ظهور المسرح الإغريقي :

ارتبط ظهور المسرح الإغريقي باحتفالات الإله ديونيسوس، و تطورت العروض الفنية لتأخذ الطابع الجاد لتصبح التراجيديات هي البداية الحقيقية للفن المسرحي الإغريقي.¹ و كانت التراجيديات* بسيطة في بداية الأمر لارتباطها بالإله ديونيسوس، لكنها لم تبق على بساطتها، حيث

1 : لطفي عبد الوهاب يحي، المرجع السابق، ص 195.

* : التراجيديات هي محاكاة للعقل الجاد التام في ذاته بلغة ممتعة، و تكون في شكل درامي لا أنشودي، و تكون أجزاءها في المسرحيات باستخدام الشعر وحده و في البعض الآخر يستخدم الغناء.

انظر : أرسطو، فن الشعر، ترجمة و تعليق إبراهيم حمادة، ط 1، الدار العربية للطباعة و النشر و التوزيع، 1999، ص 111.

شهدت أوائل القرن الخامس قبل الميلاد مرحلة من التطور من حيث الشكل أو المضمون أو الأداء. فمن المضمون لم يعد موضوع المسرحية يتصل بالإله ديونيسوس، وإنما أصبح يدور حول الصراع بين الآلهة و الإنسان، أو بين القدر و الإنسان و الخير و الشر، أو ما يتصل بهذا القبيل من مواضيع تأخذ من الأساطير الإغريقية، و من حيث الشكل تطور عدد الممثلين من ممثل واحد إلى ثلاثة، كما ظهرت تحسينات بشكل المسرح عموماً، و تم ذلك على يد ثلاثة من رواد المسرح الإغريقي.

1.6.4. رواد المسرح الإغريقي :

و من اهم رواد المسرح في بلاد الإغريق :

1.1.6.4 أسخيلوس (Eschylos) (524-556 ق.م)

يعود له الفضل في تطور التراجيديات الإغريقية، حيث تخطى مبدأ التمثيل الواحد ليدخل في مسرحياته ممثلاً ثانياً، و ذلك ما ساعد على تطور الحوار و إبراز المواقف و وجهات النظر المختلفة أو المتعارضة، فضلاً عن اهتمام أسخيلوس بتطوير الأقنعة و ثياب المثلين حتى تتناسب مع الأدوار التي يقومون بها، و ركز اهتماماته على دور إرادة الآلهة كقيمة لها دور في تهذيب العلاقات بين أفراد المجتمع.*

* : كانت المسرحيات تتجه نحو التراجيديات اعتقاداً أنها تحقق الثقافة لدى الأفراد، و هو ما عرف عند أرسطو بعملية التطهير (Catharsis) لأن هذه العملية تطهر النفس البشرية من كل الانفعالات المكبوتة، و هذا الفن وهب للإغريق أسخيلوس وسوفوكليس .

انظر :

C. M Bower , Problems in Greeck poetry , Oxford , 1953, P 108.

2.1.6.4 سوفوكليس (Sophokles) (406-496 ق.م) :

يعد ثاني هؤلاء المسرحيين الكبار سوفوكليس** (Sophokles) (406-496 ق.م) حيث أضاف ممثلاً ثالثاً الشيء الذي وسع دائرة الحوار و من ثم خدمة مواقف الصراع الذي تحتوي عليه خشبة المسرح، كما ابرز عناصر البطولة في الإنسان بشكل واضح.

3.1.6.4 بوروبيديس :

و ثالث هؤلاء بوروبيديس (406 – 485 ق.م) الذي اتصف بالواقعية في تصوير الإنسان و صراعاته لا كمخلوق لا حول له أمام إرادة الآلهة كما فعل أسخيليوس، و لا كبطل صراعاته أكثر من حجمه كما فعل سوفوكليس، حيث عالج في مسرحياته عدداً من المواضيع التي لا تزال مطروحة إلى الآن ، كموضوع الوطنية و المعاناة في الحروب***.

إلى جانب ذلك عرفت بلاد الإغريق و خاصة أثينا ظهور المسرح الكوميدي مع نهاية القرن الخامس قبل الميلاد و بداية القرن الرابع قبل الميلاد، و الجدير بالذكر أن هذا اللون ظهر في منطقة ميجار و المدن الإغريقية في صقلية ، و ازدهر في أثينا التي كانت تمر بفترة تدهور الوضع الاجتماعي بعد هزيمتها في حروب البيلوبونيز، و ما نتج عن ذلك من خسائر اقتصادية و سياسية أثرت سلباً

** : لقد كتب سوفوكليس عن حرب طروادة ، و من ضمن ما أورده انه بموت أخيل تراجعت قوة الإغريق في وقت حاول فيه اجاكس و إيليس إبراز قوتهم أمام قادة الجيش.... ، كما أورد الصراع بين أجامنون و أوديسيوس.
انظر :

Sophocle, Antigone, Trad par P. Mazon, les belles lettres, Paris, 1953, P 150.

*** : لما اتخذت المسرحيات التراجيدية مسارها الجدي بعيداً عن أساطير ديونيسوس التي اختفت نهائياً في مسرحيات القرن الخامس قبل الميلاد، ظهرت رغبة لدى الجماهير الإغريقية في استمرار هذا اللون على أساس انه يرتبط مباشرة بالأساطير التي كانت تحظى برواج كبير لديهم. و هكذا ظهرت إلى جانب المسرحيات التراجيدية مسرحيات قائمة بذاتها سميت باسم المسرحيات السباتيرية وكانت تجمع بين مآسي الإله ديونيسوس من جهة و بين روح المرح و الصراحة، و من ثم يضيف على العرض المسرحي جو من المرح يختلط بالمواقف المأساوية ، كما تضع نهاية سعيدة لهذه المواقف . حيث يتحول العرض المسرحي إلى ما يمكن تسميته المأساة الضاحكة و الملهاة الدامعة.

انظر يحي عبد الوهاب يحي ، المرجع السابق ، ص 198 .

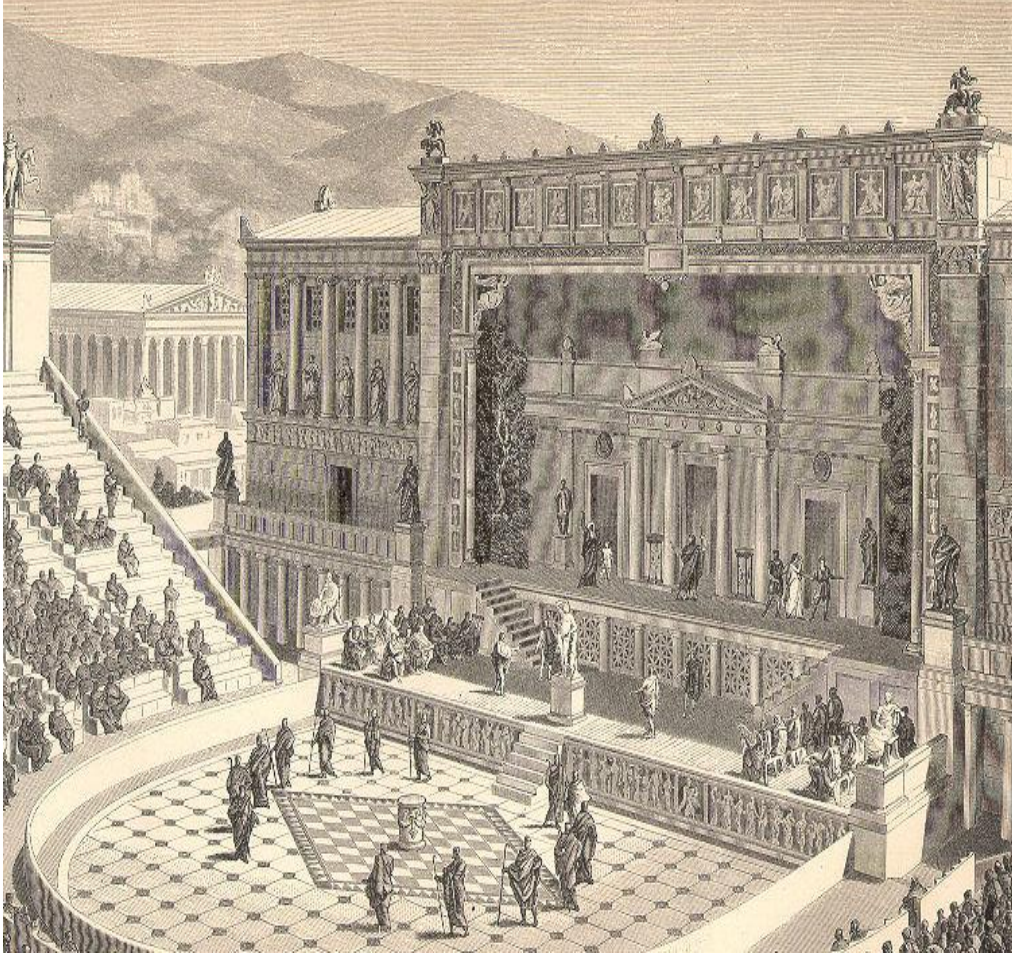
على الوضع الاجتماعي، حيث أصبح المجتمع الآثيني يعيش تناقضات و مفارقات كانت موضوعا لتلك المسرحيات، التي تطرق من خلالها الكاتب أو الفنان إلى المشاكل اليومية وإلقاء الضوء على الأحوال العامة بطريقة ساخرة، و تزامن ذلك مع تطور النظام الديمقراطي.

وبلغت الكوميديا الإغريقية قممها مع أرسطوفانيس (Aristophanes) (450-385 ق.م) الذي كتب ما يزيد عن 40 مسرحية، وصلت منها 11 مسرحية بصورة كاملة . ومن أعماله مسرحية (السحب) التي سخر فيها من سقراط الحكيم و السوفسطائيين ، ثم الضفادع التي سخر فيها من بوربيديس ، و الطيور التي سخر فيها من العدالة و محاكم القضاء .

و قد ساهمت عدة عوامل في تطوير المسرح الإغريقي ، منها ما يتعلق بالمرور الخاص للأدب الإغريقي كالشعر الهومييري، غير أن عملية النضج التي كانت خلال القرن الخامس قبل الميلاد ارتبطت أساسا بعوامل أخرى تتصل بدور البيئة وتأثيرها على الإنسان، ومنها ما ارتبط كذلك بالعامل السياسي المتعلق بتطور النظام الديمقراطي كون أثينا كانت مسرحا له.¹

غير أن البحث في تطور المسرح لا يمكن حصره في حيز بسيط بقدر ما يحتاج إلى دراسة معمقة في جميع ما يتعلق به شكلا و مضمونا. و ما يهمنا الإشارة إليه هنا هو أن المسرح كفن و نشاط إنساني لم يرتبط ظهوره ببلاد الإغريق، بل عرفته حضارات الشرق القديمة في فترة مبكرة، و لكنه اتخذ شكلا دينيا ، و هو ما ينطبق على المسرح الإغريقي في بداياته الأولى. إلا أن هذا الأخير بفضل عوامل مختلفة استطاع أن يتبلور و ينضج على أيادي الكثير من رواده الذين جعلوا منه تراثا إنسانيا عالميا تباهى به الفن و الأدب الإغريقي القديم .

الشكل (20) صورة للمسرح الإغريقي القديم حوالي القرن الخامس قبل الميلاد مسرح ديونيسوس في أثينا، كما تم تخيله في عام 1891¹



: 1

<https://www.arabency.com/ar/%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%AD%D9%88%D8%A8%D8%A7%D9%84%D9%8A%D9%88%D9%86%D8%A7%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D8%B1%D8%AD-%D9%81%D9%8A>

5. اللغة الإغريقية بين الجذور السامية و المصرية :

لقد حاول الباحثون المتخصصون في مجال اللغة و التاريخ البحث في مجال المقارنة بين اللغة الإغريقية و مدى علاقتها باللغات الأخرى، المصرية و السامية. و من بين أكثر المهتمين بذلك مارتين برنال، الذي أورد بحثا مفصلا في هذا المجال ، في كتابه (أثينا السوداء) الجزء الأول تلفيق الإغريق، و من بين ما جاء في دراسته، أن الإغريق أخذوا الحروف الأبجدية من الفينيقيين، حتى أن شكل الحروف الأبجدية الإغريقية له دلالة واضحة على ذلك. و رغم هذا الاقتباس المباشر، إلا أن الحروف الفينيقية لا تمت بصلة إلى طبيعة هذه الحروف¹، فمثلا ألفا Alpha من الفينيقية (Aliph) و تعني قرن الثور، و بيتا Beta من الفينيقية beth أي البيت، و الحرف جاما Gamma يعني من الفينيقية Gimel أي الجمل، و هكذا مع باقي الحروف. و يقول برنال أن 25 % من اللغة الإغريقية سامية الأصل، و من 20 الى 25 % من أصل مصري، و من 40 إلى 50 % من أصل هندو-أوروبي.*

ويعد هيرودوت أول من أقر بالأصل الفينيقي للغة الإغريقية، و من بين ما أورده أن الفينيقيين علموا الإغريق أشياء كثيرة، في مقدمتها الحروف²، و يضيف أن الإغريق استوطنوا أيونيا، ومنهم تعلموا فن كتابة الحروف، و من هنا نجد أن هيرودوت في حد ذاته يقر أن الشرق خاصة مصر و فينيقيا يعدان منبع الحضارة الإغريقية.**

1 : مارتين برنال ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 28 .

* : لقد أورد برنال قائمة طويلة لهذه الاشتقاقات و تلقاها علماء اللغة بدرجات متفاوتة من القبول، رأى البعض أن هذه الاشتقاقات ضعيفة، و البعض الآخر قام بتزكية هذا الرأي، و محاولة توسيع مجال البحث فيه.

انظر : المرجع نفسه ، ص 28 .

:Hérodote , Op Cit , P 12.2

** : يصف برنال في كتابه أصحاب هذا الاتجاه الداعي إلى الأصول الشرقية للحضارة الإغريقية بالنموذج القديم ، كما أورد فقرة لهرودوت باللغة الإغريقية مترجمة، تدل على الأصل الشرقي، تضمن محتواها، (الفينيقيين الذين قدموا مع كادموس علموا الإغريق عدة أشياء، من بينها اللغة، حيث أخذ الأيونيون الحروف من الإغريق. ثم تطورت فيما بعد. و لقد قال برنال انه اطلع

والسؤال الذي يطرح نفسه ، هو أصل معرفة الإغريق للكتابة، و الرأي السائد بهذا الصدد هو ان هذا الانتقال للحروف من الفينيقيين إلى الإغريق كان حوالي 700 ق.م، و لكن (إدوارد ماير — E. Mayer) جعل هذا الانتقال حوالي 900 ق.م.*

لقد عثر الأثريون على إناء برونزي خلال حفريات تمت في التلال الجنوبية لجزيرة قبرص، و هو محفوظ في متحف المكتبة الأصلية بباريس، و يقول نصه : « حاكم المدينة الجديد، و إلى احيرام، ملك أهل صيدا، أقدم هذا الإناء إلى بعللبنان. »¹ و المدينة الجديدة المذكورة في النقش هي قرتاداشيش (Quartadadashit) ، أي كيتون القبرصية ، أما لقب ملك أصلصيذا، ذلك يعني لقب كل الفينيقيين، و هو ملك صور الذي كان يدفع الضرائب للملك تيجلات بلسير 738 ق.م ، و هذه الحروف تشبه كثيرا الحروف الإغريقية في شكلها البدائي.

و يرى المختصون في مجال الدراسات السامية أن شكل هذه الكتابة قريب من اللغة السامية، التي وجدت في حجر ميشا. و يؤرخ لعملية انتقال الحروف إلى بلاد الإغريق عام 1000 ق.م . و عندما جاء المرتقة الإغريق ليعملوا في قوات الملك (إيسماتيك). و في القرن السادس قبل الميلاد

بنفسه على هذه الحروف و الكتابات في معبد أبولو، و لاحظ أنها تشبه الكتابة الفينيقية ، إنها حروف فينيقية في شكل الكتابة الأيونية.

انظر : مارتن برنال ، المرجع السابق ، 30 .

* : لقد أيد كريستوف Kristoff ، اتجاه ماير في تاريخ انتقال اللغة الفينيقية إلى بلاد الإغريق، إما جيركي Gerke ارجعه إلى عام 900 ق.م ، و يقول بلوخ Bloch في القرن التاسع قبل الميلاد.

انظر : مارتن برنال ، المرجع السابق ، ص 30 .

1 : المرجع نفسه ، ص 31 . .

حفروا أسمائهم على رجلي تمثال رمسيس في معبد أبوسمبل في النوبة عام 589 ق.م.**. و كان يرافقهم أحد الفينيقيين فحفروا اسمه إلى جانب أسمائهم.¹

ومن غير الممكن ان ترجع باللغة الإغريقية إلى ما بعد النصف الأول من القرن السابع قبل الميلاد. و أقدم صورة للحروف الإغريقية تشبه لحد بعيد الحروف السامية أي الفينيقية، و هذا التقابل لا مثيل له في الفترات السابقة و اللاحقة، و منه يصبح عام 700 ق.م أصلح تاريخ تقريبي لانتقال الحروف السامية الفينيقية إلى بلاد الإغريق. و لكن المؤرخ بارسكي يذهب الى القول أن هذا الانتقال لا يمكن ان يكون قد حدث إلا بعد القرن العاشر قبل الميلاد. كما ان المفردات المصرية هي الأخرى قد أثرت في المفردات الكريتية، و ذلك راجع لطبيعة العلاقات بين مصروكريت، التي تعود إلى الألف الثاني قبل الميلاد*، و هذا ما مكن من تسرب مفردات مصرية إلى اللغة الكريتية فيما يتعلق بأسماء الأماكن و الأعلام.**

** : وردت دراسات أخرى تؤكد أن الإغريق أخذوا من الفينيقيين مصطلحات ذات طابع تجاري اقتصادي، كأسماء النجوم و الذهب و الملابس.

انظر :

A .Merllot , Introduction à l'étude comparative des langues Indo-européennes, Librairie Hachette , Paris, 1903, P 9 .

1 : مارتن برنال ، المرجع السابق ، ص 31 .

* : من بين الذين اهتموا بهذه الدراسات اللغوية (كاربوتر) (Carpenter) الذي يرجع أصولها بحوالي 700 سنة قبل الميلاد، و أول ما ظهرت في الأشعار الهومييرية .

انظر :

Rhys Carpenter , The Antiquity of the greek alphabet , American journal of archeology , 01 , 29 – 8 (1) XXXVII , 1933 , 03 .

** : ظهر اتجاه يقول ان هناك دلائل مقنعة على الجذور الشرقية المصرية و الفينيقية للثقافة و اللغة الإغريقية، و هذا الاتجاه يسميه برنال بالمزيج القديم ، و المتضمن اعتراف المفكرين الإغريق في حد ذاتهم بذلك. و تقول الدلائل في هذا النموذج في مفاهيم لغوية مختلفة، ذلك لأنه خلال العصر البرونزي و الحديدي كانت ثمة هذه الدلائل من مصر و فينيقيا إلى جانب ذلك التراث الشعبي و البقايا الأثرية و الآثار العمرانية. و من هذه الدلائل أن الكلمات الإغريقية المتعلقة بالأسلحة خاصة ليس كلمات من أصول إغريقية أو هندوأوروبية.

انظر : شوقي جلال ، أثينا إفريقيا السوداء. صراع الأسطورة و التاريخ . www.kotobarabia.com

لقد ظهرت على الساحة خلال القرنين الثامن و التاسع عشر ميلادية، دراسات كثيرة تطرقت للأصول الاسمية للكلمات الإغريقية. و منه تلك التي قام بها (بارتليمي – Barthelemy) خلال القرن 18 م ، استخلاص كلمات إغريقية من جذور مصرية، و من هذه الكلمات (خيتون – Khiton) و تعني ملابس ، و خريسوس Khirysos و تعني الذهب، إلى جانب ذلك فهناك الاشتقاقات اللغوية ، و منها (بوموس – Bomos) و تعني مذبح أو مكان مرتفع ، و جاءت من كلمة باماه (Bamah) التي لها نفس المعنى . إلى جانب اشتقاقات أخرى مثل الرحيق أو الشراب الإلهي و هي Nektar من أصل كلمة Nigtar، و تعني نبيذ مقطر أو نتبخر. و قدس Kudos و تعني مجد إلهي، و هي مأخوذة من (kds) و لها نفس المعنى. و كذلك (Naio) و يعني سكن أو يقيم و Naos و تعني المقام الإلهي. و لها نفس المعنى، و كلمة (Sphag) سبك (Spk) و تعني يضحي بقطع الرقبة او ينحر . و هي من الكلمة العربية سفك أو سفح أو ذبح، و هي كلمة سامية.

إلى جانب هذه الكلمات السامية، توجد كلمات أخرى مصرية منها ماكاربوس أو مكاري (Makarios) و هو (مانكرو) (Mhrw) بمعنى الصادق. و هي الصفة التي تطلق على

الميت الذي يجتاز بنجاح الحساب الآخروي.* و هذا ما هو إلا القليل من الكلمات الإغريقية التي لها أصول شرقية، وغالبية هذه الكلمات ليس لها بديل في الأصل الهندو-أوروبي**.

1.5 الاشتقاقات اللغوية في أسماء المواقع الجغرافية .

يوجد كم قليل من تسميات الأماكن باللغة الإغريقية، و التي يمكن تفسيرها على ضوء اللغة الهندو أوروبية. و نجد من الأسماء و مالها أسماء مصرية خالصة مثل ابيدوس (Abydos) وسينوب (Sinop) على الساحل الشمالي لتركيا حاليا، و يوجد العديد من الأسماء من أصول سامية و مصرية مثل نهر ياردانوس (Jurdanos) و يوجد في كريت، و في رأي الباحثين أن هذا الاسم مشتق من ياردان (Jardan) او جوردان (Jordan) أو الأردن، وكذلك اسم اينجروس (Anigros) مأخوذ من جذر سامي (ن) جر (Ncgr) بمعنى يتدفق، و تأتي في غالب الأحيان بمعنى واحة أو نهر أو صحراء، وتشمل الأسماء المصرية على كلمة (فينوس P(h)) هي (PNWY) بمعنى ماء أو فيضان، و اسم كيفيسوس، و مم اسم مأخوذ من اسم مكان مصري (Kbh) و

* : إلى جانب ذلك على سبيل المثال يوجد كلمات أخرى منها (Martyros) من كلمة ماثرو (Mtrw) بمعنى شاهد ، و كلمة (Tima) الشرقي و مأخوذة كذلك من اصل مصري (Tym) ، و كذلك أرتوس (Orthos) بمعنى مستقيم أو عمودي، و يبدو أنها مأخوذة من وات Wath ، وتعني في المصرية جبل البناء المستخدم في التخطيط المعماري. و يوجد كذلك كلمة الأمير Basileus في الإغريقية القديمة تابع الملك (Amax) و كلمة بازر (Psr) في المصرية القديمة و تعني الموظف الرسمي ، لتصبح الكلمة تعني الوزير، و هي مترجمة مع تحوير في اللغة الأكادية في صورة (بازيا-را) (Pasia-ra) . و كلمة صوفيا (Sophia) بمعنى الحكمة لم يكن لها أصل هندوأوروبي، و المقبول أنها مأخوذة من كلمة مصرية قديمة (Sb) بمعنى التعليم، لأن الحرف المصري القديم (B) يقلب أحيانا بالإغريقية ليصبح (PH) مثلما هو الحال في اسم الربة (ن) تحت (Nbtht) و التي تصبح (نفثيس) (Nephthys) ، و في مجال السلحة فإن الكلمة الإغريقية (سيفوس) (Xiphos) و تعني السيف ، و هي من الكلمة المصرية (Sft) و لها نفس المعنى . انظر : شوقي جلال ، المرجع لسابق . بدون ترقيم الصفحة .

** : و يرى ميليت Millet في دراسته أن اللغة الهندو أوروبية ظهرت حوالي 1000 ق.م . في الوقت الذي تطورت فيه اللغة في بلاد الإغريق بين القرنين السادس و الخامس قبل الميلاد .

انظر

A .Millet, Op ,Cit , P 38 .

يعني نبع عذب بارد، او منبع النهر، مع إضافة كتابة (sos) و الأمر ينطبق على تسمية الجبال التي لها أصول إغريقية-آسيوية

فنحن نجد الجذر السام (Sam) في أسماء الجبال في مختلف أنحاء بلاد الإغريق، ساموس (Samos)، ساميكون (Samikon) ساموتراس (Smothrace). و الكلمة السامية (حرمn Hrmn) بمعنى الجبل المقدس.* و الواضح ان جبل (إبيدا) (Abid) بمعنى

خشب مشتق من اسم سامي ايد (Y.D) بمعنى يد.** أما فيما بأسماء المدن ، فهي على خلاف تسميات الجبال من اشتقاقات مصرية خاصة.*

أما من حيث تسميات المدن الإغريقية، فيغلب عليها الأصل المصري، فمثلا مدينة طيبة الإغريقية ، أخذت أسسها من الكلمة الكنعانية طيباء (Tebah) ، و تعني فلك أو صدر، ولكن المرجح أنها مأخوذة من الجذر جبا (J b) المصري بمعنى الصدر، أما تسمية إسبارطة (Sparta)، لها دروب مختلفة أطلقت عليها داخل و خارج بلاد الإغريق..، و يبدو أنها مأخوذة من اسم مصري سباط (Spt) بمعنى ولاية أو مقاطعة، أو عاصمة المقاطعة، أما اسم أثينا (Athena) واسم أثينز Athens اسمان مصريان ، وذلك حسب رأي أفلاطون. و كثير من الكتاب الإغريق.

* : نجدها شائعة في منطقة الشرق ، خاصة اسم جبل حرمون، و سمي أيضا جبل الشيخ، و يطلق على القسم الجنوبي من سلسلة جبال لبنانو حوران وادي التيم، و ورد ذكر اسم حرمون في التوراة ، و يظهر الاسم كذلك في منطقة جنوب غرب آسيا، دون حرف النون في نهايته ، و يوجد في إقليم إتيكا ببلاد الإغريق جبل مقدس اسمه (هارما)
انظر : شوقي جلال ، المرجع السابق، بدون ترقيم الصفحات.
** : و ندرك ان هذه الطريقة التي كانوا يفهمون بها الأسماء ، اذا عرف القرائن التي تقترن باسم جبل آخر له نفس الاسم قرب مدينة طروادة، إذ يقال ذو الأصابع الخمسة (Bak tytoi) انظر : شوقي جلال ، المرجع السابق .
* : حسب ميليت فإن النصوص القديمة مصرية كانت او بابلية قد تحدثت عن وجود اللغة الهندو أوروبية . انظر :

لأنه هناك علاقة وثيقة بين المدن الإغريقية و مدينة سايس المصرية. على الحدود الغربية المتاخمة للبا في منطقة الدلتا، و ارتبطت المدينة (نت) (Net) المصرية و هي الآلهة أثينا عند الإغريق.**

و يقدم هيرودوت في كتابه الثاني، تشابهات عقائدية كثيرة بين النظام الديني المصري، والنظام الديني الإغريقي. و يقر هيرودوت بطريقة جد صريحة، أن الرابطة بينهما جد وثيقة¹، ومجال المقارنة بينهما وارد جدا*.

و هناك أوجه تماثل كثيرة بين الميثولوجيا المصرية و الفينيقية ، و الإغريقية، و من أمثلة ذلك أن الكثير من أسماء الأبطال لم يكن لها أصول هندو أوروبية، و لكن جذور واضحة و مقبولة عقلا في اللغتين السامية و المصرية**، فإذا كان أخيل بطل إغريقي كبير إلا ان من المنتظر تفسير اسمه في

** : غالبا ما كانت أسماء المدن تأخذ من معان دينية أو أسماء الآلهة، و المعروف ان الآلهة الإغريقية اشتقاقا جاءت من بلاد الشرق، في مصر و فينيقيا. و من هذه الأمثلة (بروجيت Brwdyt) بمعنى بيت و جيت آلهة الخصب و الثعابين، حيث عثر على مخطوط في جزيرة كريت ، ذكر عباءة (وجيت) و وجدت كثيرا من التماثيل الصغيرة تمسك بيدها الثعابين، و هو ما يدفع للقول ان هناك علاقة نسبية و وجيت و أفروديت، ذلك لأن أفروديت المعتقد أنها مشتقة من بروجيت، و كثيرا ما يتحول W إلى (O)، في الكلمات الدخيلة على الإغريقية، و يقال أيضا ان كلمة أفروديت مشتقة من أفروس (Aphros) بمعنى الزبد، و مأخوذة من الكلمة الكنعانية ابار (Apar) بمعنى الغبار ، و لكنه قول ضعيف نسبيا، و هناك ربة أخرى (هيكات) (Hekate) و وصرتها عجوز سحرية شطاء، و بالمقابل نجد في مجمع الآلهة المصرية حكيت (H K T) و توجد في صفة امرأة عجوز في صفة ضفدعة و مقترنة بالسحر. أما عن أسماء الآلهة فإن هيرودوت يقر بصفة مباشرة أن أسماء جميع الآلهة الإغريقية جاءت من مصر، و هذه الإقرار من هيرودوت، لم تكن له أي معارضة من طرف مفكري العصر القديم .

انظر :

Herodote , Op Cit , Livre 1 , P1 , GLXXXII .

و انظر أيضا : شوقي جلال المرجع السابق ، بدون ترقيم الصفحات.

1 . Herodote , Op Cit , Livre 2 , P1 , GLXXXII :

* : الملاحظ ان جميع كتابات هيرودوت تدرس في جامعة أكسفورد ، و مسموح الاطلاع عليها، إلا الكتاب الثاني الذي سبق الإشارة غليه، أما في جامعة كامبريدج لم يكن الموقف بنفس الطريقة، لكن بطريقة أخرى تم إسقاط هذا الكتاب مع بعض الكتب الأخرى.

انظر : شوقي جلال ، المرجع السابق .

** : من هذه الاشتقاقا (بليروفون Bellerophon) و هو بطل كورنثي الذي استطاع قتل وحش خرافي، مأخوذة من (بعل لارافون - Baalraphon) اله الشفاء من الأمراض . و كذلك اسم (ممنون) و هو فرعون مصري ليحور اسمه إلى (امونخات - Immnht) و هو اسم العديد من فراعنة الأسرة الثانية عشر في الدولة المصرية الوسطى. أي أطلق هذا الاسم على هؤلاء

اللغة الهندوأوروبية، لأن مكونات اسمها استهلال ذو طابع سامي، متكرر كثير جدا (أهي Ahi) بمعنى أخي و نجدها في (أخيرام Ahiram)، و المكون الثاني اسم أكثر غموضا، والملاحظ أن الاسمين الآخرين لهذا البطل و هما بيلوس (pellos) و بلياديس (Peliades) لهما اشتقاق مصري (بارو – Prw) بمعنى الأسد .

و هكذا تبين لنا أنالالهات و الأساطير، شأنها شأن الأماكن الجغرافية، تمثل برهانا يدعم الأصول الشرقية و هذه الانطباعات في مجال اللغة لها الكثير من التماثلات في مجال السياسة و العلم و الفلسفة، و هو ما سوف يتم التطرق إليه في الفصول التالية.

2.5 اللغة الإغريقية بين الأصالة و التغير

تختلف اللغة الإغريقية اليوم اختلافا كبيرا عن تلك التي وردت في النصوص القديمة مما تركه هيرودوت و اسخيلوس و أفلاطون و غيرهم. فمواطن بلاد الإغريق اليوم لا يكاد يفهم اللغة القديمة الأصلية بسبب خضوعها إلى مراحل التغير و التحوير بسبب عوامل و مؤثرات مختلفة* كعملية النسخ و التحريف. سواء كان ذلك عمدا أو عن جهل . فأغلب المخطوطات الإغريقية و اللاتينية حديثة و غير أصلية. و كتبت في مجملها بأيدي القساوسة و رجال الدين المسيحيين، و قد ظهرت إلى الوجود في الأديرة أو المعاهد التابعة للإمبراطورية البيزنطية، أين صارت المسيحية منذ عهد قسطنطين دين الدولة الرسمي. كما ظهرت خلال العصور الوسطى مخطوطات كثيرة في الأديرة مشكوك في صحتها و مدى تطابقها مع النسخ الأصلية. و اعتبر انتصار الكنيسة خلال عهده -قسطنطين- (306 – 337 ق.م) انتصارا للمسيحية على الوثنية. و هو ما اثر

بحكم قوتهم ، و المعتقد أنه اشتقاق لإسم أجامنون Agamemnon وتعني (أجا) (– Aga العظيم) و منه معنى اسمه (ممنون الأعظم).

انظر : نفسه ، بدون ترقيم الصفحات.

* : يحتفظ العديد من المسيحيين في الشرق - خاصة منهم رجال الدين- باللغات القديمة خاصة السريانية منها كونها - حسبهم - اللغة المقدسة التي تكلم بها السيد المسيح عليه السلام . و هو ما ساعد على دراسة اللغة الإغريقية و معرفة أصول الكلمات. أنظر : أحمد داوود ، المرجع السابق ، ص 172 .

على مسار كتابة التاريخ التي انتقلت إلى يد القساوسة و الرهبان بدلا من المؤرخين. و بقي تحت هيمنتهم خلال العصر الوسيط، أي زهاء ألف سنة، أضحي فيها التاريخ خاضعا لللاهوت و مادة تعليمية، و هو ما جعله يفقد نوعا ما صفته العلمية في ظل اهتمامه بالجانب الديني.

ومجمل القول أن إحالة كتابة التاريخ إلى رجال الدين يعني محو التاريخ الصحيح من الوجود بشكل كبير دام قرابة الألف عام. و هو ما يشكك في مدى مصداقية هذه الكتابات. و كنتيجة للتواصل بين المسلمين و المسيحيين مع نهاية العصور الوسطى و بداية العصور الحديثة عن طريق مدارس الأندلس و جنوب إيطاليا، حدث تطور فكري لدى الأوروبيين تزامن و بداية عصر النهضة، حيث ازدادت حرفة الطباعة و النسخ الهادفة إلى إعادة إحياء التراث الإغريقي القديم. وهو ما من شأنه أن يؤثر بطريقة أو بأخرى على اللغة الإغريقية التي فقدت الكثير من أصالتها عبر مراحل التطور التاريخي.

الفصل الرابع: أثر حضارات الشرق القديم على حضارة الإغريق

- I. أصل الفلسفة
- II. الشرق القديم المهد الأول لميلاد التفكير الفلسفي.
- III. الفلسفة الإغريقية، أولى مظاهر تطور الفكر الإغريقي.
- IV. التاريخ بين أهميته كإبداع إغريقي و وجوده عند حضارات الشرق القديم

1. أصل الفلسفة

1.1 نشأة السؤال الفلسفي :

السؤال الفلسفي قديم قدم الإنسانية ، لا يستطيع الإنسان العيش بدون ، و بدون التساؤل في قضايا الكون و حالته و طبيعته و مصيره، كما لا يمكن أن يكون ما لم يسأل في ما وراء هذا الكون*، و عن إمكانية وجود عوالم أخرى. فلا يمكن تصور أن الإنسان المصري والعراقي والهندي و الفارسي الذي عاش حين ظهرت الحضارات الأولى في تاريخ الإنسانية لم يطرح هذه الأسئلة، و هي حضارات تعود بعضها إلى الألف الرابع قبل الميلاد، فليس بالضرورة أن ترتبط هذه التساؤلات فقط بالقرن الخامس و الرابع قبل الميلاد. و هو زمن تطور حضارة الإغريق، و عليه فإن هذه التساؤلات و محاولة الإنسان الوصول إلى أقصى درجات الحكمة قديمة قدم الحضارات الشرقية الأولى.¹

أما البحث في مجال تاريخ الفلسفة و إمكانية تحديد الإطار الزمني الذي ظهرت فيه تناوله الكثير من المفكرين في الوقت الذي ذهب فيه البعض الآخر إلى التقليل من شأنه لأن أهمية الفلسفة حسبهم تكمل في جوهر القضايا التي تناقشها ، و ليس الإطار الزمني الذي ظهرت فيه . و رغم وجود تميز بين طبيعة الفلسفة و طبيعة التاريخ ، إلا انه لا يمكن أبدا نفي الصلة الوطيدة بينهما. فهناك تاريخ الفلسفة كما هناك فلسفة التاريخ ، و مهما يكن فإن الفكرة الفلسفية لا تموت و لا تتجمد في عصر معين ، لأن هذه الفكرة قد تجد من يحييها في عصر آخر، و ربما يكون ذلك بعد

* : لم تنشأ الفلسفة بمعزل عن منجزات الإنسان العقلية و العلمية و الحضارية، و لا يمكننا فهم تلك المنجزات إذا لم تتبع الذخيرة الفلسفية للمجتمعات المختلفة، و السؤال الفلسفي في حد ذاته هو مظهر من مظاهر التعبير عن تاريخ العقل و الوجود، فالفلسفة متصلة بالحضارة، و من غير الممكن تصور قيام قيام حضارة أصيلة دون فلسفة تكون بمستواها، و بالتالي لا يمكن لنا فصل الفكر الفلسفي عن البيئة الحضارية و التاريخية، فالفكر الفلسفي هو حصيلة أفكار البشر خلال التطور التاريخي للإنسانية .

انظر : جمال المرزوقي، الفكر الشرقي القديم و بداية التأمل الفلسفي، ط 1، دار الآفاق العربية، مصر ، 2001، ص ص 15 - 16.

1 : مصطفى النشار ، مدخل جديد الى الفلسفة ، ط 1 ، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع ، مصر ، ص 27 .

قرون عديدة من ظهورها، فهي تتطور عبر الحوار. و ما المذهب الفلسفي الحديث إلى طرح متجدد لأفكار قديمة. و كل ما في الأمر أن الفيلسوف المعاصر يصوغ مذهبه الجديد في بيئة جديدة تحيط بها ظروف طرحت قضايا متجددة.¹

2.1 نشأة الفلسفة جدلية بين الشرق و الغرب :

من خلال ما تقدم نلاحظ أن نشأة السؤال الفلسفي قديمة قدم الحضارات الإنسانية، إلا أن هناك إجماع بين المفكرين على أن الفلسفة* نشأت في بلاد الإغريق منذ القرن السادس قبل الميلاد، و عادة ما يؤرخ لبدايتها بطاليس الذي عاش في الساحل الأيوني، و أن الفكر الإغريقي ليس مدين بشيء للفكر الشرقي القديم. و يعد ذلك إنكارا لوجود الفلسفة عند المصريين و البابليين و الهنود

1 : مصطفى النشار ، تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع، مصر، 1998، ص 25.

* : يتكون مصطلح الفلسفة من قسمين (فيلوس philos) و معناه صديق أو محب و (صوفيا Sofia) و معناها الحكمة ، و عليه فإن المعنى الاشتقاقي في حب الحكمة، و في محاورة كريتوس يرى أفلاطون ان كلمة صوفيا غامضة جدا و يبدو أنها ليست من أصل محلي، و في نفس المحاورة يشبه ذلك بالقول الذي أورده على لسان سقراط و يرد فيه على (هرموجينيس) لتفسيره كلمة (بور) التي تعني النار ، حيث يرى أن الكلمة بتفسيرها الصحيح ليست من أصل إغريقي ، ذلك لأنهم عندما كانوا تحت سيطرة البرابرة (غير الإغريق) استعاروا الكثير من الألفاظ ، فيجب البحث في اللغات الأصلية التي جاءت منها مثل هذه الألفاظ الدخيلة على اللغة المحلية .

انظر : أفلاطون ، محاورات كريتوس (في الفلسفة و اللغة) ، ترجمة و تحليل عزمي طه سيد احمد ، ط 1 ، وزارة الثقافة ، عمان، الأردن ، 1995 ، ص ص 81 – 82 .

و الملاحظة رغم أن رأي أفلاطون واضح في تحديد أصل كلمة الفلسفة ، و أنها ليست محلية ، و لكن رغم ذلك لم يبرز من أي لغة انحدرت ، و هذا الرأي من شأنه أن يدعم موقف الأصل الشرقي للفلسفة الإغريقية ، فكلمة صوفيا ليس لها اشتقاق في اللغة الهندو أوروبية ، و الأرجح أنها مشتقة من كلمة مصرية قديمة (SB) بمعنى يعلم ، تعلم لأن الحرف المصري (لا) يقابله الإغريقية (PH) و هو حال اسم الربة (ن تحت) (Nbttht) التي تصبح (نفتيس) (Nephthys) ، و منه فالأرجح وفق هذه المقاربة أن تكون كلمة صوفيا وافدة من مصر .

انظر : مصطفى النشار ، تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي ، المرجع السابق ، ص 31 .
و انظر أيضا حول تعريف مصطلح الفلسفة .

CysilMorana et Eric Oudin , Découvrir la philosophie antique , Eyrolles , Chapitre 1 .

و الصينيين. و عليه سنتطرق إلى جدلية الأصول الشرقية للفلسفة الإغريقية المتأرجحة بين التأييد والإنكار.

1.2.1. الرأي الأول : منكري الأصالة الشرقية للفلسفة .

يرى أنصار هذا الرأي أن الفلسفة نشأة إغريقية خالصة، و أن الإغريق لم يتأثروا بأي فكر فلسفي آخر من الشعوب المجاورة، و بالتالي لم تلعب هذه الشعوب أي دور في هذه النشأة لذلك تم إطلاق اسم المعجزة الإغريقية، و من أنصار هذا الاتجاه هيجل الذي أورد في كتابه محاضرات في تاريخ الفلسفة (أن هناك خرافة شائعة بالقول أن فيتاغورس ذهب للبحث عن الفلسفة في الهندو مصر. ذلك مجد قديم لتلك الشعوب مجد الحكمة التي تفهم على أنها فلسفة)، و يرى كذلك (انه إذا كانت المسيحية و الفلسفة في العالم الغربي منفصلان، فإن الأمر بخلاف ذلك في التاريخ الشرقي القديم الذي اعتبر الدين و الفلسفة لا يقبلان الفصل).¹

و يرى أيضا (أن الشكل الأول لوعي الذات الحر الروحي نجده عند الإغريق، و لم يصل الشرق إلى الفلسفة بسبب الخوف من الرب، كما أن ظهور الفلسفة يتطلب الدساتير الحرة)² ، بل أكثر من ذلك نجد أن الكثير منهم يذهب إلى القول أن الفلسفة و العلم اختراعا إغريقيان بيد أن من طاليس المالطي.³

و في ذات السياق ورد عن الفيلسوف برتراند راسل قوله : « إن العلم و الفلسفة بدأ من طاليس المالطي أوائل القرن السادس قبل الميلاد، و أن حضارة الإغريق متأخرة بالقياس إلى

1 : هيجل ، محاضرات في تاريخ الفلسفة (مقدمة حول منظومة الفلسفة و تاريخها) ترجمة خليل أحمد خليل ، ط 1 ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، لبنان ، 1986 ، ص 48 .

2 : نفسه ، ص 193 .

3 : Maurice Groiset , Op Cit , P 52 . 3

حضارات العالم الأخرى، إذ سبقها مصر و بلاد ما بين النهرين بآلاف السنين، و لكن وظيفة الدين لم تكن تسمح بنمو الفلسفة.¹

و في نفس السياق يقول عبد الرحمان بدوي في كتابه (ربيع الفكر اليوناني) : « إن الفلسفة اليونانية لم تنشأ متأثرة بأفكار شرقية، و إنما نشأت نشأة طبيعية من خصائص الشعب اليوناني نفسه ومن الظروف الحضارية التي وجدت في القرن السادس قبل الميلاد في بلاد اليونان..»²

مناقشة أصحاب الرأي الأول :

ميز أصحاب هذا الاتجاه بين الفلسفة* التي هي غاية و مستقلة عن غيرها و الحكمة التي هي شكل من أشكال الفلسفة، و لكن هي وسيلة إلى غاية أخرى ، و في الحقيقة نجد هذا الاتجاه يحمل نظرة عنصرية تعتبر أن الشعوب الوحيدة القادرة على إنتاج الفلسفة هي الشعوب الأوروبية، و الواقع أن التطور الاجتماعي في اغلب مجتمعات العالم قد تجاوز هذه الأطوار، ذلك لأنها كانت مبررا لحركة الاستعمار الأوروبي الحديث للمجتمعات الشرقية بدعوى نقل الحضارة إلى الشعوب التي تفتقر إليها. والحقيقة أن كل مجتمع يؤثر في مجتمع آخر، و هذا من شأنه أن يدعم إنكار هذا الاتجاه.

كما أن فكرة اعتبار الفكر الشرقي فكر لاهوتي يمكن كذلك مناقشتها، ذلك لأن الفكر الفلسفي الإغريقي كان كذلك مسبقا بنظرة دينية، و الدليل في الأشعار الهومييرية والتيوغونيا

1 : برتراند راسل ، حكمة الغرب، ج 1، مجلة عالم المعرفة، العدد 62، ترجمة فؤاد زكرياء، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب، الكويت، ص 22.

2 : عبد الرحمان بدوي ، ربيع الفكر اليوناني ، ط 3 ، مكتبة النهضة المصرية ، ص 84 .

* : لقد استعمل الإغريق في أول الأمر كلمة (صوفيا) وحدها، و تعني كلمة (صوفوس) الحكيم، و وردت أول الأمر في الإلياذة على التجار البارع، و أطلقت كذلك على كل بارع في الفنون، أي أن كلمة فيلو صوفيا لم تكن معروفة في العصور الأولى للحضارة الإغريقية، فلم يرد ذكرها في الإلياذة أو الأوديسا أو الأيام و الأعمال. و يقال أنه كان العقلاء يتجنبون استعمال كلمة (صوفوس) أي حكيم، فكانوا فكانوا يسمونه (فيلو صوفوس) أي صديق أو محب الحكمة .

انظر : حسام الدين الألوشي، الفلسفة اليونانية قبل أرسطو، دار الأمان، الرباط ، المغرب الأقصى، ص 9 .

لهيزيود. بل أكثر من ذلك أن هناك مظاهر التشابه بين اللاهوت المصري والعراقي القديم واللاهوت الإغريقي، و بالتالي فإن القول أن الفلسفة الإغريقية لها استقلالية شبه تامة عن الفكر الشرقي، و أنها نوع من الخلق يمكن مناقشتها، لأن المؤكد أن الإغريق تلقوا من الشرق أفكارا كدستها التجربة الطويلة لتلك الحضارات.¹

2.2.1. الرأي الثاني : مؤيدي الأصول الشرقية للفلسفة :

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الفلسفة جاءت كمحصلة لإسهامات العديد من الشعوب، و لا يجب أن ينفرد بها شعب معين. و ما الفلسفة الإغريقية إلا محصلة تنمية و تطور لما سمي بالحكمة الشرقية، أي أن قدماء الإغريق أخذوا بذور المعرفة من هذه الشعوب الشرقية ثم نموها و طوروها، و لقد كشفت المخلفات الأثرية ما يثبت أن الفلسفة وليدة التماس الإغريق بالشرق القديم. و استدل أصحاب هذا الاتجاه بعدة دلائل نلخص أهمها فيما يلي:²

- التواصل الحضاري و التجاري الذي كان بين الإغريق و حضارات الشرق القديم كمصر وفينيقيا و بلاد ما بين النهرين و الفرس.
- وقوف الإغريق على هذه الحضارات و ميراثها وقفة تأمل و التأثير بمنجزاتهم أدى إلى إيقاظ الفكر الإغريقي للبحث فيما حولهم .
- رغم خصوصية كل من الفكر الشرقي و الإغريقي فهناك خيوط واصله بين الحضارتين، ذلك لأن الفكر الإغريقي لم يرفض ما تلقاه من نظيره الشرقي، بل فيه ما تلاءم مع طبيعته.³
- إن الفلسفة الإغريقية بدأت بمدرسة أيونيا المالطية، و هي جزيرة ذات موانئ تجارية و ذات علاقات ببلاد الشرق .

1 : علي زغور ، الفلسفة في الهند ، ط 1، عزالدين للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت، لبنان، 1993، ص 40.

2 : صبري محمد خليل ، مقدمة في الفلسفة و قضاياها ، الهيئة الفلسفية لطلبة جامعة الخرطوم ، 2005 ، ص 3 .

3 : ثروت عكاشة ، المرجع السابق ، ص 430 .

- إن أعدادا كثيرة من مفكري الإغريق قد زاروا بلاد الشرق منهم طاليس و أفلاطون، وبالتالي من عدم المنطق عدم التأثير بفكرهم، و أن اغلب أفكار المدرسة الأيونية كانت موجودة عند الشعوب الشرقية¹، كفكرة أن النار هي مبدأ الوجود عند (هيراقلitus) كانت موجودة عند الفرس، إلا أن الشرقيين سلموا بهذه الأفكار دون أدلة.²
- إن الاحتكاك و الاختلاط الذي وقع بين المستعمرات الأيونية و الأمم الأجنبية أدى إلى تحسين و تقوية النسل الإغريقي، و ذلك بتحسين مداركهم و مفاهيمهم ، و ما الفلسفة المالطية إلا أكبر دليل على ذلك.
- إن نبوغ الفلسفة و الحضارة الإغريقية ككل لا يعود للإغريق بل إلى المستعمرات التي احتكت ببلاد الشرق.
- اهتمام مؤيدي هذا الاتجاه بإظهار العلاقات بين الإغريق و المصريين والبابليين و الفرس، و من دلائل ذلك قول طاليس أن أصل الأشياء الماء كان موجودا في التراث العراقي القديم، و ذلك ما ورد في حادثة الطوفان.
- و يقول إميل برهيه في ذات الصدد (إن الحضارات السابقة للحضارة الإغريقية نظير حضارة مصر أو حضارة بلاد الرافدين اللتان كانت بينهما وبين حواضر أيونيا-مهد الفلسفة الإغريقية- تماس و اتصال، و انه لمن المتعذر أن ينكر المرء صلة القرابة الفكرية بين الدعوى التي قال بها أول فيلسوف إغريقي طاليس و التي أرجعت أصل كل شيء للماء ، و بين مطلع قصيدة الخلق التي نظمت قبل ذلك بقرون عديدة في بلاد ما بين النهرين (يوم لم تكن السماء في الأعالي قد سميت بعد ، و يوم لم يكن للأرض التي في الأدنى اسم، من أبسو أبيهم و من تيامات الصاخبة أمهم جميعا امتزجت المياه في واحد). و تكفي نصوص كهذه على أي حال لتبين لنا أن طاليس لم يكن مبدعا

1 : صبري محمد خليل ، المرجع السابق ، ص 4 .

: Maurice Croiset , Op Cit , P 56 . 2

لنظرية مبكرة لنشأة الكون*، فهذه الصور جاز القول أنها كانت موجودة منذ عهود عديدة، و لنا أن نرخص بأن فلسفة الطبيعيين الأيونيين الأوائل ربما كانت شكلا جديدا من تصورات سحيقة القدم.¹

و يدعم غادامير في كتابه **بداية الفلسفة** هذا الطرح ، حيث يرى بأنه في تلك السنوات التي بدأ فيها رسوخ سيطرة الإغريق على البحر المتوسط أو على مستوى التجارة فيه، تبع ذلك مباشرة تطورا ثقافيا سريعا، و ليس من قبيل الصدفة إن جاءت الفلسفة قبل سقراط من آسيا الصغرى، و من منطقة ساحلية قريبة من مالطية و أفسوس أي من الإقليم نفسه الذي هيمنت عليه تجارة منطقة المتوسط و ثقافته.²

و من جملة الأدلة التي وردت في ذات السياق أن حاكم مالطية الطاغية (تراسيبول – Trasybule) عقد تحالفا مع (الياط – Alyate) ملك الليديين و منه ربط علاقاته مع بابل و مصر بواسطة الليديين.³

* : شملت الفلسفة عدة فروع منها ما رواء الطبيعة، أي الفلسفة التي تبحث في أمور لا يبحث فيها العلم مثل الله و صفاته، خلود الروح إلى الآخرة، و هناك فلسفة الطبيعة التي تبحث في مكونات الأجسام و قدم حدوث المادة و الزمان و المكان و الحركة، و هناك الفلسفة الخلقية و الإجتماعية التي تبحث في الأخلاق و مقاييسها و الجزاء و العقاب، و الوازع الخلقي و الدافع إلى السلوك، و صلة الفرد بالمجتمع.

أنظر : حسام الدين الألوسي، المرجع السابق، ص 12 .

1: إيميل برهيه، تاريخ الفلسفة، ج 1، (الفلسفة اليونانية) ، ترجمة جورج طرابيشي ، ط 1 ، دار الطليعة للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1982 ، ص ص 7 – 8 .

2: هانز جورج غادامير، بداية الفلسفة، ترجمة علي حاكم الصالح، حسن ناظم، ط 1، دار الكتاب الجديدة، لبنان، 2002، ص 62.

3 : علي زيجور : المرجع السابق ، ص 41 .

3.2.1. تقييم الموقف :

لا يجب أن يقف الباحث في هذا المجال موقف المدافع عن الأصول الشرقية للفلسفة الإغريقية، فالفلسفة الإغريقية لا تستطيع أن تكون المعيار الذي تقاس عليه، خاصة و أنها قد تأخرت في الظهور عن سابقاتها في حضارات الشرق القديم بآلاف السنين.

و المقارنة وفق هذه المعطيات لا يمكن أن تكون صحيحة، لأن شروط المقارنة تتطلب بتوفير شروط معينة منها التقارب الزمني. و بالتالي الحكم على أن الفلسفة و الفكر الإغريقي ككل نشأ مستقلين عن كل المؤثرات الخارجية هي فكرة غير مؤسسة على مقومات صحيحة وموضوعية.

وخلاصة القول انه من الطبيعي أن يتلقى الإغريق مؤثرات من الشرق القديم كمصر والعراق وفينيقيا والهند ، فهم الشعب من التجار و البحارة و لديهم الميل إلى الترحال، و من الطبيعي جدا اقتباس بعض هذه الأفكار من تلك المراكز الحضارية، و ما الأساطير و الأدب والفلسفة إلا واحدة من هذا التأثير.*

3.1 علاقة الفلسفة بالدين و الأسطورة :

1.3.1. علاقة الفلسفة بالدين

يذهب البعض من المفكرين إلى القول أن الفلسفة و إن اتفقت في مضامينها مع أشكال التعبير الأدبي الديني، فإنها تنفرد عليهم جميعا بشكلها، لأن الفكرة في الأدب مثلا تصاغ صياغة قد تكون مباشرة أو مجازية، بينهما تصوغها الفلسفة على نحو مختلف. يعتمد على التجريد والتحليل و التسلسل المنطقي ، إلا أن الواقع يبين أن المضمون في أي نشاط فكري لا ينفصل عن الشكل إلا إذا تعلق الأمر بمضامين العلوم التطبيقية ، ذلك لأنه غالبا ما يصبح للأعمال الأدبية مضامين

* : عن مظاهر التأثير كذلك بين الشرق و الإغريق و دوره في تطور الفكر الإغريقي انظر :

Emile Burnouf , Op Cit , P 14 – 16 .

فلسفية، و الأمثلة في ذلك واضحة و صريحة كتلك التي نقلت لأفلاطون خلال محاوراته التي جاءت في أسلوب حوار* .

و منه فإن هذا التراث الفلسفي العريض الذي يتضمن أشكالا أدبية و صياغات غنية منذ سقراط و أفلاطون خير دليل على أن شكل الفلسفة لم ينفصل عن مضمونها ، و على أن الفلسفة لا يجب أن يرتبط شكلها في إطار تعبري محدود ، و هو ما ينطبق على التفكير المصري القديم الذي ورد في قالب شعري ديني ، و كانت له مضامين فلسفية ، و يكفي القول انه في الثقافة الإغريقية كان هوميروس هو أول مبدع أخذت الفلسفة منه ، و بذلك تكون الفلسفة قد ارتبطت ارتباطا وثيقا بفروع أخرى كالأدب و الدين و العلم و هو ما ينطبق على الفلسفة القديمة ، لأن العلوم فيها قد بدأت تنفصل الواحدة تلو الأخرى عن أمها . و يذهب العديد من المفكرين المعاصرين إلى الإقرار بالأساس المشترك للفلسفة و الدين ، ذلك لأن أي فكرة فلسفية يمكن لها أن تلمس الدين بشكل بسيط أو كبير** .

و إذا كان الأمر يتطلب رفض الاعتراف بتضمن الدين لقضايا فلسفية يستلزم ذلك التضحية بكل آراء الذاهبين إلى التوفيق بينهما، و الإلقاء بتراث العصور الوسطى الفكري في الشرق الإسلام يو الغرب المسيحي خارج نطاق الفلسفة . و إذا تتطلب الأمر الاعتراف بذلك، و هو ما اقره معظم الفلاسفة و مؤرخي الفلسفة من ثنايا الديانات القديمة، و الأمر كذلك للديانة المصرية و ما

* : من الأمثلة على تناول القضايا الفلسفية في شكل محاورات نقيولا سمالبرانش (Malbranche 1638 – 1715) حول الميتافيزيقا والدين و محاورات جورج بركلي (G Berkely 1685-1715) و كذلك محاورات الفها ديفيد هيوم (D . Hume) وكذلك مسرحية الذباب (Les mouches) التي كتبها جون بول سارتر ، إلى جانب جبريل مارسيل (G . Marcel) و ألف مقطوعة موسيقية و نشر مدونتها في احد كتبه و التي تضمنت مضامين فلسفية .
انظر : حسين طلب ، المرجع السابق ، ص 84 .

** : يذهب ارنست كاسيور (E . Cassieur) إلى أن الدين ليس بالضرورة ضدا للفلسفة ، و ذلك مما أدى إلى ظهور محاولات رامية للتوفيق بين الدين والفلسفة، وكانت هذه المحاولات من العرب المسلمين على يد ابن رشد وابن سينا والفارابي، و كذلك لدى المسيحيين على يد القديس اغستين و توما الاكوييني . انظر نفسه ، ص 85 .

تضمنته من قضايا فلسفية. أي عبارة أخرى يمكن القول انه في عملية استقراء لتاريخ الفكر الإنساني يظهر لنا على أن الدين و الفلسفة كثيرا ما يتبادلان موقعيهما، ففي مصر القديمة مثلا يمكننا القول أن الفلسفة كانت تابعة للدين بوجه ما من الوجوه، و عندما جاء العصر الذهبي للحضارة الإغريقية تراجع الدين للمرتبة الثانية و أخلى مكانه للفلسفة دون أن يتوارى نهائيا. لينقلب الحال خلال العصور الوسطى ليرتفع الدين إلى ما كان عليه في الحال الأول لتنزل الفلسفة إلى المحل الثاني حيث أصبحت خادمة للدين، و مهما يكن فإن عملية تبادل الأدوار بين الفلسفة والدين تخضع إلى إطار فكر منظم¹. و مجمل القول أن الدين لا يمكن أن يخلو من أي بعد فلسفي، لأنه ينطوي على قضايا نظرية من الطراز العالي .

2.3.1. علاقة الفلسفة بالأسطورة :

و ما قيل عن الدين يصدق أيضا على الأساطير إلى حد كبير ، ذلك لأن كليهما يتضمن محتوى معرفي يقترب من دائرة الفلسفة بوصفها تنظيما منهجيا لهذا المحتوى . لقد كانت الأسطورة موضع اهتمام الكثير من المفكرين و الفلاسفة في الفترة المعاصرة ، و لكن الاهتمام كان مسبقا بجهود علماء الأنثروبولوجيا و الاجتماع والدين، ذلك لأن الأسطورة في نظر علماء الأنثروبولوجيا هي صياغة قصص تتعلق بالآلهة و الطبيعة و معنى الكون و الإنسان ، بينما لدى علماء الاجتماع و السياسة هي الصورة الشاملة للعالم من وجهة نظر وحدات اجتماعية محددة ، و نظام القيم الذي تستند إليه الصورة*.

1 : حسين طلب ، المرجع السابق ، ص 87 .

* : يذهب ماليموفسكي (Malimovski) من المدرسة الوظيفية أن الأسطورة لم تظهر استجابة لدوافع المعرفة و البحث ، بل هي تنتمي للعالم الواقعي ، و تهدف إلى تحقيق غاية عملية ، و هي تروى لترسيخ عادات قبلية معينة ، أو تدعو لسيطرة عشيرة ما أو أسرة أو نظام اجتماعي قائم ، فهي عملية في نشأتها و غايتها ، إلا أن هذه النظرة لم تجد قبولا واسعا لدى علماء الإنسانيات بصفة عامة و يقتربون من نظرة ماكيفر (M. Maciver) تقابل العلم لأنها تتضمن اللبنة الثقافية و فكرية .

انظر : حسين طلب ، المرجع السابق ، ص 89 .

و إذا كانت الأسطورة تتضمن مثل هذه الأبنية العقائدية و الفكرية و القيم الدينية ، فهي غير بعيدة إذن عن الفلسفة من ناحية المضمون، و هو ما جعل بعض الباحثين يربطون بين الأسطورة و علم دراسة الأسباب (Actiologie) و اعترف البعض الآخر على أنها تعبير عن الحقيقة لكن بصورة خيالية.

ومهما اختلفت الآراء حول ماهية الأسطورة و وظيفتها، فالمتفق عليه أن الدراسات انتهت إلى نتيجة أساسية مضمونها أن الأسطورة شكل قديم جدا، و لكنه جد حيوي و شكل من أشكال الخيال الخلاق، و رغم بساطة الفكر الأسطوري، فهو يعد اللبنة الأولى للمعرفة بالعالم المحيط، و شكل له طبيعة خيالية غير واقعية، و هي أيضا القدرة على التكيف مع النظام الخلقى و العقلي السائد ، و يذهب كيتلي (Keightley) في كتابه أصل علم الأساطير للقول أن الأسطورة لم تنشأ إلا عندما لاحظ الإنسان قوة الذكاء في التأثير على الأشياء الطبيعية، و هو ما يؤكده حقيقة المنشأ العقلي للأسطورة، إلا أن الإيمان بصلة الأسطورة بالفلسفة قد وجد عند قدماء فلاسفة الإغريق مثل أفلاطون، لأن الدراسات في مجال الميتافيزيقا الذي تعتبر أكثر فروع الفلسفة أصالة تبين أن الأسطورة تفرض نفسها بشكل أو بآخر. و لا يستثنى من هذا أكثر الفلاسفة العقلين مثل أرسطو أو سبينوزا.¹ ومنه فإن الأسطورة كالأدب و الدين تعد إحدى مظاهر النشاط العقلي للإنسان، و طموحه في تفسير المعرفة (معرفة نفسه و الكون المحيط به .)

و مجمل القول أنه إذا عمدنا إلى إقصاء التراث الأدبي و الأسطوري من الدراسات المعرفية، سنقصي حكماء الشرق القديم و فلاسفته و منهم كسينوفون* أو حتى أفلاطون نفسه لأنها تضمنت بعض الأساطير في محاوراته .

1 : المرجع نفسه ، ص 92 .

* : ولد بأثينا حوالي 430 ق.م ، كتب في تاريخ بلاد الإغريق ، حيث وصف عودة الجنود الإغريق من الحرب التي كانت تحت قيادته ن و ذلك في كتاب (الصعود) ، كما كتب الذكريات التي يدافع فيها عن أستاذه سقراط الذي اعدم لأنه لم يعترف

2. الشرق القديم المهد الأول لميلاد التفكير الفلسفي :

أن الحديث عن الفلسفة يذهب إلى ابعد مما جاء به الإغريق ، لأن الدراسات أبرزت الدور الذي لعبه كل من المصريين و البابليين والصينيين و الهنود و الفرس السابقين لظهور حضارة الإغريق .

1.2 في مصر القديمة :

اتجه العديد من مؤرخي الفلسفة إلى الإيمان بوجود جذور مصرية للفلسفة ، فالإغريق أخذوا فلسفتهم من الشرق في الوقت الذي أخذت فيه الحضارة الغربية الحديثة فلسفتها من الإغريق .و هكذا فقد انساب تيار الحكمة عبر الأجيال المتعاقبة ، ذلك لأن ما أورده أفلاطون وغيره قد وجد في فكر القدماء المصريين¹.

و من أهم الأفكار الفلسفية التي وجدت في مصر القديمة فكرة الخلود و علاقتها بمدى عمل الخير ليعيش الإنسان الحياة الأبدية التي تكون بعد الموت ، كما اعتقد قدماء المصريين بفكرة انفصال النفس (الكا) عن الجسد (البا) في حالة الموت و أن الموت هو موت الجسم فقط و ليس النفس ، و أن هذه النفس ستبحث عن الجسد لتبعث من جديد و منه تطورت فكرة التحنيط محاولة منهم للإبقاء على الجسد في الحالة الطبيعية.

و لقد أسهمت هذه الأفكار الميتافيزيقية مساهمة فعالة في تطور العلم عند قدماء المصريين خاصة في ميادين التحنيط و العمارة ، و كانت وليدة فلسفة أخلاقية ، عمادها انه يجب أن يتصرف الإنسان وفق العدالة و النظام بعدم ظلم نفسه أو ظلم الآخرين. و لا يرتكب الذنوب لكي

بالآلهة ، و لم يخلو أسلوبه من مضامين دينية و أسطورية . انظر : Xe;ophone , Memorable , Livre premier , librairie , CH ouss , elgme , Paris . 1902 . P1.

1 : مصطفى النشار ، الفلسفة اليونانية ، المرجع السابق ، ص 36 .

يسلم من عقاب الآلهة في الحياة الأخرى . أي أن الفكر المصري القديم ربط بين الفكر الأخلاقي الحميد و المصير الحسن الذي سيلقاه صاحبه* .

1.1.2. أخناتون فلسفة دينية و اجتماعية :

يوصف اخناتون بالملك الفيلسوف الذي عاش حوالي القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، بحيث أحدث فكره ثورة دينية اجتماعية و أخلاقية . و ذلك بتصور اله واحد أعظم ، و هو مبدع للحياة وخالق كل شيء و مسير كل الأشياء حسب مشيئته، رابط الأمم بمحبته، فهو اعتقد بوحدانية الإله بصورته المجردة ، و رغم انه ربط فكرة الإلهية بقرص الشمس، إلا أن فكرته سبقت بكثير الإغريق من أمثال أفلاطون و أرسطو لدراسة فكرة الألوهية**

* : يعتبر المفكر الأخلاقي (بتاحوتب) من أوائل المفكرين الأخلاقيين في مصر القديمة ، و عاش حوالي (2700 ق.م) أي قبل ظهور الفكر الإغريقي بحوالي ستة و عشرون قرنا كاملة ، و لقد اكتشف لهذا المفكر حوالي ثلاثة أو أربعة لوحات مترجمة، وأطلق عليها اسم مخطوط الحكمة دارت معظمها حول تعليم ابنه الأخلاق الحميدة ، حيث رسم سورة الإنسان الحكيم الذي تعلم فضيلة ضبط النفس لتصبح هذه الفكرة احد أحجار الزوايا للفكر الأخلاقي الإغريقي عند سقراط و أفلاطون . و أدرك (بتاح حوتب) العلاقة الوطيدة بين النفس و بين كل ما هو فاضل و محمود ، بكل ما هو أخلاقي . لن الفضيلة في نظره هي أساس الصداقة و المحبة بين الناس ، و أفراد الأسرة الواحدة ، بين الزوج و الزوجة و الأبناء ، حيث قال اتبع عقلك ما دمت حيا .

انظر : مصطفى النشار ، (الفلسفة اليونانية) المرجع السابق ، ص 37 .

** : لم تقتصر فكرة اخناتون على هذه الآراء حول وحدانية الإله ، بل كان صاحب فكر أخلاقي و اجتماعي و سياسي ، حيث بنى مدينة جديدة أطلق عليها اسم (اخيتاتون) في تل العمارنة ليعبد فيها الإله الواحد ، و كان يهدف إلى تحقيق أسمى ما يهدف إليه الإنسان و هو دولة عالمية واحدة يسودها الاعتقاد بالإله الواحد و يخضع فيها الجميع إلى قانون عالمي واحد . و إذا علمنا أن بعض المؤرخين يذهبون إلى القول انه كانت موجودة جاليات ميسينية (و هم الذين عرفوا فيما بعد بالإغريق) وجدوا في منطقة العمارة التي استقر فيها اخناتون ، فبالتالي يمكن لأفكاره أن تنتقل منهم أو عبرهم إلى بلاد الإغريق في منطقة آسيا الصغرى مباشرة، أو عن طريق كريت التي كانت تلعب في ذلك الوقت دور الوسيط بين مصر وبلاد الإغريق، والمعروف أن معظم الفلاسفة الإغريق قد زاروا مصر و اطلعوا على تراثها الفكري و تأثروا به .

انظر مصطفى النشار ،(الفلسفة اليونانية) ، المرجع السابق ، ص 38 – 39 . و انظر أيضا

Herodote : Op Cit , P 8 .

و انظر أيضا

Chester G , S tarr , Op Cit , P 58 .

و انظر أيضا

2.2 الفلسفة في الهند:

يعود ظهور الفلسفة في الهند إلى حوالي الألف الثاني ق.م أين شهدت تشكيل دويلات في ما يعرف بالهند الحالية، وتربع على رأس هذه الدويلات (راجا) ويعتمد في سلطته على دعم طبقة أرستقراطية من ملاك الأراضي والزعامة الدينية القائمة على سلطة القبيلة (البراهماتيون)

وارتبط الفكر الهندي القديم فيما يعرف بالفيدا*

وحدد لنا هذا الكتاب الخصائص العامة للفكر الفلسفي الهندي الذي يعود إلى حوالي 15 قرن قبل المسيح أي بكثير قبل ظهور الفلسفة الإغريقية، ورغم البعد الجغرافي للهند عن مسرح الأحداث الذي تناولناه بالدراسة فيما يتعلق بالأصول الشرقية للفكر الفلسفي الإغريقي إلا أن الهدف من إبراز هذا النموذج هو تأكيد أن ظهور الفلسفة لم يرتبط فقط بالحضارة الإغريقية، بل يعود إلى حضارات الشرق القديم التي بكرت به، إلى جانب الرغبة في توضيح إمكانية وجود صلات تجارية بين منطقة شرق المتوسط ومناطق الشرق الأدنى . ويكفي أن نبرز أن منطقة شبه الجزيرة العربية

G .Glotaz , Op Cit , P 5 .

و لقد ورد أن أفلاطون رغم اعترافه أن كلمة الفلسفة ليست من أصل محلي بل هي شرقية ، إلا انه يذهب إلى القول أن عقل الحضارات الأخرى يمثل مستوى عقل الطفولة ، و لا يرتقي إلى مستوى الحضارة ، بل و انه ذهب إلى تعداد أسماء الكهنة المصريين الذين تتلمذ على أيديهم صولون .

انظر :

A .Bonché . LE LL RLL , L'astrologie Grecque , ERNEST , LE ROUX , editeur , Pparis , 1899, P35 .

* : تعتبر الفيدا كتاب المعارف من أقدم الآثار الأدبية الهندية هو مؤلف ديني يضم عدد من الأفكار و الآراء ذات الطابع الفلسفي عن العالم و الإنسان والأخلاق. ويتألف الكتاب من أربعة دواوين أقدمها كتاب (سامهيت) أما الدواوين الثلاثة فهي لا تتعدى أن تكون تعليقات و شروح إضافية، أما كتاب سامهيت يتألف بدوره من أربعة أجزاء أقدمها رج فيدا وهو مجموعة من الأناشيد الدينية ظهرت حوالي 1500 ق.م بليه كتاب البوا مهات ويظم عدد من الطقوس الدينية اعتمد عليها المذهب البراهماتي الذي ظل يسيطر حتى ظهور البوذية، ويظم الكتاب الثالث اريناكا القواعد الخاصة بسلوك الزهاد والنسك، في الوقت الذي يمثل فيه انبثاق الجزء الأخير الذي يكتسي الطابع الفلسفي ويعود ظهوره إلى بداية الألف الأولى ق.م

- انظر: خليل حسين، الفلسفة والفكر السياسي في العصور القديمة والوسطى، ط1، منشورات الحلبي، الحقوقية، سوريا، 2011، ص16

مثلا كانت لها علاقات تجارية مع الهند عبر المحيط الهندي ولم تكن هذه المنطقة معزولة جغرافيا على منطقة شرق المتوسط بل كانت قريبة منها، ففي كل الحالات لا يجب أن نقصي هذا النمط الفكري و الفلسفي الذي ظهر في هذه المنطقة من العالم، ويكفي ان نستدل بفكرة الأسبقية الزمنية عن الفلسفة الإغريقية.

1.2.2. الملامح العامة للفلسفة الهندية :

من أكثر السمات إثارة في الفكر الفلسفي الهندي الثراء والشمولية والطابع العلمي، لأن تأملات حكماء الهند نشأت نتيجة الرغبة في تحسين ظروف الحياة. في الوقت الذي واجه فيه هؤلاء الفلاسفة العذاب الروحي و الجسدي والذهني، و دفعتهم اعتبارات مختلفة إلى البحث عن سبل التخلص من جميع إشكال المعاناة، وأدى ذلك إلى البحث في بناء وصف تفسيري لطبيعة الواقع و الوجود الإنساني لكن هذه الاعتبارات لم تأخذ بصورة منفصلة، لقد استخدم الفهم والمعرفة المستمدان من الفضول التأملية إلى التغلب على العذاب و المعاناة وتلخص هذه المعاناة في الهوة الموجودة بين ما يكون المرء وما يملكه وبين ما يريد أن يكون وبين ما يريد أن يملكه، فالإنسان الفقير إذا يرغب في الثروة التي يفتقر إليها يعاني والإنسان الذي يرغب في الخلود على الرغم من أنه يعلم أن الموت حتمي يعاني هذه الحتمية، ولم يكن هناك فارق بين ما يكون عليه الإنسان وملكه، وبين ما يريد أن يكون عليه وأن يملكه، فتكون هناك المعاناة أي عندما يكون فارق بالمعاناة تكون إذا حتمية، وإذا كان ذلك كذلك فيتطلب الأمر حل للمشكلة والحل واضح هنا، وهو تطابق بين ما هو كائن وما هو مرغوب فيه

ويتحول السؤال لهذه الطريقة إلى كيفية المطابقة بين ما هو كائن والمرغوب فيه، ويقوم ذلك أساسا على ملائمة ما يكون عليه المرء وما يملكه مع ما يرغب فيه، فإن كان الإنسان فقير ويرغب في الثروة فعليه إذا أن يجتهد في جمعها، ولكن هناك اتجاه آخر يذهب إلى حل هذه بقوله إذا كان الإنسان فقيرا ويرغب في الثروة وينتج عنه المعاناة فيجب التغلب على هذه المشكلة من خلال التغلب

على هذه الرغبة ويكون بالتالي حل هذه المعاناة بخلق تطابق بين رغبات الإنسان وما يملكه، ومهما يكن من حلول فإنها تتلخص في إيجاد طرق عملية لمواجهة هذه المعاناة. ولقد اختارت الفلسفة الهندية المنظور الثاني وهو التشديد على ضبط الرغبات*

2.2.2. إطلالة تاريخية على الفلسفة الهندية :

للفلسفة الهندية تاريخ طويل يمكن له أن يعود إلى الفيدا التي ظهرت حوالي 1500 ق.م. ومنذ تلك البدايات تحصلت الهند على ثروة هائلة من التأملات الفلسفية ورغم صعوبة وضع الفلسفة الهندية ضمن إطارها الصحيح بسبب الطابع الأسطوري وعدم القدرة على تحديد التواريخ و الأماكن، ففي العديد من المناسبات لا يمكن الوصول إلى من هو المسؤول عن هذه الفلسفة ولما يكون المؤلف مجهول تكون بالتالي صعوبة تحديد الزمان والمكان إلا على النحو غير مباشر وعادة ما يقدر بالقرون وليس بالسنوات أو العقود.

ويمكن إيجاد منظور تاريخي لهذا التسلسل يعتمد على النحو التالي:

- المرحلة الفيديّة 1500 ق.م إلى 700 ق.م
- المرحلة الملحمية من 800 ق.م إلى 200 م
- مرحلة السوترا 400 ق.م إلى 1700 م
- مرحلة النهضة 1800 م إلى اليوم*

*:تميل الفلسفة الهندية إلى التشديد على الانضباط الذاتي و السيطرة على النفس كشرط مسبق للسعادة، والحياة الخيرة وتكون بالسيطرة على الذات ولا بإشباع الرغبات ، وبالتالي القضاء على المعاناة. فتكون الحاجة إلى كبح جناح الرغبات و السيطرة عليها استلزمت معرفة أهمية الذات، لأن معرفة الذات والسيطرة على النفس يمكن أن يؤديا إلى تخفيف المعاناة، ومنه تجلت الممارسة العملية للفلسفة الهندية القائمة على صورة تتجلى في إدراك فن العيش في إطار سيطرة المرء الكاملة على ذاته. انظر: جون كولر ، المرجع السابق، ص 25 .

*- بدأ العصر الفيدي بانتقال الشعوب الآرية من آسيا الوسطى إلى واد السند حوالي 1500 ق.م. ليخلط التراث الثقافي المحمول معهم بتقاليد شعوب المنطقة وهو ما يدعونا للقول أن مثل هذه الحركات البشرية في إطار الهجرات يمكن لها أن توسع

3.2.2. الملامح العامة للفلسفة البوذية :

ارتبطت الفلسفة الدينية في الهند بشخصية (جوتاما سدهارتا) وعرف أيضا ببوذا**، واعتمدت على إيجاد تحليل نسقي للمعاناة و أسبابها و التي تقدم بدورها العديد من الوسائل لقهر هذه المعاناة

دائرة التأثير و التأثير بين مختلف شعوب العالم القديم. خاصة أن منطقة آسيا الوسطى التي انتقلت منها هذه الشعوب قريبة نوعا ما عن مركز التنقل الحضاري في منطقة الشرق الأدنى والشرق المتوسط.

أما المرحلة الملحمية فقد ركزت على التراث المقدس الذي يجب كتابته بشكل كبير، وتزامن ذلك مع تنامي الأدب الشعبي، ومن أهم ملامح ذلك المهاباراتا والرمايانا، ولقد سبق الحديث عن المهاباراتا. أما الرمايانا فهي قصيدة تقع في أربع مجلدات وتقدم المثل العليا للإنوثة والرجولة المتجسدة في شخص سيتا وزوجها وتشير الملحمة إلى نضام مثالي للمجتمع بأسره وتنظيم مثالي لحياة الفرد ورسائل من العدالة والاستقامة الأخلاقية. أما مرحلة السوترا تزامنت مع بداية إرسال تفسيرات نفسية فلسفية للعالم و الطبقة الإنسانية وبالتالي تضمن جهد فلسفي خالص للهند لأنها قامت على وعي الذات والإبقاء الذاتي من أجل صحة الإجابات المقترحة على أساس عقلي. والسوترات هي أقوال مأثورة ينهي إلى البوذية خاصة أما مرحلة النهضة جاءت نتيجة الاحتكاك بالغرب وقامت على إحياء التراث القديم وتمحيص التراث الفلسفي وقام بها (را مو هون ري)

انظر: جون كولر، المرجع السابق ، ص38

** : تفيد الروايات التي قبلها الناس على شكل واسع فيما يتعلق بحياة بوذا انه كانت لديه القدرة على التأمل و التركيز على مشكلة المعاناة، و ذلك من خلال لقاءات درامية مع المرض و الشيخوخة و الموت و الزهد ، و كان أبوه حاكم إمارة مزدهرة، و قد قيل له - فيما يبدو و حسب العرافة - أن ابنه إذا ما عرف شرور العالم سوف يتخلى عن المملكة و يصبح زاهد و معلما عظيما للبشر و لقد عقد الأب الذي لم يكن يريد فقدان ابنه على هذا النحو على القيام بكل شيء لإبعاده عن العالم القاسي ، فعمل على توفير كل مصادر الثروة لأبنه من الخادومات و مزايا القصر لحمايته من التعرض للمعاناة، و صمم الأب على أن يضل ابنه جاهلا لحقيقة العالم .

و ذات يوم لما كان الفتى في نزهة على متن عربته التي تجرها الجياد، رأى (جوتاما) عجوزا يميل على عصاه و قد اشتد به العجز متعثرا في مشيته فسأل الأمير الشاب سائق العربة عن السر في أن ذلك الرجل ليس كباقي الرجال،

فأبلغه السائق أن الرجل عجوز ، لكن الشاب لم يفهم هذه الكلمة، لأنه لم يسبق له خبرة مع الشيخوخة، ليقول له السائق ان هذا الرجل يقترب من النهاية، و انه سرعان ما يموت ، فسأل الشاب : « و لكن أيها السائق الطبيب ، هل أنا معرض للشيخوخة أيضا ؟ و ما كنت قد عرفت عنها في الماضي قط » فأجابه السائق : « أنتم يا مولايو نحن أيضا جميعا من نوع قدر عليه أن يشيخ، و لا منجاة لنا من الشيخوخة » فأثارت الإجابة فزع جوتاما و أصبح بعدها يفكر في معاناة الشيخوخة

و بعد أيام تكرر أمامه مشهد لشخص آخر مريض - استبد به المرض - يعاني ، فوجد الناس يحملونه ، فسأل الشاب عن حال هذا الرجل، فأوضح له السائق أن الرجل مريض ، و سأل هل هو أيضا سيتعرض للمرض ، فأجابه السائق بتأكيد و أنه لا يفلت من نطاق قبضة المرض، فعاد إلى القصر و هو يفكر في هذا المشهد .

و بعد أيام في طريق نزهته شاهد جمعا من الناس يلبسون ثيابا متنوعة الألوان، و هم يعدون محرقه جنازية، فطلب من السائق أن يفسر له هذا المشهد. فقال له السائق أن أحدهم قد مات، حتى طلب مشاهدة الجثة فسأل سائقه ، هل سيكون له نفس

و التغلب عليها ، و البوذية باعتبارها طريقا إلى الحكمة يتم تعليمها و ممارستها من اجل تحسين نوعية الحياة من خلال إزالة منابع المعاناة و التغلب عليها¹، وعليه قامت الفلسفة البوذية الداعية للتخلص من المعاناة و القائمة على قواعد و هي :

- هناك معاناة - البحث عن أسباب المعاناة - يمكن القضاء على المعاناة من خلال التخلص من أسبابها، و السبيل إلى ذلك هو إتباع الطريق الوسط. و شكلت بالتالي هذه القواعد أسس الفكر البوذي، و يقوم الطريق الوسط على ثمانية مبادئ*، و ينبغي لألوان السلوك المختلفة في

المصير ؟ فأجابه السائق بحتمية الموت ، انه سوف لن يراه أقرابه بعد ذلك و لن يرى هو الناس بعدها. و بقي يفكر في حتمية الموت، و بعد أيام شاهد رجلا حليق الرأس يرتدي ثوبا اصفر يبدو قائما في سلام مع نفسه، فسأل سائقه عنه فقال له انه ناسك ، فاقترب منه و سأله : « ما الذي يعنيه هذا أيها المعلم ؟ » فأجابه : « انه يعني يا مولاي كون المرء ضليعا في الحياة الدينية ، ضليعا في الحياة المسالمة، ضليعا في الأعمال الطيبة، و السلوك الجدير بالتقدير و النفقة على الكائنات . » فطلب من سائقه العودة إلى القصر و قال : « أما أنا فسأقص شعري و ارتدي الثوب الأصفر، و لأمضي قدما من الدار إلى حال التشرد. » فقرر السيد الشاب إتباع ذلك السبيل.

انظر : جون كولر، المرجع السابق ، 182 .

1 : المرجع نفسه ، ص 180 .

* : هذه المبادئ هي :

(ساما ديني Samma Dithi)	1) سلامة الرأي
(ساما سنكابا Samma San Kappa)	2) سلامة النية
(ساما فاكاما Samma Vacaka)	3) سلامة القول
(ساما كامنتا Samma Kamanta)	4) سلامة الفعل
(ساما أجييفا Samma Ajiva)	5) سلامة العيش
(ساما فاياما Samma Vayama)	6) سلامة الجهد
(ساما ساتي Samma Sati)	7) سلامة الوعي أو الانتباه العقلي
(ساما سمادي Samma Sammadhi)	8) سلامة التركيز

و يجب أن تعبر أنواع السلوك المختلفة عن هذه المبادئ الثمانية بهدف تحقيق حياة مستقيمة من أسمى طراز، و قواعد هذا السلوك هي الانضباط الذهني و الحكمة و سلامة القول و الفعل و العيش ، تمثل حقيقة الانضباط الذهني سلامة الجهد، و سلامة الانتباه العقلي و سلامة التركيز، و تمثل حقيقة الحكمة سلامة الرأي و سلامة النية ، و هذا السلوك الأخلاقي هو كبح جماح التدفق المستمر لضروب الرغبة الملحة ، و الحكمة هي إذن السبيل لحياة تخلو من المعاناة.

انظر جون كولر ، المرجع السابق ، ص 189 .

الحياة بهدف تحقيق الاستقامة، و الحكمة هي التي تشكل أساس هذه المبادئ، و السلوك الأخلاقي يقوم على أساس الحب و الحنان، و ينبع من عقل مستقيم و يهدف إلى الحياة الخيرة، و كل ذلك يكون بما يلي:

- التخلص من الشهوة و سوء النية و الكسل و الهم و القلق و الشك، و هي أنشطة ذهنية قاصرة غير صحيحة، و تحل محلها مشاعر البهجة و السعادة ، فالشخص الحكيم هو الذي يكون خيرا، و ذلك يرتبط أيضا بسلامة القول و سلامة العقل و أسس كسب العيش وبالتالي قاعدة السلوك الأخلاقي هي النفقة على الغير و حبهم و عدم ترك المجال للأناية لأن الجهل و الأناية يجب أن يحل محلها الحكمة و الشفقة.¹

أما من الزاوية التاريخية فإن **جوتاما سدهارتا** ولد حوالي عام 563 ق.م في **كايبلا فاشو** أو ما يعرف الآن باسم **النيبال Népal**، و يعد مؤسس الفلسفة الهندية، و رسخت أفكاره بعد موته في الحياة السياسية وفق مجالس كانت تعقد بصفة دورية، و هو ما يبرزه المخطط التالي.

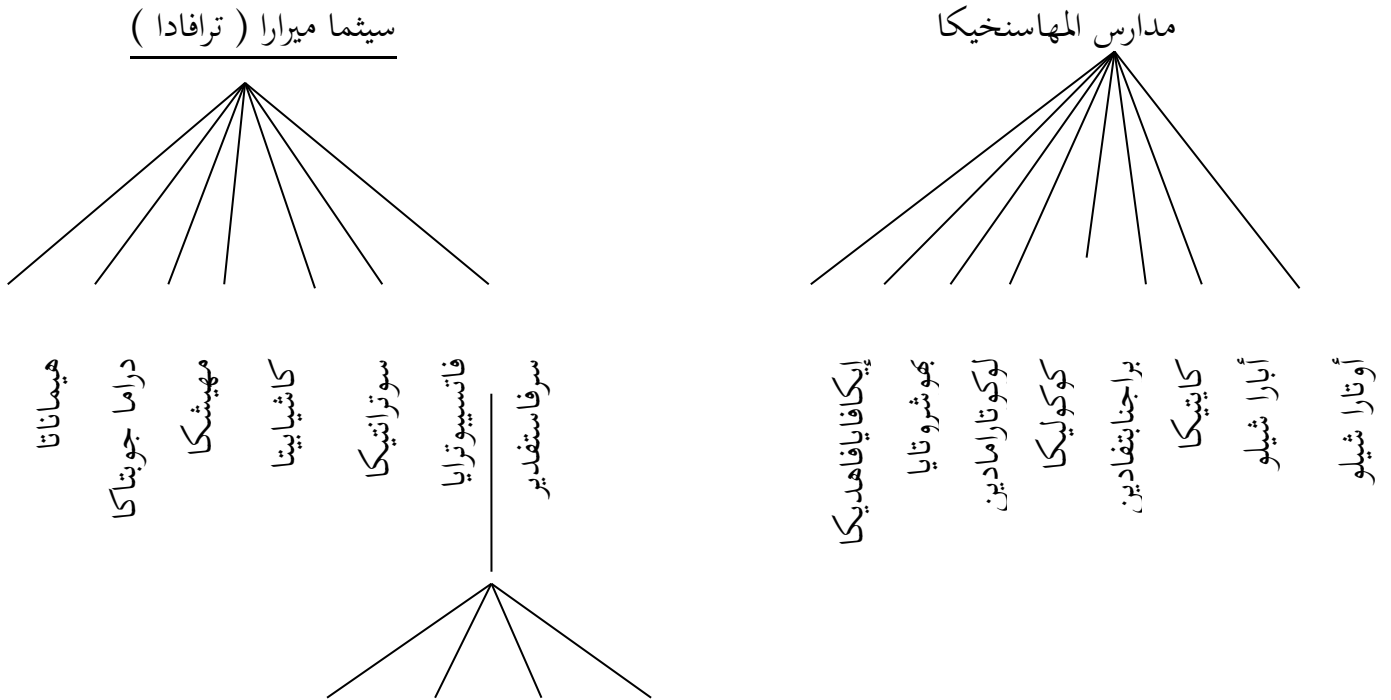
1 : جون كولر ، المرجع السابق ، ص 191 .

وذا (ولد في 563 ق.م و مات في 483 ق.م)

(المجلس الأول - راجاجراها 483 ق.م)

(المجلس الثاني - فيسالي 383 ق.م) النظام

(المجلس الثالث - تبلييوتا 247 ق.م)



الشكل رقم (20) صورة تاريخية عامة للتطور المبكر

للمدارس البوذية .¹

دراموتاريا	بهادريانيا	ساميتايا	تشاناجيكا

1 : انظر جون كولر، المرجع السابق ، ص 200 .

الشكل (21) تمثال بوذا

تمثال بوذا (جوتاما سدهارتا)¹



1 :

<https://www.arabency.com/ar/%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%AD%D9%88%D8%AB/%D8%A8%D9%88%D8%B0%D8%A7-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%88%D8%B0%D9%8A%D8%A9>

4.2.2. علاقة الفلسفة الإغريقية بالفكر الهندي :

يذهب البعض للقول أن العديد من الفلاسفة الإغريق زاروا الهند و اقتبسوا منها العديد من الأفكار، و من ذلك ما ذكر بأن فيتاغورس قد تأثر بأفكار الهند و مثله أرسطو، حتى قيل أن المنطق الأرسطي نتأثر بمذهب النيبا، حتى أن المذهب الذري لديموقراطيس له جذور هندية، ويذهب البعض مثل شارلفرنر إلى القول أنه كانت للهنود فلسفة، و لكن هذا الأخير يستبعد أن تكون للفلسفة الإغريقية أصول هندية، إلا أن التأملات الفلسفية الهندية التي بدأت بكتاب الفيدا تعود إلى ما قبل 1500 ق.م .

و الملاحظ أن اللاهوت الإغريقي يقدم لنا شيئاً من التشابه مع كل من اللاهوت الهندي والبابلي و المصري، وطبقاً لذلك اعتقد المهتمون بمثل هذه المقارنات من الباحث (غلاديش) الذي أقر بأنه لا بد أن يكون تأثير شرقي من خلال اللاهوت، ثم انتقل هذا التأثير* إلى الفلسفة، و تميزت الفلسفة الإغريقية بمحاولة التفسير النوعي للأشياء و ردها إلى أصل واحد، وهي فكرة في الأصل هندية، حيث أرجعت الأشياء المتكررة إلى الوحدة، سواء بالتصريح بوحدة الوجود كما ورد في الفكر

* : حول الأفكار الفلسفية نجد تشابهات عديدة بين الفكر الإغريقي و المصري، خاصة فيما يتعلق بفلسفة أفلاطون و أرسطو و أفكار (بناح ختب)، لأن هناك حجر مصري محفوظ في المتحف البريطاني يحتوي على آراء حول نظام الكون و أصله ، و يرجع تاريخها إلى عام 700 ق.م ، و هو يحمل اسم فرعون مصري يقرر أن يستنسخ نقشا لأسلافه، و يعود تاريخ هذه الآراء إلى أزمنة الإله (بناح) ممفيس — حتى الكلمة المتحورة عن سقراط (أعرف نفسك) وجدت منقوشة في الجدران الخارجية للمعابد المصرية، أما الهنود القدماء، فقد اعتقدوا بفكرة الوجود الواحد الكلي، المختفي وراء مظاهر العالم المتغير، و هذا الوصف الذي ورد في الكتب الهندية كالابانيشاد، حيث ورد : «لا سبيل إلى رؤيته أو الإحاطة به، لا مثل له و لا لون له، لا عين و لا أذن، و لا أيدي و لا أقدام، يتخلل كل شيء، وهو كلي الوجود، انه الواحد الذي لا نظير له، و هو الذي ينظر إليه الحكماء باعتباره مصدراً للموجودات.»

حتى أن فيتاغورس تأثر بالفكر الهندي في مجال تناسخ الأرواح، و هي أن الروح خالدة تنتقل من إنسان إلى آخر، و من حياة إلى أخرى، حتى تصل في رحلتها العلوية إلى الإله.

انظر : يحي محمد ، الفلسفة اليونانية و المصادر القديمة،

<http://www.fag.maldin.net/index.php?=2144>

الهندي، أو ما يقرب النظر من ذلك كما لدى قدماء الإغريق الذين ورد استبياهم إلى مبدأ الأصل و الشبه.¹

3.2 الخصائص الأساسية للفلسفة الصينية القديمة :

تقوم الثقافة الصينية و بالتالي حضارتها على أساس فلسفي شكله في المقام الأول مبادئ الكونفوشيوسية، و قامت هذه الفلسفة و ما تفرع منها بعد ذلك بتشكيل مبادئ الشعب ومؤسسته، وكانت مصدر الهام له عبر أكثر من خمسة و عشرين قرنا من الزمن.

و ارتبطت الفلسفة الصينية بالسياسة و الأخلاق، و لم تتركز الفلسفة الصينية على التأمل في العالم بقدر ما ركزت على الأشخاص و الإنسانية بصفة عامة، على أساس أن الروح هي الجانب الأهم من الوجود الإنساني، و لا بد من تهذيبها و رعايتها، و يكون ذلك بالتأكيد على الفضائل العائلية و بالتالي مفهوم حب الأبناء للآباء الذي يشكل حجر الزاوية في الأخلاق الصينية، لأن البيئة المحيطة بالصغار هي بناء اجتماعي تشكله العائلة، و تعود الجذور التاريخية لهذه الفلسفة من خلال أقوال كونفوشيوس أي إلى حوالي منتصف القرن السادس قبل الميلاد.

إلا أن البدايات الأولى للفكر الصيني تعود إلى قبل ذلك، لأن التراث الصيني قد سبق الفلسفة فيها، ذلك لأن بروز التاريخ الصيني في العصور القديمة كان بأسرة (شانج Shang) في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، و تشير الأدلة أن الحضارة الصينية كانت متطورة قياسا لتلك المرحلة، و من أدلة ذلك الأواني الفخارية المصقولة التي وجدت هناك، و لقد انتهت هذه الأسرة بالغزو الذي تعرضت له على يد شعب تشو (Chou) حوالي 1122 ق.م الذي كان اقل تحضرا من الأسرة الأولى، و لكن كانت له صرامة و عزم على تحقيق توسعات على حساب كل أرجاء الصين معتمدين على إقطاعيات زراعية مكتسبة من ملاكها بعدوا أن تقربوا منهم ، غير انه بحلول عام 770 ق.م حدثت

1 : يحي محمد ، المرجع السابق ، ص 12

تحالفات بين الحكام الإقطاعيين* و شنوا هجوما على عاصمة تشو و تم قلب السلطة و الاستيلاء على الحكم من طرف هؤلاء الإقطاعيين، و ميز هذه الفترة الصراع على السلطة ، و هي الفترة التي سبقت مولد كونفوشيوس و لاوتسو، حيث ولد كونفوشيوس حوالي 551 ق.م ، و من خلال الإطار التاريخي و تداعيات الأحداث التي ولد خلالها استنتج أن مشكلات الشعب ناجمة أساسا من الصراع على السلطة التي مورست بمبدأ غير أخلاقي فقط لتحقيق مصلحة الحاكم و رفايته فحسب.¹

حيث دعا كونفوشيوس إلى إصلاحات اجتماعية و ذلك بتكوين حكومة لمصلحة الناس جميعا، و شدد على انه يمكن القيام بذلك إذا كان أعضاء الحكم يتميزون بأقصى قدرة على الاستقامة الشخصية، و فهم احتياجات الناس والاهتمام بمطالبهم وسعادتهم قدر الاهتمام بأنفسهم.

و القاعدة هي (أنجز للناس ما كنت تريد انجازها لنفسك) و هو مبدأ و شرط أساسي في المجتمع المثاليين و يستند في ذلك إلى معرفة الإنسان أكثر من معرفة الطبيعة، إن لم يكن بمقدرة الإنسان أن يعرف نفسه و يفهما فكيف له إذن أن يستطيع فهم الطبيعة و أن سيطر عليها.

و رغم أن كونفوشيوس عاش في الفترة الممتدة بين 551 ق.م و 479 ق.م إلا أن أفكاره جاءت من الفترة التي سبقتها، و استمد إلهامه من دراسة كتب تراثية سبقتها*، و جوهر تعاليمه تكمل

* : ظهرت ما بين القرنين الثامن و السادس قبل الميلاد مجمع يقوم على أساس فوارق طبقية هامة بين طبقة الإقطاعيين و الملاك و طبقة العبيد و الرقيق، و ذلك ما وفر مناخ لظهور اتجاهين فكريين أساسيين الأول تقليدي محافظ، و الثاني تعديري تقدمي.

انظر : خليل حسين، المرجع السابق، ص 21 .

1 : انظر : جون كولر، المرجع السابق ، ص 319 .

* : اعتمد على الكلاسيكيات الخمسة ، و للتعبير عن فكره وجدت كتب أربعة و هي كالتالي :

1. كتاب الشعر (شيه تشينغ ShihChing) و هو أشعار تعود إلى عهد تشو .
2. كتاب التغيرات (تشو تشينغ ShoChing) و هو مجموعة من الصياغات لتفسير الطبيعة تستخدم خاصة في أغراض العرافة ، يعود الى حوالي 1100 ق.م .

3. كتاب الطقوس : (لي تشي Li CHI) و هو مجموعة من القوائم المنظمة للسلوك الاجتماعي .

4. حوليات الربيع و الخريف : (تشو تشو Chum chan) و هو تاريخ الفترة الممتدة من 722 ق.م إلى 464 ق.م

في كون الشخص من خلال تطويره لجوانب إنسانيته الداخلية يمكن أن يصبح عظيماً في سلوكه الشخصي وحياته الخاصة، وكذلك في علاقاته مع الآخرين، ولما يقوم كل الأفراد بذلك فإن الخير سيعم و السعادة تنتشر و ستحقق، و من شراح الكونوفوشيوسية هو تسن 320 ق.م 238 ق.م و الذي أكد على الحاجة إلى ممارسة الفضائل و الاهتمام بالأبناء للحفاظ على الطابع الإنساني، و ذلك يؤدي إلى اقتلاع جذور الشر في البشر و احتلال الخير محله.

3. الفلسفة الإغريقية أولى مظاهر التطور الفكري الإغريقي :

تميز فجر الفلسفة الإغريقية بالبحث في قضايا الطبيعة المتصلة بالكون وطبيعته، و يعتبر ذلك امتداداً للأسلوب الفكري السائد في تلك الفترة، و القائم أساساً على التفسير الأسطوري لنشأة الكون وعلاقته بالآلهة. و لقد برز أوائل الفلاسفة الإغريق في منطقة أيونيا بآسيا الصغرى التي عرفت ظهور المدرسة المالطية .

1.3 الفلسفة الطبيعية (المدرسة المالطية) :

في مدينة مالطية النشطة بالحياة و التجارة، طور الإغريق معالم حضارتهم ، لأن المنطقة لم تكن ملتقى الطرق التجارية فحسب، بل كانت أيضاً ملتقى الأفكار و العادات و التقاليد المختلفة، التي تدعوا إلى ضرورة إمعان الملاحظة و التفكير، و بالتالي تؤدي إلى يقظة العقل، وفي مدينة مالطية

5. كتاب التاريخ : (تشو تشينغ ShoChing) و هو مجموعة من السجلات الخطبة و الوثائق الرسمية من 2000 ق.م إلى 700 ق.م و الكتب الأربعة هي :

- مختارات كونفوشيوس : (لون يو Lun Yu) و هي أقوال لتلاميذه
 - العلم العظيم : (تاهسيو Tahsudu) يضم تعاليم كونفوشيوس المتعلقة بنظام الحكم .
 - عقيدة الوسط : (شونغ يونغ Chung Yang) تظم تعاليم تنظيم الحياة .
 - كتاب متشيوس (مينغ تسو Meng Tzu) و هو شرح لمبادئه .
- انظر جون كولر ، المرجع السابق ، ص 320 .

اجتمعت هذه المميزات، فكان بالتالي المناخ مناسباً لولادة الفلسفة الإغريقية. ومرت الفلسفة الإغريقية في نشأتها بعدة مراحل:

- (1) المرحلة السابقة لسقراط : و هي مرحلة الظهور .
- (2) مرحلة السوفسطائيين إلى غاية أرسطو : و هي مرحلة النضج و الذروة القصوى لها.

(3) فترة ما بعد أرسطو : و تميزت بتراجع الطابع الفكري لها ¹.

2.3 رواد المدرسة المالطية :

1.2.3. طاليس:

مؤسس أقدم مدرسة فلسفية إغريقية، ولد سنة 640 ق.م بمدينة مالطية²، و هناك من يقول انه ينحدر من أصول فينيقية، استمد ثقافته من الرصيد الحضاري لمصر و بلاد ما بين النهرين، يعد أول فيلسوف إغريقي يتحدث في أصل الكون، حيث قال أن الماء هو أصل كل شيء.

و الملاحظ من خلال فكر طاليس و ما توصل إليه من نتائج :

- انه أول من عبر عن على أفكاره بعبارات منطقية، لأنه كان تخلص نوعاً ما من الخرافات والأساطير، حيث فسر الظواهر على أساس عقلي يرتبط فيه المعلول بالعلة ارتباطاً وثيقاً.
- كان أول من أرجع الكون كله إلى عنصر واحد، فلقد رأى من خلال تعدد صور الأشياء وتباينها وحدة شاملة تكون وراءها.

1 : ولترستيس : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 1984 ، ص 27 .

2 : Albert Lecher, Op Cit,P19 .

ومهما كانت محاولاته الأولى الفلسفية ناجحة أو غير ذلك ، فإنه حاول النظر إلى الكون نظرة كلية شاملة ذات تفسير واحد يستوعب الجزئيات.¹ و ورد عن طاليس انه أول من تنبأ لكسوف الشمس الذي وقع في 25 ما 585 ق.م .

وتطرق طاليس إلى نتيجة مهمة هي أن الماء أصل الحياة، و هي نتيجة جد معقولة و مقبولة، لأن الماء هو المادة الوحيدة التي يعرفها الإنسان بدون صعوبة، حتى في الأحوال الثلاث الصلبة و السائلة و الغازية، فليس من العسير ربط العلاقة بين السحب و الضباب و قطرة الندى، و كلها لها علاقة بمياه البحر و الأنهار ، فالماء يظهر في كل مكان بحالة أو بأخرى، فالحياة مستحيلة بدونه.

والملاحظة هنا أن الكثير من الروايات القديمة انتهت إلى نفس النتيجة، وردت في التصورات المصرية القديمة، و هناك احتمال عميق لتأثره بالفكر البابلي القديم الذي قال أن الماء هو المبدأ الأول غير المخلوق.*

وسنعود إلى طاليس في فصولنا المقبلة حول اجتهاداته في مجالات الفلك و الرياضيات ، إلا أن المعلومات التي وردت عنه لا تزال إلى حد الآن قليلة ، من تلك التي وردت على لسان هيرودوت أو أرسطو .

1 : محمد عبد الرحمان مرجبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، المجلد الأول، عويدات للنشر و الطباعة، بيروت لبنان، ص 87 .

* : يقول جورج سارتون في كتابه (تاريخ العلم) إن نبي الإسلام محمد صلى الله عليه و سلم انتهى إلى نفس النتيجة، إذ أوحى إليه قوله تعالى : (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ)، القرآن الكريم ، سورة الأنبياء . و يعلق سارتون عن ذلك انه ليس من الضروري وجود الصلة بينهما و يقول : « إذا كان محمد نبيا و رسولا ، فإن طاليس رجل عظيم . »

2.2.3. انكسمتندريس المالطي : (610 – 545 ق.م)

مواطن لطاليس كونه مولود بمالطية ، و يعتبر تلميذه، و رغم اختلاف آراء كل منهما إلا انه كانت لهما بعض نقاط التشابه. حيث بدأ أنكسمتندريس من حيث انتهى طاليس، كما كتب بحثا في (الطبيعة) و هو أول بحث في الفلسفة الطبيعية و تاريخ الفكر البشري ككل. و كانت له اجتهادات في مجال الفلك¹ - سيأتي الحديث عنها - و يعد أول من رسم خريطة . اتفق مع طاليس في فكرة المبدأ الأقصى للأشياء و هو مبدأ مادي، و لكنه لم يجعله الماء مثل طاليس، و اعتقد انه مادة بلا شكل و لا تحديد و بلا ملامح. فالمادة الأولى عنده مجرد مادة لم تخصص بعد لتصبح أنواعا مختلفة من المادة، فهي مادة بلا صفات و تمتد إلى ما لا نهاية من المكان² .

والدليل الذي جاء هو انه لو كان لهذه المادة قدر محدد لكانت قد استنفذت طيلة هذه المدة التي قضيت في خلق العوالم المتعددة. ذلك لأن العالم يتتابع في الزمان، خلق عالم ، ثم تطور فأنهار، فظهر عالم آخر ، و هكذا تواصلت سيرورة الدورة المنتظمة للعوالم إلى الأبد، فهذه المادة حسبها لامتتهية³. و لقد أطلق على هذه المادة اللامتناهية اسم (الأيرون)*

1 : جورج سارتون ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 366 .

و انظر أيضا :

John Burinet , Op Cit , P 52 .

2 : Albert Lecher, Op Cit,P 22 .

3 : ولترستينيس : المرجع السابق ، ص 33 .

* : يذهب انكسمتندريس إلى أن الأيرون يحيط بالأرض و عناصر الكون و القمر و النجوم، حيث انفصلت الأجرام السماوية عن الفلك في شكل دوائر نارية يغلفها البخار، و في هذا البخار ثقب أو أنابيب منها تظهر هذه الأجرام، و يحدث الكسوف عندما تمتد هذه الأنابيب . و وسط هذه الأفلاك تقع الأرض ذات الشكل الاسطواني.و لا تستند إلى أي شيء ، بل تستقر في الوسط بحكم التوازن الناجم عن تساوي مسافات البعد . و تضم أطراف الأرض البحار .

انظر : ماجد فخري ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، ط 1 ، دار القلم للملايين ، مصر 1991 ، ص 19 .

3.2.3. اناكسيمونس:

مواطن اناكسيمونديس و تلميذه ، كانت فترة بروزه قصيرة أواخر حياة أستاذه (528 – 525 ق.م) ، لم يصل من كتاباته إلا ثلاثة نصوص قديمة . يختلف مع معلمه في مبدأ أصل الأشياء ، حيث يرى أنها تعود إلى الهواء الذي يعد المبدأ العام للحياة. و يعلل حدوث الأجرام السماوية أن الأرض تحدث من تكاثف الهواء . فالأرض شكل مسطح يطفو على الهواء، كما أن الشمس مسطحة و كله يدور حول الأرض.¹

4.2.3. دور المدرسة المالطية في الفكر الإغريقي :

إن ما يمكن استنتاجه من الملاحظات السابقة أن المدرسة المالطية استطاعت أن تظهر ملامح تطور الفكر الإغريقي ، كونها تطرقت إلى العناصر الهامة لأصل الكون (الماء، الهواء، النار، التراب) و وصلت إلى فكرة أن الظواهر تحكمها قوانين طبيعية ميكانيكية، كما أظهرت ارتباط الإنسان بظواهر الكون.

- أوردت المدرسة الحديث عن فكرة اللامتناهي و هي فكرة شديدة الخصوبة.
- عدم خلو تفكيرهم من الجانب الأسطوري و تأثيره، كما تم ربط الفلسفة بتطبيقات عملية وبمظاهر علمية، أي عدم الفصل بين الفلسفة و الجانب العلمي و الجانب العملي، و بذلك نلاحظ نقطة التشابه بين الفكر الإغريقي في مرحلة الظهور و الفكر الشرقي القديم. أي أن الفكر الإغريقي في بداياته كان فكريا نظريا عمليا ، و هو ما يؤكد تأثير المدرسة المالطية و روادها بالفكر الشرقي القديم في مجالات الهندسة و الفلك و الرياضيات. و ما الأصل الفينيقي لطاليس لا دليل على ذلك.² أي أن المدرسة المالطية أبرزت اتصال العقل الإغريقي

1 : المرجع نفسه ، ص 20 .

و انظر أيضا :

John Burinet , op cit , p 75 .

2 : عزت قرني ، الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون، المرجع السابق، جامعة الكويت ، 1992 ، ص 28 .

بالفكر الشرقي كون المدينة كانت ذات طابع تجاري، و ما أيونيا إلا أهم وجهة ثقافية للعالم الإغريقي، و بقيت كذلك إلى غاية الغزو الفارسي حوالي القرن الخامس قبل الميلاد. و أصبحت تأملات هؤلاء الفلاسفة مصدرا حيويا للباحثين فيما بعد.¹

- و يلاحظ من هذه الفلسفات جميعا أنها متوجهة نحو العالم الخارجي، عالم الأرض والسماء و الأفلاك، أما العالم الداخلي و هو عالم الذات و الأخلاق و الإنسان ، كانت الفلسفة الإغريقية آنذاك لا تزال بعيدة عنه. لأن البحث في طبيعة اقرب وصول إلى النتائج من البحث في الذات.*

و ذلك يعد دليلا آخر على أن الفلسفة الإغريقية ولدت ولادة طبيعية، و نمت بطريقة تدريجية وفق قواعد عقلية و منطقية متسلسلة تسلسلا عقلانيا في دراسة قضايا الكون، أي أن تتبع تلك المراحل يؤكد قابلية الفكر البشري لتقبل فكرة أن ولادة الفلسفة الإغريقية لا تمت بصلة إلى عامل المعجزة الخارقة لتطور العقل البشري أو لميلاده كما روج له أنصار (المعجزة الإغريقية).

3.3 المدرسة الفيثاغورية :

تنسب إلى مؤسسها فيثاغورس . ولد سنة 532 ق.م بمنطقة ساموس نواحي بحر إيجة، على مقربة من افنوس و كلوفون، ثم انتقل إلى إيطاليا حيث أسس جمعية فلسفية دينية. و ما يجب

1 : برتراند راسل : تاريخ الفلسفة الغربية ، ترجمة زكي نجيب محمود ، الكتاب الأول ، (الفلسفة القديمة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2010 ، ص

* : حول الموضوع انظر :

Maurice Croiset , Op Cit , P 56 .

عن دور المدرسة الأيونية و مفكرها في تطور الفكر الإغريقي بفضل العلاقات مع ليديا و الشعوب الأخرى كمصر و بابل انظر :

Maurice Croiset , Op Cit , P 56 .

و انظر أيضا :

John Burnet , Op Cit , P 93 .

الإشارة إليه انه قام بعدة رحلات* إلى مراكز حضارية في العالم القديم. و رغم اختلاف الروايات في شأن ذلك إلا أن الاتفاق واضح بين المؤرخين في كونه تأثر بطريقة مباشرة بالفكري الشرقي المصري و البابلي و حتى الهندي.

و من ابرز الروايات حول رحلاته رواية (باخيلوس) التي أوردها جورجسارتون، حيث يرى ان فيتاغورس ذهب أولا إلى مالطية حيث تعرف بطاليس، ثم زار فينيقيا ، و هناك تقوت رغبة فيتاغورس في الرحيل إلى مصر ، و مكث فيها حوالي اثني عشرة سنة يدرس الفلك والهندسة و الأسرار الكهنوتية، ثم انتقل إلى بابل حوالي العام 525 ق.م ، و مكث هناك اثني عشرة سنة أخرى ليدرس الحساب وغيره. ثم عاد إلى ساموسو هو في الخامسة و الستين من عمره. لكنه لم يلبث حتى استأنف التنقل فرحل إلى ديلوس و كريت و لبلاد الإغريق نفسها. ثم كروتون بحيث أسس مدرسته الشهيرة.¹

و قد عرف عنه انه أول من استخدم كلمة (فيلوصوفيا)، و من مبادئ الرياضيات والحساب استنتج أن التناسب بين الأعداد و الاتفاق بين الأشياء المختلفة يمكن أن يطبق على الإنسان كذلك فالنفس البشرية قائمة على توافق الأضداد في الجسم، و هو تناسب موجود في الطبيعة بين الفردي والزوجي و الواحد و المشتق، و النور و الظلمة، كما اعتقد أن العلم هو أداة لتطهير النفس حتى تصل إلى الحقيقة ، و هكذا فإن الفيتاغورية تميزت بكونها مذهباً علمياً رياضياً كما تميزت أيضا بكونها مذهباً فلسفياً أخلاقياً، كما تقوم أيضا على بعض من التصرف العقلي.

* : قدم جورج سارتون تشكيكا لهذه الرواية، خاصة فيما يتعلق بتتلمذه على يد طاليس ، أو حتى رحلاته إلى بلاد الشرق التي بقي فيها كل تلك السنوات بين مصر و بابل و فينيقيا. و لكن حسب سارتون مؤرخ العلم ، فإنه رغم محاولة التشكيك في صحة الرواية إلا أن تأثر فيتاغورس بالحكمة الشرقية لا مجال للتشكيك فيه ، و يعود سارتون للافتراض من جديد فرضية سفر فيتاغورس إلى مصر و بابل لنيل العلم ، عكس ما كان يفعله الإغريق آنذاك قصد التجارة . انظر جورج سارتون ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 416 – 417 .

1 : جورج سارتون ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 417 .

و تتمثل القواعد الأخلاقية التي يقوم عليها مذهبه في :

- احترام الآلهة و الخضوع لها .
- البقاء على المركز الذي هو فيه و عدم تركه .
- الولاء للأصدقاء و كل شيء مشترك بينهم .
- الاعتدال و البساطة في استخدام خيرات الدنيا.¹

كما اشتهر بعقيدة التناسخ لما تمثله من نظرة خاصة حول وحدة النفس و الترابط الشامل بين جميع الكائنات الحية من إنسان و حيوان و نبات. و يعد أول من ادخل هذه الفكرة إلى بلاد الإغريق. في الوقت الذي اجمع فيه المؤرخون على أنها دخيلة عن الفكر الإغريقي ، حيث يذهب **هيرودوت** إلى الاعتقاد أنها وفدت من **مصر**² ، إلا أن المصريين لم يعتقدوا بهذه الفكرة ، غير أن الأرجح أنها جاءت من **الهند**.*

و من أخلاق **فيتاغورس** أنه كان يوصي بالامتناع عن إيذاء البهائم التي لا تؤذي الإنسان.³ كما دعا إلى الرفق بالإنسان خاصة فئة المسنين.⁴

1.3.3. هيراقليطس :

يعد من رواد الفكر الفلسفي الإغريق ، نسب إليه **كتاب الطبيعة** ، يرى أن النار هي التي تتحكم في الكون، و تصدر منها جميع الأشياء. و الكون عنده يخضع للسيرورة القائمة على التعاقب

1 : عزت قرني، الفلسفة ، المرجع السابق ، ص 33 .

2 . Albert Lecher, Op Cit, P 43 :

* : فكرة التناسخ و انتقال الأرواح و القرابة بين البشر و الحيوانات ، و تحريم أكل اللحوم التي دخلت على المعتقدات الإغريقية كانت موجودة في العقيدة الهندية، و هي دلائل على الاحتكاك الذي حدث بين الإغريق و الشرق القديم، حتى عند ذهابه إلى بابل تعايش مع الفرس حيث اطلع هناك على الديانة الزرادوشية .

انظر : علي زيغور ، المرجع السابق ، ص 43 .

3 : ماجد فخري ، المرجع السابق ، ص 24 .

John BURNET ? Early Greek philosophy, Second edition , London , P 91 . 4

والدوران، حيث النار تحيا بالتراب، و الهواء يموت بالنار، و الماء يموت بالهواء ، والتراب يموت بالماء، والموجودات الباردة تصبح حارة و الحارة تصبح باردة، و النهار يصبح ليلا و الليل يصبح نهار، لأن الأضداد تتعاقب، و هو يرى أن الكون خاضع لقانون التضاد أو الصراع الدائم ، و هو قانون لا يقضي إلى النهاية بل إلى التناسق و التناغم.¹ من خصائص مذهبه :

- الاعتماد على العقل كل الاعتماد .
- اعتبار أن الحكمة ليست في تعدد المعارف و كثرتها، و إنما في الإدراك المباشر للحقائق الجوهرية وحتى و إن عارضتها المظاهر الخارجية للأشياء .

2.3.3. نظرية اللوغوس :

المقصود به هو القانون العام ، ذلك لأن الأشياء ليست منفصلة بل متحدة و واحدة، واللوغوس قانون عام يسيطر على كل شيء، أي أن كل الموجودات تخضع له، و من خصائصه:

- إن القانون العام أهم من القانون البشري، بل أن القانون البشري مستمد منه .
- إن اللوغوس قانون الهي غير بشري.
- انه فوق كل البشر و فوق كل شيء .
- انه يكفي لكل شيء.
- إن له جانبين، جانب المبدأ الكوني، و جانب المبدأ الفكري المتصل اتصالا وثيقا بالعقل البشري، أي أن اللوغوس هو الفكر البشري في حالة اليقظة، و هو مشترك بين جميع البشر.²

و مجمل القول انه كان يؤمن أن النار هي اعلي شكل للمادة، و بالتالي ربط بينها و بين اللوغوس. و مهما يكن فإننا نلاحظ ذلك التدرج في الفكر البشري الذي أصبح يعتمد على العقل

1 : ماجد فخري ، المرجع السابق ، ص 36 .

2 : عزت قرني، الفلسفة ، المرجع السابق ، ص 44 .

عادة في تفسير الظواهر، و أن يعود إلى مبدأ السببية دون اللجوء إلى التفسيرات الخرافية الأسطورية التي بدأ الفكر الإغريقي يتخلص منها تدريجياً.

4.3 الفلسفة الإنسانية :

اعتمدت الفلسفة السابقة لسقراط على البحث في العالم الخارجي من جوانبه المتعددة، وتناولت مظاهره المختلفة، و تباينت في شأن ذلك الأفكار و النظريات، و نتيجة للظروف السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية التي ميزت أثينا منذ النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد، و التي كانت تستدعي إمعان النظر في القوانين السياسية و القيم الأخلاقية السائدة، وبالتالي ضرورة مراجعة الأسس التي تقوم عليها الدولة .

و في هذا المناخ ظهرت جماعة السوفسطائيين، وتميزت هذه الجماعة ببراعة الجدولوفصاحة اللغة و العلم، و أطلقوا على أنفسهم هذا الاسم الذي يعني الإنسان او الحكيم.* و من خصائص هذه الجماعة أنهم :

- لم يكن هدفهم هو البحث النظري عن المعرفة بقدر ما كانوا يعملون على تكوين المواطن .
 - ترك القضايا التطبيقية و النظرية و الاهتمام بالجانب العملي القائم على أساس إلقاء المحاضرات بهدف جمع المال .
 - إعداد التلاميذ لشؤون الحياة اليومية و السياسية بهدف تعلم السياسة و ممارستها.
- و على كل حال فإن جماعة السوفسطائيين¹ ساهمت مساهمة فعالة في إيقاظ العقل من السبات العقائدي، منتصرين في ذلك بفكرة استقلال الفرد و احترام شخصيته و تنبيهها إلى ضرورة

* : عرفت أثينا خلال هذا القرن تغيرات سياسية و اقتصادية أدت إلى عدم قدرة الدولة على توفير المال لفئة المعلمين، و بحكم أن السوفسطائيين كانوا معلمين، فكانوا فكان يدفع لهم المال ، أي أن من كان يريد أن يتعلم في تلك الفترة، فعليه أن يدفع من ماله الخاص ، و هو ما جعل سقراط و أفلاطون و أرسطو من بعدهما يهاجموهم بدعوى المتاجرة بالعلم. انظر : مصطفى النشار ، مدخل جديد إلى ... ، المرجع السابق ، ص 41 .

1 . 111 . Op Cit, Albert Lecher :

حماية نفسه من الحكومة و الجماعات معا. لكنهم اثاروا المشاكل و المسائل أكثر من أنهم قدموا لها الحلول.

و ما نخلص إلى قوله أن هذه المحاولات جميعا طبيعية كانت أو إنسانية قد تخلصت نوعا ما من التصورات الدينية، إلا فيما يتعلق بالمدرسة الفيتاغورسية التي كانت لها نزعة دينية، و لكن بالرغم من ذلك إلا أنها كانت تؤمن أن الطريق إلى الحق يمر بالعقل لا بالحواس.¹

و مهما يكن فقد كانت أرضية خصبة لتطور العقل الإغريقي بصفة متناسقة متدرجة، و مع توالي ظهور الفلاسفة*. حيث أصبح بمقدور الفكر الإغريقي اكتساب الدقة و النضجو العمقو الشمولية، و بذلك ارتفع شأن الفلسفة، و برز لها كيان مستقل، و من ابرز ثمرات هذا المناخ ظهور ثلاث فلاسفة من أهم فلاسفة العالم القديم، و الأمر يتعلق بسقراط و أفلاطون و أرسطو .

1.4.3. سقراط (470 – 399 ق.م)

فيلسوف إغريقي، لم يترك مؤلفات بل وصلت إلينا أفكاره من خلال محاورات أفلاطون، كانت والدته قابلة، فألهمته هذه الوظيفة فكرة توليد أفكار الرجال عن طريق ادعاء الجهل، حيث كان يتنقل بين شباب أثينا مستفيدا من تصوراتهم الفكرية، خاصة و انه تزامن مع ظهور حركة السوفسطائيين. و لقد تنبأت له كاهنة معبد دلفي أنه سيكون أحكم الأثينيين.

و أمام انتشار أفكاره و التفاف الأثينيين حوله، رفع ثلاثة من معارضيه عريضة للمحكمة ضده بثلاث تهم و هي :

1 محمد عبد الرحمان مرجيا ، المرجع السابق ، ص 93 .

* : من أهم فلاسفة الفترة أيضا أنكساغوراس (462 – 422 ق.م) ، و هو أول فيلسوف أيوني قدم الفلسفة للأثينيين، و أول من قال أن العقل هو العلة الأولى للتغيرات الطبيعية، يعتقد أن بركليس دعاه إلى أثينا التي أقام ثلاثين سنة ، يرى أن كل شيء قابل للانقسام إلى مالا نهاية، وهو أول من بين أن القمر يضيء بأشعة منعكسة، قدم تفسيرات عن الكسوف و الخسوف، كما لاحظ أن القمر يعد أدنى فلك عن الشمس، و الشمس و النجوم مستقلة، كما اعتقد أن بالقمر جبال.

انظر : برتراند راسل ، تاريخ الفلسفة ، المرجع السابق ، ص ص 122 – 123 .

- البحث في الطبيعة و ما تحت الثرى و أمور السحر.

- انه مفسد للشباب .

- انه كافر بالآلهة .

فقدم على إثرها للمحاكمة ، و قد تم إصدار حكم الإعدام ضده، فألقي به في السجن لمدة ثلاثين يوماً لم ينقطع خلالها عن تدريس طلبته طوال اليوم ، و خلالها رفض أكثر من خطة للهروب من السجن، لأنه يرى انه لا يمكن لرجل قضى عمره يدافع عن القانون و يطالب الجميع باحترامه و الالتزام بأحكامه، أن يهرب دون أن ينفذ حكماً قانونياً صدر ضده حتى ولو كان حكماً ظالماً.¹ رفع شعار (اعرف نفسك بنفسك)

إن أهم شيء أتى به سقراط هو المنهج*، ذلك لأن سقراط لم يكن صاحب مذهب معين، بل كان صاحب منهج، و المعتقد انه يصح القول أن مذهبه وليد منهجه.

و قد اعتمد سقراط الحوار الاستنباطي القائم على التهكم و التوليد، و هو ما يسمى بالفلسفة التصويرية (CONCEPTUALISME) و معناه لا يمكن معرفة شيء ما بالاقتصار على وجوده المحسوس، بل لا بد من معرفة ماهيته المعقولة و الفضول إلى حده الكلي، لأن المعرفة بالجزئيات هي معرفة ناقصة لا تشتمل في الحقيقة شيئاً، أما الذي يعي حقاً ما هو المعنى الكلي و المعرفة الكلية ، لأن المعنى الكلي هو الأصل و بدونه لا تكون المعرفة الحقيقية .

1 : مصطفى النشار ، مدخل جديد إلى الفلسفة ، المرجع السابق ، ص ص 45 - 46 .

* : وردت في محاورات أفلاطون المبكرة أمثلة واضحة لاستعمال هذا المنهج ، و هو ما يعرف بالمحاورات السقراطية ، كمحاورة لآخيس، و محاورة أوپيفرون ، حيث كان سقراط يبدأ الحوار و يتصنع الجهل، و يتظاهر بالتسليم بأقوال من يحاوره، بل يزعم انه جاء لتلقي العلم عنده، و يطرح الأسئلة كمن يطلب العلم و يتوخى الاستفادة، و ما إن يتلقى الجواب حتى ينتقل إلى نتيجة غريبة لازمة عنه لم تخطر ببال محدثه، و سرعان ما يعود إلى موضوع المناقشة حتى يحمل محاوره على الإقرار بالجهل، و يتميز بقدرته على توجيه الحوار.

انظر : محمد عبد الرحمان مرجيا ، المرجع السابق ، ص 97 .

ذلك هو مذهب سقراط في المعرفة و ذلك منهجه و فلسفته** ، و أهم خطوات هذا المنهج هو التوليد، حيث يعتقد سقراط انه إذا كان الإنسان غير مدرك للعلم الصحيح، فإن فيه مع ذلك حقائق كامنة يستطيع الإنسان أن يستخلصها من نفوس أخرى، فهي حقائق لا يدري الإنسان بها، و لكن على كل حال فهي كامنة في نفسه ، و الحوار هو الوسيلة المساعدة على استخراجها منها***. كانت أحسن تعاليم سقراط حياته ، والأكثر منها شأنًا طريقة موته في سبيل الحق والفضيلة، فكانت حياته مجهودا متصلا لفهم الإنسان و النضال هذا الأخطاء التي انتشرت وشاعت في عصره حاول سقراط أن يثبت في شبان أتينا فكرة أن العقل أثمن شيء في الوجود وأن اللذة التي يجتنيها من المعرفة هي تمره يحلم بها الإنسان و أطيبها على الإطلاق ، فزرع بالتالي في شبان أتينا حب المعرفة و الحكمة والتفوا حوله مستفيدين من أفكاره .

ورغم إصدار حكم الإعدام هذه ، فكان لا يكثرث لأمر الموت ، بل ظل يحدث تلاميذه عن خلود النفس ، واعدم سنة 399 ق.م بتناوله السم

2.4.3. أفلاطون :

هو أرسطوقليس (ARISTOCLES) ابن أرسطو (ARISTON) ولقد أطلق عليه اسم أفلاطون. أي العريض لبدانته وقوة بنيته. ولد بأثينا وعاش فيها معظم حياته التي ناهزت الثمانين

** : عند سقراط المعرفة الحقيقية إنما هي معرفة الماهيات و بذلك يكون قد نقل مركز ثقل المعرفة من معرفة الأشياء والجزئيات إلى معرفة الماهيات و الكليات، و هذه النقلة ترتبط بنسبة الأشياء إلى ماهيتها و في نسبة الماهيات في بعضها البعض، و سمي المنهج الجديد بإسم (الديالكتيكية) الجدلية .

انظر محمد عبد الرحمان مرجحيا ، المرجع السابق ، ص 96 .

*** : إذا قمنا بتوضيح المنهج السقراطي أكثر ، فإنه اعتمد على الحوار كطريقة مثلى في التفلسف و الوصول إلى الحقيقة، و هذا الحوار يقوم على افتراض ذو شقين – الحقيقة موجودة و المعرفة ممكنة . كما اعتمد على الجهل و انه لا يعرف شيئا ، كان يرى أفضل البشر أكثرهم حكمة و معرفة و حسبة ، فهو يملك معرفة إنسانية ذات طابع سلمي، و حكمته لا تساوي شيئا مقارنة بالحقيقة، فهو يعلن انه جاهل و يسعى إلى التعلم .

انظر : عزت قري ، المرجع السابق ، ص 128 .

سنة (427 ق.م – 347 ق.م) هو من أسرة أسقراطية ، تأثر بالفيلسوف سقراط وهو في سن العشرين، وعقب هزيمة أثينا في حروب البيلوبونيز و انكسار أسطولها سقطت حكومة (اقريطياس CRITIES زعيم الطغاة، و هم أفلاطون ليستلم جماعة الديمقراطيين الحكم من بعده، وهم الذين قتلوا سقراط ليصدم أفلاطون من بعدة صدمة قوية وهو في السابعة و العشرين من عمره فيخصص صور ملحوظة لتلك المحاكمة في محاورته (الدفاع ، أفريطون ، فيدون) * وانتقل بعدها إلى عدة مناطق ثم عاد إلى أثينا وأسس مدرسته في بستان لبطل سمي أكاديموس، سميت مدرسته بعدها بالأكاديمية*

وكان يهدف من خلال الأكاديمية إلى تكوين الفلاسفة وبالتالي نشر النظريات الاجتماعية والسياسية في كل أنحاء البلاد، واشتهر بنظرية المتتالية.

1.2.4.3 نظرية المتتالية:

تعتبر النظرية المحورية في فلسفة أفلاطون القائمة على التمييز بين العالم المحسوس و العالم المعقول، حيث اعتبر علمنا هو العالم المحسوس وهو مجرد ظل للعالم المعقول، وكل ما فيه من أشياء وكائنات ظلال إذا ما قيست بحقائقها في عالم المثل، ولقد قرب لنا أفلاطون فكرته وأوضحها بتشبيهه

* : بعد موت سقراط ذهب أفلاطون إلى ميغاري، حيث التقى صديقه إقليدس، ثم إلى قورينا (Cyrene) ، ثم انتقل إلى مصر واطلع على علومها و تقاليدها، و بقي هناك إلى وقوع الحرب بين أثينا و إسبارطة، و منه ارتحل إلى جنوب إيطاليا، و هناك اتصل بكبار و ممثلي المذهب الفيثاغورسي، ليرتحل إلى صقلية لتلبية دعوة الطاغية ديونيسيوس الأول، و بعد خلاف بينه و بين هذا الطاغية نفاه إلى جزيرة إيجينا (Egeine) ليفديه احد القورينائيين و هو (انقيرس) (Anniceris) ، فيعود بعدها إلى أثينا . انظر محمد عبد الرحمان مرجيا ، المرجع السابق ، ص 113 .

و انظر أيضا :

Jérôme Lanrent , Platon , 1 édition, Septembre 1999 , p 5 .

* : ظلت هذه الأكاديمية تعمل لمدة عشرة قرون، إلى غاية عهد الإمبراطور جوستنيان الذي أمر بإغلاق المدارس الوثنية في العالم المسيحي الروماني عام 529 ق.م .

انظر : أمير حلمي مطر ، جمهورية أفلاطون، مكتبة الأسرة ، مهرجان القراءة للجميع ، ص 11 .

بالأسطورة الشهيرة لديه والتي تدعى **بأسطورة الكهف**** ، وحسب أفلاطون فإن الفيلسوف هو وحده القادر على فك القيود والتوصل إلى مختلف أنواع المعارف. ذلك لأنه يقول يستحيل أن يكون الشعب بلا فلسفة ، لأنه لا يستطيع أن يفهم معنى الأشياء، كما أن الشعب يستحيل أن يكون فيلسوفا ويفهم الأشياء كما يفهمها الفيلسوف لذلك يجب البحث على كيفية المحافظة على الفلسفة في الدولة، فلا يمكن تأسيس الدولة دون استدعاء الفيلسوف وان الحماية الحقيقيين للدولة يجب أن يكونوا من الفلاسفة حتى ولو كان العدد جد قليل ، وان الدولة التي لم تأسس من طرف الفلاسفة لم تبدأ بعد.¹

ومن بين ما قاله على لسان **سقراط** (إن الطبيعة الإنسانية تتكون من عنصرين العلم و الجهل معا)²

2.2.4.3 نظرية الدولة عند أفلاطون :

من أهم ما اهتم أفلاطون به في السياسة ، حيث رأى أن الدولة تتأسس على العدالة ، و الدولة المثالية هي الدولة العادلة، و صلاح الدولة يقوم على تحقيق العدالة المطلقة بين أفرادها ، كما ربط بين السياسة و الفضيلة، و كما سبق ذكره ، فهو يرى أن الحكومة المثالية هي حكومة الفلاسفة ، كما أن هناك حكومات فاسدة ، و هي أنواع :

1. الحكومة الأرستقراطية الحربية : و هنا العقل يصبح خاضعا للحماسة و القوة الغضبية

** : تتخيل الأسطورة أن أناسا عاشوا طوال حياتهم في كهف مظلم ، مقيدون بسلاسل حديدية إلى الجدار، و لم يروا في حياتهم إلا تلك الظلال التي تتحرك على الجدار نتيجة انعكاس ضوء الشمس من فتحة هذا الكهف. فإذا سألنا هؤلاء عن الحقيقة قالوا أنها تلك الأشياء (الظلال) التي تتحرك أمامنا، و لكن إذا ما استطاع احدهم فك قيوده و رؤية الأشياء الحقيقية خارج الكهف ، ستكون دهشته حينئذ عظيمة، و يدرك أن ما كان يراه من قبل مجرد ظلال لهذه الأشياء الحقيقية التي تتحرك بفعل الكائنات الحية خارج الكهف.

انظر : مصطفى النشار ، مدخل جديد ... ، المرجع السابق ، ص 53 .

1 . Platon , La republique , Trad par P.Pachet , Com folio Essaie , Paris , 1963 , P 3 – 31 .

2 . Ibid , Livre 7 , Trad par B. Anbé , librairie Achette , 1874 .

2. الحكومة الأوليجاركية : و هي حكومة الأغنياء، أين ارتبطت المثل عند أفرادها بتحقيق

الثراء، فيصبح بالتالي اهتمام الحكام في تكوين الثروة .

3. حكومة الطغاة : هي أسوأ أنواع الحكم ، حيث ينقلب الحاكم إلى طاغية، و ينفرد

بالسلطة بعد أن عينه الشعب لكبح جناح الفوضى السائدة .

4. الحكومة الديمقراطية : الناتجة عن انتصار الفئة الأكثر عددا ، فيستولي بالتالي الفقراء

على الحكم، فتكون حكومة ديمقراطية، و غالبا ما تختار بالقرعة بين الناس . و في ظل

هذه الحكومة يصبح للجميع حرية الكلام أو الفعل ، و من هنا تنطلق كل الشهوات

المكبوتة لدى الجميع دون تمييز أو تنظيم ، فيصبح النظام مفقودا¹، و يتحول النظام إلى

فوضى.*

3.2.4.3 أفلاطون و التربية :

قسم أفلاطون معالم التربية إلى أربعة مراحل :

- من الميلاد إلى البلوغ : حتى يصل الفرد 18 سنة ، و يكون تركيز التميز على الصلابة في

القوة الجسدية، و ليس على أساس طبقي، و يكون بممارسة الرياضة البدنية و اخذ نظام

غذائي متكامل، و تهذيب النفس و ترقية الذوق بالشعر و الموسيقى.**

1 : مصطفى النشار ، مدخل جديد ... ، المرجع السابق ، ص 63 .

* : يرجع أفلاطون سبب هزيمة أثينا أمام إسبارطة في حروب البيلوبونيز إلى خصوصية النظام الديمقراطي .

انظر : برتراند راسل ، تاريخ الفلسفة ، المرجع السابق ، ص 183

** : اختلفت الآراء الفلاسفة الإغريق حول التحاق الطفل بالمدرسة، فيرى كسنوفون أن السن المناسبة للالتحاق بالمدرسة هي

عندما يميز الطفل الأشياء، و يصبح قادرا على الفهم و الإدراك. أما أفلاطون كان يرى أن الأطفال الأغنياء يلتحقون في سن

مبكرة، و ينتهون في سن متأخرة، فهؤلاء تسمح لهم إمكانياتهم المادية بالبقاء فترة طويلة في التعليم و تلقي مختلف فروعه. مما

يمنح لهم فرصة كبيرة في تلقي العلوم. و يرى أرسطو أن الدولة المثالية يجب أن تفرض على التلاميذ عامين يقضونهم في الألعاب

قبل الانتظام في الدراسة. أما أطفال الفقراء فهم لا يستطيعون البقاء طويلا في الدراسة بسبب التكاليف المادية.

انظر: مصطفى زايد، التربية و التعليم في الحضارة اليونانية و الرومانية، ط 1، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، مصر، ص 31.

- من 18 سنة إلى 30 سنة : و هي مرحلة الخدمة العسكرية ، ثم يأخذ الأفضل منهم إلى دراسة مختلف العلوم و التدريب على استخدام الاستدلال العقلي .
- من 30 سنة إلى 35 سنة : تخصص لدراسة الفلسفة و الجدل و فنون الحوار .
- من 35 سنة إلى 50 سنة : هي مرحلة التدريب العلمي على الحكم، حيث يرجى من الذين نجحوا في الاختبارات في الحياة العادية لتولي المناصب الإدارية العليا في الدولة لاكتساب الخبرة العملية في الحياة السياسية و التعود على الاتصال بالناس و حل مشاكلهم . و من اجتاز هذه المهام بنجاح يمكن له تولي الحكم ، و يهدف هذا الأسلوب التربوي إلى تكوين و تخرج الحكام الفلاسفة.¹

3.4.3. أرسطو : (384 - 322 ق.م)

و لد في اسطاجيزا (Astogise)، و هي مستعمرة إغريقية على بحرايما ، ينحدر من أسرة عريقة في الطب، كان والده (تيقوماخوس) طبيب الملك أمينتاسالثاني (Amyntas II) ملكمقدونيا و جد الإسكندر الأكبر ، التحق بالدراسة في الأكاديمية² ، أرسل إليه فيليبالمقدوني ابنه الإسكندر ليلقنه مبادئ الفلسفة الأخلاقية و السياسية و الطب، كما كتب له شرح الإلياذة الذي كان دائما يحمله معه، عاد إلى أثينا بعد وفاة فيليب ، حيث اعتلى الإسكندر الحكم سنة 334 ق.م، و الجدير بالذكر انه ظهرت توترات في علاقته مع الإسكندر بسبب طبيعة ممارساته وغزوه بلادفارس و العمل على صهر الحضارة الإغريقية بالحضارة الفارسية. كما أمر الإسكندر بقتل قريب أرسطو (كاليسينيس) مؤرخ الحملة المقدونية لرفضه السجود على الطريقة الفارسية. لذلك فإن أرسطو لاحظ أن تلك الممارسات لا تتوافق مع التعاليم التي غرسها في تلميذه اسكندر.³

1 : مصطفى النشار ، مدخل جديد ، المرجع السابق ، ص ص 58 - 59 .

: Aristote , La matiere , Chapitre 2 , Trad par Jean Claude Fsaie , 1^{iere} edition , , 1990 , P 2
4 - 6 .

3 : أميرة حلمي مطر ، المرجع السابق ، ص 11 .

كتب في مجالات مختلفة من السياسة و الأدب، و عرفت مدرسته الفلسفية بالمشائين، لتلقيهم الدروس مشيا. و يشير المؤرخون انه في مطلع شبابه ألف محاورات على طريقة أفلاطون، غير انه تميز فيما بعد بالطابع العلمي.*

كما أورد في كتابه طبيعة التنظيم الإداري الذي كان سائد في أثينا** ، و الملاحظ أن أرسطو على خلاف أفلاطون وازن بين الواقع و المثل ، و بذلك حاول التوفيق بين اتجاهين فلسفيين، احدهما مادي حسي طبيعي بدأ بطاليس و استمر إلى غاية السوفسطائيين، و الثاني مثالي عقلائي بدأ فيتاغورس و استمر إلى غاية أفلاطون. أي انه حاول الموازنة بين دور العقل و الحواس في المعرفة الإنسانية.

كما بحث في طبيعة جوهر الإنسان الذي يتكون من جانب عاقل و جانب غير عاقل، فالأخلاق عنده تتجسد بسيطرة الجزء العاقل على الجزء الغير عاقل، و ذلك بالحد من الميل إلى الشهوات الحسية و النمو على الغرائز و الانفعالات. أسس علم المنطق و استخدمه في الاستدلال و تقديم البراهين و الحجج القاطعة على آرائه و نظرياته.¹

* : من بين ما كتبه عن السياسة : (إن المدن التي تأسست من طرف الملوك هي موطن لكل العائلات، لأنها تعد إحدى مظاهر السيطرة الأسرية، فهي يقودها الملك ، و الأسرة يقودها العنصر الأكبر، و كل واحد يضع قانونا لأبنائه و زوجته... ، و أن الإنسان هو حيوان سياسي ، ...)
انظر :

. 9 p . Aristote , Politique , Trad par Pelle Grine , , C F K Tamarian , 1993 .
** : مما كتبه في هذا الإطار « قام إيزاغوراس (Isagorus) بتقسيم سكان أثينا إلى عشرة قبائل بدل أربعة ، ليضمن مشاركة أكبر عدد من المواطنين في الحقوق المدنية بدون أي تمييز ، و بذلك أصبحت العضوية في المجلس خمسمائة بدل أربعمائة عضو . حيث يصبح لكل قبيلة خمسون ممثلا . » نظر :

Aristote , Constitution d'Athènes, Trad par Mathieu et B Housoulieu , Paris, P19.
و يقول أيضا : كما قسم البلاد أيضا إلى ثلاثين مجموعة عشرة في المدينة و عشرة في الضواحي و العشرة الباقية على حافة السواحل ، و العدالة هي العمود الفقري في المدينة و الدولة .
انظر :

Aristot , Op Cit , P 6 .

1 : مصطفى النشار ، مدخل ... ، المرجع السابق ، ص 68 .

كما تناول موضوعات في الفلسفة الطبيعية والمادة التي اعتبر المكان أو الحيز أول شوط لها. فالمكان ذو ثلاث إبعاد (الطول و العرض و الارتفاع)، وبحث أيضا في الفلك و الأجرام السماوية.* كما تطرق بإسهاب إلى دراسة النفس التي اعتبرها مبدأ الحياة العامة، و هي لا تقتصر على الإنسان ، بل تشمل أيضا الحيوان و النبات.

و مجمل القول أن الفكر الأرسطي ركز على جوانب واضحة المعالم كدراسة المنطق**

و معالم التنظيم السياسي*** ،

فضلا على أن أرسطو تناول ايضاً المجال الأدبي* ، كما قسم العلوم إلى عدة مجالات :

* : تناول دراسة الأجرام السماوية و رأى أنها تدور في فلكها دورانا أزليا لا يطرأ عليه خلل قط ، و الأرض كروية الشكل والدليل على ذلك شكل القمر المستدير عند الخسوف.

انظر : أميرة حلمي مطر ، المرجع السابق ، ص 55 .

** : يعد المنطق الأرسطي أهم محاور نظرية المعرفة . عند ولادته جسد البحث عن مقاييس المعرفة اليقينية و القدرة على التمييز بين الاقيسة الفاسدة و الصحيحة، و ينقسم المنطق الأرسطي أي الصوري إلى ثلاثة أقسام : المفردات و القضايا و الاقيسة و من مقومات قسم المفردات (الجوهر، الكم، الكيف، النسبة، المكان ، الزمان، الوضع، الحال، الفعل ، الانفعال) .

انظر أميرة حلمي مطر ، المرجع السابق ، ص 24 .

*** : اختلفت نظرة أرسطو عن أفلاطون فيما يتعلق بالنظام الديمقراطي ، ففي الوقت الذي كان أفلاطون يرفضه ، فإن أرسطو كان يؤيده لأنه نظام الأغلبية القائم على الحكم الدستوري، فهو يحقق المصلحة لأكثر عدد من الناس. فهو يقسم نوعية الأنظمة السياسية إلى ثلاثة أنواع :

- الملكية : القائمة على حكم الرجل الواحد ، و تهدف إلى مصلحة الحاكم وحده
- الارستقراطية : هو حكم الأقلية أو الأوليغاركية ، في مصلحة الأقلية الغنية .
- الديمقراطية : و هو حكم الأكثرية ، و يهدف إلى مصلحة الأغلبية الفقيرة ، و هو ذو طابع دستوري .

انظر : ماجد فخري ، المرجع السابق ، ص 145 .

* : في سنة 1458 ميلادية و في أوروبا ظهرت حركة ترجمة كتب أرسطو ، خاصة عن طريق الترجمة اللاتينية، (الجورجيوڤالا) (Georgiovilla) و ذلك في منطقة البندقية ، و ركزت التحاليل الأدبية على دراسة كتاب الشاعر لأرسطو لأنها اعتبرته أول دراسة كاملة منظمة لحركة الشعر، لأن وجهات نظر أرسطو شملت كل مجالات الأدب، بل أكثر من ذلك فقد كان لها بعد في دراسة حركة المسرح بصفة خاصة.

انظر :

GustinPeter , Op Cit , P P 31 – 32 .

- العلوم النظرية : و هي التي تتطلب المعرفة من اجل المعرفة فحسب .
- العلوم العملية : و هي التي تتطلب المعرفة من اجل الخير الأخلاقي و الفضيلة ، و هي متصلة بين الأخلاق و السياسة، و لا يمكن التمييز بينها . و يدعو العامة للعلم المعرفي أي السياسة. ذلك لأن الحياة العامة التي تبحث عن الأخلاق مرتبطة بسلامة النظام السياسي و، و سلامة النظام مقرونة بسلامة الأفراد.

5.3 علاقة الفلسفة الإغريقية بالفكر الشرقي القديم .

طبق الإغريق فكرة الاستدلال التجريدي في إطار تطوير الجدلية، و توصلوا بفضل ذلك إلى تحديد المفاهيم بطريقة منهجية و مضبوطة، كما أسسوا مدارس فلسفية تقوم بتكوين الطلبة وفق طريقة المنهج المنظم المتحرر من القيود الدينية و الأسطورية، و توصلوا إلى وضع نظريات لخصت المعالم الكبرى لفكرهم الذي حاول الوصول إلى حقائق الأشياء.

غير أن المعرفة الفلسفية هي معرفة تراكمية يبني فيها اللاحق على السابق، و مع ذلك فهي تعتمد على منهج عقلي يتبناه الفيلسوف الذي ليس من الضروري عليه الاستفادة من آراء سابقه مادام ابتداعه يسمو و يقوم إيجابا بالقدر الذي يكون فيه فكره متميزا و فريدا عن كل من سبقوه. و عموما فإن ما توصلت إليه الفلسفة الإغريقية لم يكن من العدم. إنما بني على تبني أو تجاوز للأفكار السابقة لها مع اختلاف في زاوية التأمل . و في هذا الإطار تدخل علاقة الفلسفة الإغريقية بالفكر الشرقي القديم السابق على نشأتها. لأن الأمم الشرقية يعود تاريخها إلى القرن الأربعين قبل الميلاد ، و لا جدال في قضية أسبقية أبناء الشرق القديم في هذا الكون. فهم كذلك استنتجوا أفكارا حول تفسير الوجود، و نشأة العالم الطبيعي و علاقة الإنسان به.

و مما ذكره أرسطو أن أصول الشعر الإغريقي تعود إلى العهد البطولي ، بما في فكرة الكوميديا التي يعود الفضل لهوميروس في نشأتها.

انظر :

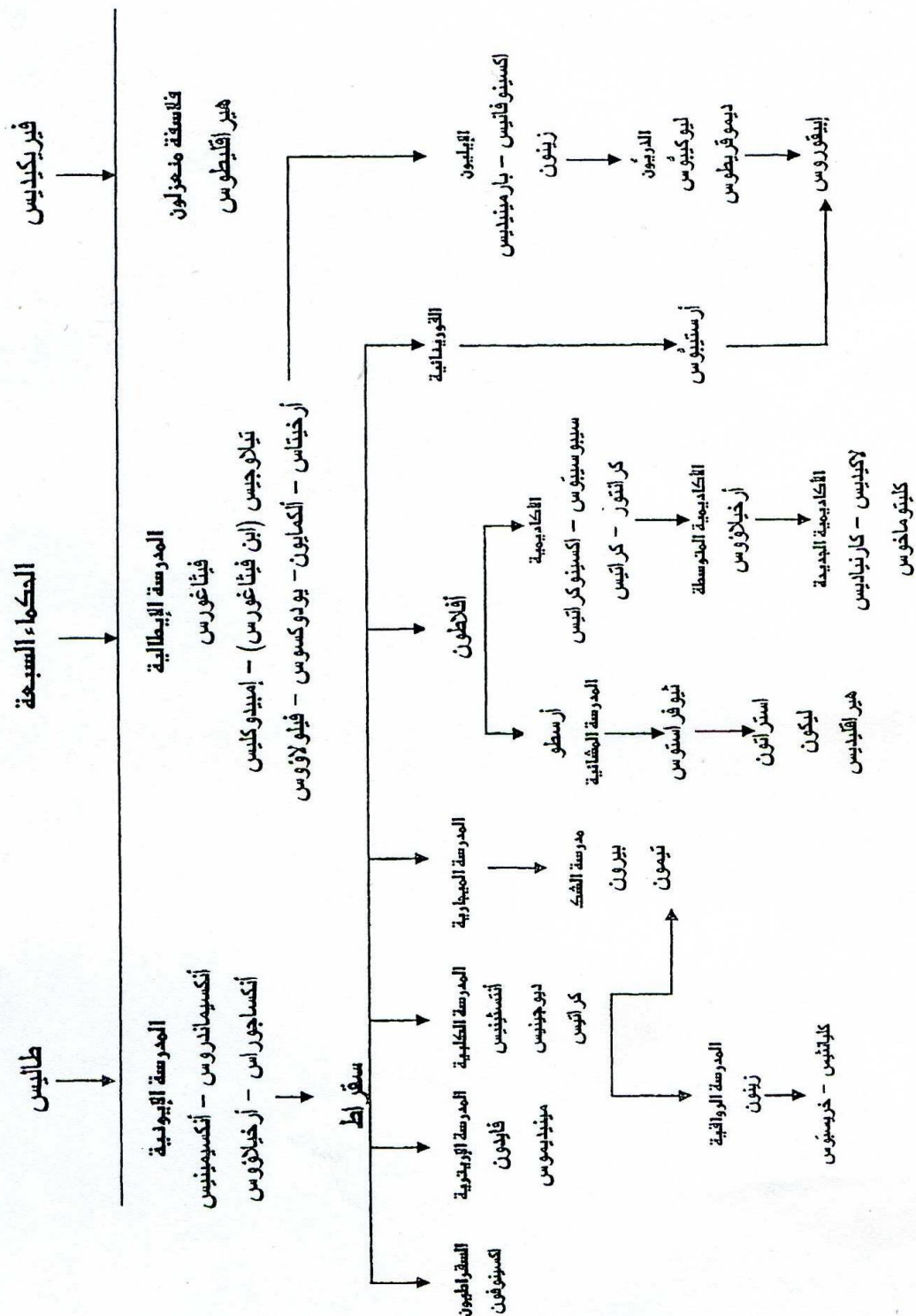
فالإغريق اخذوا بهذه المفاهيم الأولية ، و لما كانت ظروفهم مختلفة كونهم أبناء بيئة تميزت بخصائص معينة ، فانعكس ذلك على تفاعلهم مع ما نقلوه من الفكر الشرقي القديم ، ليظهر شكل جديد يتوافق مع الطابع العام للشخصية الإغريقية التي تشكلت في تلك البيئة والظروف.¹ و من هنا حدثت النقلة النوعية التي تميزوا بها ، و هي التركيز على التأسيس النظري و المجرد للفلسفة و هو ما اعتبره البعض بالمعجزة.

و الواقع أنها لم إلا نقلة طبيعية تأثرت بالتراكم المعرفي المتواتر الذي استفادوا منه، و كان عليهم إن يضيفوا له الجديد، ليكتسي ذلك التجريد الثوب العقلي المنظم، فاعتمد الانجاز الإغريقي إذن على إبراز الجانب النظري و تسجيله بصفة علنية في مؤلفات مكتوبة اتخذت أساليب المراجعات و المناقشات النقدية . و من هنا كان السبب المباشر في تقدم الفلسفة حوالي القرن السادس قبل الميلاد.

فالفلسفة الإغريقية ولدت ولادة طبيعية نتيجة عوامل خارجية تعلق بالمرور الحضاري للفكر الشرقي القديم ، و عوامل داخلية ناتجة عن البيئة الاجتماعية و السياسية و الأدبية و الدينية ، فالمصادر الشرقية أثرت في النهضة الفكرية السابقة لظهور الفلسفة في بلاد الإغريق. و أثرت حتى في المدارس الفلسفية الإغريقية و أعلامها. و الشكل التالي يوضح أهم أعلام الفلسفة الإغريقية .

1 : مصطفى النشار ، المصادر الشرقية ... ، المرجع السابق ، ص ص 17 - 18 .

1 : ديوجينيسالانترى، حياة مشاهير الفلاسفة ، ص 25 .



(لوحة من إعداد المترجم مع الاستعانة بالترجمة الفرنسية)

4. الديمقراطية الآثينية مظهر التميز في الفكر السياسي الإغريقي .

1.4 حضارات الشرق القديم الأصول الأولى للفكر السياسي

المدن الأولى في تاريخ البشرية هي تلك التي تأسست ببلاد ما بين النهرين، حيث توفرت هذه المدن على المستلزمات المقوية و الداعمة للحياة العامة، كإنشاء المراكز الحكومية، و القوة العسكرية التي تضمن المحافظة على هذه المنجزات ضد أطماع القوى المعادية. فرغم خصوصية أنظمة الحكم التي عرفتھا المنطقة، إلا أنها قد شكلت الدعائم الأولى للممارسات السياسية في تاريخ الإنسانية، و بذلك تكون قد سبقت الإغريق بألفي عام.1

فالمنطقة عرفت قيام أسس و مقاييس وضعية نظمت على أراضيها علاقات الأفراد في المجتمع ببعضهم البعض، فأوجدت قوانين و تشريعات وضعية شكلت نقطة ارتكاز لتسيير مجتمع الدولة. فوضع (أورنامو) مؤسس سلالة أور الثالثة قانونا لدولته في حوالي القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد، و يعد بذلك أول قانون سن في تاريخ البشرية مكتشف لحد الآن. و بعد قرن من الزمن فعل (بيالاما) ملك (أشنونة) الأمر نفسه، و بعد هؤلاء جاء الملك حمورابي سادس ملوك الدولة البابلية القديمة بقوانين شاملة الجوانب في حياة المجتمعات القديمة.

فقانون حمورابي إذن ظهر قبل ظهور أقدم مجموعة قوانين إغريقية كتلك التي سنت في كريت بأكثر من إثني عشر قرنا، حيث اكتشفت هذه القوانين في مدينة (كورتين) بين عامي 1884 – 1885 م . و كانت منقوشة في الواجهة الداخلية لأحد الأبنية، و يرقى القسم الأعظم من هذه القوانين إلى القرن السادس و الخامس قبل الميلاد.

1 : عبد الحكيم الذنون، بدايات الحضارة، دار علاء الدين ، سوريا، 2009 ، ص 63 .

حتى أن مدينة إسبارطة لم تكن تهتم بتدوين القوانين، فضلاً على أنها جاءت متواترة. وقوانين دراكون صدرت عام 621 ق.م، و تميزت بكونها أكثر قسوة من تلك التي عرفت في العراق القديم.*

و في سياق آخر فحضارات الشرق القديم كانت أسبق من الإغريق في وضع أسس السلطة التنفيذية في المملكة، حيث تجسدت بيد الملك الذي كان له وزراء و كتاب و موظفين يساعدونه في أداء مهامه، و كانت لهذه السلطة تقاليد المراسلات الدبلوماسية القائمة على أساس إبرام المعاهدات والاتفاقيات و موائيق الصلح مع القوى الأخرى. كما كان يساعدها في ترسيم معالمها قوة عسكرية منظمة منقسمة بين وحدات الجيش و الشرطة.

ومما تقدم نلاحظ أنه رغم سيطرة الدين على مجريات الحياة العادية في حضارات الشرق القديم، إلا أن الإنسان في فترة زمنية مبكرة اكتشف دوره الحيوي في قدرته على تنظيم شؤون الدولة و العامة، و قام بالتالي بسن قوانين تنظم علاقات الفرد بمواطنه و بدولته، و هو ما ينفي أن أصل فكرة التشريع و الممارسات السياسية قد تكون بدأت في بلاد الإغريق حوالي القرنين الخامس و السادس قبل الميلاد. و ما التشريع العراقي القديم إلا ابرز دليل على ذلك.

1.1.4. مصر نموذج لممارسة المرأة للسياسة و الحكم .

جمعت الحياة السياسية بمصر القديمة أفراد الأسرة الحاكمة من رجال و نساء ضمن وحدة اجتماعية مترابطة تسودها النظرة التقدمية إلى المرأة و الاعتراف لها بدورها الهام في المجتمع. حيث لعبت المرأة — خاصة من الطبقة الحاكمة — في مصر القديمة دوراً هاماً في الحياة السياسية و نظام الحكم، و من تلك الشخصيات¹ الزوجات الملكات، خاصة خلال مرحلة الدولة الحديثة مثل

* : كانت القوانين العراقية القديمة واضحة المعالم لم تترك مجالاً للاجتهادات الشخصية، و من أمثلة ذلك أن قانون حمورابي منع في أحد بنوده القاضي من التراجع عن حكم أصدره، حتى أنها فرضت في حال وجود ذلك عقوبة على القاضي تتمثل في الإقصاء من المحكمة أمام زملائه القضاة. و رفع الحصانة القضائية عنه، و هو عكس ما لوحظ في القوانين الإغريقية و حتى الرومانية . انظر : عبد الحكيم ذنون، المرجع السابق ، ص 66 .

1 : محمد علي سعد الله ، الدور السياسي للملكات في مصر القديمة، مؤسسة شباب الجامعة، مصر ، (من المقدمة).

(تيتشري- و اياحوتب) و نفرتيتي و دورهن في حرب الاستقلال ضد الهكسوس، فضلا عن دورهن في توريث العرش لأبنائهم حتى يبلغ الابن أشده. إلى جانب مكانة الملكة حتشبسوت وقضية توليها للعرش، و كيف تحولت في دورها من زوجة ملكة إلى وصية على العرش و خروجها إلى الناس بأسطورة مولدها الإلهي، حيث جعلت نفسها ابنة الإلهامون.

و من الملكات اللاتي كان لهن دور أساسي في المملكة الملكة (تي) ذلك في حياة زوجها الملك (أمنحتب الثالث) و ابنها أخناتون، و استطاعت تبوأ مكانة هامة في الحياة الرسمية للبلاد، دون أن ننسى دور الملكة (نفرتاري) و مكانتها السياسية في عصر زوجها رمسيس الثاني، فضلا عن الملكة (تاوسرت) التي جلست على عرش الفراعنة لتصبح رابع ملكة في التاريخ الطويل لمصر، و حملت ألقابا ملكية كاي فرعون حاكم¹.

و قد كان هناك زيجات ذات طابع سياسي من الأجنبيةات، و هذا ما ينطبق على (تحتمسارابع) و (أمنحتبالثالث) من الأسرة الثامنة عشر و (رمسيس الثاني) من الأسرة التاسعة عشر، و هو الذي عقد معاهدة سلام مع الحبشيين أعدائه في السنة الحادية و العشرين من حكمه اين حدثت مصاهرة بزواجه من ابنة الملك الحبشي (خاتوسيل) التي أطلق عليها المصريون اسما مصرياً خالصا هو (ماعتفرواع)*

2.4 نشأة النظام الديمقراطي عند الاغريق.

مع تطور الفكر الفلسفي الإغريقي تطورت بالموازاة مختلف الآراء الفلسفية ذات الطابع السياسي، فالفلسفة السياسية الإغريقية لم تكن منفصلة عن الواقع التاريخي، فلا يمكن لنا بأي حال

1 : محمد علي سعد الله ، المرجع السابق ، ص 7 (من المقدمة) .

* : تحتل المرأة الفرعونية هذه المكانة في الوقت الذي حط فيه أبرز فلاسفة الإغريق و مفكرهم من قيمة المرأة بكثير من التفضيل للرجل على المرأة حسب سقراط و أفلاطون، كما أن هيزيود يرى أن المرأة هي مصدر الشر في الأرض. مستدلا بأسطورة باندورا. انظر :

Philip Vander Eijk ,Mmark Geller , Science techonology and medecine in ancient literatures, Mark Asper, V 1 , Pp 94 – 95 .

من الأحوال أن نفهم فكر أفلاطون و أرسطو دون فهم واقع المدينة الإغريقية و الظروف السياسية المحيطة بها.¹ الأمر متصل ببعضه البعض، وعلى الفيلسوف أن يجد الحل المثل للصراعات و الأزمات التي تتعرض لها المدينة².

و مدينة أثينا في طور تكوينها مرت بعدة مراحل من المجتمع البدائي إلى الملكي إلى الديمقراطي مروراً بمرحلة الحكم القائم على تركيز الثروة بيد فئة قليلة من الأرستقراطيين، في الوقت الذي تحول فيه الغالبية من السكان إلى رقيق، و ظل هذا النمط سائداً إلى غاية القرن السادس قبل الميلاد.

و كنتيجة حتمية لهذه الأوضاع ظهرت التشريعات الإغريقية، أهمها تشريعات **صولون*** الذي كان سبباً في شهرته من الزعماء، أما بثروته و منزلته الاجتماعية فكان من الطبقة العامة كما كان يعرفه به الكتاب الآخرون، و يشهد به هو على نفسه. و هو ما قاله عنه أرسطو في كتابه (دستور الآثينيين)³.

و تمحورت إصلاحاته خاصة حول سن نظم و قوانين تلغي الديون العامة و الخاصة، و كانت أساساً تهدف إلى إنعاش الشعب و حمايته من سيطرة الأغنياء، و كان إلغاء الديون كاملاً و شاملاً

1. Ernest Barker, Op Cit, P17.

2 : أميرة حلمي مطر، الفلسفة السياسية ... ، المرجع السابق، ص 13 .

* : لكي تدرك سر قوة المؤسسات السياسية في أثينا يجب النظر في عمق الصلة التي كانت تربط المواطن بدولته، فقد نشأ ضبط النفس الناجم عن الثقة المتبادلة بين الشعب و القانون، ذلك لأن القانون هو المنظم لأمر المجتمع و الدولة ، فهو كذلك ينظم العلاقات بين المواطنين من جهة، و الدولة من جهة أخرى. و اعتقد حكماء الإغريق و فلاسفتهم أن القانون كلما كان أكثر عدلاً و لبي طموحات الشعب، كانت ثقة الشعب بهذا القانون، و كان الشعب أكثر تمسكاً و وحدة و تضامناً، و العكس صحيح. لذلك فإن نوعية القانون واتجاهه هو الذي يحدد مثل هذه العلاقة و الأحكام بين الأفراد و الدولة. و ضعف ثقة الشعب في القانون يولد مظاهراً اجتماعية خطيرة كانتشار الجريمة، و ذلك ينعكس سلباً على كيان المجتمع و يؤدي إلى انحلاله اجتماعياً، اقتصادياً و تربوياً. لذلك يجب أن يكون متوازياً و متوازناً في التعبير عن مصالح الشعب متوافقاً مع مصلحة الدولة لخدمة المصلحة العامة.

انظر : خليل سارة ، المرجع السابق، ص 388 – 389 .

3 : أرسطو دستور الآثينيين ، ترجمة أوغسطينيس بربارة، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق ، 2013 ، ص 28 .

حسب إقرار **صولون** نفسه، و نتج عن هذا الإلغاء نظام رهن الأجساد¹، كما ضم الدستور إصلاحات أخرى ذات طابع قضائي و سياسي.*

و بعد سلسلة من الاضطرابات تقلد الحكم **بسترانس**، و هو ما عرف بحكم الطغاة، غير أنه كان يميل إلى النمط السياسي أكثر منه إلى الحكم الطغياني، فعرف عنه أنه كان عطوفا حليما متسامحا مع المخطئين. حاول توفير السلام لشعبه، و كان ملتزما بالقوانين، و لم يمنح نفسه أي امتيازات.² ثم مجيء **كليستينيس** الذي سار على خطى سابقه من إلغاء الامتيازات الارستقراطية، و نقل مصالح الحكم إلى الجمعية الشعبية، و تزامنت هذه الظروف مع انتصار أثينا على الفرس في الحرب، و هو ما ساعد على توطيد معالم الديمقراطية، و حدث ذلك في فترة ازداد فيها نشاط **السوفسطائية**. و كانت كل هذه الظروف أرضية خصبة و منعكسا شريطا لمجيء نخبة الفلاسفة

1 : أرسطو دستور الآثينيين ، المرجع السابق ، الفصل السادس ، ص 30 .

* : حول إصلاحات صولون راجع أرسطو في المصدر نفسه ، من الفصل الخامس إلى الفصل العاشر .

و يقول أرسطو في نفس المصدر الفصل الحادي عشر حول مغادرة صولون للبلاد ، بعد أن سن دستوره تعرض الى اللوم و المضايقات بسبب هذه التشريعات من طرف المعارضين له، رغبة منهم في إبقاء الأوضاع على حالها. و كنتيجة لذلك غادر وطنه إلى مصر سعيا إلى التجارة و رغبة في الاستطلاع في آن واحد. و قال انه لن يعود قبل عشرين سنة ، حتى تطبق الشرائع بحذافيرها على كل واحد . و كان الأعيان من أبرز المعارضين له بسبب إلغاء الديون .

انظر : أرسطو ، المصدر نفسه ، الفصل الحادي عشر ، ص 39 .

و مما تقدم يتضح كذلك أن مصر كانت وجهة السياسيين و المفكرين الإغريق، و متنفسا لهم بعد تعرضهم للمضايقات ببلادهم، بل كانت مركزا للتجارة و أخذ العلم لهؤلاء الإغريق، و ما ورد على لسان أرسطو هو دليل آخر على مكانة مصر كمركز حضاري للعالم القديم، و وجهة لمفكري الإغريق.

2 : أرسطو ن المصدر السابق ، الفصل السادس عشر ، ص 49 - 50 .

الإغريق كسقراط ثم أفلاطون من بعده* الذي كان يرى أن الديمقراطية أدت إلى فشل و سقوط أثينا.**

3.4 الديمقراطية الأثينية بين الحقيقة و الخيال .

الديمقراطية هي النمط الدال على الحالة السياسية في بلاد الإغريق حوالي القرن الخامس قبل الميلاد، بعد المرور بعصر الملكية و الأوليغارشية، و هي تعني من حيث المبدأ حكم الشعب و المساواة السياسية و حرية الرأي، و تتطلب تطبيق القانون الذي يفترض أن يكون واجبا على الجميع، و تهدف لحماية مصالح الطبقة الشعبية سياسيا و اجتماعيا و اقتصاديا.¹

غير أن الديمقراطية الأثينية لم تكن بالمعنى التام للكلمة، ففي الوقت الذي وصفت فيه أثينا بمدينة البشر الأحرار، كانت هذه المدينة متكونة من أربعين ألف مواطن من الأصل الإجمالي لسكان البلاد ثلاثمائة ألف نسمة مقسمون كما يلي : 110000 من العبيد و 40 ألف أسرى من الغرباء، و خلالها كانت المرأة محرومة من جميع الحقوق.²

و يقول روجي غارودي في كتابه (حوار الحضارات) أن أفضل تسمية يمكن إطلاقها هي (الأوليغارشية الاستبدادية) فلا يمكن جواز تسميتها بالديمقراطية لأن النظام الديمقراطي لا يقبل

* : تزامن عصر أفلاطون و الحرب بين أثينا و إسبارطة، الأمر الذي عجل بالقضاء على حضارة الإغريق بعد هزيمة أثينا. و هو سبب رفضه للنظام الديمقراطي و حربه الذي حكم على سقراط بالإعدام، و هو ما أورده في مؤلفاته (الجمهورية والقوانين).

انظر : أميرة حلمي مطر ، الفلسفة السياسية ، المرجع السابق، ص 13 .

** : و بموجب ذلك عقد اتفاق بين المدينتين المتحاربتين يقضي بعودة الزعماء الديمقراطيين من المنفى، و بعد العودة أعلنوا بزعامة (كرستياس) ثورة الأغنياء على الحزب الديمقراطي، و لكن ذلك انتهى بفشله.

انظر : ول ديورانت، قصة الفلسفة (من أفلاطون إلى جون ديوي) ، ترجمة عبد الفتاح محمد المشحش، ص 9 .

1 : جان توشار، تاريخ الأفكار السياسية، ص 28 .

2 : Cohen Rebert , La Grèce et l'hellénisation , le monde antique , presece , P 225 .

التكيف مع نظام الرق، و أي نوع من الديمقراطية إذا كانت أثينا تستولي على خزينة حلف ديلوس¹، فالواقع يثبت أن عامة الشعب كانوا مجردين من الحقوق السياسية.

كما لم تكن الديمقراطية الآثينية واضحة المعالم سواء كان لمزاياها أو أسسها، فهي كنظرية سياسية لم تؤسس وفق دستور كامل المعالم قائم بذاته، و إنما هي شتات من الإشارات.² و الملاحظ كذلك أن ممارسة الديمقراطية مرت بفترات من اللإستقرار و تغيير في سياسة الحكم في فترة زمنية وجيزة، فضلا عن ذلك الصراع الذي كان قائما بين الحزبين الديمقراطي والأرستقراطي.

لقد كانت الديمقراطية الآثينية محل رفض من طرف فلاسفة الإغريق، أبرزهم أفلاطون الذي اصطدم بإقبال هؤلاء على إعدام أستاذه سقراط، و خروج أرسطو من المدينة نظرا لفكرهم المعارض لها. أما في موضوع المرأة فالملاحظ أن المرأة المصرية كانت أعلى شأنًا من نظيرتها الإغريقية، فلم يعرف عن الإغريق إلا بروز الفيلسوفة (أسبازيا) في عهد بركليس في الوقت الذي برزت فيه المرأة الفرعونية كملكة في العديد من المرات.

لقد كانت الديمقراطية الآثينية مظهر تميز للإغريق، حيث اعتبرت إحدى مظاهر عبقريتهم ومعجزتهم. و مهما يكن الأمر فإنها كممارسة سياسية مرت بعدة مراحل من الصعود و الانحدار والاضطراب و الاستقرار، فهي بالتالي كأى تجربة إنسانية مرت بمحطات طبيعية في النشأة و التكوين، ولا يوجد فيها مظهر الإعجاز ما عدا أنها رسخت فكرة المواطنة التي كانت في أكمل صورها عند المواطن الآثيني سواء كشعور أو كممارسة، اتضح من خلالها الدفاع المستميت عن مدينته التي كان يكن لها كل الولاء و التقديس و الاحترام.*

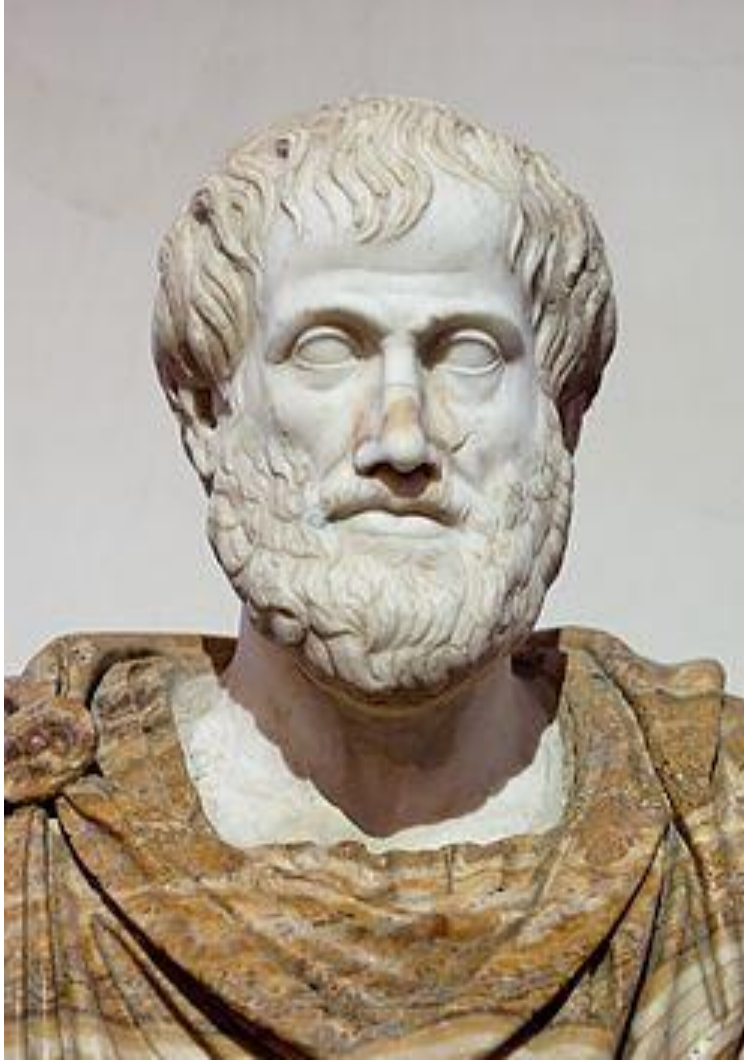
1 : روجي غارودي ، حوار الحضارات ترجمة عادل العوار ، ط 4 ، عويدات للنشر و الطباعة، بيروت لبنان ، 1999 ، ص 28 .

2 : إسماعيل زروقي، دراسات في الفلسفة السياسية، ط 1 ، دار الفجر للنشر و التوزيع، الجزائر، 2001 ، ص 26 .

* : و في علاقة المواطنة في مدينة أثينا أنظر : إسماعيل زروقي ، المرجع السابق ، ص 26 .

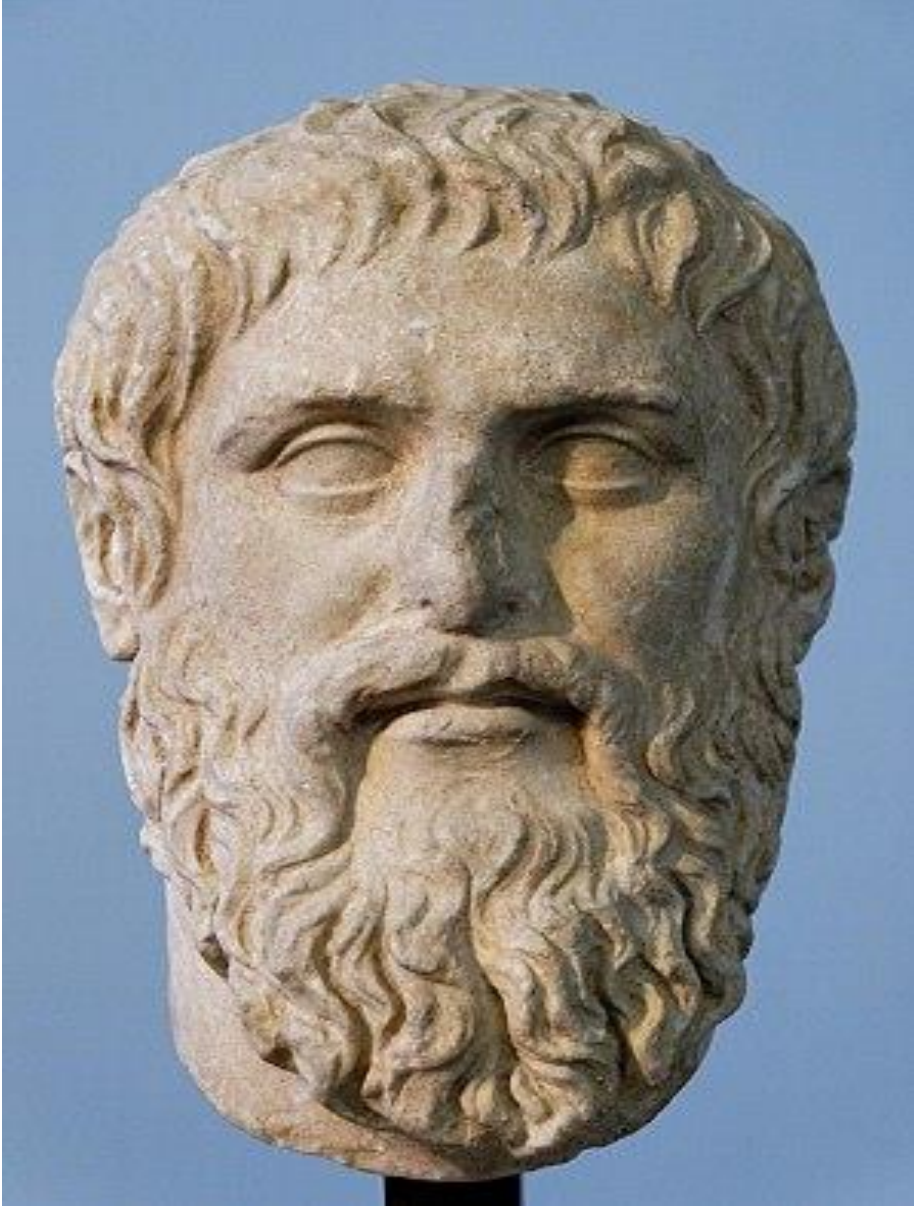
الشكل (23) أرسطو : (384ق.م - 322 ق.م)

فيلسوف يوناني ترك أثراً عميقاً في الفكر اليوناني ومن بعده في الفكر المسيحي والفكر العربي الإسلامي والفكر الحديث. وكان أشهر تلامذة أفلاطون.¹



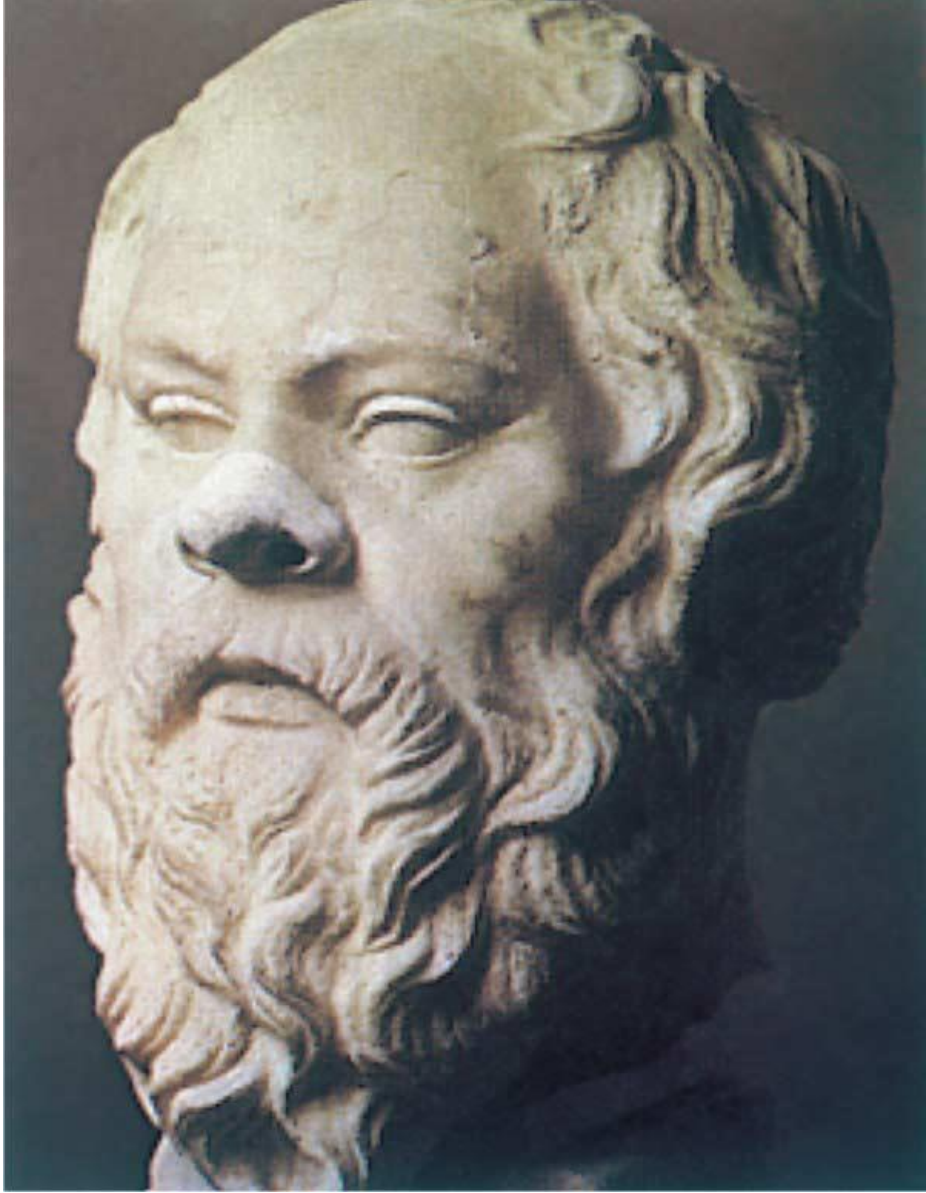
1 : <https://www.arab->

الشكل (24) الفيلسوف الإغريقي أفلاطون¹



[:https://www.arabency.com/ar](https://www.arabency.com/ar)

الشكل (25) الفيلسوف الإغريقي سقراط¹



[:https://www.arabency.com/ar](https://www.arabency.com/ar)

الشكل (26) بركليس Perikles (Pericles) رجل دولة أثيني مشهور، هو ابن إكسانتيبوس Xanthippos وحفيد المصلح كليستينيس¹



1.3.4. التاريخ بين أهميته كأبداع إغريقي و وجوده عند حضارات الشرق .

حدث إختلاف بين حقيقة دور الإغريق في التدوين التاريخي، فهناك من يرى أن الحضارة الإغريقية كحضارات آسيا غير تاريخية في الأساس، لأن الفكر الفلسفي لهذه الحضارة يتعارض مع التاريخ، غير أنه هناك من يرى على العكس من ذلك أن التأريخ هو أهم إبداع خلقه الإغريق، ولكن جوهر الإشكالية هنا أن وجود أمة سجلت تاريخها و تعتبرها خارج التاريخ لأن أهلها لم يكن لديهم وعي بالتأريخ و أهميته و موضوعاته و منفعته.

والحقيقة التي تتضح للدارس هي أنه لا يمكن أن نصف أمة عرفت تاريخها عبر ما سجلته الوثائق التي دونها كاتبوها من أبنائها، و نقول عنها أنها أمة لم تعرف التأريخ، وأن أبنائها لم يكن لديهم وعي بأهمية التأريخ.

4.4 نشأة الفكر التاريخي في الشرق القديم

أن الوعي التاريخي لم يكن مقصورا على من بدأ استخدام لفظ تاريخ، أو على من كتبوا مؤلفات تاريخية مستخدمين فيها مناهج واضحة المعالم، فالوعي بالتاريخ و أهميته كان قد تشكل مع أول من سجل وثيقة وصف فيها إنجازات البشر في اي مجال من المجالات. فالوعي التاريخي إنطلاقا من ذلك يكون قد بدأ منذ فجر حضارات الشرق القديم¹.

هناك بدا الإنسان بتسجيل الأحداث التاريخية الكبرى التي نسبها إلى صانعيها من ملوك وحكام، و النقوش الأثرية على جدران المعابد و المباني لا تزال شاهدة على ذلك، حيث دونت إنجازات الملوك و معاركهم، و كل ما يتصل به من مكاسب محققة و توسعات جغرافية وعسكرية، حتى أن المخلفات الأدبية هي الأخرى كانت مستودعا يكشف لنا عمق الإيمان بأهمية تسجيل ما حدث في العصور السحيقة.

1 : مصطفى النشار، من التاريخ إلى فلسفة التاريخ قراءة في الفكر التاريخي عند اليونان، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع، مصر 1997 ، ص ص 24 - 25 .

و من هذه الأدبيات ما كتبه (ايور) في مصر القديمة، و ملحمة جلجامش في بلاد ما بين النهرين* ، و كتاب التغيرات Y. King في التراث الصيني القديم، إلى جانب ما ورد في كتابات كونفوشيوس، فضلا على ما جاء به التراق الهندي القديم.

إن دراسة هذه الوثائق و الكتابات في حضارات الشرق القديم يمكن لها أن تكشف لنا بما لا يدع مجالا للشك أن هذه الشعوب إهتمت بتدوين منجزاتها الحضارية سواء كانت أحداثا سياسية أو وقائع حربية، أو إكتشافات فكرية و علمية في مختلف مجالات المعرفة لأنه يمكن القول أنه طالما تعتبر الوثيقة هي المبدأ الأول و الأهم في المعرفة التاريخية. فإن حضارات الشرق القديم اهتمت بتسجيل اهم الأحداث التاريخية.

ومع ذلك يمكن القول أن الطابع العام للإهتمام الشرقي بالتاريخ لم يتجاوز حدود تسجيل الأحداث إلى المغزى من هذا التسجيل، أي أنهم لم يولوا الإهتمام بطرح تساؤلات عن أسباب حدوث هذه الظواهر** .

ورغم هذا الطابع فقد وجدت إشارات لمحت الى محاولة تفسير الأحداث ، و من الأمثلة على ذلك ما كتبه المفكر الصيني كونفوشيوس حوالي القرن السادس قبل الميلاد عن التاريخ وأهميته في حياة الشعوب و الحكام على حد السواء. فتاريخ امة في نظره هو حلقات ترتبط بعضها ببعض

* : من اهم المخلفات الأثرية التي يعتمد عليها الباحث في مجال تاريخ العراق القديم، قوام الملوك السومريين التي تعود إلى بداية الألف الثاني قبل الميلاد، و التي تتضمن مادة تاريخية تعود إلى بداية العصور التاريخية أو ما قبل ذلك من أسماء المدن قبل حادثة الطوفان، و وردت معلومات منظمة في شكل متناسق، حيث كتب إسم المدينة و الأسرة الحاكمة فيها، و إسم الحاكم و سنوات الحكم، كما كانت تسجل ملاحظات مختصرة لبعض الأحداث الهامة أو تفاصيل بعض الإحتفالات الملكية.

أنظر : أحمد أمين سليم، تاريخ العراق القديم، دار المعرفة الجامعية 2012 ، ص 34 .

** : و المثل في هذا الإتجاه الوثيقة التي كتبها إيور التي أطلق عليها إسم (تخيرات إيور) و يعود تاريخها إلى 2000 ق.م ، و التي تقدم وضفا تاريخيا للظروف السائدة، حيث حاول من خلالها تقديم التعليل المناسب لهذه الأحداث من وجهة نظره. انظر : مصطفى النشار ، (من التاريخ ...) المرجع السابق ، ص 28 .

إرتباطا وثيقا، و قد بلغ عمق الوعي التاريخي لديه حدا جعله يعتبر دراسة التاريخ و الميل للإستفادة منه أحد الشروط الأساسية للحكم الصالح، و من ثم لابد من توفرها في الحاكم الممتاز، و منه يتضح أنه من خلال الفكر الصيني إدراك مفكره أهمية التاريخ بإعتباره أحد العلوم الأساسية التي تشكل ثقافة الشعوب، و تصقل عقلياتها، و تعمق رؤيتهم للواقع* .

ومما تقدم يتضح لنا جلليا وجود وعي تاريخي في هذه الحضارات (حضارات الشرق القديم)، و لا شك أن المثل ينطبق أيضا على الفرس، و الهنود و البابليين، و مهما يكن فإن محاولات التدوين في هذه الحضارات قد سبقت بكثير ما قام به الإغريق في هذا المجال¹

5.4 التاريخ عند الإغريق .

إن أول إدراك للوعي التاريخي عند الإغريق هو ذلك الذي ورد في الإلياذة التي رصدت الأحداث الأخيرة للحرب الطروادية، فالملحمة كما يقول السير موريس باورا الذي يذهب إلى الإعتقاد أن الشعر الملحمي يعد سجلا أميناً و دقيقاً للماضي، و يجب العودة إليه خاصة فيما يتعلق بعلاقات النسب و المصاهرة و الإنحدار بين اسلاف و أجداد معينين، فالإلياذة تعد من المصادر التاريخية – رغم طبيعتها الأدبية – و تكمل قيمتها في انها تضمنت وصفا للحالة السياسية والإقتصادية و الإجتماعية و الدينية و العسكرية للمجتمع الإغريقي خلال القرن الثاني عشر قبل الميلاد*.

* : إن الإتجاه الصيني لتفسير التاريخ يتمحور حول موقفين، الموقف الكونفوشيوسي الذي بني على إتجاه إيجابي يقوم على فهم واع يدعوا إلى ضرورة النجاح و التقدم، أما الموقف الثاني فهو موقف الفلسفة الطاوية الذي جاء على النقيض من سابقه، و يلخصه مصطلحهم الشهير (طاو ، Tao) الذي يعني لا شيء ، لأن أنصار هذا الإتجاه ينظرون إلى التاريخ نظرة سلبية، لأن التقدم العلمي حسبهم يقود الناس إلى الشر و الفساد الأخلاقي.

انظر : مصطفى النشار ، (من التاريخ ...) ، المرجع السابق ، ص 30 .

1 . C.M Bowra , Problems in greek poetry, Oxford 1953, P1 .

* : تعد المصادر الأدبية كأثرية في الدراسات التاريخية بالمقارنة مع المصادر الأثرية الجازمة، فضلا على ذلك الشك الذي يحيط بشخصية هوميروس، خاصة من حيث معاصرته للأحداث الواردة في الإلياذة. حيث اجمعت الآراء أن الشاعر لم يعاصر الأحداث بحكم وجوده ما بين القرنين التاسع و الثامن قبل الميلاد، فهو كتب عن هذه الحرب من خلال ما ورد من روايات شفوية، و

وما يمكن ملاحظته أن هوميروس من خلال الإلياذة أو حتى الأوديسا قد حاول أنسنة التاريخ بما في ذلك الجزء الأسطوري منه لبلاد الإغريق، و ذلك بإضفاء معان خلقية سامية تحمل منفعة لرواية الأحداث التاريخية الماضية. و من خلال ذلك نقول أن هوميروس أدرك أهمية التاريخ و منفعته، و مع ذلك فهو لا يعتبر مؤرخا و لا فيلسوفا بل كان في المقام الأول شاعرا ممتازا.

6.4 هيرودوت و توكيدنيس و تأسيس علم التاريخ .

1.6.4. هيكاتيوس (Hecataus) :

ولد عام 540 ق.م عرف بالمالطي (نسبة إلى ميلينوسمالطا اشهر المدن الإغريقية بآسيا الصغرى). إلى جانب الكتاب الجغرافي المنسوب إليه (رحلة حول العالم) ، ينسب إليه كتاب في التاريخ بعنوان (الأنساب)، جمع فيه طائفة من ماثورات العائلات القديمة و أنسابها دون أي ترتيب زمني، ولم يصل من الكتاب إلا شذرات صغيرة (حوالي خمسين شذرة)، و هي على أي حال قليلة الأهمية. و لقد عرف عنه التنقل من بلد آخر مستطعلا البلاد و أحوالها، و رغم ذلك كان أسلوبه يشوبه الكثير من الخيال و الأوهام¹.

2.6.4. هيرودوت (Hérodote) :

من اشهر مؤرخي الإغريق. عاش حدود 474 ق.م و 425 ق.م، اخذ الكثير من هيكاتيوس، كان موضوعه الرئيسي أخبار الحروب الميديّة و العديد من حياة الأمم و الشعوب، خاصة

لكن ذلك لم يقلل من قيمتها كمصدر يمكن أن نستقي منه المعلومات عند دراستنا للتاريخ الحضاري لبلاد الإغريق خلال هذه الفترة، رغم أنها عند عملية كتابتها حوالي القرن السادس قبل الميلاد تخللتها الكثير من التحريفات و التزييفات. كما يمكن أن تكون قد ضاعت منها الكثير من حقائق الحرب، لكن رغم ذلك فهي تصنف ضمن المصادر الأدبية الهامة التي لا يمكن الإستغناء عنها .

انظر

Robert Falaceliere, Op Cit, P 22 .

و انظر أيضا

Maurice Groiset, Op Cit , P31 .

1 - كامل حيدر، المرجع السابق ، ص 16

مصر التي خصص الجزء الثاني من كتابه لوصفها، و كتب عن جغرافيا بابل حيث قال: « كانت أشور تضم عدد كبيراً من المدن أهمها، و أقواها بابل التي نقل إليها مقر الحكومة بعد سقوط نينوى. و هناك وصفاً للبلاد ، تقع هذه المدينة في سهل فسيح و موقعها مربع الشكل تماماً، يبلغ طول كل ضلع من أضلاعه مائة و عشرون فورلنجا، و ذلك طول محيطه كله أربعمائة و ثمانون فورلنجا¹ . و من أهم ما كتبه أيضاً : « كانت ارجوس ضمن الولايات المنظمة وقتذاك تحت الاسم العام (هيلاسي). و عرض الفينيقيون بضاعتهم على سكان ارجوس، و ظلوا يتاجرون هناك مدة 5 أو 6 أيام، و في تلك المدة كانوا قد باعوا كل ما كان معهم تقريباً²».

كان يكتب الأخبار كما يسميها، وبكثير من الخيال و الأساطير، كما زار مصر و شمال إفريقيا و بلاد ما بين النهرين. و قسم كتاباته إلى تسعة أجزاء، سمي كل جزء منها باسم الآلهة التسعة الخاصة بالشعر و الأدب و الفنون و الموسيقى و يعتقد أن هذه التسميات لم يضعها هو، بل وضعها الكتبة الذين خلفوه³، و يعد أول من وضع لفظ تاريخ، و يرى البعض انه أول من وضع فلسفة التاريخ، و تجلت قدرته التاريخية في أمرين هامين، يتميز بهما على سابقيه: انه ينتقل في تاريخه من الوصف إلى التحليل و البحث عن سبب الحدث كما انه لم يجعل التاريخ يقتصر على الجانب السياسي فحسب بل تعداه إلى الجانب الحضاري⁴ .

1 - Hérodote , histoires , livre 1 , p 66

2 - نفسه ، ص 15 .

3 - كامل حيدر ، المرجع السابق ، ص 96

4 - مصطفى الستار ، المرجع السابق ، ص ص 40 - 41

أما ما يؤخذ عليه جهله بلغات الشعوب* كما رجع الأحداث التاريخية إلى أحداث فردية، وتناول الكثير من الخرافات، لكن له مكانته في التاريخ، حتى لقب بـ (**Pater historia**) من طرف المؤرخين الرومان أي أب التاريخ.

و يرى البعض انه أب الانثروبولوجيا الاجتماعية و ليس أب التاريخ فحسب، بسبب¹ ميله للمجالات الثقافية و الاقتصادية و الدينية أكثر من السياسية .

3.6.4. توكيديديس (Thucydide) :

عاش في النصف الثاني من القرن الخامس ق.م و أوائل القرن الرابع ق.م ، يعد خليفة **هيرودوت** في التدوين للحضارة الإغريقية و كان احد القادة العسكريين **لأثينا**.** شارك في حرب **البيلوبونيز**** و لكنه ابعد لما ارتكب خطأ، و كرس بقية حياته للكتابة حول هذه الحرب، لذلك

* - رغم أن والديه من ليكارنايوس إحدى المستوطنات الدورية . إلا انه كتب بلهجة أيونية و ليس دورية . عرف بتعصبه لأثينا التي اعتاد التنقل إليها . كما التقى بقيادة المدينة .

سيد احمد الناصري ، المرجع السابق ، ص 301 .

1 - سيد احمد الناصري ، المرجع السابق ، ص ص 301 - 302 .

** - عاصمة بلاد الإغريق و أكبر مدنه ، سميت نسبة إلى أثينا إلهة الحكمة الإغريقية . تقع جنوب اليونان على سهل اتيكيا بين نهر ياليسوس و كيفيسوس . محاطة من ثلاث جهات بقمم جبال هي ميموش (1026 م) بينيليكون (1109 م) و بارس (1413 م) و تطل من الجهة الرابعة على خليج زارونيش الواصل للبحر المتوسط و أقيمت بها أول ألعاب اولمبية غي العصر الحديث 1896 ميلادية . كانت مدينة دولة تدار بطريقة ديمقراطية بواسطة مجلس الجماهير (الاكليسيا) الذي ينتخب بالاقتراع . واهتمت بالفن و المسرح .

كريم مناصر ، المرجع السابق ، ص 70

** - بعد الانتصار على الفرس أصبحت أثينا اقوي الإمبراطوريات حيث عقدت حلف ديلوس و هذه السياسة تسببت في تدمير المدن الإغريقية الأخرى التي استعانت بإسبارطة . و وقع الصدام حينما أنظمت البيلوبونيز ما عدا ارجوس إلى إسبارطة . في الوقت الذي قدمت فيه المدن الأيونية المساعدات لأثينا، و شرع الأسطول الأثيني بضرب المدن الساحلية في البيلوبونيز في الوقت الذي انطلق الجيش الإسبارطي بغزو أثينا . و سبب تسارع الأوضاع طلبت إسبارطة الصلح مع أثينا عام 421 ق.م ثم

يعد من المؤرخين الموثوق فيهم في التأريخ لهذه الحروب و تميزت كتاباته بالدقة و النقد و التحليل. كان أسلوبه في التأريخ أول ملامح التاريخ السياسي الحربي¹ حيث كتب حولها : « إنها أهم حرب مقارنة مع الحروب التي سبقتها. وان العالم الإغريقي الآخر كان يجب عليه أن ينحاز لأحد الشعبين». و تطرق للحديث عن السكان : « إن الاثنين يطمحون إلى التوسع » و تطرق أيضا للتسمية حيث قال : « إن قبل حرب طروادة لم تكن البلاد تعرف باسم الهيلادين² » و قال عن اصل التسمية : انه حمل بعد حرب طروادة . و تكلم على مينوس و اعتبره أهم الملوك سيطرة على البحار³.

4.6.4. الكتابة التاريخية بين هيرودوت و توكيديس :

مثلا كان ميلاد العالم الإغريقي في أيونيا بظهور العلوم و الفلسفة على يد طاليس أبو الفلاسفة الإغريق جميعا . كان ميلاد التاريخ العلمي على يد هيرودوت هاليكارناسي* الذي لقب – كما سبق ذكره – في القرن الأول قبل الميلاد . باب التاريخ. و لا يفي أن هذا المؤرخ كان أول من كتب تاريخا بين الإغريق فقط. إنما يعتبر أول من كتب تاريخا و ألف كتابا تاريخيا بالمعنى الفني الحديث المتعارف عليه لكلمة تاريخ⁴. و الحقيقة المستقرة في الأذهان أن فن الكتابة التاريخية عند الإغريق قد ولد على يد هذين الكاتبين. إذ ولد مرتين على يد كل منهما في جيلين متعاقبين متداخلين. كانت المرة الأولى ذات نزعة رومانسية على يد هيرودوت . و كانت الثانية ذات نزعة

عاد إلى الحرب مجددا عام 418 ق.م حيث وقعت معركة انتصرت فيها إسبارطة . و الجدير بالذكر أن الإسبارطيين قد استعانوا بالفرس .

محمد إبراهيم بكر ، المرجع السابق ، ص ص 132 – 133

1 – كامل حيدر ، المرجع السابق ، ص 96

2 – thucydides , p 12 – 16

3 – I bid , p 16

* – هاليكارناسوس : هي إحدى المدن الإغريقية في إقليم كاريا بآسيا الصغرى .

عاصم احمد حسين ، المرجع السابق

4- نفسه

كلاسيكية على يد **توكيديس**. و رغم أن كليهما كان في القرن الخامس ق.م إلا أن الفرق بينهما كالفرق بين مرحلة المراهقة و النضج ذلك لان **هيرودوت** كان يكتب تاريخا. بينما عرف **توكيديس** باب النقد التاريخي ، فهو أول من اخضع التاريخ للنقد و التحليل و التمهيص . و تبقى أن هذان التأريخان هما المصدران الأساسيان . لتاريخ **بلاد الإغريق** خلال القرن الخامس ق.م أما ما دون ذلك فهي مؤلفات اعتمد عليها¹.

و من بين ما أورده في كتابه التاريخ العام حديثه عن مصدر الآلهة . و عن أهمية **نهر النيل** و كونه مصدر تغذية للعديد من الحيوانات الموجودة آنذاك كالتماسيح و فرس البحر كما يعد مصدرا أساسيا في التأريخ ل**بلاد الإغريق** من حرب طروادة إلى غاية حروب **البلوبونيز** .

5.6.4. كسنوفون (Xenophone) :

عاش أواخر القرن الخامس قبل الميلاد و أوائل القرن الربع قبل الميلاد. كتب عن تاريخ **بلاد الإغريق** ، و تضمنت كتاباته موضوعات مختلفة اقتصادية و اجتماعية وعسكرية. كان ملما بالسياسة و الاجتماع كتب (الصعود) حيث وصف العودة التي قاسها عشرة آلاف جندي من الحرب بقيادته سائرين من بلاد **فارس** إلى ارض الوطن* . و كتب الذكريات الذي يدافع فيها عن أستاذه **سقراط** .

1 - سيد احمد الناصري ، المرجع السابق ، ص . 32

* - قام بتنظيم و قيادة فرقة من الجنود المرتزقة قوامها عشرة آلاف أثناء مسيرة طويلة من بلاد الرافدين إلى البحر الأسود ثم بعد ذلك إلى بلاد الإغريق كانت رحلته شاقة (وبائية في بعض مراحلها) كان في جانب جنوده في المواقف الصعبة التي مروا بها . حيث طغت شخصيته العسكرية على تفكيره التاريخي و نظرتة إلى الحكم .

لطفي عبد الوهاب يحي ، المرجع السابق ص ، 253

6.6.4. ديودور الصقلي (Diodor de Sicile) :

مؤرخ إغريقي عاش في القرن الأول قبل الميلاد تناول تاريخ العالم في كتابه (المكتبة التاريخية) به أربعين جزءاً . اهتم الكتاب الأول بمصر . و الثاني بالعراق و الهند و بلاد العرب . و الثالث بشمال إفريقيا و من الرابع إلى السادس ببلاد الإغريق و أوروبا . استمد مادته التاريخية من مؤلفين سابقين له . و أمام تعدد المصادر و تباينها من حيث رواية الأحاديث و تواريخها . و قبول كل ذلك دون تمحيص فان كتابه زاخر بالاضطراب . حيث لا تزيد قيمته عن قيمة مصادره .

و من هنا نخلص إلى أن التأريخ عند الإغريق قد مر بعدة مراحل، من مرحلة المزج بين الطابع الإنساني الى الطابع الأسطوري و الإنساني، ثم إلى مرحلة التناول العلمي له مع هيرودوت وتوكيدينس، حيث أدرك من خلاله المؤرخ ضرورة الكشف عن طبيعة الحدث و اسبابه بطريقة إستقرائية ليخرج التاريخ معه من التاريخ الديني إلى التاريخ الإنساني، و أصبحت المشاكل المطروحة للمعالجة ليست من قبل الآلهة، إنما قبيل لأعمال الإنسان و نشاطاته، و بالطبع فإن هذا التطور لم يحدث بشكل مفاجيء أو من تلقاء نفسه، بل تم نتيجة جملة من العوامل منها ظهور و تطور البحث الفلسفي، و رغم أن البحث الفلسفي في حد ذاته لم يسلم من الطابع الأسطوري في بدايته، فإن الأمر نفسه ينطبق على مجال التاريخ، فرغم بداية تبلور الجانب العلمي في التاريخ لدى توكيدينس، إلا أن عمله لم يخلو من وجود رواسب التفكير الخرافي، أما هيرودوت فقد كانت لديه الكثير من هذه الرواسب الخرافية. فلو طبقت المعايير و الخواص الأساسية المحددة لعملية التأريخ لدى المؤرخين الإغريق* لوجدنا أنها وجدت في مجملها بنسب متفاوتة.

* : تبدأ الدراسة العلمية بوضع أسئلة يحاول المؤرخ الإجابة عليها، و كونه (التأريخ) دراسة تختص بأعمال الإنسان التي تمت في أوقات محددة سواء تمت في الماضي أو حتى في الحاضر . يفرض ضرورة خضوع المؤرخ إلى سلطة العقل، أي الإجابة عن الأسئلة المطروحة إستناداً إلى الوثائق المتاحة، و ليس إلى خرافات و أساطير مجهولة المصدر، و زيادة على ذلك كله هو كون التاريخ دراسة تكشف عن حقيقة الإنسان أمام الإنسان، بإعتبار أن التاريخ هو سرد للأعمال التي قام بها الإنسان، و من ثم فإن تأمل هذه الأحداث يكشف عن طبيعة الإنسان التي صنعها.

انظر : مصطفى النشار ، (من التاريخ ...) ، المرجع السابق، ص 49 .

و عليه فإننا نقول أن علم التأريخ الذي سجل النتاج الحضاري لبلاد الإغريق، و موروث البشرية ككل الذي صنعه الإنسان بهدف التحليل و جعلها حية في الأذهان قد نشأ على يد **هيرودوت و توكيديدس**، مع تفاوت في قدرتهما المنهجية و العقلانية، بل أكثر من هذا أن ذلك الوعي التاريخي إمتد من المؤرخين إلى الفلاسفة، خاصة **أفلاطون و أرسطو** اللذان أرخا إما بقصد أو من غير قصد إلى العلوم التي سبقتهما، حيث قدم **أفلاطون** في محاوراته نوعا من التأريخ للحياة الفلسفية في مدينة **اثينا**، غير أن **أرسطو** كان أكثر دقة في تأريخه حيث أرخ لنشأة و تطور الفلسفة في كتابه (**ميتافيزيقا**) و هو ما فعله مع العلوم الأخرى في باقي مؤلفاته.

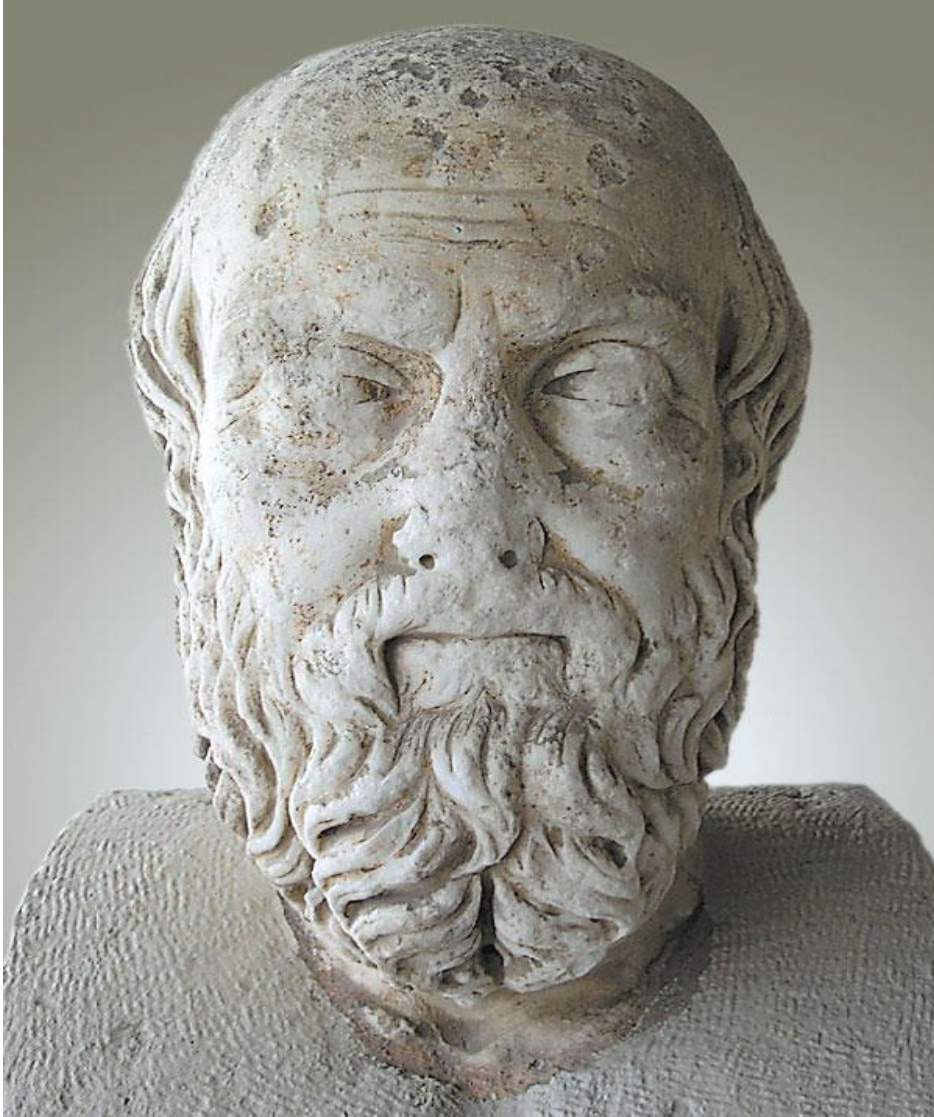
و لقد بينى البحث التاريخي على عدة أسس و هي :

- **العلية** : حيث أدرك **الإغريق** منذ البداية مبدأ العلية، لأنه لا شيء يحدث من لا شيء، أو لا شيء يحدث من الصدفة، و إنما هناك سبب لكل ما يحدث.
 - **التغير و التطور** : إذا كانت المعرفة التاريخية بطبيعتها تعد بحثا في الظروف و الأحداث الإنسانية المتغيرة من جانب، فإنها كذلك تتميز بالتطور من جانب آخر.*
- و على كل حال فإن التاريخ كعلم تأسس على يد **الإغريق (هيرودوت و توكيديدس)** ، كما تدعم وجوده مع تبلور الفكر الفلسفي، و أصبح أكثر منهجية مع **يوليبيوس** الذي نجح في تحديد منهج يلزم المؤرخ إتباعه، و هذا الوعي التاريخي الذي وجد عندهم لم يكن ممكنا إلا بعد التأثير بالإتجاهات الفلسفية السائدة، بل ذلك الوعي الذي تدرج في الإنتقال من التاريخ إلى فلسفة التأريخ، لتصبح هذه النظرة بمثابة الأصول الأولى لمثيلاتها لدى فلاسفة التاريخ المحدثين و المعاصرين. و قد

* : إذا كان ل**هيرووت** إيمان بالقدر الإلهي العادل الذي يسري على البشر، فقد قصر بين قدرة الإنسان في صنع حياته و تطوير شؤونه بنفسه، فإن **توكيديدس** كان ممن أدركوا جيدا أن التأريخ الإنساني قد تطور بفعل و فاعلية الإنسان، لأنه آمن أن القدرات العقلية لمن صنعوا الأحداث متفاوتة باختلاف الغايات التي يسعون إلى تحقيقها.
انظر : مصطفى النشار ، (من التاريخ ...) ، المرجع السابق، ص 68 .

ثبت أن للإغريق كبير الفضل في تقديم الأسس الأولى لعلم و فلسفة التاريخ، و هو أكبر تميز لهم عن نظرائهم في حضارات الشرق القديم.

الشكل (27) تمثال هيودوت¹



1 : أسامة عدنان يحيى ، المرجع السابق، ص 66 .

الفصل الخامس: الطب بين الأصول الشرقية والإغريقية

- 1- دوافع ظهور المعرفة في الشرق القديم
- 2- الطب في القديم ظاهرة إرتبطت بظهور الإنسانية
- 3- الطب في حضارات الشرق القديم
- 4- النزعة العلمية للطب عند قدماء الشرقيين
- 5- الطب الإغريقي

1. دوافع ظهور المعرفة في حضارات الشرق القديم

1.1 بين العلم و الفلسفة :

العلم معرفة تراكمية أشبه بالبناء الذي يشيد طباقا فوق طباق، و الفارق الأساسي هنا أن سكان هذا البناء ينتقلون دائما إلى الطابق الأعلى، أي أنهم كلما شيّدوا طباقا جديدا انتقلوا إليه تاركين الطابق السفلي مجرد ركيزة و أساس لهذا البناء. أن تبني مثل هذا الوصف يعد أمرا طبيعيا بالنسبة إلى أي نوع من النشاط العقلي و الروحي للإنسان، لكن يمكن أن نجد أن الأمر يختلف بالنسبة إلى جوانب المعرفة و الأنشطة الإنسانية الأخرى*

لكن في حالة المعرفة العلمية نجد أن كل نظرية علمية جديدة تحل محل النظرية القديمة، والوضع الذي يقبله العلماء في ذلك العصر هو الوضع يمثل حالة العلم في العصر عينه، أما في أي عصر جديد فالنظرية العلمية السابقة ، تصبح شيئا تاريخيا، و مجالا لاهتمام مؤرخ العلم لا العالم نفسه. و من هنا فإن سكان البناء العلمي في حالة تنقل دائما إلى الطوابق العلوية، و محلهم دائما البحث عن الجديد و الأعلى ، و هذه الصفة تكشف لنا دائما أن الحقيقة العلمية هي نسبية، ذلك لأنها لا

* : هذه الميزة التراكمية لا تنطبق على الفلسفة بشكل آخر غير العلم، لأن كل مذهب جديد يظهر في الفلسفة لم يكن يبدأ من حيث انتهت المذاهب السابقة، و لم يكن مكملا لها، بل ينقد سبقه و يتخذ لنفسه نقطة بداية جديدة ، و اعتمادا على ذلك كان البناء الفلسفي لا يمتد عموديا ، بل أفقيا، و بالتالي فسكان هذا البناء لا يتركون الطوابق القديمة إنما يظلون يحتفظون بها، لأن المهتمين بالبناء الفلسفي يجدون في التيارات القديمة أهمية لا تقل عن التيارات الجديدة، و من ثم تظل موضوعا دائما لدراساتهم، و المثل نفسه ينطبق على الفنون لأن الفن ينمو أفقيا أي إننا نظل نتذوق الفن القديم، و لا يمكن أن نتصور أن ظهور الفن الجديد يجعلنا نتخلى عن أعمال الفنانين القدماء. لأن ظهور الاتجاهات الفنية مرتبط بالأوضاع الإنسانية، و الروح الإنسانية أن كانت تجد المتعة في الفنون الجديدة ، فإن المتعة أيضا لا تكاد تتوقف في الفنون السابقة .

انظر : فؤاد زكريا ، التفكير العلمي ، مجلة عالم المعرفة ، العدد 3 ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت 1978، ص 16 - 17.

تكف عن التطور. مهما بدا في أي وقت أن العلم قد وصل في موضوع معين إلى رأي مستقر، و لكن التطور سرعان ما يتجاوز هذا الرأي ويغيره برأي آخر.*

و هكذا فإن طبيعة التراكم يميز الحقائق العلمية، فهناك حالات تلغي النظرية و لكن في حالات أخرى فإن النظريات الجديدة لا تلغي القديمة ، إنما تطورها و توسعها ، و تكشف أبعادا جديدة لم تستطع النظرية القديمة تفسيرها، و هكذا بالتالي يكون القديم متضمنا في الجديد ، فالعالم ليس كالفيلسوف، بدأ طريقه من أول شوط ، و إنما يستمد نقطة بدايته من حيث توقف غيره.

2.1 الدوافع التي أدت إلى ظهور البوادر الأولى للمعرفة في حضارات الشرق القديم:

الملاحظ أن هناك اقتران مباشر بين دوافع اللجوء إلى اكتساب الخبرة المهارية و ظهور بدايات العلم النظري لدى حضارات الشرق القديم، و هذا الاقتران هو نفسه الارتباط ما بين عملية بناء القصور و المعابد و المساكن وظهور علم الهندسة. فمن الضروري حساب مساحة البناء لمعرفة حجم المواد اللازمة لهذا البناء و عدد العمال اللازمين للإنجاز، حتى أن تلاصق قوالب البناء ببعضها البعض يستلزم الدراية ببعض المعارف الهندسية كالزاوية القائمة و الخط المستقيم.

و من جانب آخر فإن شعوب كل من مصر و بلاد ما بين النهرين كانت شعوبا زراعية بحكم ظهور حضاراتها على ضفاف الأنهار، فلإنجاح العملية الزراعية يستلزم الأمر معلومات فلكية تتعلق بحساب المواسم الزراعية لكي تتمكن من زرع المحصول في الوقت المناسب، و لابد كذلك من توقيت دقيق لعمليات وضع البذور و ري الأرض و جني المحصول، و ضرورة حساب مواعيد فيضان النهر و تغيرات حالة الطقس، و هكذا كان من الضروري على هذه الحضارات أن تضع المبادئ الأولى

* : اعتقد الناس في وقت سابق أن فيزياء نيوتن هي الكلمة الأخيرة في ميدانها و أنها تعبر عن الحقيقة المطلقة، و دام هذا الاعتقاد حوالي قرنين من الزمن، ثم جاءت فيزياء آينشتاين التي احتوت في جوفها فيزياء نيوتن و جاوزتها، و اكتشف و أثبت أن ما كان حقيقة مطلقة ليس في الواقع إلا حقيقة نسبية.

انظر : فؤاد زكريا، المرجع السابق ، ص 17 .

للتقويم الزمني المتعلق بحساب الفصول و السنين. و لقد كانت أدق التقويمات الفلكية تلك التي عرفتھا حضارتي مصر و بلاد ما بين النهرين.

و من جملة العوامل الأخرى التي أدت إلى تطور علم الفلك و غيره من العلوم الأخرى هو أن تلك الشعوب و غيرها من المجاورة لها كانت تمارس التجارة و تحتاج إلى الملاحة البحرية على نطاق واسع. و من ثم تطلب الرصد الفلكي الدقة للتمكن من التحكم في حركة السفن و مدى توغلها في عملية الإبحار.¹

كما كان للمعتقدات الدينية تأثير هام على تطور المعارف، و يكفي أن نبرز دور الديانة المصرية القديمة في تطور فن النحت و العمارة، و الدلالة موجودة في الأهرام و مختلف التماثيل، بالإضافة إلى زقورات بلاد ما بين النهرين التي أنشأت لأغراض دينية و فلكية، حتى أن فكرة التحنيط أساسا نتج عنها دراية بجوانب تفاعلات المواد ناتجة عن تبلور فكرة الحياة بعد الموت، ضف إلى ذلك العلاقة الوثيقة بين التنجيم و علم الفلك الذي أولت له هذه الشعوب أهمية كبرى.*

إن هذه المقتضيات و غيرها قد حتمت على حضارات الشرق القديم البحث في علوم معينة، و عليه نستنتج أن الحصيلة المعرفية في هذه المجالات لم تكن ضئيلة. لذلك إن لم نطلق اسم العلم على كل ما توصل إليه هؤلاء في مجال بناء الأهرام و التحنيط و حساب مساحات الأراضي و وضع التقويم الزمني و الطب و غيرها من المجالات التي سنحاول إيراد بعض الجوانب منها. إن لم نطلق عليها اسم علم فيعني ذلك أننا ظلمنا هذه الحضارات و لم نصفها حقها، و هي التي بكرت بأصول المعرفة البشرية قبل حوالي ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد.

1 : فؤاد زكريا ، المرجع السابق ، ص 101 .

* لقد ظل الارتباط بين الفلك و التنجيم قائما في أوروبا حتى مطلع العصر الحديث، لأن كبار علماء الفلك إلى غاية القرن السابع عشر ميلادي كانوا منجمين في الوقت ذاته، فلم يكن لديهم التعارض بين الملاحظة الفلكية الدقيقة و البحث في طالع الحكام أو التنبؤ بنتائج المعارك .

انظر فؤاد زكريا ، المرجع السابق ، 101 .

و إذا عدنا إلى إشكالية نشأة العلم و كونه إغريقي خالص، سنحاول القول أن الإغريق لم يبدؤوا في اكتشاف ميادين العلم من فراغ كامل، بل أن الأرضية كانت ممهدة لهم في بلاد الشرق التي كانت تجمعهم بها صلات تجارية و حربية و ثقافية، و حتى جغرافية بحكم القرب المكاني.

و إذا كانت الحلقة المباشرة في عملية انتقال هذه العلوم من الشرق إلى الإغريق هي مفقودة. فإن المنطق و التاريخ و علم الآثار يؤكدون وجودها. و هذا لا يعني أننا ننكر فضل الإغريق في تطور العلم. 1 ذلك لأن التأكيد على ما توصلت إليه حضارات الشرق لا يعني ان الإغريق كانوا مجرد ناقلين لهذه العلوم و لم يأتوا بالجديد، فأصول المعرفة متعددة و يعود الفضل لكل واحد في إبراز هذه الأصول و يستحيل كذلك إنكار فضل الآخرين في ذلك.*

3.1 دور التطبيقات الفنية و المهاراتية في ظهور و تطور العلم :

لا ينبغي النظر إلى العلم فقط من الجانب النظري، فمن الضروري النظر إليه من جانبه الأكثر ارتباطا بالعمل. لأن العلم هو أسلوب تضمن سلوكيات اكتسب من خلالها الإنسان خاصية السيطرة على بيئته .

إن منبع العلم مهما كانت تطوراته النهائية هو تلك التطبيقات الفنية المهاراتية من خلال الفنون و مختلف أنواع النشاط الذي يقوم به الإنسان. فالعلم مصدره الخبرة و أهدافه عملية، و قياسه الوحيد هو ذلك التطبيق العملي . و هو يرتبط بضرورة وضع النظريات .

غير أن أقوى منطق لتلك النظريات هو الإثبات في مجال العمل، لأن العمل هو الأساس الضروري للعلم المجرد و العلم التأملي. و العلم على هذا النحو ينمو مرتبطا ارتباطا وثيقا بمراحل

1 : فؤاد زكريا ، المرجع السابق ، ص 104 .

* : إن الحديث في هذا الطرح يستند خاصة إلى العلوم التجريبية، ذلك لأن ظهورها بالمعنى الحقيقي في تاريخ البشرية يعود إلى عصر الانقلاب الصناعي في القرن الثامن عشر، و أن كان كذلك فهل من العدل أن يقضي على ما توصلت إليه البشرية قبل هذا من معارف؟ فيكون ذلك إجحاف في حق كل الحضارات التي تعاقبت منذ آلاف السنين .
انظر المرجع نفسه .

التقدم الاجتماعي للإنسان. و يزداد وعيه الاجتماعي قوة كلما صارت طريقة حياة الإنسان أكثر امتلاءاً بالأهداف المحددة . فلجامع الغذاء نوعاً من المعرفة ببيئته ، و لمنتج الغذاء نوع آخر من المعرفة ، لأنه أكثر علاقة بالأرض ، و كلما زادت السيطرة على البيئة زادت غلتها الإنتاجية زيادة تؤدي بدورها إلى التغيير الاجتماعي .

و العلم المعروف في المجتمع القبلي العشائري لا يمكن أن يكون هو نفسه في المجتمع ذو النظام السياسي. و تقدم العمل يؤثر في تقدم العلم. و ظهور طبقة تتمتع بوقت فراغ يتيح الفرصة للتفكير ولصياغة النظرية. كما يتيح الفرصة لوضع النظريات . و لفهم العلم في أي مجتمع فهما تاماً ، يجب علينا الإحاطة بدرجة التقدم المادي لهذا المجتمع و تكوينه السياسي.¹

و لذلك ينبغي فهم التطور الحقيقي للمجتمع الإنساني الذي مر به، و مختلف التجارب العملية على أنه أساس للحياة الذهنية. لقد كان الناس يرون مختلف الظواهر قبل توصل العلماء إلى وضع القوانين بآلاف السنوات. فلا بد أن تكون لهم معرفة عملية أو بديهية بالمبادئ المتضمنة في هذه العملية. و أن ما وصل إليه واضعو القوانين و النظريات هو مجرد ترتيب للمضمونات النظرية لهذه المعرفة العلمية، و فرض مجموعة المعلومات الناتجة عن نظام منطقي متماسك*

و إذا أسقطنا هذه الفكرة على التطور الحضاري للعالم القديم لوجدنا أن تلك الحضارات التي بكرت في الشرق القديم، و التي بلغت مرحلة هامة من الممارسات العملية كانت مصدراً استفاد منه

1 : بنيامين فارتتن ، العلم الإغريقي ، ترجمة أحمد شكري سالم ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، مصر ، 2011 ، ص ص 19 - 20 .

* : أورد أرخميدس في بحثه عن التوازنات فرضيات منها توازن الأثقال المتساوية على مسافة متساوية ، فإن /كبرها و أصغرها من حيث الوزن . و هي تدخل في إطار المعارف التي كانت مكتسبة منذ قرون. و هي معروفة ومتفق عليها و إن لم تقدم من قبل في شكل قوانين ثابتة . ليصل من خلال فرضينه إلى نظريته الرئيسية حول المقادير القابلة للمقارنة، ثم المقادير الغير قابلة للمقارنة. لتصل النظرية إلى أن كل وزنين سواء كانا قابلين للمقارنة أم غير قابلين، يتوازنان على مسافات تتوازن توازناً عكسياً مع وزنهما .

انظر : بنيامين فارتتن ، المرجع السابق ، ص 27 .

الفكر الإغريقي. ذلك لأن الأدلة التاريخية و الأثرية تثبت أن الإغريق حولوا معرفة الشرق القديم المكتسبة بالتجريب إلى علم نظري، فالخبرة العلمية في الكيمياء مثلا، كانت على درجة كبيرة من التقدم قبل 1500 ق.م . لكن النظرية الكيميائية كانت متأخرة مقارنة مع ذلك . فكثير من الأفكار كانت ذات أهمية كبيرة من الناحية التاريخية لم تحدد في أول الأمر في ألفاظ ، لأنها كانت اختراعات فنية انتقلت في بداية الأمر بالتقليد، و لم تتطور إلى نظرية، حيث صيغت في شكل نظرية بصورة بطيئة. و عندما حدث ذلك لم تكتسب النظرية معنى مقارنة بالقدرة العملية التي كانت ذات شأن و وزن.¹

و مهما يكن فإن انعدام وجود النظرية الصحيحة لا يجوز أن يخفي عن أعيننا العناصر العلمية الأصلية الموجودة في مختلف أنواع التطبيقات الفنية و المهاراتية التي برع فيها الحرفيون و البنائون و أطباء الشرق القديم، و التي أخذها عنهم الإغريق.*

و ما نخلص إلى قوله هو انه منذ آلاف من السنين وجد الإنسان و لم يتحضر إلا في فترة تقدر بواحد بالمائة من هذا الزمن الطويل. و السؤال المطروح ، هل كان هناك ما سمي بعلم قبل ظهور الكتابة؟

فقاعدة أن العلم هو أسلوب من السلوك بواسطته يكتسب الإنسان السيطرة على بيئته، تعني على وجه التحديد أنه كان موجودا قبل ظهور الكتابة، و أقدم الوسائل التي استخدمها الإنسان هي

1 : بنيامين فارتتن ، المرجع السابق ، ص 28 .

* : من أمثلة ذلك صناعة البرونز لأنه سبيكة من النحاس و القصدير ، و هو يفوق النحاس بمزايا معينة ، لأن درجة انصهاره أقل درجة من انصهار النحاس ، و لونه أجمل ، و هو أطول عمرا منه . فلقد كان المعدنيون المصريون يدركون هذه المزايا . فثابروا على القيام بتجارهم حتى تحصلوا على أفضل النتائج. فعرفوا مثلا أن أصلب سبيكة من البرونز هي التي تحتوي على ما يقارب 12 % من القصدير ، و إذا قلت نسبة القصدير في السبيكة عن ذلك فلن تتوفر فيها الصلابة المطلوبة. و لو زادت عن ذلك ازدادت قابلية القصدير للكسر. و هو ما يبرز تطور مهاراتهم في مجال الكيمياء التطبيقية ، و عمليات أخرى كصناعة الزجاج التي أخذها عنهم الإغريق.

انظر : بنيامين فارتتن ، المرجع السابق ، ص 29 .

الأدوات الحجرية. و من خلال هذه الأدوات أدرك العلماء قدرة الإنسان على تقدمه البطيء حتى أثناء العصور الحجرية. ذلك لأن استعمال هذه الأدوات هو في حد ذاته مهارة يدوية و صورة من صور الذكاء. و التطور العقلي للإنسان خلال هذه الفترة يتضح من خلال قدرته على التمييز بين مختلف الأحجار، حيث تدرج في صناعة الأدوات لأغراض مختلفة. و لم يستخدم الإنسان خلال هذه الفترة الحجر فحسب، بل استخدم أدوات غير حجرية كالخشب و الكهرمان و العاج. و هو دليل على تطور معلوماته التي أصبحت الأساس الضروري للنظريات العلمية.¹

2. الطب في القديم ظاهرة ارتبطت بظهور الإنسانية :

1.2 الأسطورة و الدين أولى عوامل تفسير أسباب الأمراض

لقد أثارت قوى الطبيعة مخاوف الإنسان، فاستعان بآلهة تخيلها لاتقاء شرورها، و لاحظ من حوله آلام المصابين من أهله و ذويه و عشيرته فلجأ إلى الطب، الذي ارتبط لأول وهلة في تاريخ البشرية بالدين ارتباطا وثيقا. فكانت حاجة الإنسان إلى الشفاء لا تقل عن حاجته إلى الطعام.* غير أن التطبيب آنذاك ارتبط كذلك بالسحر لأن جهله بأسباب المرض دفعته إلى الاستعانة بالدين و السحر² و التي كانت من أهم القضايا عند المجتمعات القديمة، و سر الارتباط الوثيق بين المرض و السحر و الدين هو تبلور فكرة الأخلاق لدى العقل البشري، حتى أصبحت القوى الخيرة

1 : بنيامين فارتن ، المرجع السابق ، ص 21 .

* : في عصور ما قبل التاريخ تمكن الإنسان أن يعتمد على الأعشاب و العقاقير في عملية التداوي، و من بين ما ورد عملية جبر العظام المكسورة، و التوليد، و أمام مثل هذه الحالات التي لا تستلزم الانتظار يعتقد أن التمريض يعد من أقدم المهن التي مارسها الإنسان، و لقد وجدت مثاقب في مواقع أثرية قديمة كانت تستخدم حتى في عمليات جراحية لثقب الجماجم المعرضة للداء. انظر : جورج ساتورن، المرجع السابق، ص 52 .

2 : أحمد محمود صبحي، محمود فهمي زيدان، في فلسفة الطب، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية. مصر، 1993 ، ص 58 .

تحاسب الإنسان على سلوكه، فتتنزل به المرض، و بالتالي أصبحت العبادة جزءا لا يمكن التخلي عنه، و لمساعدة الإنسان للتخلص من أسقامه لجأ إلى السحر لتفادي الآثار السلبية لقوى الشر.¹

و لقد تعددت أسباب المرض في نظر القدماء، غير أن الأساس* هو ارتباط المرض بظاهرة عقاب الآلهة و هو المبدأ المعمول به في الحضارات القديمة، حيث في مصر تشير التعاويذ إلى دور الآلهة في إنزال الأمراض بالبشر، و ارتبطت الأمراض بالربة (سنحمت) و يعني اسمها القوية، و كانت ربة الحر و الأوبئة، كما كانت هذه الربة مسؤولة عن العلاج .

و لم تكن الآلهة تصيب البشر فقط بالأمراض، بل كانت تصيب حتى أقرانها من الآلهة، ففي آسيا الصغرى ارتبط المرض بشكل مباشر بالآلهة و اعتقد الإغريق مثل البابليين أن الخطايا هي سبب الأمراض، فكل خطيئة تؤدي إلى عقوبة الآلهة، و ارتبط بالإله أبولو الذي كان له الصواعق

1: أسامة عدنان يحيى، السحر و الطب في الحضارات القديمة، الطبعة 1، آشورنيبال للكتاب، بغداد، العراق، 2015، ص 10 .

* : ارتبط مفهوم المرض بعقاب الآلهة، في اعتقادهم أن الآلهة تقدر عقم بعض النساء لكي لا يتكاثر نسلهم، و في العراق اعتقد أن الذنوب و الخطايا أهم أسباب المرض تلك المرتبطة بالأعمال الشريرة التي يقوم بها الإنسان و التي تجلب غضب الآلهة فتتنزل العقوبات بالمرض و الأسقام، و لقد ورد في إحدى الألواح أن تم إرسال رسالة إلى الملك الأكادي تضمنت « سيدي الملك الذي منحته الآلهة كولا صحة الفكر و الجسد، بالنسبة للمريض المصاب من عينيه، عندما رفعت مساء أمس الضمادات التي سبق و أن وضعتها على وجهه، وجدت على الضمادة بقعة الصديد بحجم ظفر الأصبع الصغير، و أيا كان الإله الذي وضع على المريض فإن حالته جيدة، و لندخل السرور إلى قلب سيدي الملك، و يعلم أن المريض سيشفى في غضون ستة أو سبعة أيام » .

انظر : المرجع نفسه ، ص 23 . و لقد ورد أيضا حسب ملحمة جلجامش حيث رأى أنكيبدو في حلمه و روى الحلم قائلا : « يا صاحبي أي حلم عجيب رأيت الليلة الماضية، رأيت انوا و ليلوايا و شمش السماوي قد اجتمعوا ليتشاوروا، و قال انوالأليل، لأنهما قتلا الثور السماوي و قتلا خمبابا فينبغي أن يموت ذلك الذي اقتطع أشجارالأرز من الجبال ليرقد انكيبدو على فراش المرض ثم يموت. »

انظر : طه باقر ، ملحمة جلجامش ، المرجع السابق ، ص 124 .
و تشير النصوص القديمة أن العقم الذي تعاقب به المرأة نتيجة القسم الكاذب (احترم قسمك و أحفظ نفسك، إن الذي يقسم زورا، ميراثه لا تنجب زوجته أبدا .)

انظر : أسامة عدنان يحيى ، المرجع السابق ، ص 26 .

و كانت لديه الرماح القاتلة المسببة للمرض و الطاعون، و تحدثت الإلياذة عن إنزال أبولو غضبه على الآخيين و سلط عليهم الوباء نتيجة إهانة القائد أغاممنون لكاهن معبد أبولو، أما في العهد القديم عند العبرانيين ارتبط المرض بغضب الله* كما ارتبط الطب في بالقديم بالعرفا و التنجيم، خاصة بعد اعتماد الأبراج كأساس للعرفا، حيث ربط كل برج بمرض معين أو عضو ما من أعضاء الجسم، و هو ما يوضحه الجدولين التاليين :

الشكل (27) جدول يربط الأبراج بأعضاء الجسم¹:

برج الحمل	للرأس
برج الثور	للعنق و الكتفين
برج التوأم	للبلعوم
برج السرطان	للصدر و ما جاوره من أعضاء
برج الأسد	للقلب و فؤاد المعدة

* : في بلاد الإغريق أرادت الربة هيرا الانتقام من غينيو خالة الإله ديونيسوس، و هي غرمتها إحدى عشيقات الإله زيوس زوجها، فليجأت إلى إحدى ربات الانتقام و هي تيسيفوني لتصيبها هي و زوجها (أثاماس) بالجنون، و لكن الإله نيسيفوني لجأت إلى السحر و مارست طقوسا سحرية حيث أمسكت بمشعلها المغمور بالدم و صبغت معطفها كذلك بالدم و استعانت بالثعابين، و استعملت تيسيفوني سائلا ساما فتاكا أعدته إحدى الساحرات من لعاب الكلب (كبيريروس) كلب العالم السفلي، و حسب الأسطورة انه بعد أن اطمأنت الربة هيرا على نجاح المهمة عادت تيسيفوني إلى مملكة الموتى التي يحكمها هاديس .

أما في الهند القديمة فقد ارتبط السحر بالمرض ، حيث اعتبر احد مسبباته و سير مادة قانونية إلى العقوبة بغرامة مالية كل من يتلف أرواح الناس بالعزائم أو يستولي عليهم بالسحر أو يمرضهم أو يعيقهم عن مصالحهم. و في اليابان القديمة تذكر الأسطورة أن السحر يؤدي إلى المرض و تروي الأسطورة أن أم احد الآلهة عاقبت ابنها الذي نكث احد وعوده التي قطعها على نفسه، فنفذت طقسا سحريا من اجل إصابته بالمرض، أما في العراق القديم ، إن قيام أي شخص بفعل محرم يؤدي إلى المرض لأن هناك أيام في السنة حرم فيها القيام ببعض الأفعال، و هذا في شهر تشريتو و تيسانو ، ففي الأول من شهر تشريتو لا يأكل الرجال الثوم إلا عند لسعة العقرب، و لا يأكل البصل إلا عند الإسهال، و غيرها من الأفعال المحرمة خلال أيام هذين الشهرين.

انظر : أسامة عدنان يحيى ، المرجع السابق ، ص 119 .

1 : أسامة عدنان، المرجع السابق، ص 119 .

برج الجدي	للركبتين
برج الدلو	للساقين
برج الحوت	للقدمين
برج الميزان	لمنطقة السرة و جسم المعدة و الأمعاء
برج الميزان	للكليتين
برج العقرب	للأعضاء التناسلية
برج القوس	للورك

الشكل (28) جدول الأمراض التي تحدث في كل برج¹:

برج الحمل	أمراض العين و الرأس و الشلل
برج الثور	أمراض عقلية و أمراض القلب و السكتة
برج التوأم	البلعوم و الأمراض العصبية و الديدان و الاكزما
برج السرطان	أمراض الجهاز التنفسي
برج الأسد	الرئة و القلب و الحميات الشديدة
برج العذراء	أمراض عصبية و آلام المعدة
برج الميزان	الإرهاق العصبي و آلام الجنب العصبية المنشأ
برج العقرب	عرق النساء و ضعف الظهر
برج القوس	الروماتيزم
برج الجدي	انطواء و اضطراب الأحكام
برج الدلو	دوران دموي ضعيف و آلام في العضلات و الرأس
برج الحوت	وجع الأقدام و الظهر و الرأس و سوء الهضم

1 : أسامة عدنان، المرجع السابق، ص 123

2.2 الكتابة و العقاقير عوامل ساعدت على تطور الطب في القديم

تعذر القيام أي علم في مرحلة سابقة للتدوين، لأنه لا بد من تسجيل الأعمال المكتسبة للعمل بها من جهة، و لتصبح تراثا للأجيال اللاحقة من جهة أخرى. ففي **مصر القديمة** وجد أوراق البردي الكتابة **الهيروغليفية**، و في **بلاد ما بين النهرين** كان التدوين عن طريق الألواح و الخط المسماري، و اكتست الكتابة مظهرين أساسيين مساعدين للتدوين الطبي:

– يتمثل الأول في غرض كتابة الوصفات الطبية، حيث كانت تدون الأدوية و مختلف أنواع العقاقير المساعدة على العلاج

– ساهمت في حفظ التراث الأثري من خلال الألواح الطينية المسمارية و ورق البردي المصري حيث تعود بعض البرديات إلى عهد **أمنحوتب** وزير الملك **زوسر** في الأسرة الثالثة¹.

أما في **بلاد الإغريق** تعد **الإلياذة** مستودع التاريخ الحضاري للمنطقة حيث يذكر **هوميروس** أن معظم الخدمات الطبية كانت في الجراحة، علما أن **الإغريق** استعملوا أيضا العقاقير، و كانت النساء يحسنن ذلك، خاصة فيما تعلق بإعداد المشروبات المهدئة²، و حسب **هوميروس** فإن **هيلين** أخذت سر صناعة هذا المشروب من امرأة مصرية³. و يكفي أن نقول أن قوانين الملك البابلي **حمورابي** قد تناولت مواد متعلقة بالطب و الجراحة كما سنورده لاحقا .

و مهما يكن فإن الطب في كل من **مصر** و **بلاد ما بين النهرين** على اقل تقدير يعود إلى حوالي ألفي سنة قبل الميلاد، و بذلك تسقط أقوال الداعين بأن خبرة كل جيل تنتهي بموته، وان المعارف والحضارات الشرقية لم ترتق إلى مستوى العلم لأنها لم تتجاوز الدواعي العملية التي تتطلبها مصالح الناس، و بالتالي نلاحظ أن الطب قد بكر في الظهور في هذه الحضارات، خاصة إذا علمنا أن

1 : أحمد محمود صبحي، محمد فهمي زيدان، المرجع السابق، ص 59 .

2 : هوميروس، الإلياذة ، النشيد الثاني ، ص 106 .

3 : Jacques Jouanna, La medecineegyptienne et la medecine grecque, Les belles lettres, persee, 2004, P8.

السلطة قد شجعت ذلك، حيث مارس بعض الفراعنة هذه المهنة في فترة العصر العتيق ، بل أكثر من ذلك أن ملوك مصر كانوا يوفدون كبار الأطباء إلى البلاد المجاورة لأغراض صحية و حتى سياسية، و الأمر كذلك في بلاد ما بين النهرين، أين شجع الملوك على اختلاف الفترات الزمنية ذلك*

3. الطب في حضارات الشرق القديم

1.3 أهم فروع الطب في القديم :

عندما تكون أسباب المرض غامضة و خفية يلجأ المريض إلى السحر والتمائم والتعاويذ، و لكن هناك من الأمراض التي كانت أسبابها واضحة فتستلزم بالتالي جراحة، ومنه كانت متاعب الحمل والولادة و جراحة الأسنان أولى مجالات الطب التي تحررت من السحر والغيبيات.

و لقد عثر على هذه الأنواع من الحالات في بردية أدوينسميث التي رتبها بداية بحالات إصابة الجمجمة ثم الوجه و الفك ثم العنق و أنهى بكسور الحوض و الفخذين، و ذلك المنهج في الترتيب هو نفسه الذي تعتمده كتب التشريح اليوم ، كما أوردت هذه البردية أعراض الحمل و أهم الأمراض في مجال طب النساء و التوليد¹ و مختلف أمراض الأسنان و الرمد الصديدي ، كما ستشير بعض الوصفات إلى علاج العشبي العمى الليلي، و ذلك بان يأكل المريض كبدة الثور، و عرفوا كذلك مرض تجمع الماء في العين.

* : اهتم المصريون بتحنيط الجثث حتى يتسنى للروح أن تعود إلى الجسد يوم البعث، إيماناً منهم بفكرة الخلود، و رغم كون الفكرة دينية حيث كان يمارسها غير الأطباء، ولكنها مكنت الإنسان من التعرف على الأعضاء الداخلية لأجهزة جسم الإنسان و الحيوان، و كانت تقوم على أساس تخفيف الجثة و تنظيفها تماماً من المياه لكي لا تتعفن، و ساهم ذلك في تطور الجراحة بالتالي و ذلك بتطهير الجروح من الصديد و التقيحات، و يشبه التحنيط عملية التشريح و فتح البطن مع المحافظة على سلامة الأحشاء الداخلية، خاصة القلب الذي يجب أن يبقى سليماً، و كذلك حياكة الجلد باستعمال لفائف مشبعة بمواد حافظة ، و من ثم وصف المخطط بأنه أمهر مضمّد في التاريخ.

و لأول مرة في التاريخ سجل على البرديات المصرية كلمة (مخ) مع وصف له و للغشاء السحائي حوله، فضلاً عن معرفة اثر بعض مراكزه في حركات الأطراف، و هو ما لم يرد ذكره في الطب الإغريقي إلا بعد أكثر من ألفي عام تقريباً.

انظر : محمود صبحي، المرجع نفسه، ص 64 .

: Jacques Jouanna, Op Cit, P 31

وبذلك نلاحظ من خلال هذا أن الطب في الشرق الأدنى القديم بصفة عامة قد تحرر من التعاويذ السحرية منذ وقت مبكر خاصة فيما يتعلق بالحالات التي تستلزم الجراحة، و نستنتج أن الفضل في ذلك يعود إلى عملية التحنيط التي ساهمت بشكل كبير في تطور مجال وظائف الأعضاء¹.

2.3 طب النساء في حضارات الشرق الأدنى القديم :

كان لطب النساء في مصر و العراق القديم نصيب من الإهتمام حيث مارسوا طرق إسقاط الحمل، و لما تجاوز الأطباء في بلاد ما بين النهرين حد الاعتدال في ذلك، أمر ملك بابل بعدم ممارسته، مع فرض عقوبات صارمة على فاعلها. أما إذا كانت المرأة نفسها هي الفاعلة، فتقتل و يلقي بجسدها في البراري لتلتهمه الحيوانات.

كما حاول البابليون تشخيص جنس الجنين قبل الولادة، من خلال العلامات التي تظهر على المرأة الحامل في جبينها و أنفها، و توسعوا في هذه الاتجاهات، كما حاولوا الوقوف على سلامة الولادة من خطورتها*. والواضح أن القبالة كانت من المهن الشائعة عندهم. والجدير بالذكر

أن التوليد تمارسه المرأة الحامل بنفسها، كما له من يمارسه من النساء.*

و ورد في الشواهد أن العملية القيصرية قد مورست في بابل ، و المعتقد أن الهنود قد مارسوها أيضا، غير أن الأرجح أن هذه العملية مورست على النساء الأموات و ليس الأحياء، و ذلك عند

1 : أحمد محمود فهمي، المرجع السابق، ص 63 .

* : اعتقد أنه إذا كان جبين الحامل اصفر اللون و انفها متورم و على صدرها خطوط عريضة حمراء أفقية ، فإنها تلد ذكرا ، و إذا كان على جبينها بقعة بيضاء لامعة و وجهها أحمر اللون و على صدرها خطوط عريضة حمراء وعمودية ، فإنها ستلد أنثى . و قالوا أيضا انه إذا كانت الحامل كثيرة التقيؤ لا يتم حملها و يسقط جنينها.

انظر : المرجع نفسه ، ص 10 .

* : تستعمل القابلات اليوم و بعد حوالي أربعين قرنا من الزمن نفس طريقة الولادة التي استعملتها القابلات في مصر و بلاد ما بين النهرين .

انظر : نفسه ، ص 11 .

تعذر خروج الجنين، و اختصت بردية (لكون) المصرية المكتشفة عام 1950 بجانب من أمراض النساء، و لكن لم يرد في المصادر الإشارة إلى امرأة طبية تعمل بهذا المجال.**

3.3 من تشخيص الداء إلى البحث عن الدواء :

إن نقطة البداية في نشأة التداوي كانت من الشرق القديم، لأن هذه العملية لازمت الحالات المرضية، و منذ أن خلق الإنسان خلق معه الداء و الدواء***، لذلك بحث الإنسان منذ فترة فجر التاريخ بواسطة أدواته البسيطة و غريزته الفطرية عن طرق علاجية استلهمها من الطبيعة، و الحقيقة انه من الخطأ أن نظن أن نشأة التداوي كانت مستمدة من فكرة المحاولة و الخطأ، و إلا لهلك المريض قبل اكتشاف العلاج الناجح له، و لا يمكن الادعاء أن الأطباء كانوا عارفين بخصائص الأعشاب أو العقاقير النباتية أو الحيوانية المستخدمة في العلاج، حيث لا يأتي ذلك إلا بعد تقدم علمي الكيمياء و البيولوجيا الذين يقومون بتحليل المواد للتعرف على أهم خصائصها، فمثلا كان يستعمل في القديم فئات الخبز العفن لمعالجة الالتهاب الجلدي، فلم يكن الإنسان في هذه المرحلة المبكرة قد أدرك المضادات الحيوية، و كان الحيوان يلتمس علاج نفسه بالغريزة، فالقط الذي يعاني تلبك معدي يقبل على أكل ورق النعناع، فكان الإنسان إذن يتعرف على أدويته بالفراسة و مدى الارتياح الذي

** : غير أن في الهند في العصور القديمة كانت هناك طبيبة (روسي) ، و كانت تعمل في أمراض النساء و الولادة ، و ذلك في حوالي 1000 سنة قبل المسيح ، و ورد أنها كانت تعمل في مجال التجميل أيضا .
انظر : نفسه ، ص 12 .

*** : الدواء مادة تستعمل لمعالجة الأمراض، و له تنوع في التفاعل و المفعول على جسم الإنسان أو حتى الحيوان، و لقد حاول الإنسان منذ القدم أن يعالج نفسه بتناول مستحضرات غريبة لا تزال بعض المجمعات في أدغال إفريقيا و أمريكا الجنوبية تحتفظ بوصفاتها، و المعتقد انه أول من استعمل الطب و التداوي هو سيدنا آدم عليه السلام عندما ساعد أمنا حواء لتضع مولودها الأول.

انظر: رياض رمضان العلمي، الدواء من فجر التاريخ الى اليوم، مجلة عالم المعرفة، العدد 121، الكويت، يناير 1988، ص 9-10.

يشعر به عند تناولها، فعرف الإنسان فوائد العقاقير النباتية و الحيوانية قبل أن يتعلم خواصها و مكوناتها.¹

4.3 الطب و الدواء عند قدماء الشرقيين :

المعتقد أن المحاولات الأولى لتسجيل طرق العلاج و أنواع الأدوية كانت في الصين بحوالي 3000 سنة قبل الميلاد، في دستور الأدوية المكون من 52 وثيقة تذكر جميع الأدوية التي كانت مستعملة، و لقد استطاع الصينيون أن يجربوا الأعشاب على أنفسهم، و اختلفوا عن حضارات الشرق الأدنى الذين جربوها على الحيوانات كذلك، و يظهر ذلك في منهج « تشن تونغ » الذي عاش حوالي 2200 قبل الميلاد، و له مؤلف شهير و هو كتاب الصيدلة المشهور بإسم « بن تساو » و يعد مؤسس الصيدلة في الصين*.

و أكثر ما اشتهر به الصينيون هو اكتشاف طريقة الوخز بالإبر و الذي لا يزال يستعمل إلى غاية اليوم، و انتقلت إلى بلاد الإغريق عبر منطقة الشرق الأدنى. و لقد لعب الرقم خمسة دورا أساسيا في حياتهم ومعتقداتهم كفكرة الأرض المكونة من خمسة عناصر الهواء، والنار، الماء، التراب، الحجر، و جسم الإنسان يتكون من خمسة عناصر هي : الدم، البلغم، الألوان، الأحشاء، و الحواس. لذلك تحتوي وصفات الأطباء الصينيون عادة خمسة أدوية و تعطى لمدة خمسة أيام.

أما في بلاد ما بين النهرين استعمل البابليون الأمزجة و الأشربة و الحقن و الكمادات والزيت و الدهون، و ورد في ألواحهم أنهم حضروا 255 دواء عشبي، و 120 دواء معدني، ودلت

1 : أحمد محمود صبحي و آخرون، المرجع السابق، ص 65 .

* : يعد هذا الكتاب أول دستور للأدوية، إذ احتوى على عدد من النباتات إذ تقدر بحوالي 365 دواء مع عدد أيام السنة، و لقد ذكر الكتاب خواص هذه الأعشاب و مصادرها و كيفية نموها و جمعها و تحضيرها و استعمالها، و لم يكتفي الصينيون بالأعشاب بل استخدموا الأدوية الحيوانية و المعدنية، و كانوا ينقعون الأعشاب الطبية في الماء أو يخمرونها لتصبح جعة، و استعملوا المراهم و الضمادات و الحمامات الباردة و الساخنة للتدليك و قسموا الأدوية إلى الحار و المالح و المر و قالوا أن الحلو يغذي العضلات و المالح يقوي العروق، و المر يغذي الجسم.

أنظر : رياض رمضان العلمي، المرجع السابق، ص 19 .

الألواح أن الأطباء نظموا طريقة خاصة لدراسة الأعشاب، و هذا عن طريق الجداول التي يخصص العمود الأول منها لاسم العشب، و العمود الثاني لاسم المرض، و العمود الثالث خصص لطريقة تحضير الدواء من العشب، و العمود الرابع يحتوي على الإرشادات و كيفية الاستعمال، و من أهم النباتات التي عرفوها النعناع و الخنظل و الحلتيت و الزعتر و الزعفران و عرق السوس، و اعتقد العراقيون أن الكبد سيطر على عمل أعضاء الجسم، و بعكس الصينيين لعب الرقم سبعة دورا هاما في بلاد ما بين النهرين، فهناك سبعة أمراض خبيثة و سبع طبقات سفلى للعالم و سبع سماوات و سبعة رياح و سبعة كواكب.¹

أما في مصر الفرعونية فتخبرنا الاكتشافات أنها من أشهر الحضارات التي ازدهر فيها الطب و الصيدلة، فهناك سجل كبير طوله مائتان و خمسون قدما و عرضه مائة و عشرون بوصة كتب في عهد النبي موسى عليه السلام، و يحتوي على العديد من الأدوية الشافية، و طرق تحضيرها و كيفية معالجة الأمراض بها. كما أظهرت الحفريات* وجود آلات للجراحة و هي ما تدل على تطور

1 : رياض رمضان العلمي ، المرجع السابق ، ص 20 .

* : يعود الفضل إلى اكتشاف مقبرة أول طبيب في مصر الفرعونية، و المعتقد انه في العالم ككل، إلى العالم الأثري (إمري كان إمري) أستاذ الآثار القديمة في جامعة لندن، حيث أرسل أوائل القرن الماضي في بعثة بمنطقة سقارة للتنقيب عن آثار مصر الفرعونية. و عرف على أن أمنحوتب أول طبيب، و من أهم المدارس المتخصصة التي أسسوها مدرسة (طيبة) المعروفة بمكانتها الكبيرة.

و لقد كانت المدارس بمصر القديمة تفرض شروطا قاسية على الطلبة، و أهمها أن يكونوا من ذوي الأخلاق الحميدة، و لقد كان الأطباء يتقاضون رسوما باهضة من المرضى، و المعتقد انه في حال شفاء المريض عليه أن يخلق شعر رأسه و يزنه و يدفع مقابل وزنه ذهباً أو فضة للطبيب الذي يعالجه. و كان الملك نخوتسيس الثالث يجلب النباتات من فينيقيا ليزرعها في مصر. كما كانت الملكة حشبتوت ترسل البعثات إلى الحبشة لتجلب لها الورود، كما عثر على الفجل في مقابر الأسرة الثانية عشر، و كانوا يستعملونه للتقطير في الأذن ، و ورد حسب البرديات أنهم استعملوا على غرار شعوب العراق القديم الزعتر و الزعفران و الزيزفون و الثوم و البصل و الحلبة و زيت الزيتون و الرمان و حبة البركة و الكمون و الصفصاف و الهيل و البابونج و النعناع و القرنفل و زيت الخروع و غيرها، و اهتموا بشجرة زيت الخروع لاعتقادهم أنها شافية من الصداع، حيث كانوا يسحقون فروع الشجرة و يمزجون المسحوق مع الماء و يضعونه على الرأس، أما المصابون بالإمساك فكانوا يمسحون بعض الثمار من هذه الشجرة لطرد الفضلات من الجسم، كما كانت النسوة تستعمل زيت الخروع بالجسم لتنمية شعر الرأس.

أنظر : رياض رمضان العليم ، المرجع نفسه، ص 22 .

الجراحة عندهم، و ما التحنيط إلا دليل على تقدمهم في مجال التشريح ، كما أقاموا مدارس لتعليم الطب كمدرسة (أونو) بهيليوبوليس

5.3 أهم أنواع الأدوية و الأعشاب و العقاقير :

ذهب العالم هارينز إلى أن أهم ملامح الطب الشرقي القديم خاصة منه المصري يتمثل في ثراء مجموعة الأدوية المنقاة، وتمثل البرديات المنتقة إلى أهم مضامين هذه الأدوية و العقاقير التي انتقلت كذلك إلى النصوص العبرية و السريانية و الفارسية و الإغريقية، و ما يهمنا أن هذه المجموعات من الوصفات العلاجية انتقلت كذلك إلى الطب الإغريقي، و هو ما لوحظ في مؤلفات نيوفراسطس و ديوسقوريدس و جالينوس، و وجدت كذلك في المجموعة الأبيقراطية¹ لتنتقل فيما بعد إلى الدولة البيزنطية، و ظلت هذه البرديات، خاصة بردية (إيبريس) مصدرا للأطباء حتى في فترة العصور الوسطى. و من بين هذه الوصفات و التي منها ما كانت مقرزة كابتناع طفل لفأر مسلوخ مقلي يفيد للسعال الديكي. و ظلت هذه الوصفة علاجاً يلجأ إليه كحل أخير إلى غاية مرحلة العصور الوسطى. في كل من بلاد الشرق و أوروبا على حد سواء.

و من أنواع العقاقير كذلك القرفة التي استوردوها في عهد مملكة حشبوت من بلاد بنت (الصومال) و استعملت كمطهر للأمعاء و مبرد للالتهابات و الكسبر وجد في مقابر ملوكهم مثل مقبرة (توتعنخامون) أما الكمون فاستخدموه لآلام المعدة و مضاد للقيء و الربو و صنعوا منه مرهما ضد الحروق. و اشتهرت مصر الفرعونية كذلك بالبقول لما ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى : « وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِئُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلِهَا ۗ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا

مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ¹ . حيث استعملوا الفول كشراب ضد السكري و من مسحوقه ضمادا مسكنا لآلام الركبة ، أما البازلاء استعملت لعلاج الذبحة الصدرية و التهاب الزائدة الدودية.

أما الثوم و البصل الذي تحدث عنه **العبرانيون** اشتقوا منهم علاجات مختلفة حيث كان الثوم منبه مغذي خافض للحرارة واستخلص منه قطرات للأذن وعلاج من لدغة الحشرات ، أما الرمان فقد جففوا قشوره واستعملوه لإزالة الإمساك و طارد للديدان ولقد وجد رسم للتجربة في مقبرة **الملكاخناتونفي تل العمارنة** ، أما العنب الذي نسبوا لأوزريس تعميم زراعته ووضعوه إله له وهو ما تقابله عند **الإغريق (باخوس)** استعمل لعلاج أمراض النساء والصدر و القلب ولقد ادخلوا العسل كشفاء في أغلب الوصفات².

كما شملت الوصفات العلاجية بعض المكونات الحيوانية و المعدنية، فمن مزيج دهون السبع والتمساح و فرس النهر و الثعبان و القط يصنع دهان لإنماء شعر الأصبع ، و استعمل مخ السمك والعسل لتضميد الالتهابات، و لبن الحمارة لفتح الدمايل، و يدخل شعر القط كضماد لعلاج الحروق، و يعالج النزيف بدم كل من الحمامة و الإوزة و النسر، و استعمل من ريش النسر القطارة لقطر العين والأذن، و استعملوا كبريت العمود لعلاج الجرب و أكسيد النحاس ضد التهاب اللثة³.

و غيرها من الوصفات التي تضمنتها البرديات السابقة الذكر و نستخلص من كل هذا مدى التطور الذي وصل إليه الطب في حضارات الشرق القديم* التي وصلت إلى درجة متقدمة من

1 : القرآن الكريم ، سورة البقرة ، الآية 61

2: احمد محمود صبحي ، المرجع السابق ، ص 69

3 : أحمد محمود صبحي ، المرجع السابق ، ص 72 .

* : لقد أدرك المحنط للجثث القدماء من ملوك المصريين أن أول ما بدأ في التعفن إنما هي الأمعاء بسبب ما يتجمع فيها من فضلات، لذلك عملوا على تخليص الجسم من في شكل مسهلات أو مطهرات للمعدة و الأمعاء، و يؤكد ذلك رسالة المؤرخ هيرودوت في كثرة استعمال المصريين للمسهلات، و ذهب ديودور الصقلي إلى أنهم عندما كان يتجمع لهم الدم الفاسد نتيجة تكثف الدم و تحثره فيكون ذلك متسبب في الجلطة، و لذلك يجب التخلص من ذلك بالفصد و الحمامة و تتفق أذن النظرية في نشأة المرض إلى ما ورد في الطب النبوي، و أن أصل الأمراض من الأغذية لقوله صلى الله عليه و سلم «**المعدة بيت الداء**

تشخيص نوعية الأمراض و طرق المعالجة، فضلا عن استخلاص مكونات و عناصر الطبيعة بمختلف أنواعها النباتية و الحيوانية و المعدنية و التي استطاعوا أن يصنعوا منها وصفات مهمة منها ما تزال تستعمل فيما يسمى بالطب الشعبي إلى يومنا هذا.

و من خلال ما تقدم يتضح أن ما وصلت إليه هذه الشعوب في مجال الطب و القدرة على تدوين الوصفات التي توصلوا إليها شكلت مرجعية اعتمدت عليها الشعوب المجاورة خاصة الإغريق، فلا يمكن لنا إذا أن نجزم بعبقرية الإغريق في مجال الطب، فالعبقرية تستلزم نقطة البداية، و لكن نقطة البداية كانت هنا من حضارات الشرق القديم التي قطعت أشواطاً هامة و صعبة ، خاصة فيما يتعلق بكيفية التعامل مع الطبيعة و مكوناتها، و استخلاصها لمصالحه العلاجية.

و الفضل هنا لا يعود للإغريق بقدر ما يعود إلى حضارات الشرق في اكتشاف و المضي بهذا المجال قدماً. و لقد وقف الإغريق على كل هذه المعارف الطبية و اطلعوا عليها و طوروها بأساليبهم الخاصة.

1.5.3. النزعة العلمية في الطب عند قدماء الشرقيين :

6.3 الطب المصري القديم :

يزعم بعض المؤرخين و العلماء الغربيين أن الطب الشرقي، خاصة عند قدماء المصريين لم يكن سوى بخور مع بعض المعرفة بالأعشاب، و بالتالي فهو مبني كله على السحر و الشعوذة و الخرافة،

و الحمية رأس الدواء » . و ذهب ابن خلدون إلى القول ان سكان الحضر أكثر عرضة للمرض من سكان البدو بسبب نوعية الطعام لأن مأكول البدو قليل و يغلب عليهم الجوع لذلك تقل عندهم الأمراض ، كما ذهب الطب النبوي إلى فضل الحجامة في العلاج.

انظر ابن خلدون ، المقدمة ، ص 293 .

و انظر أيضا : أحمد محمود صبحي ، المرجع السابق، ص 73 .

و انظر أيضا :

Herodote , Op Cit, P 8 – 14 .

في حين أن الطب الإغريقي طب علمي قائم على الملاحظة و التجربة، فالطب الشرقي حسبهم بعيد عن النظريات الافتراضية .

يقول دي بوج في كتابه (تراث العالم القديم) : « ، ... (و الطب أيضا كان خليطا من الوصفات الجاهزة و التعاويذ السحرية، و تظهر الكتابات الطبية الأولى ملاحظات دقيقة لجسم الإنسان، و علاج الإصابات كما يمليه التحليل العام و آراء عن الوظائف الفيزيولوجية التي ربما تكون قد وصلت إلى الإغريق، و كانت الحافز الأول بين الرجال الهيلينيين، و لكنها ظلت إلى أن أضاءت البحث عن الأسباب و المسببات. و لا أكثر من مجموعات من المعطيات السابقة للمنهج العلمي)1. و في الوقت الذي يرى فيه هؤلاء أن الطب المصري القديم يقوم فقط على السحر والشعوذة، نرى بالموازاة أنهم ينظرون إلى الطب الإغريقي عكس ذلك، لأنهم يعتبرونه طب قائم على الملاحظة و التجربة، و أفاد الطب الحديث إفادة كبيرة »

و يقول في السياق نفسه م. س. باورا في كتابه التجربة اليونانية « كان الطب أكثر المجالات بحثا من حيث التطبيق و الروح العلمية الصارمة، و يبدو أن الطب تحرر منذ البداية من الافتراضات المسبقة، التي تشتمل عليها فروع العلم الأخرى، ... و بدأ الأطباء ثورة بعيدة المدى بإحلالهم التمريض و نظام الغذاء محل وسائل السحر التقليدية، ... و حوالي القرن الخامس قبل الميلاد و تحت قيادة أبوقراط ، انفصل الطب اليوناني عن الماضي و عن الاعتقاد بلعنة الآلهة، و طور نظاما كاملا قائما على وسائل علمية . »2 و يقول في فقرة أخرى : « إن مبادئ الطب اليوناني هي بعينها مبادئ العلوم الطبيعية في أيامنا هذه، و من الملائم لطبيعة

1 : و . ج . دي بوج ، تراث العالم القديم ، ترجمة زكي سوسن ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ، 1999 ، ص 26 .

2 : م. س. باورا ، التجربة اليونانية ، ص 250 .

الأشياء أن اليونانيين قد حققوا هنا الانقلاب العلمي الخطير من خلال عنايتهم بالجسم الإنساني.¹

و من خلال ذلك يتضح موقف بعض مفكري و مؤرخي الغرب حول قضية النزعة العلمية في الطب إلى حد القول بان الطب يبدأ بالعهد الإغريقي، و أن كل ما مورس عند شعوب الشرق القديم لا يندرج ضمن هذا الإطار، بل يدخل في إطار السحر و الشعوذة. و هو مهما كان يدخل ضمن سياق النظرة التقليدية التي تبناها بعض مؤرخي العلم لتصوير و وصف الفرق بين الطب الشرقي و الطب الإغريقي، و لا شك أنها نظرة تتميز بالتحيز و الابتعاد عن الموضوعية. فليس صحيحا أن الطب الشرقي يتميز بالسحر و الشعوذة، في الوقت الذي يتميز الطب الإغريقي بعكس ذلك تماما.*

و الدليل على ذلك أن بردية (إدوين سميث)* التي تصف 48 حالة من جراحة العظام و الجراحة العامة، و مرتبة حسب أعضاء الجسم، (تبدأ بالرأس ثم تنتقل الى الأنف و الفك، ثم فقرات الرقبة فقرات الظهر و الإضلاع و الصدر و الكتف و اللوح و اليدين، الخ.) أي تتناول كافة أعضاء الجسم من الرأس الى الساقين. و يعلق الباحثون عن ذلك أن طريقة العرض تتميز بالنظام لأن كل مشاهدة تبدأ بالعنوان التالي : (تعليمات في شأن ...) ثم يأتي الفحص (إذا تفحصت

1 : المرجع نفسه ، ص 251 .

* : أكدت الدراسات الحديثة أن الطب المصري القديم ينقسم تاريخيا إلى مرحلتين، مرحلة قبل اكتشاف بردية (أدوين سميث) ثم مرحلة أخرى تبعت هذا الاكتشاف. إذ أن المؤرخين الغربيين كانوا يظنون في أثناء الأولى أن الطب المصري مكون من قسط وفير من الشعوذة مصحوب بمعرفة جزئية بالعقاقير و النباتات و التشريح، حتى أن استعمال هذه الأدوية كان يتصل بالسحر أكثر منه بالطب. إلا أن هذه البردية أقامت أول دليل على وجود طب منطقي أساسه الخبرة و الملاحظة و التشريح، و تمتاز البردية في أسلوبها باستخدام لفظ التخصص، و تميزت بلغة ذات تعابير و تشبيهات دقيقة.

أنظر : محمود محمد علي ، المرجع السابق ، ص 75 .

* : تعد هذه البردية من أشهر كتب الطب المصرية، و يعود تاريخها الى 1550 ق.م ، و قد اشتراها إدوين سميث (1822 – 1906) عام 1862 م ، من مدينة الأقصى، و ظلت تفاصيل محتوياتها مجهولة حتى نشرها، و ترجمت نصوصها من طرف العالم الأمريكي (هنري برستيد) عام 1966 . كان طول البردية 8 أمتار ، و لم يبق منها إلا 4.58 م ، و تحتوي على 469 سطرا .

انظر محمود محمد علي ، المرجع السابق ، ص 93 .

رجلا ...) ثم التشخيص، ثم ذكر النتيجة في احتمالات ثلاث . الشفاء المؤكد، المشكوك فيه ، و الميئوس منه.

و تدل هذه العبارات المستخدمة على طبيعة النظام و الترتيب الذي يؤكد ذلك التفكير الأصيل و التأمل الدقيق الذي ميز **الطبالمصري**، و الذي يبين كذلك أن هذا الطب له تقاليد عريقة سبقت ظهور الكتابة. و طريقة العرض في هذه البردية تخلو من مظاهر السحر حيث ارتبطت فقط بدقة الملاحظات التي تسردها.*

كما تطرقت الى طرق العلاج - و هو ما سيتم عرضه لاحقا - و ما تجدر الإشارة إليه في ذات الشأن أن هذه البردية تبين النزعة العلمية **للطبالمصري القديم**¹، كما يظهر من خلالها أن أطباء **مصرالقديم** كانوا قد توصلوا الى المنهج الاستقرائي الذي وضعوا أصوله. و لم تقتصر هذه النزعة العلمية على هذه البردية فقط ، بل تقريبا كل البرديات الأخرى المكتشفة بعد ذلك . و من أدلة تطور النزعة العلمية هو تطور فن الجراحة، الذي كان موضع عناية أطباء **مصرالقديم**، حيث اهتم خاصة الكهنة بهذا المجال. و دليل آخر يوضح اهتمامهم بمجال طب العيون الذي منح له حيزا كبيرا في بردية (إيبس) أهمها الرمد و التهاب القزحية و التهاب الأجفان و تقرح القرنية*.

و من مظاهر النزعة العلمية أيضا فن التحنيط الذي مورس على أسس علمية قائمة على خطوات مختلفة منها تخفيف الجسم لكي لا تتمكن البكتيريا من التسلل له مرة أخرى و تعفنه، أي

* : وصفت البردية كسر الرأس و العمود الفقري الذي يؤدي الى الشلل، كما ربطت العلاقات بين المخ و أجهزة الجسم الأخرى التي يتحكم فيها .

انظر : محمود محمد علي ، المرجع السابق ، ص 76 .

: Jacques Jouanna, Op Cit, P4 .1

* : لقد عرف الطب المصري من خلال كتابات هيروdot، و لكن بعد فك رموز الكتابة المصرية، و اكتشاف تلك البرديات، منها بردية برلين 1863 م و ماريس 1905 م . تأكد جليا أن الطب المصري سبق نظيره الإغريقي بحوالي عشرة قرون .

انظر

Jacques Jouanna, Op Cit, P4 .

أدركوا أن الرطوبة هي ظاهرة تؤثر سلبا على الجسم المخطط. و تطور التحنيط الذي بدأ منذ عهد الأسرة الثالثة حيث عثر على أول تحنيط ناجح للملك (زوسر) صاحب الهرم المدرج بسقارة إلا انه بلغ درجة هامة من الدقة و الإتقان في عهد الأسرة الحادية والعشرون، غير أن هذه العملية ساعدت كثيرا على اكتشاف الجسم و دراسة الأعضاء دراسة شاملة و دقيقة ، فأكسبتهم هذه الممارسات مهارة علمية و عملية ميزتهم عن الشعوب الأخرى التي منها ما كانت تحرق الجثث و منها من كانت تدفنها دون تحنيطها. و ميزة أخرى علمية تميز بها الطب المصري القديم ، و هي طب التخصص إلى جانب الطب العام .

أما عن إشكالية وجود نظريات في الطب الشرقي القديم خاصة الطب المصري، كتب حول ذلك بولغليونجي في كتابه (قطوف من تاريخ الطب) أن المصريين كانوا بعيدين عن النظريات العلمية و الفلسفية، و يعود ذلك الى نزعتهم التجريبية في ميدان العلم، فلم تكن لهم نظريات على عكس الإغريق الذين تميزوا بالاستنتاج المنطقي. و يورد بعض الأسباب لذلك الى كون تلك البرديات التي عثر عليها لم تكن مؤلفات تدرس في المدارس، و إنما هي وصفات كتبت بكثير من السرية التي أحاطت بالعلم الذي اقتصر على طبقة الكهنة أو ينتقل بين الأستاذ و التلميذ.¹

غير أننا إذا ناقشنا الفكرة، لوجدنا ان هذه السرية التي أحيط بها العلم المصري، تميز أيضا العلم الإغريقي في عهوده الأولى. و ورد انه في عهد فيثاغورس استمر العلم الإغريقي بالسرية التي ظلت قائمة حتى عهد (أبقيراط)، حيث كان التلاميذ يؤدون اليمين التالية (... و أشرك أولادي و أولاد المعلم و التلاميذ الذين كتب عليهم الشرط، و احلف بناموس الطب و الوصايا و العلوم و سائر في الصناعة، و أما هؤلاء فلا افعل لهم شيئا.)²

1 : بول غوبلنجي ، قطوف من تاريخ الطب ، المقال الرابع (هل كان للمصريين القدماء نظريات في الطب ؟) مجلة الابتسامة ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ص 127 .

2 : المرجع نفسه ، ص 127 .

و الحقيقة انه لا يجب الفصل بين التجربة و النظرية في هذا الإطار، لأن كلا من البحث والتطبيق وجهان لعملة واحدة، هي كلها تدخل في إطار التقدم الحضاري العلمي. فالعلاقة جدلية ومتبادلة بين النظرية و التطبيق. مطورة للنظرية و مقيدة للتطبيق في نفس الوقت.

لقد ورد عن المصريين نظريات عامة عن الأمراض. حيث يعتقد أن الجسم يولد صحيحا، ولكل مرض سبب، لا يمرض و لا يموت إلا بفعل عامل دخيل عليه. و قد يكون هذا الدخيل ظاهرا للعين كالحروق و الجروح و الإفراط في الأكل، و في هذه الحالة يمكن معرفة العلة و التخلص منها بالطرق الملائمة. أما إذا كان السبب خفيا، ساروا وفق نظريات مستمدة من الحياة¹. و هناك الأسباب الغير مرئية كالالتهابات و الأورام و غيرها

7.3 تأثير الطب المصري القديم في الطب الإغريق :

كانت هناك العديد من جسور التواصل و الترابط ما بين مصر و بلاد الإغريق، و التي كانت مساعدة في تبادل العلوم، فلقد اظهر الإغريق تقديرهم للطب المصري.* و من مظاهر التأثير بين الشعبين :

1.7.3. العقاقير :

و المقصود هنا ليست العقاقير العادية المتداولة بين الشعبين، لأن ذلك التشابه طبيعي و حتمي نتيجة تشابه الظروف الطبيعية و الجغرافية ، و إنما تقع المقارنة هنا عند غرابة الدواء أو تشابه الاسم في اللغتين، و لنضرب مثلا هنا لعقاقير غريبة وردت في كل من الطب المصري و الإغريقي، و هي فصدة صفرة الخنزير المرجح أنها أخذت من بردية مصرية، و ذلك لعلاج أمراض العيون و وصفة

1 : المرجع نفسه ، ص 138 .

* : يرى هوميروس في الاوديسا أن هيلانة ابنة الإله زيوس تكتنز هذا البلسم الشافي، و قد جاءها من (يوليديميا) زوجة توينس المصري، و كل إنسان بمصر معلم بفن العلاج. إذ أن المصريون من سلالة (بيون) طبيب الآلهة. أنظر : بول غوبلنجي ، المرجع السابق ، 153 .

أخرى. استعمال لبن المرأة التي أنجبت ذكرًا حيث ورد في الطب المصري أنه أساس من أسس العلاج. و نجد أن أبقرراط أوصى به وكذلك بوسقوريدس و بيلنوس.

و فسر أرسطو فوائده بأن المرأة التي تحمل ذكرًا دون شك هي أكثر تحملاً من الأنثى، لذلك يكون اللبن أكثر فائدة، و هي وصفة أصيلة في مصر انفردت بها دون غيرها من شعوب الشرق القديم، لأن الآشوريين و البابليين كانوا يرون أن اللبن مادة ضارة، و من الصفات التي نقلها الإغريق عن المصريين وصفة شوك القنفذ المحروق لعلاج الصرع، و نقلها (ديوسقوريدس)، والوصفة الثانية استعمال البول في مرهم يساعد رموش العين على النمو، و استعماله في شراب لعلاج البول الدموي، وهذه الصفات وردت في مؤلفات (ديوسقوريدس).

و اغرب هذه الصفات وصفة سحرية أوصت بغلي فأر في الزيت، تأكله الأم و الطفل لشفاء سيلان اللعاب و اضطرابات نمو الأسنان عند الأطفال، في حين أثبتت المخلفات الأثرية وجود عظام فأر داخل الجثة البشرية، و هو دليل على اعتماد هذا العلاج. و ذكر من طرف (ديوسقوريدس). و لا يزال هذا النوع من العلاج يستعمل في الأوساط الشعبية في أوروبا.¹

1 : بول غوبلنجي ، المرجع السابق ، المقال الخامس (أثر قدماء المصريين في الطب اليوناني) ، 154 .

و في الجدول التالي يوضح بعض التشابهات اللغوية بين مصر و بلاد الإغريق في مجال العقاقير.¹

العقار	إسم المصريين	إسم إغريقي	إسم لاتيني ¹
الأنتموان	مسدمت	مستيمي	ستييوم
الصمغ	قميت	كومي	جوسي
التوشادر	مشتق من اسم امرن	أمونياكوس	أمونياك
الحنثيت	جسفن (يتبادل أول حرفين)	ساجانبون يتبادل أول حرفين	اسافنيدا
النطرون	ن تري حداء وصاف إعادة	ن ترون	ن تروم

2.7.3. في مجال الجراحة و الطرق العلاجية :

و من بين مظاهر التأثير أيضا وجود تشابه بين عملية جراحة الفك التي وردت في بردية (إدوينسميث) و هي نفس الطريقة العلاجية التي عمل بها ابوقراط.

في حالة كسر الترقوة ، وجدت نفس الطريقة العلاجية لما ورد في بردية (إدوين سميث) الق الشخص على ظهره، ثم ضع بين اللوحتين وسادة حتى يرجع الكسر الى موضعه، أما ما ورد عند أبقرط(ألقى المريض على ظهره و يوضع بين اللوحتين شيئا مرتفعا حتى ينخفض الصدر بين الجانبين بالقدر الممكن).

1 : بول غوبلنجي ، المرجع السابق ، المقال الخامس (أثر قدماء المصريين في الطب اليوناني) ، 154 .

3.7.3. التكهّن بالحمل و الولادة :

وجدت في البرديات المصرية طرق التكهّن بالطفل قبل الولادة، و هي طرق متشابهة بين مصريو بلاد الإغريق، و في ذلك ما أورده (كلمانا لسكندري) أنها كانت تحفظ منذ عهود سحيقة في المعابد المصرية.

4.7.3. انواع الاختبارات :

- تأثير بول المرأة الحامل على نمو القمح او الشعير.
- استعمال طريقة التبخر في الكشف عن الحمل، و ورد في ذلك في طب أبقراط.
- هناك اختبار آخر، إذا تقيأت سيدة بعد أكل البطيخ ممزوجا بلبن امرأة أنجبت ذكرا فإنها سوف تحمل، و إن أخرجت ريحا فإنها لا تحمل، و عند أبقراط نفس الاختبار¹، و لكن يجب إعطاء السيدة (بوتيرون) باللبن، فإذا تجشأت المرأة فإنها ستلد و إلا إنها لم تحمل. و أكدت الدراسات اللغوية أن البوتيرون هو نوع يشابه البطيخ، بل ربما كان هو البطيخ نفسه.²
- الى جانب طريقة أخرى مشابهة هي لون العينين التي اعتمد عليها أبقراط لتشخيص الحمل و التكهّن به.*

انتقلت أجزاء من الموسوعة المصرية الى الإغريق، و منهم الى الأطباء البيزنطيين حول تخصصات مختلفة منها أمراض النساء و كذلك في مجال دراسة الدورة الدموية تظهر أن معلومات

1. Jacques Jouanna, Op Cit, P3 :

2 : بول غوبلنجي ، المرجع السابق ، ص 158 .

* : انتقلت أجزاء من الآثار المصرية حول الطب إلى أبقراط، و منه إلى الأطباء البيزنطيين، خاصة حول أمراض النساء، و في مجال الدورة الدموية وردت في البرديات المصرية : أن القلب سيستقبل الدم و الهواء و السوائل، و يعيد توزيعها على الجسم، و اهتم (هيروقلوس السكندري) بحساب دقات القلب، و استخدم في ذلك ساعة مائية، و هي وسيلة استخدمها المصريون منذ عهد توحتمس الثالث لنفس الغرض. و ورد ذلك في بردية (إدوين سميث) التي أوردت إقبال المصريين على قياس النبضات. انظر : بول غوبلنجي ، المرجع السابق ، ص 159 .

و انظر أيضا بالتفصيل تطابق الاختبارات المصرية التي وردت في البرديات، و ما ورد في الطب الأبقراطي و التي تؤكد أنها قد تأثرت بها.

Jacques Jouanna, Op Cit, PP3-4 .

المصريين اصح من معلومات الإغريق. حيث ورد في البرديات المصرية أن القلب يستقبل الدم و الهواء و السوائل، و أن النبض الذي في مختلف أنحاء الجسم هو كلام القلب فيها. و هو ما جهله الإغريق.

و ما نخلص الى قوله ، هو انه رغم ملامح التطور التي تميز بها الطب المصري القديم إلا انه كان يفتقر الى النصوص المكتوبة، إلا ما ورد في بعض البرديات عكس الإغريق الذين اعتمدوا طريقة التدوين. و الملاحظ أيضا أن عدة نظريات إغريقية تأثرت بما ورد في الطب المصري كنظرية الأخلاط. و رغم وجود النزعة الداعية الى التشكيك في قيمة الطب المصري، و أن أبقرات لم يزر مصر، وأن علوم المصريين مزيج من السحر و الشعوذة، إلا أن الباحثين أكدوا أن أول من تحدث عن زيارة أبقرات لمصر، كان معاصرا له. و لم تكن علوم المصريين في الطب على النحو الذي وصفه هؤلاء. بلأنها كانت على درجة كبيرة من التطور، و أن جهلت معالمها بسبب قلة السندات، و أن الإغريق تأثروا بها، والدليل على ذلك الاقتباس اللغوي.

لكن و رغم كل ذلك أن البحث في أصول الطب الإغريقي ليس معناه الانقراض من قيمته، ولكن لكل نهر منابع، و اكبر الأنهار و أجملها الأكثر منابع و أصول، و البحث هو التأكيد على وحدة الحضارة في منطقة البحر الأبيض المتوسط التي نشأت في منطقة الشرق القديم، ثم تداولها الإغريق، حيث اجتمعت في هذه المنطقة الواقعة في الشرق الأدنى و المنطقة الإغريقية ليحدث ذلك التفاعل الإيجابي.¹

8.3 الطب في بلاد ما بين النهرين:

أما في العراق القديم اقترن اهتمام الباحثين بفك رموز الكتابة المسمارية باكتشاف أولى الوصفات الطبية أثناء الحريين العالميتين، و وجدت هذه النصوص في المتحف البريطاني، و اكتشفت

1 : بول غوبلنجي ، المرجع السابق ، ص 162 .

في مكتب الملك آشوربانيبال حوالي القرن السابع قبل الميلاد بنينوى، و معظم هذه النسخ يرجع إلى الألف الثاني قبل الميلاد.*

و لم يمارس العراقيون القدماء التشريح على الجسم البشري فقط، بل عرفوا بعض الأحشاء عن طريق الحيوانات، كما وردت بعض المصطلحات البابلية المتعلقة بالأوردة و الأوعية الدموية، و من ذلك مصطلح شريانو المرادف للكلمة العربية لفظا و معنى ، كما استطاعوا تمييز عدة أنواع من الأمراض الخاصة بالرأس و العينين و الأذن و الجهاز التنفسي و الجهاز الهضمي.

1.8.3. قوانين حمورابي: أصل التشريع و قانون الطب في الشرق القديم :

تشكل شرائع و قوانين الشرق القديم أول قوانين مكتوبة في تاريخ البشرية، حيث وصفت لتنظيم العلاقات بين الأفراد على أساس العدل و المساواة كما تعد هذه القوانين أو محاولة لتنظيم المؤسسات الحقوقية في مجتمع المدنية الذي اخذ شكله الأول في هذه المنطقة، و لعل دراسة مثل هذه القوانين التي أصدرها الملك حمورابي* ستساعد على فهم طبيعة المجتمع العراقي و من خلاله

* : في بلاد ما بين النهرين كانت الممارسات السحرية مستقلة عن الطيبة بدليل أن كل من الساحر و الطبيب أطلق عليهما مصطلحين مختلفين، حيث أطلق على الطبيب مصطلح (أشو - A SU) وهو مشتق من الكلمة السومرية (A - ZU) أو (LA - ZU) الذي ظهر في العصر الأكادي حوالي منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، و لقد فسرت على أنها كانت تعني المعارف بالماء أو المعارف بالزيت، و بالتالي هي إشارة إلى الدور الهام لكل من الماء و الزيت في مجال الطبابة، أما المصطلح الذي أطلق على الساحر هو اشيبو (ACHIPO) و منه صفة (ACHIPU) أي السحر و التعويذ و التعزيم ، و نظرا لطبيعة التأثير الديني في هذه الحضارة يرجعون أسباب العلل إلى الشياطين التي تسلطها الآلهة على المريض لمعاقبتهم على الآثام، لذلك كانوا يخصصون بعض الآلهة للتداوي و الشفاء، في مقدمتها اله الحكمة و الماء - أيا - و بالسومرية انكي - و يوجد آلهة أخرى كالإله كولا (GULA) .

انظر : فضل عبد الواحد عامر سليمان، تاريخ العراق القديم ، ج 2 ، بغداد ، 1990 ، ص 215 .

انظر أيضا : ديلاووت ، بلاد ما بين النهرين ، ترجمة محمد كمال ، ط 2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص 338 .

* : تشكل قوانين حمورابي ملك بابل (1792 - 1750) قبل الميلاد أول مجموعة شاملة من النصوص القانونية التي وصلتنا من منطقة الشرق الأدنى القديم، و لم تكن أقدم القوانين حيث سن قبل ملوك الرافدين الذين حكموا خلال عهد حكومة المدنية مجموعة من القوانين، و لكن لم تصلنا إلا أجزاء معتبرة من هذه القوانين ، و المثال على ذلك القوانين عهد (أوري جينا) في لاجش 2360 قبل الميلاد، و سرجون الأكادي 2300 قبل الميلاد ، و أورناهو في مدينة أور 2100 قبل الميلاد ، و قوانين

المجتمعات القديمة ، و تركيبها الحضارية و الاجتماعية و السياسية، و بالتالي يمكن من خلالها الاطلاع على ثقافة الشرق القديم ككل ، و من الجوانب التي ناقشتها هذه القوانين تلك المتعلقة بمجال الطب و الجراحة، حيث وردت بعض الأحكام في عدة مواد أهمها :

- المادة 215 . لو أجرى طبيب عملية من الدرجة الأولى على سيد بمشروط من البرونز أنقذ حياته ، أو فتح قناة الدمع في عين رجل و أنقذ عينه يأخذ عشرة شيكلات من الفضة.
- المادة 216 : أما إذا كان المريض من العامة فيأخذ خمس شيكلات من الفضة .
- المادة 217 : إذا كان المريض عبد ، على مالك العبد أن يعطي الطبيب شيغلين من الفضة.
- المادة 218 : لو شق جراح جرحا عميقا في جسم رجل بمشروط من البرونز مما سبب وفاته، أو فتح قناة مجرى الدمع في عين رجل مما عطل عين الرجل، يقطعون يده.
- المادة 219 : لو شق جراح جرحا عميقا في جسم عبد قوي بمشروط من البرونز تسبب في موته، يعوضه بعبد آخر.
- المادة 220 : أما لو فتح مجرى الدمع بحربة من البرونز فأنقذ بصره يدفع نصف ثمنه فضة.

لبث عشتار ملك إيسين 1930 قبل الميلاد ، و مجموعة مدينة أشنونا ، و تحتوي على ستين قانونا و التي سبقت قوانين حمورابي .

و لاحظ العلماء أن ثلاثة قوانين اشنونا قد تم إضافتها إلى القوانين الأولى من مجموعة حمورابي، و تتألف القوانين من سلسلة من القرارات المتخذة التي ذهب بعض العلماء إلى تمثيلها للقانون الانجليزي الذي يعتبر مبدأ يحتذي به ، ذلك لأنها وصفت ما يصطلح على تسميته بقانون الأرض الذي كان يريد حمورابي تطبيقه ، و لقد تم اكتشاف النسخة الباقية الرئيسية و الأكثر كمالا للقوانين حمورابي بين عامي 1901 و 1902 في منطقة سوزا عاصمة عيلام في منطقة الهضاب الواقعة إلى شرق بابل ، و لا يعرف العلماء كيف وصلت إلى هناك ، لكن المعتقد أنها تدخل في إطار غنائم الغزو الغيلاني لمنطقة بابل ، و قسمت هذه القوانين إلى ثلاثة كتل كبيرة من حجر الديورايت ، و جمعت مع بعضها لتشكيل نصا مخروطينا يوجد في أعلاه صورة شمس أله الشمس ، و اله العدل جالسا على عرشه يتلقى الولاء من حمورابي، و بين عامي 1903 م و 1904 م عثر على الألواح القرميدية التسع على قوانين آشورية تعود إلى الملك (نيجلاتبعيسر الأول) (1115 – 1077 ق.م) . و مهما يكن فهذا دليل واضح على أن الشرق الأدنى القديم يعد مهد القوانين في تاريخ البشرية و التي سبقت بحوالي ألفي سنة ظهور النصوص القانونية في بلاد الإغريق و هو دليل على عراقة و أصالة المعالم الحضارية في الشرق مقارنة ببلاد الإغريق .

انظر مجموعة من المؤلفين، شريعة حمورابي، أول شريعة في الشرق القديم، ترجمة أسامة سبراس ، ط 2 ، دار علاء الدين، دمشق، 1993 . ص 9 – 11 .

- المادة 221 : لو جبر الطبيب عظما مكسورا لرجل أو شق عظما متقلصا على المريض أن يعطي الطبيب خمس شيغلات من الفضة .
- المادة 222 : إذا كان المعالج من العامة يعطي الطبيب ثلاثة شيغلات من الفضة.
- المادة 223 : إذا كان عبدا فعلى مالك العبد أن يعطي الطبيب شيكلين من الفضة
- المادة 224 : لو أجرى البيطري عملية من الدرجة الأولى على ثور أو حمار فأنقذ حياته فعلى مالك الثور أو الحمار أن يدفع للجراح سدس شيكل من الفضة .
- المادة 225 : فإن أجرى العملية على ثور أو حمار و تسبب في نفوقه عليه أن يدفع لصاحب الثور الحمار ربع ثمنه. 1

و من خلال هذه المواد نستنتج الوضع العام لمجال الطب آنذاك، و يمكن أيضا من خلال هذه المواد أن نستقي الوضعية العامة لمجتمع بلاد ما بين النهرين حيث يلاحظ وجود فروع مختلفة من الطب، و هي الطب و الجراحة و البيطرة، و الملاحظ أيضا أن هذه القوانين تضمنت حكم القصاص بصفة عامة بين مختلف شرائح المجتمع و ما ينجم عن ذلك من تعويضات في حالة الأخطاء الطبية، كما يمكن كذلك الاطلاع على مختلف الحالات المرضية التي كانت منتشرة و طرق علاجها.

و هو ما يدفعنا للقول أن رغم الفترة التي وردت فيها هذه القوانين ضاربة في القدم والتي يعود إلى بداية الألف الثاني قبل الميلاد ، إلا أن مجال الطب كان متطورا قياسا إلى تلك المرحلة، و هو ما يفند مقولة أن الطب ظهر و تطور عند الإغريق الذين برزوا بعدهم بحوالي أكثر من ألف سنة،

9.3 النزعة العلمية للطب في بلاد ما بين النهرين :

منذ العهد السومري وجدت رقم طينية طبية تبين دستوراً للأدوية، تعد الأولى من نوعها في تاريخ الطب، خالية من طقوس السحر، تعود الى نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد، حيث خلت هذه الوثائق من ذكر أي إله، أو تعزيم أو تعويذة، و الملاحظ أيضا أن مصادر صناعة الأدوية السومرية

كانت ثلاثة (نباتية، حيوانية، و معدنية)* كما تضمنت وصفات بطريقة صناعة الأدوية التي خضرت إما في شكل مرهم أو قطرات، و منذ العهد الآشوري انتقلت المعارف الطبية الى مستوى أفضل بحكم تراكم الخبرة و التجارب، و لم ترد معلومات مؤكدة عن تشريح الإنسان، إلا فيما يتعلق بتشريح الحيوانات الذي اعتبر من أهم مصادر معرفة الآشوريين بأعضاء الجسم البشري.

و قد حملت الرقم الطينية وصفا لهذه الأعضاء فتوضح انه كانت لهم دراية بوظائفها كالكلبد و قياس نبض القلب و دور الكلية في عملية التبول، و علاقة الرئة بالتنفس، و كانت لهم فكرة معقولة عن العدوى بالاعتقاد أن سبب انتقالها هو أجسام تدخل الجسم البشري مع الهواء عن طريق التنفس أو عن طريق الأكل و الشرب أو عن طريق الجهاز الهضمي، أو مع الأوساخ عن طريق الجلد. و هو تحليل سليم لما يعرف اليوم بالعدوى الجرثومية، تطورت فكرة تشخيص الأمراض لمختلف الأنواع.*

10.3 تأثير الطب البابلي و الآشوري في الطب القديم :

انتشر الطب الآشوري انتشارا واسعا** ، و ما أكد ذلك تلك الوثائق التي وجدت و الدالة على عملية التشخيص و التشخيص التكهني، و التي كتبت عن طريق الأقوال المأثورة حوالي القرن

* : المصادر النباتية تمثل الحلتيت، الزعتر، التين، التمر، أما الحيوانية و تمثل اللبن، جلد الحية، صدفة السلحفاة، و تمثل المصادر المعدنية ملح الطعام، كلود الصوديوم، ملح البارود. انظر خزعل الماجدي، بحور الآلهة (دراسة في الطب و السحر و الأسطورة و الدين) ، ط 1 ، الأهلية للنشر و التوزيع، الأردن ، 1998 ، ص 151 .

* : ذكرت تشخيصات للأمراض التالية : أمراض الرأس و أمراض العين منها التهاب الجفن ، عى الليل ، الى جانب طب الأسنان و أمراض الفم، منها جفاف اللعاب، أمراض الأذن كثقل السمع ، و يؤكد الطبيب الآشوري على إزالة الأوساخ من الأذن باستعمال أنبوب نحاسي مجوف ينفخ بواسطة المساحيق من الأدوية الى الداخل. و أمراض البطن و السعال، و من أمثلة الوصفات : إذا أصيب الرجل بالسعال الجاف يستلزم الزيت، و قشر الأجاص و الحلتيت و الديس، و تسحق الأدوية و تمزج مع العسل و تأكل بلا طعام فيشفى .

انظر : خزعل الماجدي، المرجع السابق ، ص 172 .

** : في بلاد ما بين النهرين وضع السومريون شعارا للطب منذ أواسط الألف الثاني قبل الميلاد، و يتمثل في ثعبانين يمثلان (نكشتريدا) إله الطب السومري، و يلتصقان مع عصا. و انتشر هذا الشعار في العالم القديم حتى وصل الى الهند، كما انتشر في بلاد الإغريق أيضا. ليصبح رمزا لإله الطب الإغريقي (اسكليبيوس) 3 أما عند الرومان ارتبط بسنايبل القمح كدلالة على الخصب. و يعد السر في استمراره في العالم القديم إلى حكاية حية النحاس التي رفعها سيدنا موسى عليه السلام لشفاء العبرانيين.

السابع قبل الميلاد تحت حكم الملك آشوربانيبال ، و أثرت بصفة واضحة في الطب الإغريقي و كذلك الهندي، بل أكثر من ذلك أن الطب العبراني له أصول بابلية، لأن تقارب اللغات السامية بين فلسطين و بابل أدى الى سهولة العلاقات و التواصل الحضاري بما في ذلك المجال الإستشفائي، و ورد في التلمود و التوراة . و هذا التأثير لا يعود الى فترة السبي البابلي فحسب (597 – 538 ق.م) قيل سبق ذلك بكثير نتيجة الاتصالات المستمرة بين الشعبين.¹

تهدف دراسة الطب في حضارات الشرق القديم إلى تبيان الأصول الشرقية للطب الإغريقي، كون الطب من أوائل العلوم و المعارف التي عرفها الشرقيون. فالطب هو قصة البشرية. ولدت قبل ولادة التاريخ (أي ظهور الكتابة) بزمان طويل، لأنه فن عملي أمله الحاجة التي لم تنقطع قط . فلقد مورس الطب في تلك الحضارات على أسس علمية و لا يزال ما توصلوا إليه من معارف في مجالات أمراض الرأس و العظام و العيون و غيرها، نشهد أنها لا تختلف كثيرا عن ما تذكره كتب الطب الحديثة.

11.3 الطب الإغريقي

1.11.3. علاقة الطب بالسحر و الأسطورة عند الإغريق :

إذا كان العديد من المفكرين القدماء و المحدثين على حد سواء قد اعتقدوا و اقروا أن الطب الإغريقي خال تماما من جميع الممارسات السحرية، و ليس له أي علاقة بالجانب الديني، و هو في

فلم تكن هذه الحية سوى أفعوان ملتف بعضا . و استمر اعتماد هذا الشعار للطب في العصر الحديث. لأن الحية الملتفة بالعصا هي رمز الطب إلى جانب رمز الحية الملتفة على كأس واطعة رأسها عند فوهتها ، و هو شعار يوضع على أبواب الصيدليات ، و الحية هنا تشير إلى الشفاء و الخلود في الأساطير السومرية القديمة. و ذلك من خلال ملحمة جلجامش ، و هي رمز الآلهة التي تحتفظ في جسدها على قوة الشفاء .

انظر خزعلي الماجد ، بالمرجع السابق، ص 145 .

1 : شارل سونيا ، تاريخ الطب ، ترجمة إبراهيم البحلاقي ، مجلة عالم المعرفة ، العدد 251 ، ماي 2002 ، الكويت ، ص 14 .

ذلك يختلف كل الاختلاف عن **الطبالشرقيالقديم** الذي - حسبهم - لم ينفصل عن الممارسات السحرية. إلا أن الواقع يثبت عكس ذلك .

فالطب الإغريقي مثله مثل **الطبالشرقيالقديم** ارتبط بالممارسات الدينية و السحرية منذ البداية، بل أكثر من ذلك أنه إلى غاية القرن الرابع قبل الميلاد، و بعد عصر **أبقراط** بقيت و استمرت مثل هذه الممارسات. **فالإغريق** كغيرهم من الشعوب القديمة اتخذوا الآلهة و أنصاف الآلهة على أساس أنها هي التي تتسبب في الأمراض و تقوم بالشفاء.

و أكثر من ذلك أنه إذا كان الشائع هو أن الطب الإغريقي نشأ مع **أبقراط**، فكيف نفسر كل تلك المحاولات العلاجية التي سبقت هذه الفترة؟ أي القرن الرابع قبل الميلاد . فلقد عرف **الإغريق** فن العلاج و التداوي قبل **أبقراط**، و الفضل في ذلك يعود إلى حضارات الشرق القديم التي كانت قد بلغت مرحلة مهمة في هذا المجال.

و استمرار الممارسات السحرية و الدينية في مجال الطب له دلالة واضحة على ان المجتمع **الإغريقي** القديم لم يكن كما ذهب إليه العديد من المفكرين مجتمعا متميزا بعقلية تختلف عن عقلية الشعوب الأخرى. فهو مثله مثل الشعوب الأخرى رغم وجود **الطبالأبقراطي**، فالأمر للسحر والشعوذة يبقى مستمرا.¹

و لقد عثر في **أبيدور** على سجلات يشهد من خلالها المرضى على عرفانهم للإله **إسكليبيوس**، حيث يصفون بعبارات بسيطة معاناتهم و شفائهم الإعجازي. و الدليل على ذلك هو الأساليب العلاجية المتبعة و التي استمرت إلى غاية القرن الرابع قبل الميلاد. ففي الوقت الذي كان بمقدور طبقة الأغنياء العلاج عند الأطباء، كان الفقراء يذهبون إلى المشعوذين الذين كانوا يحضرون أدوية مرفقة بالتعاويذ السحرية. بل أكثر من ذلك أن وظيفة الدين خلال هذه الفترة ازدادت. فلقد استمرت

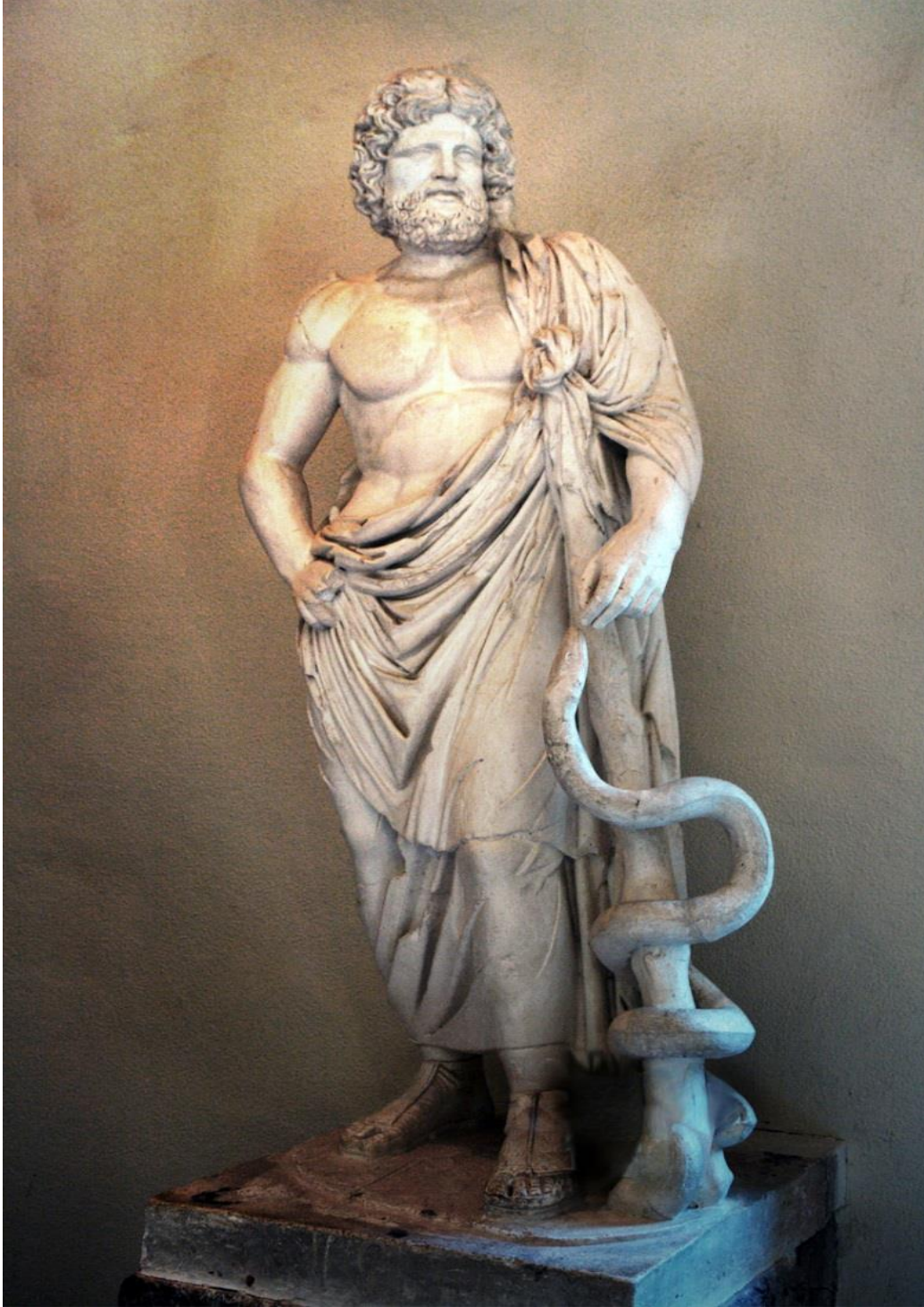
1 : شارل سورينا ، المرجع السابق ، ص 54 .

مظاهر الابتهاال إلى الآلهة. و وردت إشارات حول ذلك في معابد إسكليبيوس في (تريكا- Terrika) * في إقليم تساليا. كما زادت هذه المعابد في أثينا و كورنتا و مدينة (كورس)

* : انتشرت هذه المعابد في بلاد الإغريق، و أشهرها مزار أبيدور Epidure إحدى مدن أرجوليد الجبلية في بلاد الإغريق. و اشتهرت بمعبد إسكليبيوس الذي انشأ حوالي القرن الرابع قبل الميلاد. و يحتوي هذا المعبد على أبنية للحمامات، و أحيانا تنشأ مسارح و فنادق لإقامة الحجيج و ذويهم، بالإضافة إلى منازل الخدم، يقوم المرضى بتقديم القرابين و يبتهلون ليلة في المعبد، و في اليوم الموالي يفسر الكهنة أحلامهم مواصلين صلواتهم. و بالتالي يكرم هذا الإله كما كان تكرم الآلهة المصرية القديمة. في بداية عهد هذه المعابد كان الكهنة يتدخلون في العلاج و لو بطريقة خفية، كانوا يتسللون إلى الكهف مقنعين في شكل الإله حاملين الدهانات و المراهم و العقاقير التي تستخدم في مختلف أنواع العلاج. فيقومون بمداواة المريض، ثم بدأوا يقتصرون فقط على وسائل الإيحاء للمريض أثناء نومه أو تفسير الأحلام تفسيراً يرمي إلى بث الأمل و الطمأنينة في نفس المريض. و لقد صار من التقليد أن يقذف المريض الذي وهب الشفاء بقطع النقود في النبع المقدس و أن يقدم قربانا من الذهب أو الفضة بشكل العضو الذي شفي من جسمه، حيث وجدت الآلاف من هذه القرابين الرمزية في معابد أبيدور و غيرها. و لقد ساعد هذا التقليد المؤرخون على استنباط موعية الأمراض المنتشرة.

انظر : بول غوبلنجي ، المرجع السابق ، ص 172 .

الشكل (28) تمثال لإله الطب إكيليوس¹



1 : أسامة عدنان يحيى ، المرجع السابق ، 175 .

الشكل (29) و تمثل الإله أبوللو¹



1 : أسامة عدنان يحيى ، المرجع السابق ، 52 .

كما زاد الاعتقاد ان الآلهة تتسبب في الأمراض، و منها الإله أبولو الذي كان متسببا في الأوبئة و الأمراض. حتى أن الربة (أرنيس) حسب الأسطورة أنجبت عدد من قوى المرض.* و حسب الميثولوجيا الإغريقية دائما، فإن الآلهة ترسل الأمراض للبشر حتى و إن لم يكن هناك خطيئة**

و من خلال ما تقدم يتضح لنا جليا أن الإغريق كغيرهم من الشعوب القديمة يعتقدون أن الآلهة لها القدرة على المرض و الشفاء. و الإله أبولو له دور مزدوج، فهو إلهالأوبئة و في نفس الوقت هو إلهالطب. و سبب هذه الازدواجية أنه كان إلهالنور وإلهالشمس، و إذا كانت الشمس قاتلة للبشر بأشعتها، فهي في نفس الوقت مفيدة للبشرية، لأنها تمتلك قوة وقائية، و ترجع الأسطورة الفضل لأبولو كونه أول من علم الناس فن التطبيب.

و في المعتقدات الإغريقية لم تكن الآلهة وحدها المالكة للمعرفة الطبية، بل يوجد أصناف أخرى من القوى المالكة لهذه المعرفة، و هي ما يعرف في التقاليد الإغريقية بالـحوريات، و منها حورية الجبل و تدعى (أوينوني – Oenoné) التي كان لها إلمام بجميع الأعشاب الطبية اللازمة لمداواة الجروح.¹

* : حسب الميثولوجيا الإغريقية، فإن الإله زيوس قرر معاقبة البشر بعد أن أقدم التيتان (بروميتيوس) على سرقة النار من الآلهة و أعطائها للبشر، لأن زيوس منع النار عن البشر، فأمر الإله (هيفيسبيوس) أن يصنع من الصلصال و الماء جسما و يعطيه القوة. و جاءت أسطورة باندوراPendora و أسطورة أغاممنون، و إنزال المرض على معسكر الإغريق بسبب إهانة كاهن المعبد خلال الحرب الطروادية.

أنظر : أسامة عدنان ، المرجع السابق ، ص 54 .

** : في أسطورة أوديب الذي يقتل أباه (لابوس) و يتزوج أمه (جوكامنا) على غير علم، و مع ذلك اجتاحت مدينة (ثيبس) كوارث عديدة منها أوبئة فظيعة أهلكت البشر، سلطتها ربات الانتقام، و عند استشارة كاهنة معبد دلفي أجابت أن المصائب لن تتوقف حتى يخرج أهل المدينة قاتل أبيه. و أوردت الأساطير حالات لإرسال الآلهة المرض حتى دون ارتكاب البشر خطايا.

انظر : أسامة عدنان، المرجع السابق ، ص 72 .

1 : أسامة عدنان، المرجع السابق ، ص 174 .

كما ورد الحديث عن الطقوس السحرية التي كان يمارسها الطبيب الساحر في بلاد الإغريق، كذكره أثناء عمليات التداوي عبارات تؤكد الارتباط بقوى ما فوق الطبيعة و استخدام الأعشاب السحرية.*

و من خلال ما تقدم نستنتج أن الطب الإغريقي مثله مثل الطب في حضارات الشرق القديم لم يولد ناضجا من الوهلة الأولى، بل مر بمراحل من التطور بدأت بالمزج بين الممارسات السحرية و الدينية و الطبية. بل أكثر من ذلك أن هذه الممارسات لازمت الطب حتى بعد عهد أبقرات. فضلا عن ذلك أن المعرفة الإغريقية بالطب كانت تراكمية، حيث استفادت من الموروث الفكري الطبي لحضارات الشرق القديم التي كانت قد بكرت قبل الإغريق بقرون من الزمن. و هو ما يقودنا إلى القول أن الطب الإغريقي ولد ولادة طبيعية و تطور بطريقة عادية مستفيدا في ذلك من عوامل خارجية و محلية.

2.11.3. الطب الإغريقي من خلال الملاحم الهوميرية :

لقد جاء في الشعر الهومييري وصفا لمائة و أربعين جريحا توفي منهم حوالي ثلثي العدد من جراء الجروح و الرماح و السيوف. و لقد ذكرت الإلياذة و الأوديسا طريقة معالجة هذه الجراح.

و لقد عرف أطباء هذا العصر المخ و النخاع و وصفوا نسيجا أطلقوا عليه لفظ (نفرون) و هي تترجم الآن بالعصب. و من خلال مشاهدتهم لما يصاحب الانفعالات من خفقان واضطراب في التنفس وضعوا مركز الحياة في القلب أو في الكبد لتبقى هذه الفكرة سائدة من طرف حتى بعض الفلاسفة و من بين هؤلاء (أرسطووزينو)

* : حول أنواع الممارسات السحرية المعتمدة من طرف هؤلاء انظر : أسامة عدنان، المرجع السابق ، ص ص 308 - 309

و رغم ضآلة المعلومات التشريحية غير أنها على جانب كبير من الصحة، و خاصة فيما يتعلق بالعظام و العضلات و المفاصل.¹ و احتوت هذه الممارسات على قدر ضئيل من العلاج الطبي الصحيح، إلا أنها ارتكزت على قدرة الإيحاء الشافي للمريض أثناء النوم الذي يعد أساس الطب النفسي اليوم.

و نشير **الإلياذة** إلى وجود الأطباء، غير أن هؤلاء ليس بمقدورهم التواجد في ساحات القتال، فذلك ما دفع بالحاربين لمساعدة بعضهم البعض وقت الحاجة. أما معظم الخدمات الطبية ارتكزت أساسا على الجراحة.

و كانت النساء تحسن استعمال العقاقير خاصة لإعداد الشراب المهدئ. و حسب **الإلياذة** فإن **هيلين** أخذت السر في صناعته من امرأة مصرية. و يذكر النشيد الثاني اسم اله الطب (**اسكيلوس**) و أن **خيرون** كان يأوي إلى الكهف لتعلم العقاقير. و برز **الإغريق** في الجراحة، و ذكر ذلك عندما تعرض **أغاممنون** إلى الجروح على إثر النبال الطروادية.²

و في النشيد الخامس ذكر أن **فيون** و هو طبيب الآلهة أخذ اللقب من الشمس لأنها تبرئ الأسقام.³ أما في النشيد الحادي عشر تذكر **الإلياذة** أن **أخيلوس** كان على اطلاع بالمعارف الطبية التي تعلمها عن معلمه (**خيرون**) و أن لديه الرغبة في الانتماء إلى الأطباء لعلو مكانتهم.⁴

و مجمل القول أن الأدب الإغريقي منذ العصر الهومييري الى غاية القرن الأول قبل الميلاد؛ أي الى غاية **ديدور الصقلي**، تكلم في كل مراحله عن الطب المصري و تأثيره الايجابي على الطب الإغريقي، بل أكثر من ذلك أعجب كثيرا بروعة الطب المصري، و أن الأطباء المصريين كانوا مطلوبين

1 : بول غوبلنجي ، المرجع السابق ، ص 173 .

2 : **الإلياذة** : النشيد الثاني ، ص 416 .

3 : **الإلياذة** : النشيد الخامس ، ص 363 .

4 : **الإلياذة** : النشيد الحادي عشر ، ص 454 .

عبر العالم القديم، حتى أن ديودور الصقلي أظهر في كتاباته مقارنات للطرق العلاجية بين ما جاء به الطب المصري و ما جاء به الطب الإغريقي.¹

12.3 دور الفلسفة في نشأة النظرية العلمية للطب الإغريقي :

لم يكن أرسطو طبيبا، بل كان - كما سبق الإشارة إليه - ابنا لطبيب، و من ثم شكلت آرائه الفلسفية أساسا متينا للطب الإغريقي، و تقوم نظرية المعرفة عند أرسطو على إدراك العلة، فتطور العلم قائم على الإمام بالأسباب، أما في الطب يجب معرفة أسباب الصحة و المرض، فقد تكون هذه الأسباب ظاهرية، و قد تكون خفية لا تعرف بالحسن بل بالاستدلال من العوارض، فيجب الإمام بالعوارض التي تؤثر في الصحة و المرض.

تلك هي نقطة البداية في تحديد أصول النظرية الطبية الإغريقية، ان علاج الأمراض متوقف على معرفة عللها، حتى يتسنى الوقوف على ما يلاءم المرض من دواء². و إذا عقدنا مقارنة بسيطة فإن الطب المصري القديم و الطب الشرقي ككل، ذهب في اعتماد هذا المذهب، حيث ارجع الحالات المرضية إلى أسباب و علل قاطعة، غير ان الاختلاف هنا بين ما ورد في الطب الشرقي و نظيره الإغريقي، ان النظرية العلمية عند الإغريق في مجال الطب، كانت قائمة أكثر على البرهنة و الاستدلال بشكل أكثر واقعية ومنطقية.

و العلل عند أرسطو أربعة أنواع: مادية، و فاعلية، و طورية، و غائية*، و هي مهما كان ليست مجرد مدخل لعلم الطب، فإنما تشكل ركيزة النظرية الطبية امتزجت فيها هذه الآراء الفلسفية بمعارف

1 . 12 - 8, OpCit, Jacques Jouanna :

2 : أحمد محمود صبحي، محمود فهمي زيدان ، في فلسفة الطب ، ص 76 .

* : الأسباب المادية للطب ، هي المرتبطة بالأعضاء، و التي بها تقوم الصحة، و بها يكون المرض، الأسباب الفاعلة هي تلك المثيرة لحالة الصحة أو المرض، من هواء، و ما يتصل به من الطعام و الشراب، و كل ما يؤثر في البدن، و الأسباب الصورية متعلقة بالمزاجات، و الأسباب الغائية هي الفعال و القوى المؤدية إلى الصحة، فالعلة الغائية للطب حفظ الصحة و إزالة المرض.

انظر : أحمد محمود صبحي، محمود فهمي زيدان، المرجع السابق ، ص 77 .

جالينوس الطبية، فقد أخذت مع نظرية الأخلاط. السبب الفاعلي للدم حرارة معتدلة، و سببه المادي معدل الأغذية و الأشربة، و السبب الصوري النضج، و سببه الغائي تغذية البدن.

بالإضافة إلى نظرية العلل الأربعة، كان لأرسطو الفضل في نظرية الوسط العدل، بين الإفراط و التفريط تكون الصحة في حالة توازن بين طرفين كلاهما نرض، ان الجسم البشري مزيج من عناصر مختلفة، وأركان بما كل منها من طبائع، و الأركان هي (الدم، البلغم، الصفراء، و السوداء) إذا امتزجت وتناسقت و تناسبت، كانت الصحة، و في حالة أيافراط أو تفريط، يلزمه اختلال، فيولد المرض.

و ارتبطت هذه العناصر بالعوامل الأولية في الكون، و هي النار التي تولد الحرارة، و الهواء الذي تطبعه البرودة، و الماء الذي تطبعه الرطوبة، و التراب فطبعه اليبوسة، فتشكل هذه الأركان مجموعتان متضادتان (الحرارة و البرودة) (الرطوبة و اليبوسة) **

13.3 استمرار العلاقات المصرية الإغريقية :

لم يكن المجتمع الإغريقي بالمنغلق على نفسه، بل كان مجتمعاً متفتحاً على كل الحضارات والثقافات، فلقد زار مفكري الإغريق بلاد الشرق القديم، خاصة مصر، و لقد اتخذ المصريون (أمنحوتب) إله للطب، و جاء ذلك سابقاً على تاليه (إسكيبوس) للطب في بلاد الإغريق، و أمام تطور المعارف الطبية بمصر، فقد كانت إحدى فرص انتقالها إلى منطقة الإيجية متوفرة، حيث

** : تنسب هذه النظرية إلى جالينوس، و أيدها العالم المسلم ابن سينا، فهي تقر ان الدم حار و منه الطبيعي، و منه غير الطبيعي، أما الطبيعي فهو احمر اللون، أما غير الطبيعي هو ما ساء مزاجه أو تغير بأن حصل خلط رديء فيه، أما البلغم فهو دم غير تام النضج، و منه الطبيعي، و منه غير الطبيعي، فالطبيعي هو الذي يصلح ان يكون في وقت ما دم، و فائدة البلغم ان يبلل المقاصل و الأعضاء الكثيرة الحركة، حتى لا تتعرض للجفاف بسبب حركة العضو، وبسبب الاحتكاك، و هو حلو، و إذا خالطته ييوسة يصبح مالخاً، أما الصفراء فهي رغو الدم، و لونها احمر ناصع، و فادتها تلطف الدم و تنقله في المسالك الضيقة، و الطبيعي منها ما خالط الدم لتغذية الأعضاء، و غير الطبيعي ما كان في جوهرها غير طبيعياً و خالطها السواد. و السوداء هي خلط يشد الدم و يقويه، و يكتفه و يمنعه من التحلل، و الطبيعي منها ما يتولد في الكبد و يتوجه إلى الطحال كي تختلط مع الدم بالقدر اللازم لتغذية الأعضاء، و منفعتها كونها تشد فم المعدة و تكتفه، و تفرز الحموضة ليشعر الإنسان بالجوع، فتحرك فيه شهوة الطعام.

انظر : أحمد محمود صبحي، محمود فهمي زيدان، المرجع السابق، ص 82 .

ازدادت هذه الصلات زمن الدولة الحديثة، أينأسس الإغريق في عهد (احميسالثاني) مدينة لهم في (اوكراتيس) جعلوا منها مركزا تجاريا هاما، و كان ذلك حوالي القرن السادس قبل الميلاد، حيث بلغ عددهم هناك حوالي مائتي ألف نسمة*.

و لقد لاحظ هيرودوت أن الطب كان منتشرا في مصر، بل أكثر من ذلك كانوا متخصصين (العين، الأسنان، أمراض البطن) و عن المصريين اتخذ الإغريق من لجوء المرضى لقضاء ليلة في المعابد قصد المداواة عادة التزموا بها حتى بعد عصر أبقراط¹

و يتفق المؤرخون على انه في عهد (إحمسالثاني) ازداد نفوذ الإغريق بمصر، حيث تزوج هذا الملك بامرأة إغريقية، كما قدم هدايا ثمينة من التحف المصرية لهم.² كما توسعت الصلات التجارية بينهم، ولما كانت العلاقات على هذا المنوال، ساعدت على انتقال العديد من المعارف الطبية، و الدليل على ذلك تقدير المفكرين الإغريق للطب المصري، من خلال ما ورد في الأوديسا.

ومما ورد عن هيلين (....) ثم أحضرت الطرف و الهدايا و اللهى، فهذه سلة من الفضة مزخرفة بالتصاوير هدية من ألكسندرا زوج بوليب أمير طيبة عروس المدائن المصرية)، و مما ورد أيضا عن تبادل العقاقير الطبية قول هوميروس : « و صبت هيلين قطرات من طيب ، مذهب للأحزان في كأس تليماك ، و كأس صاحبه لا يعرف من يذوقها للأسى من سبيل، و هي قطرات عجيبة أهدتها للملكة زوجة (ذون) الأميرة المصرية (بوليدامنا) ، و كم في مصر من سحر مبین، ... »³

* : توجد هذه المدينة حاليا قرب جعيف، جنوبي دمنهور، بمحافظة البحيرة، حيث قاموا هناك بتأسيس المعابد و الهياكل لممارسة طقوسهم الدينية.

انظر : أحمد محمود صبحي، محمود فهمي زيدان ، المرجع السابق ، ص 81 .

1 : جورج سارتون، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 264 .

2 : أحمد محمود صبحي، محمود فهمي زيدان ، المرجع السابق ، ص 81 .

3 : هوميروس، الأوديسا، ص 48 .

و زادت شهرة أطباء مصر عن الإغريق، إلى درجة ان كاتباً إغريقيا اسمه (أناخريسيس)، كان يعتبر على مواطنيه تفضيل أطباء من مصر على أبناء وطنهم، و لقد اخذ الإغريق عن المصريين فكرة الابتغال الروحي ، لأنه من الطقوس التي مارسها المصريون قديماً، حيث كانا المرضى يبيتون ليلة في المعبد يبتهلون للآلهة.

4. أبقراط و الطب الإغريقي:

ولد أبقراط حوالي 490 ق.م في جزيرة (قو)، في اسرة تمتهن ممارسة الطب، و هي أسرة (إسقلياد) من ذرية (إسقليبيوس) الطبيب الذي أورده هوميروس أشعاره، و أصبح (إهالطب) بعد ذلك. درس الطب في مسقط رأسه بقو، زار مصر و كافة الجزر الإغريقية، كما مارس الطب في مسقط رأسه، فضلا عن ذلك كانت له علاقات مع بعض المفكرين و الفلاسفة مثل (ديمقراطيس). توفي عام 377 ق.م تاركا خلفه مدرسة طبية أسسها بقو الواقعة على بحرايجا في الجزء الجنوب غربي لآسيا الصغرى. صنفت مؤلفاته ضمن المجموعة الأبقراطية* (Corpus Hippocraticum) و درس جالينوس هذه المجموعة 1 و ألف كتابا يتطرق فيه إليها** .

* : تعود أقدم ترجمة لها الى اللغة اللاتينية الى حوالي القرن الخامس الميلادي، و توجد هذه النسخ في فينا و باريس و الفاتيكان والبندقية. و ظهرت المجموعة لأول مرة في مدرسة الاسكندرية حوالي القرن الثالث قبل الميلاد، أي بعد وفاته بحوالي قرن و نصف. وبعد أن أمر حاكم الإسكندرية البطلمي بجمعها و ضمها الى مكتبة المدرسة، و هناك أطلق عليها هذا الاسم. و احتوت على مجموعة من الوصفات الطبية لطب النساء و الطب العام، كما تطرقت المدونة الى مكانة طب النساء عند المجتمع الإغريقي خلال القرن الخامس قبل الميلاد، كما وردت في المدونة مقارنة بينه و بين مجالات الطب الأخرى.

و للتفصيل في الموضوع أكثر ، أنظر

Philip Van Der Eijk, Mark Geller , Op Cit, P 98

و عن المقارنة أنظر :

Ibid , P 62 – 86 .

: Andrew Gregory, Op Cit, P 2. 1

** : و انظر أيضا دراسة مفصلة للمجموعة الأبقراطية و مدونته التي احتوت على طبيعة الأمراض و طرق العلاج.

Caroline Magdolaine, Les littératures medicals aphoristique paradoxes et limites d'un genre, les belles lettres, paris 2004 , P71 .

1.4 نظرية الأخلاط مظهر ميز الطب الإغريقي

إذا عدنا إلى الطب الأبقراطي، فإن أهم ما تميز به هو نظرية الأخلاط التي ارتكزت على فكرة علاقة وحدة الجسم بما يحيط به، لأن أبقراط و جالينوس كانا ينظران إلى الحياة أنها تجاوب بين (الفيسيس)*** و محيطه لأن الجسم و بيئته وحدة متكاملة لها قطبان أحدهما الجسم و الآخر البيئة. وخضوع الجسم للمحيط و مدى استيعابه له بأن يأخذ منه ما ينفعه و يترك ما لا يلائمه . فإن نجحت عملية الاستيعاب تمت الصحة و إلا نتج المرض. و لقد ارتبط الفيسيس ارتباطا وثيقا بنظرية الأخلاط – التي كما سبق ذكره – سابقة لأبقراط و تأثرت بأسس الكون الأربعة (الماء، الهواء، التراب، النار) وارتكزت على هذه الأسس الأربعة للجسم (البلغم، الدم، الصفراء، السوداء) و ينتج عن ذلك أربعة طبائع (السخونة، البرودة، اليبس، الرطوبة) إلى جانب الإيمان بقوة الجسم الشافية.¹ القدرة على حل مشاكله بنفسه. إذا تحتم عليه تحمل المرض أثناء هذه العملية ، و أحسن وسيلة هي ترك الجسم يستعيد صحته و عافيته، و هو نفس المبدأ الذي تكلمت عنه برديّة) أودينسميث). و إذا تعذر العلاج يجب تغيير الظروف التي حدث فيها المرض، و أساس العلاج الرياضة و الغذاء.²

*** : ترجمت هذه الكلمة بطبيعة الإنسان، و منها ظهرت كلمة (فيسيولوجيا)، و وردت في كتابات أبقراط و جالينوس، و أساسها أن الجسم كوحدة و نشاط تخضع أجزائه المختلفة لتنسيق هذه الوحدة العليا. و كلما كمل تنسيق الوحدة في العمل قرب الجسم من الكمال، و استقلال أي جزء من النشاط يؤدي الى المرض.

انظر : بول غليونجي المرجع السابق، ص 181 .

1 : المرجع نفسه، ص 181 .

: Paul Demont , Les humeurs, Une question de gout, Les belles lettres, paris 2004 , Pp 53-2
54 .

2.4 كتاب الطب القديم

ينصب الإطار الصحيح للصحة عند الإنسان في البحث عن استجابة الإنسان لبيئته و طعامه و شرابه، و عليه فحالة الجسم تختلف تبعا لنظام الأعضاء، نسب هذا المؤلف إلى مدرسة (قو) التي تمثل النزعة العلمية في الطب الإغريقي.

و في كتاب (الأهوية والمياه) ركز أبقراط على استجابة الجسم للمحيط الذي يعيش فيه بمعناه الإقليمي، حيث بين أن طبائع الناس تختلف باختلاف طبيعة بلادهم، و ميز بين شكل و طبيعة المكان من مرتفعات و منخفضات، و مناطق مستوية، و المناطق الجافة و الرطبة، و من صفات الناس. و هي ملاحظات استمد منها جالينوس بعده نظريته التي تربط حواس الذهن بخواص الجسد.

كما بحث في تأثير المناخ على الأمراض الشائعة، و أقام حجته على أمثلة مستمدة من واقع الشعوب الأوروبية والآسيوية، و يقوم بوصف طبيعة المياه المعدنية مع ذكر فوائدها في مختلف الحالات.

و يتناول كتاب (الأوبئة) نوعية الأمراض المنتشرة¹ حسب السنوات، و يتطرق فيه إلى أسباب الانتشار و مدى ارتباطه بالظروف المناخية، و أهم الأمزجة الموصوفة (المزاج الطاعوني - المزاج الدرني) و من مظاهرها الحمى المخية، و هي تشبه في وصفها الملاريا و الطاعون.*

: Brigitte Mondrain , Les manuscrits grecs de medecine, Les belles lettres, Paris 2004 , Pp 1 268 – 272 .

* : نادى بضرورة تدوين الطبيب كل ملاحظاته بدقة، و ألح على ضرورة الرجوع إليها تجنباً للانحراف عن الحقيقة، و لكن لم يرد أي شيء عن طرق العلاج مكتفياً بالملاحظة و التأمل مما شكك في نسبة المؤلف له.
انظر : بول غليونجي ، المرجع السابق ، ص 188 .

3.4 المرض في الطب الأبقراطي

اهتم أطباء المدرسة الأبقراطية بمعرفة الأعراض الأساسية لاختلال التوازن في الجسم البشري¹ منها ارتفاع الحرارة، و مراقبة الجلد و اللسان و العينين و ملاحظة العرق و البول و البراز - حيث كانوا يجمعون هذه الملاحظات، غير أن أهم الانجازات في هذا المجال كانت حوالي القرن الثالث قبل الميلاد.** ومن أشد الأعراض المرضية في الطب الأبقراطي خطورة الحمى التي تؤدي إلى الكثير من المضاعفات كالأمراض الصدرية.

و الجدير بالذكر أنه في العهد الأبقراطي، كانت الملاريا و الأمراض الصدرية الأشد انتشارا، وكانت الأخلاط في كلتا الحالتين من أوضح ما يتجلى فيه الأعراض المرضية و الأخلاط هي البلغم (المخاطيات و النخاميات) و الدم (في حالة النزيف) و المرارة السوداء و المرارة الصفراء في نوبات التقيؤ و الملاريا الدموية. و كانت الملاريا هي السبب الغالب في ذلك.

و عموما فإن المصنفات الأبقراطية تناولت الحميات الملارية، و الأمراض الملازمة للرئة بما ينطبق على داء السل، و لكن لم يرد ذكر للجذري و الطاعون و الزهري، و المرجح أن أغلبها مراض متأخرة عن هذه الفترة بكثير.* كما وردت إشارات كثيرة إلى داء الرمد و فقر الدم، قتوم البشرة و تضخم الطحال، كما وردت حالات الوصف للذهيان و الأمراض العقلية .

1 : François Skoda , Les motion d'utilité et de mocivité dans la medecine grecque , les 1 expressions lexicale) , les belle lettres , Paris 2004 , P 25 .

** : تطورت أغلب المعارف في هذا المجال بعد تطور التشريح على يد هيروقليوس الكلسيدوني (في النص الأول من القرن الثالث قبل الميلاد، و هي المرحلة الهيلينية أين أخذت المعرفة بالنبض تتقدم، و هو ما دونه جالينوس في النصف الثاني من القرن الثاني قبل الميلاد في مؤلفه .

انظر : جورج سارتون ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 225 .

* : لم يكن هناك غموض شديد ينوط سكوت الطب الأبقراطي عن مرض الطاعون الذي اجتاح أثينا خلال تلك الفترة، حيث م تنطرق له مؤلفات أبقراط إلا ما ذكره المرخون و منهم تيوكديس .

انظر : جورج سارتون ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 227 .

طرق العلاج :

انتشرت خلال تلك الفترة في بلاد الإغريق الطرق العلاجية بالسحر و الشعوذة، حيث وجد الطبيب العادي، و الطبيب المشعوذ الذي يقطع الوعد بالشفاء في الوقت الذي يتحفظ فيه الأول. وارتكز العلاج عند أبقرات على تنظيم الغذاء أكثر من وصف العقاقير.¹

4.4 النزعة العلمية في الطب الأبقراتي

حاول أبقرات حل معضلات علمية بطرق معقولة، حيث لم يكن يتألم لموت مرضاه، فقد كان يصف الأمراض كما وصف اثنين و أربعين حالة و إصابة تنتهي خمس و عشرون حالة منها بالوفاة. و ينبغي على الطبيب أن يكون صادقاً، حيث يدون حالات إخفاقه بنفس الدقة التي اعتمد فيها تسجيل ما حالفه فيه النجاح، لأنه يرى أن الطبيب المشعوذ هو الذي يخفي إخفاقاته ، و هو ما لا يجب أن يكون، لأنه مخادع.

و مجمل القول أن مزايا الطب الأبقراتي تتجلى فيه دقة ملاحظاته و طبيعة أحكامه المعتدلة الراضة لكل أصناف الممارسات السحرية، و منه يمكننا القول أن ظاهرة السحر لازمت عصره رغم مجهوداته لإخراج الطب من هذا المجال².

فتميز أبقرات كان في الملاحظات التجريدية، دون الاستعانة بأصناف العقاقير و الأدوية بإسهاب، أو حتى تلك الأجهزة الكاشفة، حيث وصف حالات إكلينيكية لعدة أمراض سبق ذكرها.³

1 : جورج سارتون ، المرجع السابق ، ص 229 .

2 : Brigitte Mondrain, Op Cit , P 272 .

3 : جورج سارتون ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 232 .

الشكل (30) بردية تحمل نسخة من قسم أبو قراط¹



5.4 أرسطو و الاهتمام بالتشريح و الأحياء .

تطرق أرسطو في دراساته إلى الفيسيولوجيا التي لم تنفصل آنذاك عن التشريح ؛ مثلما هي عليه الآن. حيث اهتم بدراسة الحيوان و وصفه، و لم يعرف عليه أنه بحث في وظائف الأعضاء، علما انه تعرف عليها. و حسبه أن الوظيفة هي التي تخلق العضو و ليس العكس. أما فكرة التشريح

: 1
<https://www.google.com/>

عند أرسطو قامت على مبدأ المقارنة، لأنه كان عالم حيوان و ليس عالم إنسان، أي انه اسقط مقارناته على الحيوان على الإنسان.*

و من أخطاء أرسطو انه اعتبر أن القلب هو مقر العقل، رغم أن وظيفة المخ لا تخرج عن نطاق تبريد القلب بما يفرزه من بلغم، و أن يمنع زيادة حرارته عن القدر اللازم، لأن المخ يبدو نسبيا عديم الدم إذا ما قورن بالقلب، أي أن موقف أرسطو يتلخص في أن المخ يخدم العقل بطريقة غير مباشرة تتلخص بتأثيره في القلب، و لكنه ليس مقرا للعقل.

لكن ما نخلص إلى قوله هنا، هو أن رغم كون أرسطو ابن طبيب كان أقل ميولا إلى الطب منه إلى العلم والفلسفة كما يقر جورج سارتون أنه من المفترض أن أرسطو لم يكن له اطلاع على ما كتب أبقرات، و بالتالي يلام عليه ارتكابه مثل هذه الأخطاء الأساسية.¹

6.4 أرسطو و البدايات الأولى لدراسة علم الأجنة

من بين المجالات التي اهتم بها أرسطو هي دراسة ما يسمى الآن بعلم الأجنة، حيث بعد أول واضع للمبادئ و الأسس الأولى له ومن هذه الأسس:

- إدخال طريقة المقارنة في علم الأجنة بإمكانية دراسة عدد كبير من الكائنات الحية فقد عرف الأحياء البيوض، و البيوض الولود و الولود
- ميز بين الخواص الجنسية الأساسية و الثانوية

* : ينفرد الإنسان عن الحيوان بظاهرة الصلع- مع انتشار الحالة - لأن بعض الحيوانات دائمة الخضرة، و لكن بعضها الآخر تسقط أوراقها، حتى أن الطيور يتساقط ريشها، لذلك فيحدث للإنسان ما يحدث للحيوان و النبات . و السبب في هذه الظاهرة هو نقص السائل الحار، و هو الدهني، لذلك يغلب على النباتات الدهنية أن تكون دائمة الخضرة، و هذا التغيير الموسمي الذي يحدث للنباتات يحدث كذلك للإنسان مع تدرج أدوار العمر، حيث تقوم أدوار العمر عند الإنسان بما تقوم به الفصول عند النباتات . لذلك فلا يصيب احد الصلع قبل البلوغ، و في أغلب الحالات يصيب الصلع مقدمة الرأس ، فالإنسان هو الحيوان الوحيد الذي يصيبه الصلع في هذا الموضع حيث يوجد المخ.

انظر جورج سارتون ، المرجع السابق ، ج 3 ، ص ص 262 ، 263 .

1 : جورج سارتون ، المرجع نفسه، ص 264 .

- إرجاع وقت تحديد الجنس إلى العهد الأول من التكوين الجنسي
- اعتبار البيضة الغير الملقحة أشبه بالة معقد ويمكن لها أن تؤدي وظيفتها
- نسب إلى المشيمة و الحبل السري و ظائفها الحقيقية
- وصف نمو الجنين وفق القاعدة المعروفة الآن بالتحلل العضوي
- ولكن رغم ذلك فإن أرسطو في مبادئه و نظراته ارتكب أخطاء منها:
- كان يرى أن الذكر لا يمد للأثنى بشيء ملموس في عملية التلقيح إلى درجة انه لم يتبين وجود الحيوانات المنوية
- لم ينسب إلى الخصية وظيفتها الصحيحة¹
- ولكن رغم ذلك برع أرسطو بطريقة ملحوظة في دراسة الحيوانات والنباتات و الكثير من نظرياته في هذا المجال كانت صحيحة. بل أكثر من ذلك انه أهم بدراسة مختلف أنواع الأسماك واستنتج من خلال دراسته استنتاجات دقيقة استمد العلم الحالي منها الكثير من نظرياته*.
- وما نخلص إلى قوله بعد هذه الدراسة أن الطب في منطقة الشرق الأدنى قد خطى خطوات هامة ناحية عن الاهتمام بالتشريح الذي ساعد على معرفة الأحشاء الداخلية للجسم
- إدراك الطبالمصري لأهمية الغذاء فإذا دخل المعدة ولا يلائمها مرضت ومنه يمرض كل الجسم
- لان الجسم لا يمكن له الاستغناء عن الغذاء الصحي

1 : جورج سارتون ، المرجع السابق ، ج 3 ، ص 271 .

* : من بين أبرز ملاحظاته دلالة كبيرة على وجود الجنين ثلاثة أيام في الطير الصغير من الدجاج، و هذه الحالة تسبق حالة الطير الكبير، كما لاحظ ظهور أول عضو قبل سائر الأعضاء، و هو القلب. و لربما كان هذا هو السبب الذي جعله يعتقد أن القلب مقر النفس و الروح و العقل

أنظر : جورج سارتون، المرجع السابق، ج 3 ، ص 271 .

- اطلاع **الطبا المصري القديم** على أن القلب هو مركز الأوعية التي تخرج منه متفرعة إلى سائر أعضاء الجسم وإن الكثير من العلل تنتج مرض الأوعية وأنه مركز الانفعال لذلك ابقى عليه المخطون في الجسم متصل بالأوعية الكبرى
- إدراك أهمية العقاقير في التداوي
- توسيع الكهنة نطاق تدريس الطب إلى خارج المعابد بإنشاء مدارس كان الطلبة يجتازون امتحانات بها
- أداء القسم المقدس عند مزاوله المهنة وهو يحتوي على ما يجب عليه عمله تجاه المريض من حفظ الأسرار و مساعدة المريض وكتمان ما يتعلق بما يتلقاه من علوم لكي لا تداول في يد العامة وهو ما عرف (بقسمتحتوت) والذي اقتبس منه القسم **الأبقراطي**، حيث نهل **أبقراط** الطب في معبد (هيليبوليس) ونقل القسم إلى بلاده وعرف باسمه وتداوله **الأطباء الإغريق** أي أن هذا القسم فرعوني الأصل ورد في **بردية (هاريست)** حوالي 1500 ق.م¹
- الطابع الشرعي القانوني الذي حظي به الطب في بلاد ما بين النهرين من خلال ما ورد من نصوص قانونية طبية في شريعة **حمورابي** وهو ما لم يحدث في بلاد **الإغريق** ذلك دليل كبير على تطور الطب في هذه المنطقة.
- ولم يتخلص **الطبا الإغريقي** في بداياته الأولى من الممارسات الدينية حيث عمل الأطباء الأوائل في بلاد **الإغريق** وفق مبادئ **اسقليوس إله الطب** وهو دليل آخر على أن **الطبا الإغريقي** مثل الطب الشرقي مر بالمرحلة الدينية و الممارسات السحرية

1 : سمير يحيى الجمال، تاريخ الطب و الصيدلة المصرية في العصر الفرعوني، ج 1 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 1994 ، ص 156-157 .

يعود الفضل لأبقراط في تطور الطب الإغريقي بصفة أكثر علمية وفق مبادئ النظرية العلمية، غير أن ذلك قد اتضح جليا عند من جاءوا من بعده كإبن أرسطو (أرازستراتس) الذي يعد أول من شرّح الأجساد البشرية وهو أصغر أبنائه و جالينوس و إيروكيل حكيم مدينته (قرطاجنة)¹.

فالطب الإغريقي إذن أحاطت به جملة من الظروف ساعدت على بروزه، وتدرج في تطوره على يد مجموعة من الأطباء الذين كانت لهم بصماتهم في هذا المجال إلى غاية المرحلة الهيلينية* أين كانت مدينة الإسكندرية مركزا فكريا ساهم في تطور الطب الإغريقي.

1 : عيسى اسكندر المعلوف، تاريخ الطب عند الأمم القديمة و الحديثة، هنداوي للتعليم و الثقافة، ص 21 – 24 .
* أما إذا تحدثنا عن الطب في المرحلة الهيلينية، فمن اهم السماء الواردة ميكوندوروسالكلوفوني Micandre de Clophon حوالي القرن الثاني قبل الميلاد، و هو طبيب ترك لنا قطعتين من الأشعار ذات الطابع الطبي.
انظر :

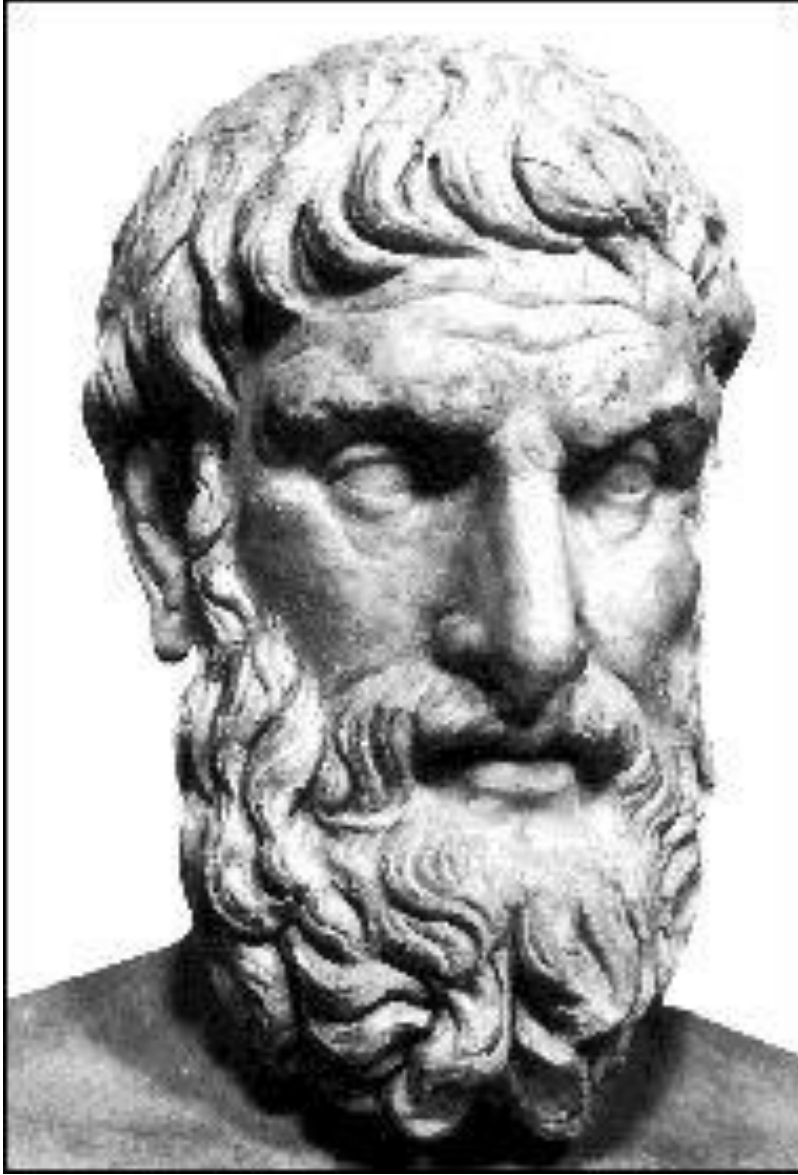
Jean Marie Jacques, Médecine et poésie, Micandre de Colophon et ses poèmes rologiques, les belles lettres, Paris, 2004 ,P109 .

و انظر ايضا :

دراسة اخرى تربط العلاقة بين طبيعة العلاج و دور الفلسفة فيه، مع التأكيد على النظام الغذائي، و ما جاء به جالينوس من طرق لتهديئة النفس للذين يعانون من القلق و اضطراب الحالات النفسية.

Armelle Debru, Médecine et morele, devenir meilleur chez Galron et Mark Aurele, les belles lettres, Paris 2004 , P125 .

الشكل (31) أبقرط



الفصل السادس: الرياضيات والفلك بين الأصول الشرقية والإغريقية

1- الرياضيات

1-1- نشأة الرياضيات في الحضارات الشرقية القديمة

1-2- الرياضيات عند الإغريق

2- الفلك

1-2- الفلك في الحضارات الشرقية القديمة

2-2- جهود الإغريق في مجال الفلك

3- العلم الإغريقي بين مراحل تطوره و عزله عن المؤثرات الشرقية و صفته النظرية .

1. الرياضيات

1.1 نشأة الرياضيات في الحضارات القديمة

استطاع الإنسان من خلال النظر و الملاحظة و التجريد في مرحلة زمنية مبكرة من ادراك مظاهر الوحدةانية و التعدد في الطبيعة، استلهم مبدأ التضاد كالذكر و الأنثى، و الخير و الشر، و البارد و الحار، و السار و المحزن، و لما أمعن النظر أكثر لاحظ أن المجموعة تكبر.¹

كانت أصابع اليد الوسيلة الأولى للعد، و منه نشأ نظام العد العشري في الحساب، كما تطور نظام العد الستيني، حيث أصبحت أعضاء الجسم وحدات للقياس، لأنه استعمل الأصبع، و الشبر، و القدم و الذراع، و استعان أيضا بالحصى كوسيلة للحساب و العد.*ومع مطلع الألف الثاني قبل الميلاد، تطورت بمصر و بابل و بلاد ما بين النهرين المفاهيم فظهر الحساب و الجبر² و الهندسة، و تطورت الرياضيات نتيجة عدة عوامل أهمها :

- الحاجة الماسة لقياس مساحة الحقول.
- وجود وسائل الكتابة و التدوين.
- إدراك الأسس الأولى للحساب و خواص عملياته (الضرب، القسمة، الجمع، الطرح)
- تنزع أشكال قطع الأراضي الزراعية، و استلزم ذلك البحث عن كيفية قياس مساحتها، أمام اختلاف أشكالها الهندسية.
- وجود محاصيل زراعية، و قطعان المواشي، و الثروة السمكية يستلزم إيجاد طريقة لتقسيمها على المستفيدين منها و الفلاحين.
- وجود مؤسسات ذات طابع تجاري يتطلب تسوية الحسابات

1 : فاضل عبد الواحد، علي عامر سليمان، تاريخ العراق القديم، ج 1 ، بغداد، 1990 ، ص 194 .

* : كلمة إحصاء بالعربية مصدرها الحصى، و كلمة calcule الأجنبية أتت من calculus ، و هي تعني الحصى الصغيرة.

انظر : فون زودن، مدخل غلى حضارة الشرق القديم، ترجمة فاروق إسماعيل، دار الثقافة ، سوريا ، ص 184 .

: Charles Mangler, Sur l'histoire de quelque definition de la géométrie grecque et les 2 rapprt entre la geometrie et l'optique, etude classique, 1957 , p 323 .

- وجود طريقة القروض و الفوائد، حيث كان المدين يسدد الدين من محصولي القمح والشعير مثلاً بنسبة 33 % .

- ضرورة تحديد المحاصيل الزراعية .

تطلبت الإنجازات العمرانية و الهندسية في مصر قدراً كبيراً من المعرفة بالحساب والهندسة، بما في ذلك ضرورة العد، خاصة فيما يتعلق بالمتلكات، أما حاجتهم بالهندسة كانت واضحة من خلال المخلفات الأثرية التي شيدت منذ حوالي ثلاثين قرناً قبل الميلاد، و لقد جمع علماء الآثار أكثر من ست و ثلاثين وثيقة أصلية خاصة بالرياضيات.¹ و هي تتضمن مسائل رياضية، و من أهم الوثائق المختصة في ذلك (بردية رايند)*.

و تعد الرياضيات أكثر العلوم يقيناً بما فيها الحساب، و ربما إتضح ذلك حتى قبل تطور اللغة المكتوبة لتشمل عدة فروع هي (الحساب، الجبر، الهندسة، حساب المثلثات) و تعد بدايتها في العصور المبكرة من تاريخ البشرية دلالة هامة على وجود النظر العقلي التجريدي المرتبط بملاحظة مظاهر التعدد في الطبيعة.

و ارتبطت الهندسة المصرية بعمليات مسح الأراضي الزراعية، و تقسيمها إلى أحواض لغرض الزراعة، و أعمال الري. و يذهب العلماء إلى قول أن المصريين ربما كانوا يملكون وسائل تساعدتهم في حساب مختلف المسائل خاصة الهندسية منها، أما عن الأعداد، فقد سجلت الوثائق أن المصريين يكتبونها في شكل خطوط.*

1 : جورج سارتون، تاريخ العلم، ج 1 ، ص 100 .

* : تبدأ بردية رايند بحلول الكسور، التي تدل على القيم العديدة الصحيحة، و هي في أصلها تجمع بين ما هو نظري، و ما هو عملي، كما وردت بما أربعون مسألة حسابية، منها القسمة، و ضرب الكسور و مسائل الكميات و المعادلات، وتعالج مختلف المسائل الرياضية في البرديات المصرية، من 41 إلى 60 مسألة في تحديد الأحجام والمساحات.

انظر : المرجع نفسه ، ص 102 – 105 .

* : كتب الرقم 1 ، 2 ، 3 على هيئة خطوط عمودية متجاورة، و الخط الأفقي عندهم العدد 4 و 8 على شكل خطين أفقيين ، و الألف على شكل زهرة اللوتس.

كما تدل البرديات على أن المصريين قد تمكنوا من حساب أطوال أوتار الدائرة، و عرفوا المثلثات و أشباه المنحرف، و نصف الكرة، و أدركوا كيفية إيجاد مساحة سطوحها، و تطرقوا إلى مسائل متعلقة بالمستطيلات و خواصها، و المعادلات من الدرجة الأولى و الثانية، حتى أن فيتاغورس صاغ عندهم نظرياته الهندسية.¹

1.1.1. الرياضيات عند قدماء الشرقيين .

1.1.1.1 الرياضيات عند البابليين

تدل الآثار المكتشفة منتصف القرن التاسع عشر، على تطور البابليين في مجال الرياضيات، حيث تعود معارفهم إلى حوالي الألف الثاني قبل الميلاد²، منذ عصر حمورابي، فقد استعملوا نظاما مختلفة في التقييم، و هناك من يعتقد أنهم أدركوا الصفر في القرن الثالث قبل الميلاد، كما عرفوا الكسور، و إعتمدوا النظام الستيني لارتباطه بالجانب الفلكي، و اهتموا بالجبر، حيث كانت لديهم قدرة حسابية على إيجاد الجذور التربيعية، و من هذه الأمثلة :

$$1.414313 = \frac{10}{(60)} + \frac{24}{60} + 1 \sqrt{2} \quad \text{و} \quad \frac{17}{24} = \frac{1}{\sqrt{2}} * \frac{17}{12} = \sqrt{2}$$

كما عثر العلماء على مسائل لما يسمى بالهندسة الجبرية، و وجدت لديهم حلول للمعادلات من الدرجة الثانية، و عثر على ألواح أخرى تضمنت إيجاد القيم المجهولة في المعادلات، و يذهب المؤرخون إلى أن البابليين هم أول من طبق المنهج النظري للرياضيات. و عرفوا العمليات الأربعة في الجبر، و كانوا يضعون لكل مجهول رمزا خاصا به، يميزه عن المجاهيل الأخرى، كما عرفوا القيم السالبة، و ميزوا بينها و بين القيم الموجبة.³

انظر : جورج سارتون، المرجع السابق، ج 1 ، ص 172 .

1 : محمود محمد علي ، المرجع السابق ، ص 104 .

2 : نفسه ، ص 109 .

3 : محمود محمد علي ، المرجع السابق، ص 109 .

وفي الهندسة وصل البابليون إلى حساب مساحات العديد من الأشكال الهندسية كالمكعبات والمربعات، و المثلثات و الدوائر، و مع مطلع الألف الثاني قبل الميلاد، و قدروا مساحة الأشكال الرباعية بحاصل ضرب متوسطات الأضلاع المتقابلة، و هي نتيجة تقريبية تزداد صدقا كلما اقتربت زوايا الشكل الرباعي إلى القائم، كما كان البابليون على علم بقاعدة مربع الوتر في المثلث القائم الزوايا التي اقتبسها فيثاغورس منهم. و وضعوا قاعدة لمساحة الدائرة $= \frac{1}{2} \pi r^2$. و الملاحظ مما سبق أنه يوجد ثلاث منابع للرياضيات البابلية و هي الحساب، المقاييس و الفلك.*

أما المقاييس كانت وليدة المعاملات التجارية، و وجدت أعداد هامة من الألواح الطينية التي هي عبارة عن وثائق تجارية**، و من أهم الملامح الأساسية للرياضيات في بلاد ما بين النهرين:

- فكرة المرتبة عند العدد، و كان هذا المبدأ ناقصا بسبب عدم وجود الصفر عندهم في البداية، لكن هذه الفكرة تضاعفت إلى غاية استعمال الأعداد الهندية.
- توسيع المقاس العددي و تطبيقه على المضاعفات الثانوية للوحدة كما هو الحال في المضاعفات، ثم اختفى هذا المبدأ الذي أعيد العمل به منذ 1585 ، حتى أن استعمال الأساس الواحد للأعداد و المقاييس اختفى و أعيد العمل به زمن الثورة الفرنسية.¹

* : في لوحة في متحف اللوفر (AO 6770) يعود تاريخها إلى 2000 قبل الميلاد، توجد مسألة رياضية حول إيجاد الزمن الذي يستغرقه مبلغ من المال ليضاعف نفسه بربح مركب بسعر الفائدة 20 %، فهي مسألة لإيجاد المجهول س في المعادلة $(0.12+1)^2$ س 2، أما النتيجة فهي 3.48 و 4 / 5 سنة (أي أن العملية وضعت بطريقة مضبوطة. انظر جورج سارتون، المرجع السابق، ج 1 ، ص 170 .

** : أثرت الكشوف العلمية البابلية في الشعوب الأخرى، تم إحياؤها عند الإغريق حوالي القرن الخامس قبل الميلاد، و كذلك منذ القرن الثالث قبل الميلاد عند أرخميدس و (هيرون) في القرن الأول الميلادي، ثم تلاشت نوعا ما، وأعيد بعثها مع العلماء العرب. انظر : المرجع نفسه ، ج 1 ، ص 172 .

1 : جورج سارتون، المرجع السابق، ج 1 ، ص 173 .

2.1.1.1 المنهج الرياضي لدى الهنود و الصينيين

إلى جانب المصريين و البابليين، هناك حضارات أخرى شرقية، ساهمت بدورها في تطور هذه العلوم و الرياضيات هم الهنود و الصينيون، أما في الصين فأقدم مؤلف في الرياضيات، وصل إلينا هو **theorique** ، و يعود إلى الألف الثانية قبل الميلاد، و تمت ترجمته على يد العالم الفرنسي (إدوارد بيوت، **Edaward Biot**) عام 1841 ، وبين أن الصينيين عرفوا النظام العشري في الترقيم، و أدركوا العديد من العمليات الحسابية، و الكسور و الجذور التربيعية، و وصلوا إلى حساب العديد من مساحات الأشكال الهندسية كالمستطيلات، والمربعات، و المثلثات و الدائرة و الأسطوانة، و حلوا المعادلات من الدرجة الأولى ذات المجهول الواحد و الدرجة الثانية.

وتعود جذور علاقة الصينيين بالمعارف الرياضية إلى حوالي القرن الرابع قبل الميلاد، و إلى جانب ذلك، تمكنوا من حل معادلات تصل إلى غاية الدرجة العاشرة، ويعود الفضل لهم في صناعة بعض الآلات الحسابية. و لقد استعملت الرياضيات الصينية خاصة الحساب و التقويم، في مجال الزراعة لحساب كمية المياه اللازمة لعملية الري، و طرق مسح الأراضي و تقسيمها.¹

و الجدول التالي في الشكل رقم يمثل الأرقام الصينية و ما يقابلها بالعربية²

: Maurice Carmy, L'histoire de methemathiques de l'antiquité, (Aticle sur Persee), P 1 489 .

2 : جون ماكليش، العدد ، ترجمة خضر أحمد، مجلة عالم المعرفة، العدد 251 ، الكويت، نوفمبر 1999 ، ص 83 .

الشكل رقم : (31) الأرقام الصينية و ما يقابلها بالعربية

الرقم التجاري	الرقم الأساسي	الرقم العصوي	الاسم الصيني	الرقم العربي
0	○	□	لينك	0
1	—	┆	أي	1
2	≡		إره	2
3	≡		سان	3
4	㊄		سزو	4
5	㊅		وو	5
6	𠄎	⌒	ليو	6
7	𠄏	⌒	شاي	7
8	𠄐	⌒	با	8
9	𠄑	⌒	شيو	9
10	+	—	شي	10

أما الهنود، فكانوا أكثر توفيقاً من الصينيين في مجال الرياضيات، حيث تعاملوا معها قبلهم و توجد دلائل تبرز أنهم تعاملوا مع عدد كبير من الأعداد، فوجدت أسماء خاصة لكل مضاعفات الرقم (10) على ثمانية أصفار، فاحتوت اللغة السنسكريتية على مضاعفات إلى ثلاثة و عشرون صفراً، على عكس ما عرف عند الإغريق، فلم يوجد ما هو أكثر من عشرة آلاف.

و أبرزت المعابد الهندية أنهم كانوا على دراية بعلم الهندسة، و ارتبطت اجتهاداتهم في مجال الرياضيات بالقواعد التي وضعوها للنظام العشري في الترقيم و ارتباطه بالقيمة الوضعية، ومن أهم مميزات الأرقام الهندية :

— اقتصرها على تسعة أشكال دون الصفر للدلالة على التسعة الأولى، و على أي عدد فوق ذلك مهما يكن.

– بساطة أشكال هذه الأرقام و وضوحها.*

كما أدركوا المتواليات الحسابية و الهندسية، و اكتشفوا طرقا للبحث و التوافق، و عرفوا الجذور التربيعية و التكعيبية، و توسعوا في دراسة المربعات السحرية إذا جمعت في خاناتها طولاً أو عرضاً أو توتيراً كان لها مجموع ثابت. و نقدوا أيضاً بحوثاً في مجال الحساب، و وردت عنهم العديد من المسائل الحسابية و طرق حلها. كما عرفوا العمليات الأربعة، و الكميات السالبة و ميزوا بينها و بين الكميات الموجبة، و حلوا المعادلات من الدرجة الثانية جامعين بينها و بين مجموعة من المعادلات.

وما تقدم نستنتج أن حضارات الشرق القديم الأدنى منه و الأقصى قد لعبت دوراً كبيراً في نشأة و تطور الرياضيات، و يؤكد العلماء أن الإغريق اطلعوا على هذه المعارف، و استفادوا منها استفادة كبيرة.

2.1.1. الرياضيات عند الإغريق:

1.2.1.1 ضرورة الرياضيات عند قدماء الإغريق

نشأ المجتمع الإغريقي نشأة المجتمعات الأخرى، و تطورت مظاهر الحياة به، ومرت بمراحل مختلفة من التطور و الانحدار مثله مثل باقي المجتمعات الأخرى. و مع مطلع القرن السادس قبل الميلاد تنامت حركة التجارة بالمدن الأيونية، فأصبح المجتمع هناك يعج بأصحاب الحرف و التجار الذين تواصلوا مع منطقة الشرق القديم. و إستلزمت ضرورة الحياة الجديدة البحث عن طرق جديدة للقياس و الحساب و ضبط الموازين و المكييل، بمعطيات حياتهم و خاصة النشاط التجاري.

* : تستعمل الأرقام الهندية النظام العشري المحدد المنازل، حيث يكون للرقم قيمتان، قيمة في نفيه، و قيمة أخرى بالنسبة إلى المنزلة التي يقع فيها، مثل العدد (222) المركب من الرقم (2) مكرر ثلاث مرات، فهو في منزلة الأعداد قيمتها (2) و في منزلة العشرات قيمتها (20) و في منزلة المئات قيمتها (200) .
انظر محمود محمد علي ، المرجع السابق ، ص 109 .

وهذا ما يدفعنا للقول في مستهل هذا العرض أن الرياضيات الإغريقية – بعكس ما يقول أصحاب نظرية المعجزة الإغريقية – نشأت لأغراض معرفية بحتة. فالرياضيات الإغريقية استمدت أصولها إذن من الرياضيات العملية، و ممارسة الحياة اليومية التي نشطت عندهم في الضفة الشرقية من البحر الأبيض المتوسط.¹

ورغم محاولة المفكرين المتأخرين إبعاد الرياضيات الإغريقية من هذه الجذور، إلا أنه في حقيقة الأمر يجب التعامل بحذر مع هذا الإدعاء لأن كل من برز فيه من علماء الفترة الهيلينية أو حتى الهيلينية لم يولدوا في بلاد الإغريق القارية، رغم أنهم كتبوا بلغة إغريقية مع أنهم لم يأتوا منها.

2.2.1.1 تأثير الرياضيات الشرقية في الرياضيات عند الإغريق.

أخذ الإغريق الكثير من أصول الرياضيات من عند الشرقيين و درسوها، و أضافوا إليها، خاصة في مجال الهندسة التي وضعوا لها براهين و نظريات، و يشهد بذلك أفلاطون و حتى أرسطو الذي يقر بصريح العبارة أن مصر هي أصل الرياضيات.

و يقول أفلاطون في محاوره فايدروس: «لقد سمعت رواية تروي أنه قد عاش بمصر بالقرب من (نقراتيس) أحد الآلهة القديمة في تلك البلاد، و كانوا يرمزون لهذا الإله بالطائر و الذي يسمونه كما نعلم (إبيس) أما الإله فإسمه (تحوت)، و هو أول من اكتشف علم العد و الحساب، و الهندسة و الفلك، و اكتشف أيضا الحروف الأبجدية، و قد كشف سر الحكمة و الذاكرة»²

1 : جاكين ستيدال، تاريخ الرياضيات، ترجمة محمد عبد العظيم سعود، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، القاهرة، مصر، 2016، ص 23 .

2 : أفلاطون ، محاوره فايدروس أو عن الجمال، ترجمة أميرة حلمي مطر ، دار غريب ، مصر، 2000 ، ص ص 109 – 110 .

كما أن طاليس نفسه الذي تلقى تعليماً بمصر، يمكن أن يكون قد تأثر بالرياضيات المصرية، أما فيتاغورس، فمن خلال رحلاته إلى مالطية و فينيقيا و مصر و بابل، فمن المؤكد أنه تلقى علومها على يد الكهنة هناك، حتى أن جدول الضرب الذي نسب إليه لم يكن من اختراعه، لأنه من المحتمل أن جداول أخرى سابقة عليه كتبت بالهيروغليفية¹، وكانت كل انجازات المصريين و العراقيين في هذه المعارف الرياضية قد دونت، حتى نظرية فيتاغورس الشهيرة في المثلث القائم الزوايا قد عرفت قبله لدى قدماء المصريين.

فالرياضيات الإغريقية لم تنشأ من فراغ، بل هي تأثر بمعارف متراكمة عن الشرقيين (خاصة المصريين و البابليين)، و اتضح هذا التأثير خاصة في المرحلة الهيلينستية من خلال عدة مؤلفات، أي أنها نشأت في منطقة الشرق القديم على يد البابليين و المصريين و الصينيين و الهنود، ثم انتقلت هذه المعارف المكدسة إلى الإغريق الذين أضافوا إليها اجتهادات جديدة.

3.2.1.1 الأعداد الإغريقية

كان للإغريق نظامان عدديان مختلفان، فكان أقدمهما يستعمل في تسجيل الحسابات العامة بطريقة النقش منذ القرن الخامس قبل الميلاد حتى القرن الأول قبل الميلاد، و كان يعرف بنظام الأعداد الهيرودية Herodian، و نظام الأعداد الأتيكية (Attic)، نسبة إلى إتيكا، وكان العدد 10 هو أساس هذين النظامين، و قد إستعملا فيهما الحرف الأول للكلمات الدالة على الأعداد لتمييز بعضها عن بعض، و لم يكن فيها وجود للصفر².

أما النظام الثاني فيعرف بالأيويني أو الإسكندري، نسبة إلى المنطقتين التي استعملتا فيها، وهو الذي حل محل الأعداد الأتيكية حوالي القرن الأول قبل الميلاد، و كان مؤلفا من 24 حرفا من الأبجدية الإغريقية و من ثلاث حروف أخرى أسندت لها قيم محددة .

1 : جورج سارتون ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 417 .

2 : جون ماكليس، المرجع السابق، ص 111 .

α	β	γ	δ	ϵ	ζ	η	θ	
1	2	3	4	5	6	7	8	9
ι	κ	λ	μ	ν	ξ	$\omicron$	π	ς
10	20	30	40	50	60	70	80	90
ρ	σ	τ	υ	ϕ	χ	ψ	ω	λ
100	200	300	400	500	600	700	800	900

الشكل (32) الأعداد الإغريقية

4.2.1.1 فيتاغورس و الرياضيات الشرقية

ارتبط اسم فيتاغورس بنظرته الشهيرة، مربع الوتر في المثلث القائم الزاوية يساوي مجموع مربعي الضلعين الآخرين، و لكن في حقيقة الأمر لم يكن هو من وضع هذه النظرية، فإذا عدنا للرياضيات المصرية لوجدنا أنهم استعملوا نسبة 3 ، 4 ، 5 في تعيين الزاوية القائمة في البناء¹، و كانت للبابليين آرائهم في المثلثات القائمة، و سبق الإشارة أن فيتاغورس زار هذين البلدين و استفاد من ذلك.²

وتكمل أهمية فيتاغورس أنه أنشأ مدرسة فكرية* أنجبت ما يعرف بالفيتاغورسيين، و هم أتباع مذهبه و إليهم تعود أغلب انجازات الفكر الإغريقي في مجال الرياضيات. من دراسة الأعداد و خواصها الفردية و الزوجية، الأولية و المركبة، الناقصة و الزائدة، و المتواليات العددية و الحسابية و الهندسية و التآلفية و التشكيلية، و غيرها من الأسس الأولية لنظرية الأعداد. و المضامين الجوهرية للمتواليات. حيث كان ذلك لب علم الحساب عند الإغريق، أما العمليات الأربعة من جمع و طرح و قسمة و ضرب، فقد كانت معروفة عندهم.**و الجدير بالذكر أن تعاليم فيتاغورس كانت نظرية (شفهية) و ما كتب حوله يعود إلى القرن الرابع و الثالث قبل الميلاد، و من مبادئه في الرياضيات ما يلي :

1 : أحمد سليم سعيد سعيدان، مقدمة لتاريخ الفكر العلمي في الإسلام، مجلة عالم المعرفة، العدد 131 ، المجلس الوطني للآداب و الثقافة و الفنون ، الكويت ، نوفمبر 1988 ، ص 41 .

2 : Gullamme Boude, Op Cit, P 84 .

* : امتد تأثير المدرسة الفيتاغورسية إلى العالم الإسلامي، و هو ما تجلّى واضحاً في جماعة (إخوان الصفا) التي ظهرت حوالي القرن الرابع الهجري، و العاشر ميلادي في بغداد، و انتهجوا نفس منهج فيتاغورس، إذ روجوا لتعاليم فكرية و ثقافية يتبادلونها في حلقة مغلقة، تقتصر على أتباع الجماعة محاطة بسرية تامة، كون الجماعة لم تلق ترحيباً في العالم الإسلامي، بل لاقت ريبة و حذراً أن يكون لها أفكار مذهبية و سياسية هدامة و قد وضعوا إحدى و خمسين رسالة موجودة في أكثر من طبعة. أنظر : المرجع نفسه ، ص 42 .

** : لقد تأثر العديد من الرياضيين الإغريق في جنوب إيطاليا و الإسكندرية منهم أرخميدس، إقليدس، بطليموس، و لم يكن هؤلاء فيتاغورسيين، بسبب انقسام المدرسة.

أنظر : أحمد سليم سعيد سعيدان، المرجع السابق، ص 42 .

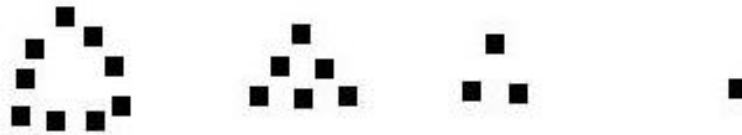
-
- + 7 + 5 + 3 + 1
- | | | | | |
|--|--|--|--|--|
| | | | | |
| | | | | |
| | | | | |
| | | | | |

301

- أحب فيثاغورس و أتباعه العدد (10) لأنه منه تتكون الأعداد (1 + 2 + 3 + 4)¹
- اعتبار العدد هو المادة الأولية لتكوين الكون .
- أطلقوا على النقطة رقم (1) و الخط رقم (2) و المسطح رقم (3) و المجسم رقم (4)، تنسقا للعدد الأدنى للنقطة اللازمة للتحديد، و تضاف كل هذه الأبعاد لبعضها البعض، و الخطوط تضاف إلى بعضها البعض لتصبح مسطحات، والمسطحات تضاف إلى بعضها البعض لتكون أجسام، و من الواحد و الاثنين والثلاثة و الأربعة يمكن لهم حقا أن يقيموا عالما بأكمله، و مجموع هذه الأعداد العدد (10) (1 + 2 + 3 + 4) ، و هو بذلك قوة مقدسة شاملة.²

الشكل (32) دراسة الأعداد بشكل رمزي

عبروا عن الأعداد الثلاثية بشكل



و الأعداد الرباعية بالشكل التالي:



1 : أحمد سليم سعيد سعيدان ، المرجع السابق ، ص 44 .

2 : بن يامين فرنهاين ، المرجع السابق ، ص 54 .

و الأعداد الخماسية بما يلي :



وهي طريقة جديدة في تحليل خواص الأعداد، مكنتهم من إيجاد تماثل بين الأعداد والأشياء:

- تحديد خصائص نظام الكون.¹
- ظهور الفلسفة الرياضية كمنافسة للفلسفة الأيونية الطبيعية .
- احتواء نظرية الأعداد على قدر هام من التجريد و العلاقات الرياضية لتحل محل الملاحظات الطبيعية.
- استنتاج أن الأجرام السماوية كاملة التكور و تدور في دوائر كاملة الإستدارة.²
- تطبيق النظريات المتوصل لها في مجال الرياضيات على علم الفلك.

5.2.1.1 إقليدس و منهجه العلمي :

عاش إقليدس في منطقة الإسكندرية عام 350 ق.م ، كان أهم علماء عصره، وضع كتابا من ثلاثة عشر جزءا، سماه العرب (كتاب الأصول)، تأثر بفلسفة أرسطو، و رأى أنه يجب أن يكون له منطلقات أولية تبنى على كل المفاهيم ، و المفاهيم عنده تتمثل في النقطة و الخط والسطح، و من مبادئه:

1 : Arbold Reymond, L'evolution de la pensée scientifique et l'histoire des sciences, (Persee) , P 203.

2 : بن يامين فرنهاين، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 57 .

- النقطة شيء ليس له أبعاد، و لا طول و لا عرض، و لا عمق.
- الخط شيء ذو بعد واحد لا غير، أما السطح فذو بعدين.
- فبدلالة هذه الأشكال عرفوا الصور و الأشكال الهندسية، كالزاوية و المثلث و المربع و الدائرة، وهي مفاهيم يجب أن تكون مدعومة ببراهين عن طريق البرهان الإستنتاجي، فتصبح حقائق مسلما بها بدون براهين. و بدلالة هذه المفاهيم و المسلمات و البديهيات يبنى البرهان الرياضي. و لقد وضع إقليدس عشر بديهيات خمسة منها عامة تفسر عليها كل فروع الرياضيات و العلوم المنطقية، وتخص الخمسة الأخرى الهندسة، والخمسة العامة أهمها :
- الأشياء التي تساوي شيئا واحدا أو تساوي أشياء متساوية تكون متساوية .
- إذا أضفنا أشياء متساوية إلى أشياء متساوية كانت النتائج متساوية :
- الكل أكبر من كل جزء من أجزائه.
- إذا طرحت أشياء متساوية من أشياء متساوية كانت البواقي متساوية.
- و الخمسة الخاصة بالهندسة :
- هناك خط واحد يصل بين نقطتين، و الخط عنده هو الخط المستقيم .
- كل خط يمكن أن يمد من كل طرفيه من دون خط.¹
- يمكن رسم دائرة من كل مركز مفترض، و من كل بعد مفترض.
- الزاوية القائمة متساوية
- إذا قطع قاطع مستقيمان، فالمستقيمان إذا مدا في الجهة التي يكون فيها مجموع الزاويتين المحصورتين بين القاطع اقل من القائمتين.

1 : أحمد سليم سعيد سعيدان، المرجع السابق، ص 46 .

ومنه نجد أن إقليدس استطاع إقامة المعارف الرياضية في إطار نظري، وكان ذلك بالتالي أساس الهندسة الكروية والهندسة التحليلية، بل ساهم مساهمة فعالة في إقامة مبادئ الرياضيات التقليدية.*
و لكن ما وصل إليه إقليدس بناه على أساس معارف فيثاغورس**، إلا أن التطور الملحوظ لمجال التنظير في العلم الإغريقي و الرياضيات منه لم يبلغ مرحلة مهمة إلا في عهد أرسطو الذي وضع نظرية المعرفة.

6.2.1.1 نقد النظرية :

اتجه المفكرون في العصور الحديثة إلى دراسة الفكر الإغريقي بكل جوانبه، و في مجال الرياضيات يرى ديكرت أنه ليس في العالم حقائق مطلقة إلا ما في رياضيات إقليدس، لأنها الوحيدة التي لا تعتمد على الحواس، و تعتمد على الاستدلال المنطقي المجرد. فإلى أي مدى يصدق ذلك؟ و الواقع يبرز أن إقليدس أيضا استند إلى الحواس؟ كيف بحكم أن النقطة ج تقع بين النقطتين أ و ب، إن لم يكن ذلك بالاعتماد على النظر. يرى أن الشكل الرباعي هو شكل مستو ذو أربعة أضلاع، فإن ذلك يدخل في إطار الاعتماد دائما على المبدأ الحسي و هو النظر.

و منه يجب القول أن البراهين هي حسية، تعتمد على النظر و الملاحظة، و مما قدم إليه من نقد أنه حدد البديهيات بعشرة، و لكن في حقيقة الأمر توجد عشرات البديهيات. و عليه فإن الفكر الإغريقي في مجال الرياضيات رغم تعدد النظريات فإنها تحمل بعض الأخطاء التي وقع فيها

* : لم تعوض الرياضيات الحديثة ما ورد في الرياضيات التقليدية، بل هي امتداد لها، و لكن تتميز الرياضيات الحديثة بكونها ذات أوليات جديدة تستند إلى خبرات منطقية أكثر سعة و رصانة من الرياضيات التقليدية.

أنظر : أحمد سليم سعيد سعيدان، المرجع السابق، ص 47 .

** : أعيب على فيثاغورس بناء معارفه على مفاهيم لا وجود لها، و أبرز من انتقده معاصره أبروتاغوراس. انظر : المرجع نفسه، ص 48 .

المفكرون الإغريق، و ما هو إلا نظري و حسي و بشري، يفترض فيه الخطأ بدلالة العلم الحديث. و كل ذلك يفند المعجزة مادام أخذ معارفه من سابقه و انتقده لاحقيه*

وتكمل إشكالية الرياضيات الإغريقية في عدم وجود مؤلفات مدونة تجزم بصحة هذه المعارف، ولا يمكن أن نبرح هذا المجال دون التطرق أنالى مساهمة أخرى للمفكر هيوكراتيس (Hippokraties) من جزيرة جيوس حوالي القرن الخامس قبل الميلاد وبحث خاصة في مجال الهندسة و يودوكسوس من كنيديوس (390 ق.م 340 ق.م) وجمع بين الرياضيات و الجغرافيا و المعرفة الفلسفية وكان تلميذ ارخيتاس (Aechitas) في الهندسة . زار مصر و نحل من معابدها على يد الكهنة ثم عاد إلى أثينا ليلقي دروسه التقى بأفلاطون و توفي في سن الثانية و الخمسين ابتكر طريقة التناسب في مجال الهندسة، تستخدم في الأحجام التي يمكن قياسها و الأحجام التي يتعذر قياسها. طور منهج التعامل مع الحد (الذي سمي فيما بعد منهج الاستنفاد)

وإذا عدنا إلى فيتاغورس لوجدنا أن نظريته حول الأعداد التي تعتبرها نماذج أصلية مقدسة موجودة في عقل الآلهة من البداية . هو تأكيد آخر انه لم يفصل الجانب الديني على عكس

* : لم تكن الهندسة درس في دقة الاستدلال المنطقي فحسب، بل يجب أن يعتمد على العنصر الحسي، و النظر، و من مواطن أخطائه، إليك الخطوات التالية الشهيرة التي نسبت استنادا إلى نظريات إقليدس و منطق أن كل مثلث متساوي الساقين أ، ب، ج مثلث مختلف الأضلاع أم مستقي ينصف زاوية الرأس. م ل العمود المنصف للقاعدة ب ج
 - التقى أم ، ل م ، في م و انزل من م الخطين م ك و م ن عمودين على أ ب و أ ج
 فيكون المثلث Δ أ ك م = Δ أ ن م (تساوي الزوايا) و الضلع تناظريا
 فيكون م ك = أ ن . و لأن م ل العمود المنصف للضلع ب ج فيكون
 Δ م ب ل = Δ م ج ل ← ضلع + ضلع م ب = م ج
 إذن Δ م ك ج = Δ م ن ج (وتر ضلع قائمة)
 و ليكون ك أ = أ ن ، إذا أك = ك ب = أ ن + ن ج أي أن أ ب ، ا ج .
 و لكن المثلث مختلف الأضلاع فالنظرية إذن خاطئة. و هناك انتقادات أخرى للنظرية.
 انظر : أحمد سليم سعيد سعيدان، المرجع السابق، ص 50 - 51 .

ذهب إليه دعاة العبقرية الإغريقية مما زعموا فصل العلم الإغريقين الدين وان المعرفة كانت عقلية خالصة رافضين بذلك الفكر الشرقي كونه ديني لقد كان الواحد - حسب فيتاغورس - أول عدد ثم خلقه و يقرنه بالإله الخالق بطريقة خاصة وكانت له صفات مقدسة كالوحدانية والكمال والقدرة على الخلق ، ولقد شارك العدد واحد والعدد اثنان (2) في هذه المميزات الخاصة لأنه كان الأول في سلسلة الأعداد الزوجية *

إن المعرفة مهما كانت ليست مطلقة تجريبية أو تجريبية، حتى فكرة ديكارت حول الرياضيات الإقليدية هي ليست مطلقة ورغم ذلك فان لمسة الإغريق في هذا المجال تبين أن فيتاغورس يعد أول من أسس مدرسة و جمع أتباعا يتلقون تعاليمه، و رغم كون مدرسته تعد ضربا من عبادة الأبطال بالاستسلام لفكر فيتاغورس و إقتصار فكرهم على استلهم ما جاء به .

ولكن ميزة الفكر الإغريقي انه أنتج نظرية و خلق جدلا بينهم حول صحة هذه النظريات والبدهييات و المسلمات بدأت من أرسطو وانتهت إلى فترة العصور الحديثة ولكن لم ينطبق هذا المعيار على الإمبراطورية الرومانية في فترة العصور الوسطى حتى عندما قامت مدرسة كنسية اهتمت فقط بملكوت الرب وليس ملكوت العقل إلى غاية مجيء الإسلام، فأنجازاتهم في مجال الرياضيات

* : بعد موت فيتاغورس واصل أتباعه أعمالهم لمدة من الزمن ، و لقد ساعدت زوجته (تيانو - Theano) و بناته في الحفاظ على هذه التقاليد الراسخة، و يقال أن زوجته أنجرت بحثا حول نظرية (المقطع الذهبي)، و هو موضوع إكتسب أهمية في نظرية الفن بعد ذلك بقرون، و لكن لا يوجد سجل لهذا البحث .

و لقد اهتم مفكرو العصر الهيلينستي و ما بعده بدراسة أفكار فيتاغورس، و حتى من جاؤوا بعد إقليدس، و الذين تأثروا به، و من بين هؤلاء (تيون - Theon) الذي ذاع صيته عقب البحث الذي أنجزه حول كتاب الأصول، و تكلف بتدريسه ابنته (هيباتيا - Hypatia) التي وجدت بعد فيتاغورس بحوالي سبعة قرون، حيث كان من النادر تلقي امرأة أي نوع من العلم. و تألفت إلى درجة أنها عينت أستاذة في المعهد الذي كان والدها يدرس فيه الفلسفة و الرياضيات، و سجلت محاضراتها راجا كبيرا، كما تميزت بجمالها، إلى درجة أنها كانت تحاضر من وراء حجاب لإخفاء جمالها عن الحاضرين من الطلاب خوفا من صرف انتباههم عن محتوى المحاضرة. و يقال أنها اخترعت عدة آلات كالأسطرلاب للرصد الجوي، و جهاز التقطير و أداة قياس الرطوبة الجوية، و ألقت كتب عن النظريات الرياضية القديمة . و كان موتها على يد بعض المسيحيين، و هو رمز للإضطهاد الفكري لآخر العلماء الوثنيين حوالي القرن الثالث الميلادي.

انظر : جون ماكليتس، المرجع السابق، ص 128 - 129 .

تتميز بالتطور أكثر مما خلفه خلفائهم في أوروبا إلى غاية عصر النهضة بغض النظر عن التراث الإسلامي الذي اتجه إلى الاهتمام بما خلفه العلماء الإغريقي

2. الفلك

1.2 الفلك في الحضارات الشرقية القديمة

1.1.2. التنجيم مهد لولادة علم الفلك بحضارات الشرق القديم :

أدرك القدماء تلك التغيرات التي أحاطت بهم من مختلف ظواهر الطبيعة من حركة النجوم و الكواكب و مختلف الأجرام السماوية و هو ما اضطر الإنسان منذ البداية إلى البحث عن طريقة لإيجاد التقاويم ليبرمج على أساسها رزنامة أعماله، و ساعده جو منطقة الشرق الأدنى الصافي على إمعان النظر في مختلف هذه الظواهر، و لقد ارتبطت هذه الملاحظات لمصائر البشر ومدى تأثيرها على الطابع الإنساني و ساعد في تطور ذلك عدة عوامل أهمها :

- تطور المعارف الرياضية و طريقة الحساب في كل من مصر و العراق.
 - اختلاف الظواهر الطبيعية من كسوف و خسوف و تعاقب الليل و النهار مما تطلب الرغبة في البحث عن أسبابها.
 - الاهتمام بالتنبؤ و التنجيم و قراءة الطالع.
 - الرغبة في ضبط رزنامة التقويم من الشهر و السنة سواء كان قمريا او شمسيا .
 - الرغبة في ضبط مواعيت الأعياد الدينية .
 - تحديد المواسم و الفصول لمعرفة مواسم الحرث و الزرع و الحصاد.¹
 - ظهور وسائل الكتابة و تطور المراصد الفلكية.
- و فيأواسطالألفأول قبل الميلاد كان الكهنة في بلاد ما بين النهرين قد أوصلوا الفلك إلى مستوى لافت للانتباه حيث كتب (ف.يلاريشيف) في هذا السياق في كتابه عجلة الزمن (أن

1 : فاضل عبد الواحد ، علي عامر سليمان، تاريخ العراق القديم، الجزء 2 ، بغداد ، 1990 ، ص 208 .

كهنة الرافدين أنشئوا نموذجاً للكون انقسم فيه هذا الأخير إلى ثمانية مجالات ربطوا بها القمر اقرب المجالات إلى الأرض و الشمس و خمسة كواكب و نجوم ثابتة. (

و يعد المجال القمري الأهم في بنية النظرية العامة للبناء الكوني، لأنه يجاور بطريقة مباشرة مهد البشرية و مستقرها الأرض ، و لأنه يحدد وفق رؤية الكهنة حدود الوسط الذي يولد فيه الكائن الحي ثم يموت، و لا يمكن لشيء أن يكون خارج هذا الإطار، والرؤى القديمة ربطت التعاقب الدوري لحركة القمر في شتأطوارهم مختلف التغيرات الدورية للوجود.¹ و لقد انقسمت القبة السماوية عندهم إلى اثني عشر قطاعاً موزعة على ثلاثة أوساط و قسموا السماء إلى ثلاثمائة و ستون جزءاً أو درجة حسب عدد أيام السنة الشمسية القديمة. فمنذ أواخر الألف الثاني قبل الميلاد توصلوا إلى معرفة البروج.*

لقد استخدم كهنة بلاد ما بين النهرين نظام العد الستيني بوصفه النظام الأكثر ملائمة للأبحاث في مجال الفلك، كما قسموا النجوم إلى مجموعات، و ذلك في العصر البابلي القديم، كنجوم عيلام و نجوم أكاد و نجوم الثور، و مع تطور الزمن تجددت التسميات كنجوم اياو و نجوم انوا و نجوم انيل، و لقد أطلق اسم (أستروليابيا) على التقليد الحديث للوائح النجوم، و منها و منها أستروليابيا

1 : بين بريكو شينكين، أسرار الفيزياء الفلكية و الميثولوجيا القديمة، ترجمة حسان ميخائيل إسحاق، الطبعة 3 ، منشورات علاء الدين، دمشق، سوريا، 2010 ، ص 65 .

* : توصلوا إلى ذكر برج الحمل، الثور، التوأمين، الدبوس، الكلب (برج الأسد) و سنبله العذراء، و النير، و العقرب، والقوس ، و الحوت و الجدي و قنديل الزيت و دجاجة الماء ، و انحصرت دائرة هذه البروج حسبهم إلى 36 منزلاً للقمر، و كانت في شكل مجموعات من النجوم متباعدة الواحدة عن الأخرى بحوالي إثني عشرة درجة، و حسبهم كان القمر يلقي نفسه أثناء حركته على صفحة السماء كل ليلة من ليالي الشهر المتعاقبة في المنزل الذي يلي و هذه اللحظات تسمح بتحديد وضع القمر بدقة. انظر المرجع نفسه ، نفس الصفحة.

و انظر أيضاً :

ديلاووت ، المرجع السابق، ص 318.

(B) التي يعود تاريخها إلى ألف و مائة قبل الميلاد. ولقد اخذ الإغريق ثم الرومان هذا التقليد و منحوه حروفا لاتينية، و من الواضح أنحركة الكواكب ارتبطت بالديانة البابلية القديمة.¹

و اعتمادا على النظام الستيني وضع الكهنة لكل اله عددًا مقدسا، فكان العدد الأكبر من نصيب أقدم الآلهة (أنوا) و العدد خمسون للإله (أنيل) و العدد أربعون للإله (ايا) و العدد ثلاثون للإله (بين) و العدد عشرون للإله (شاماش) و العدد عشرة للإله (مردوخ) بوصفه احد الآلهة الشباب، و في كل عام جديد أمام نصب الإله مردوخ يتم تحديد المصير في العام القادم.

لقد نجح الكهنة في حل مسألة حساب خط سير القمر المعقدة و ذلك وفق إحدى عشرة عملية حسابية، و فصلوا بنتيجة ذلك على أزمنة نقاط اتصال القمر و نقاط تضاده حيث تلي الواحدة الأخرى، و حصلوا كذلك على تاريخ القمر الجديد و مواقيت التصاقه وأجروا مقارنات بين هذه المعطيات و قواعد تحديد عرض القمر الذي تتبدل بانسجام بصورة كيفية، و يتمثل في صورة خط منحرج حاد الزاوية، و ذلك كله مكنهم من حساب مواقيت الخسوف و الكسوف، بدقة تراوحت بين الساعة و ربع الساعة، و كان الهلال لديهم يرمز إلى بداية الشهر.

1.1.1.2 قصة الخسوف و الكسوف:

لقد وصلت ألينا جداول الخسوف و الكسوف * التي رصدت في وادي الرافدين، و ارتبط تطور هذه المعارف بفلكيين بابليين (نابوريان و كيدينيو) الذين وصفا تلك الجداول، و لقد استخدم

A , Bouché – LECLERCL , L'astrologie Grecque , Ernest Le Roux, Editeur , Paris . 1899 , 1 P 1 .

* : لقد ولد علم الفلك في حضارات الشرق القديم، و هيكّل عبر جسر حضارتي الإغريق و الرومان، حيث تطورت هذه المعارف على يد المصريين و الكلدانيين و يعود الفضل في ذلك إلى الكاهن الكلداني (بيروس BEROSE)، حتى ان طاليس كان تلميذا للمصريين و العراقيين القدماء.

انظر حول ذلك

Ibid, P. P 1,2.

وصول الكسوف و الخسوف فيما يتعلق بتفسير القدماء في بلاد ما بين النهرين لأسباب حدوثهما، فذلك يتعلق بصراع يحدث بين مختلف الآلهة في السماء، أما في الأرض فينتج ذلك عن حدوث الفيضانات ليحل انتشار الأوبئة و الطاعون و الأمراض

في بابل نظامين لحساب خسوف القمر النظام A و النظام B، ويقوم الفرق الأساسي بينهما أن الشمس تتحرك في النظام A لسرعة ثابتة (30° في الشهر) في سطر واحد من نقطة الأفلاك، و بسرعة ثابتة أخرى في السطر المتبقي بينما في النظام B تتزايد السرعة التي تقطعها الشمس كل شهر أو تتناقص من شهر لآخر بنظام ثابت.

و ربما يكون نظام A أقدم مثال للنظرية التجريبية من جهة و الرياضية البحتة، ومن جهة أخرى هو تجسيد للنظرية الرياضية، و لقد ساهم هذا النظام في تطوير المعارف الرياضية خاصة فيما يتعلق بنظام المتواليات الحسابية، و لقد استمر بالعمل بهذا النظام إلى غاية القرن الأول قبل الميلاد دون أن يلحظ أي تغيير ، و اغلب الظن أن واضع النظام A هو (نابوريامانو أو نابوريانو) لأن نص الجدول القمري انتهى بالإشارة إلى اسمه.

أما النظام B فإنه ينسب إلى (كيدينو)، و لقد ورد اسم هذا الفلكي عند مؤلفي الإغريق، و يبدو أن النظام A ابتكر حوالي 610 ق.م و النظام B ابتكر حوالي 500 ق.م. و حسب المناقشات التي أجراها الإسكندر المقدوني و كالفيسفين مع الكهنة فإن المعابد في بلاد ما بين النهرين كانت تخزن ملخصات مهمة لنتائج أرصاد السماء، حيث أخبر الكهنة الإسكندر انه وقع في وادي الرافدين خلال 1903 سنة حوالي 832 خسوفا قمريا و 373 كسوفا شمسيا .

إن هذا اثبت تطور مجال الفلك و شدة الاهتمام به عند القدماء، خاصة في بلاد ما بين النهرين، و إن دل على شيء يدل على مدى حرص الكهنة على تدوين مختلف هذه الحركات

و الموت ، و لا يسلم من ذلك حتى الملك الذي ينتقل إلى الريف ليحل محله ملك آخر ، و بعد انتهاء ذلك يعود الملك إلى قصره.

انظر : بريوشينكين ، المرجع السابق ، ص 70 .

الفلكية، و يكفي أن نقول أن في الثقافة الأوروبية الحالية و التي تفتخر بعراقة تقاليدها فهي لا يمكنها أن تفتخر بأكثر من قرنين راقب خلالها فلكيوها السماء مراقبة دؤوبة.*

2.1.1.2 علم الفلك البابلي القديم:

إذا أردنا تقييما لعلم الفلك البابلي فإننا نحاول دراسة ذلك من خلال مؤلفات ركزت على قيمتها العلمية كونها أساس لنشأة علم الفلك في بلاد الإغريق. حيث ذكر (يو. أ. رافيناغين) في كتابه (علم الفلك في بابل القديمة رؤية جديدة) جملة من آراء مجموعة من الباحثين في مجالات مختلفة الفيزياء و الرياضيات و الفلك، كما يوجد مؤلف آخر (لروبرت نيوتن) (جرمة كلاوديوس بطليموس) طرح فيه أن فكرة متوسط حركة الكواكب الذي أراده بطليموس في مؤلفه في مجال علم الفلك (الماجيسي) لها أصول بابلية، كما كتب ن. إيديلسون في كتابه (تمارين في الميكانيكا السماوية) كتب عن النسب المعروفة في نظام مركزية الشمس البطليموسي و التي أدرجت في

* : لقد حاول العالم فان دير واردن ان يقسم علم الفلك البابلي إلى عدة أطوار :

- الطور الآشوري الأخير بين عامي (1000 - 612 ق.م) و تميز بنجاحات لعدة أسباب منها دراسة النجومو تحركاتها، و إبراز دائرة البروج باعتبارها دروب القمر و الشمس و الكواكب، و كذلك الرصد المنظم لحركات الخسوف و الكسوف.
- الطور الكلداني الفلكي (612 - 539 ق.م) و تميز بتقسيم دائرة البروج إلى اثني عشرة علامة و رصد القمر و الكواكب بطريقة منظمة انطلاقا من حركة النجوم الثابتة.
- الطور الفارسي الرياضي (539 - 331 ق.م) و تميز بالقدرة على تحديد أطوار الشمس و القمر و الكواكب تحديدا دقيقا. و ارتبطت هذه الأطوار بظاهرة التنجيم .

و لقد اتخذت هذه الأبراج لديهم أشكالا مختلفة حيوانية و آدمية و أشكالا أخرى، حيث كان يمارس التنجيم لمعرفة مصائر الناس و الملك و البلد، و كشف الطالع و ذلك حسب اقتران اليوم بأحد الأبراج، و الجدير بالذكر أن هذه المعارف قد انتقلت إلى الإغريق و الرومان فيما بعد. و للتنجيم علاقة وطيدة بالسحر و الاعتقاد بالشياطين، و لقد مورس السحر على طرفيه الضار و النافع الذي يقصد به شفاء المرضى حسب الأمراض التي تتسبب الشياطين فيها ، و ذلك بطرق مختلفة كالتعاويذ، حتى أن بعض هذه التعاويذ وصفت على الألواح الطينية ، و لقد ارتبط ذلك بتطور علم الفلك الرياضي الذي يعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد، و استعمل على نطاق واسع خلال العصر الأخميني لينتقل بعد ذلك إلى الإغريق الذين طوروه في قضايا علمية، حتى أن الخير البابلي القديم تصور حالات الكسوف و الخسوف بأشكال بيانية.

انظر : برنو تشينكين ، المرجع السابق ، ص 73 .

جورج سارتون ، المرجع السابق ، 459 .

(الماجيستي) هي كذلك لديها نشأة بابلية، مع حرص بطليموس الشديد على إخفاء وإزالة اسم أريستارخا لناموسي .

لقد كانت نقطة انطلاق العمل وفق قول (زافيناغين) فيما يتعلق بمفهوم الشهر المتوسط الذي استخدم في الماجيستي، و بعده التقويم الأوروبي الذي أنشأ حوالي القرن الخامس ميلادي يصفه (هيبارخ) كما يؤكد بطليموس، إنما ظهر قبل ذلك بزمان طويل، إذ وصفه الفلكيون البابليون ودون في رقم مسمارية من الطين المستوي عثر عليها الأثريون تحت آثار مدينة بابل، و هو ما تحدث عنه نيوتن في كتابه (جريمة كلاوديوس بطليموس)*.

و الجدير بالذكر أن بطليموس كان على دراية بالألواح البابلية الفلكية حتى انه استعمل نظام العد البابلي في مختلف حساباته الفلكية. كما استخدم البابليون المتواليات الحسابية و الهندسية في حساب طول الليل و النهار، و تحديد الانقلابين الصيفي و الشتوي، كما أدركوا الاعتدالين الربيعي و الخريفي، و ما يترتب عنه من تساوي في طول الليل والنهار .

لقد استطاع قدماء العراق حل طريقة التقويم الزمني و استعملوا الشهر القمري الذي تقدر السنة فيه 354 يوما، و هي بذلك تقل عن السنة العادية، و أمام عدم الانسجام بين السنة القمرية

* : لقد توصل البابليون إلى تقدير بعض المفاهيم منها الشهر النجمي المتوسط و الذي اعتمد عليه بطليموس في الماجيستي، و لكن بطريقة غير ملحوظة. فلقد بين أن الفلكيين البابليين قد نجحوا في الحصول على نتائج دقيقة في هذا المجال، و من الطبيعي — حسب — أن هذه النتائج لم تكن تحمل الصدفة. أن لم تكن وفق حسابات دقيقة مسبقة. و الجدير بالذكر أن مؤلف كتاب (الفيزياء الفلكية و الميثولوجيا القديمة) (بريوشينكين) قد التقى زافيناغين مؤلف العبارات السابقة و الذي يعد من ابرز دارسي علم الفلك في العالم القديم في روسيا. و كان والده واحدا من بين مؤسسي الصناعة النووية، إلا أن (زافيناغين) قد مات قبل مواصلة مشروع بحثه و كان ذلك عام 1998 م .

و بعد وفاته اعد المركز الروسي (معهد كورتشانوف) كتاب زافيناغين في علم الفلك البابلي القديم و الإغريقي للنشر، لكن هذا العمل ظل بدون عنوان نهائي. لأن القدر لم يمهل صاحبه لإتمام عمله .
أنظر : بريوشينكين ، المرجع السابق ، ص 32 .

و الشمسية و ما يترتب عليه من اختلاف في تحديد مواسم الأعياد اوجد البابليون نظام الكبس بإضافة شهر قمري كل ثلاث سنوات، ليكون لديهم شهر كبس و هو الشهر الثالث عشر.¹

و لقد ورد نص آخر لزاфинаغين نقله بريوشينكين حيث قال : « إن النجاحات المدهشة التي حققها البابليون في علم الفلك لا تقل عظمة عن تلك التي حققها في الرياضيات، فمنذ أزمنة حمورابي في القرن التاسع عشر قبل الميلاد، كان البابليون قد أدركوا نظرية مربع الوتر، و يعني ذلك أن البابليين قد سبقوا الإغريق بحوالي ألف و خمسمائة سنة وعرف البابليون نظام حل المعادلات الخطية و المعادلات التربيعية و المعادلات الثنائية التربيع و المعادلات التكعيبية و المتتاليات الحسابية و المتواليات الأخرى. لقد حل البابليون مسائل مختلفة في الرياضيات و التي كانت تدرس في المدارس. و حتى الوقت الحالي لم ينجح علماء الآثار في العثور على الوثائق البابلية التي تحمل وصفا لنظرياتهم عن حركة الأجرام السماوية، و كانت هذه الوثائق قليلة، ضف إلى ذلك أن فئة قليلة كانت تمارس مجال علم الفلك و هي فئة الكهنة، أما التنجيم فعلى الضد من ذلك كان منتشرًا.»²

3.1.1.2 التقارير الفلكية في بلاد ما بين النهرين :

ضمت معظم التقارير الفلكية أسماء الذين كلفهم الملك بمراقبة الأجرام السماوية و رصدها، ففي الجدول أدناه أسماء الفلكيين مع مضامين النصوص التي دونوها و تاريخ تدوينها، و عادة ما تذييل هذه النصوص بإسم الفلكي في نهايتها.

بين الجدول الآتي مضامين التقارير الفلكية و أسماء الفلكيين، و تواريخ تدوينها من الأقدم.³

1 : فاضل عبد الواحد علي، المرجع السابق ، ص 209 .

2 : بريو شينكين ، المرجع السابق ، ص 83 .

3 : شيماء علي أحمد النعيمي، الفلك في العراق القديم، من القرن السابع إلى القرن الرابع قبل الميلاد، أطروحة دكتوراه، جامعة الموصل، العراق، 2006 ، ص 18 .

التاريخ	المضامين	الكاتب
648 / 09 / 02	تنبؤ حدوث خسوف القمر (Ullu أيلول)	Nergal .Itir
656	المشتري + برج السرطان في حالة القمر	Ištar – šum – ereš
662	07 آذار الجوزاء خسوف القمر (Aiyaru) تأثير من سوبارتو + ضباب متكرر للمشتري + بدر في اليوم الخامس عشر	Bel – šum – iskum
664	المشتري + برج العقرب في حالة القمر	Nabu – mušesi
666 / 05 / 21	ظهور المريخ في نهاية الشهر	Ištar – šum – ereš 1
667 / 01 / 03	ضباب من سوبارتو	Nabu – iqbi
667 / 06 / 20	استقرار المريخ في برج العقرب	Raši – ili – pānu
667 / 07 / 04	ثبوت المريخ في برج العقرب	Nabu - aḥḥe – eribal
668 / 08 / 21	عطارد في برج الأسد	Tabija
669	المريخ + زحل في حالة القمر	Nabu – iqbi
669 / 03 / 15	المريخ + زحل	Bamoju
669 / 03 / 15	المريخ + زحل في حالة القمر بدر في يوم 14	Raši – ili – pānu
669 / 03 / 15	المريخ + برج العقرب في حالة القمر	ŠUm avj
669 / 03 / 15	المريخ + زحل في حالة القمر في 16 addaru	Akkullanu
669 / 03 / 15	المريخ + زحل (16 addaru)	Šapiku
669 / 03 / 29	عطارد ممكن رؤيته في 20 addaru	Balar

بين الجدول الآتي مضامين التقارير الفلكية و أسماء الفلكيين، و تواريخ تدوينها من الأقدم¹

التاريخ	المضامين	الكاتب
669 / 06 / 03	المشتري (simanu)	Bullutu
679 / 06 / 11	المشتري + المريخ	Nabu – iqīša
670 / 04 / 10	عطارد في الثريا (nisanu)	Nadinu
670 / 06 / 25	المريخ في برج الجوزاء (Du'zu)	Ašariduqantu
670 / 06 / 25	المريخ + عطارد في برج الجوزاء (Du'zu)	Bullutu
670 / 12 / 17	خسوف القمر (Kislimu)	Raši – ili – panu
672	المريخ في برج السرطان	Bid – našir
672	المريخ يصل برج السرطان	Raši – ili – panu
676	المريخ + زحل	Urad – Ea
673 / 08 / 23	برج الميزان و العقرب و المشتري يتراجع . توقع حدوث خسوفات قمرية simanu + kislinu	
675 – 673	زحل + السرطان في حالة القمر	Bel – ušeziḫ
674 / 04 / 07	صباح آخر الزهرة (nisanu)	Raši – ili
674 / 04 / 07	الزهرة + كوكبة الجبار في حالة القمر	aḫḫeša
674 / 05 / 10	عطارد في الثريا (Aiyar 14)	Bel aḫḫe–iriba
675	المشتري + برج العقرب في حالة القمر	Nabu – šum – iškum
675 / 05 / 21	الزهرة + زحل (sianu)	Sum – iddina
675 / 11 / 27	المشتري في برج الأسد	Aplû
676 – 675	زحل + برج السرطان في حالة القمر	Zakir
678 / 03 / 26	ظهور المشتري	Rimutu
678 / 05 / 22	خسوف القمر 14 (simanu) رؤية المشتري أثناء الخسوف .	Munnabitu
678 / 08 / 28	صباح أول مشتري في برج الأسد (ullu)	Wabu – iqīša
680 / 06 / 27	المشتري أمام برج السرطان	Ašridu

1 : شيماء علي أحمد النعيمي، الفلك في العراق القديم ، المرجع السابق ، ص 19 .

و لم تقتصر انجازات هؤلاء الفلكيين على تدوين سلسلة إينوما-أنو-إنليل، وكتابة التقارير الفلكية، بل ظهر في النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد حركة لوضع تقارير فلكية تعد الأولى من نوعها في العالم.

4.1.1.2 الأدوات الفلكية:

من أهم الأدوات التي ابتكرها الفلكيون في بلاد ما بين النهرين العدسة و الأسطرلاب، و الساعة المائية، و الساعة الشمسية أو المزولة الشمسية، و استخدموها في العهد البابلي الحديث حوالي 539 ق.م لمعرفة طول الليل و النهار. كما تم إنشاء المراصد الفلكية لرصد مختلف الظواهر الفلكية.¹ ككسوف الشمس و خسوف القمر و حركات النجوم و الأبراج. و من خلالها تمكنوا من رصد مختلف الكواكب كالزهرة الذي أدركوا انه أصغر الكواكب. و تم رصد المريخ الذي كان حسبهم يدل على الشر و العدوانية، و عرف كذلك بالكوكب الأحمر بسبب لونه. و يشير ظهوره إلى نذير شؤم، حيث ورد ذلك في النصوص السومرية، و في قصص الخلق عندهم². و الجدير بالذكر أن الفلك في العراق القديم لم يكرس لأغراض دينية فحسب. بل كانت لإهتمامات تنصب أيضا في إطار متطلبات الحياة اليومية*.

1 : شيماء أحمد النعيمي، المرجع السابق، ص ص 23 - 26 .

2 : المرجع نفسه ، ص 89 - 96 .

* : ولد علم الفلك في بلاد ما بين النهرين، و تطورت هذه المعارف عند المصريين و الكلدانيين على حد السواء، خاصة على يد الكاهن البابلي (بيروس-Beros) . و تعد سنة 280 ق.م هي سنة مولد علم الفلك عند الإغريق، و لكن قبل ذلك إنتشر بصفة محدودة، و يمكن القول أنه إنتشر خاصة على يد الفرس خلال الحروب الميديّة. أنظر :

A.BouchéLeclercel, L'astrologie grecque, Ernest Leroux, edition Paris, 1899, P1.

أما عن إنتقاله على يد الفرس بعد الحروب الميديّة أنظر :

Ibid, P 37 .

5.1.1.2 الفلك في بلاد فارس :

لقد اعتمدت الديانة في بلاد فارس على الزرادوشستية، و التي تعود أصولها إلى العصر الكلداني، إلا أن انتشار الزرادوشستية في بلاد الفرس بدا في عهد داريوس حوالي 522 ق.م . و حسب الخرافة فإن الساحر الأسود قتل زرادوشست عام 503 ق.م و كان له من العمر سبعة و سبعون سنة، إلا أن هناك معطيات أخرى تقر أن الزرادوشستية ظهرت في وقت مبكر قبل ذلك. و ارتبطت الديانة بمجال الفلك، حيث إهتموا بقراءة الطالع الذي يتم بهيئة الأفلاك و النجوم عند مولد الشخص، أو ما يصطلح على تسميته الاسترولوجيا الهوروسكوبية.*

و يؤكد أرسطو أن زرادوشست قد عاش قبل زمن أفلاطون بكثير، و يتحدث أيضا الإسكندر بوليستر عن فيتاغورس الذي عاش حوالي القرن السادس قبل الميلاد ، وانه كان تلميذ تازاراتا لآشوري، و حسب ديوجينوس اللانثري أن فيلسوف جزيرة ساموس (فيتاغورس) كان مكرسا في الطقوس الدينية على أيدي الكلدانيين السحرة، و يؤكد ابوليوس على أن زرادوشست قد أعطى فيتاغورس تعاليم و إرشادات و في تحليل لما سبق و بإسقاط الإطار الزمني لكل هذه الأحداث نستنتج أن كلمة (زرادوشست) كان اسم عائلة عريقة في بلاد الفرس، و أن هناك عدد من الملوك لديهم حملوا نفس الاسم. و مهما يكن فإن زرادوشست الفارسي قد أورد عدة تصورات في ميدان الفلك حول حركة النجوم و الكواكب و الشمس و التي ربطت بمصائر البشر في مجال السحر.¹

* : هي طريقة تستخدم فيها علامات البروج و الطالع، مع اخذ يوم الميلاد بالحسبان، و لا غنى عن الرياضيات لحساب الطالع، هي طريقة علم الفلك الرياضي آنذاك.

أنظر : بريو شينكين ، المرجع السابق ، ص 74 .

1 : بريو شينكين ، المرجع السابق ، ص 80 .

6.1.1.2 الفلك في مصر القديمة :

إن دراية المصريين القدماء بمجال الفلك قديمة قدم الحضارة هناك، و من أهم خصائص ذلك أن الحياة بمصر ارتبطت بفيضان النيل السنوي و ما يترتب عنه، و قبل ذلك حاول المصريون الاعتماد على القمر في عملية حساب الزمن، و لما اكتشفوا صعوبة ذلك و المزالق التي يقعون فيها اختاروا طريقة التقويم الشمسي، حيث قسموا السنة إلى اثني عشر شهرا* ، كما وضعوا جداول للتقويم و عبور النجوم لخط الزوال ، كما وضعوا أدوات تمكنهم من رصد هذه الأجرام السماوية¹ و بقيت هذه الأدوات محفوظة إلى غاية الآن في متحف القاهرة و برلين .

كما حفظ الموروث الحضاري المصري نقوشا في المقابر و المعابد، مثل معبد رمسيس الثالث و معبد (أبيدوس) و معبد الإله (حتحور) . و كلها تؤكد على مساهمتهم في هذا المجال منذ العصور المبكرة، و حتى منذ عهد الأسرة الأولى*.

* : ورد على لسان هيرودوت أن المصريين هم أول من قسم السنة إلى اثني عشر شهرا و ذلك حسب الفصول، و هم بذلك سبقوا الإغريق بكثير، و حسبهم فإنهم للمحافظة على ترتيب الفصول قد وصفوا في بداية كل سنة موالية شهر إضافي، و كانوا يضيفون أيضا في كل السنوات خمسة أيام، و كان ذلك كله من اجل إحداث توازن في الوصول، و ربطوا ذلك التقويم بأسماء الآلهة، و لقد تبنى هذا التقليد الإغريق فيما بعد.
أنظر :

Hérodote : Op Cit , Livre 2 , P 3 .

و لقد ورد تعليق في هامش الكتاب نفسه أن المصريين لم يكونوا يهتموا بالتغيرات المناخية و ما يترتب عنه من حوادث الجفاف، و أن الاهتمام بذلك يعود إلى عهد النبي يوسف عليه السلام ، فمنذ ذلك الوقت أصبحوا يحتاطون لهذه التقلبات.
أنظر :

Ibid : P 8 .

وانظر أيضا :

A BronchéLELRCel Op Cit . P 35 .

حيث تحدث الكاتب على أن هيرودوت كان جد مقتنعا أن هناك ارتباطا وثيقا في هذا المجال بين مصر و بلاد الإغريق.

1 : جورج سارتون، المرجع السابق ، 90 .

* : قسم المصريون السنة على اثني عشرة شهرا، والشهر إلى ثلاث عشرات، حيث تتكون سنة من ستة و ثلاثين عشرة (360 يوما)، و لكن سرعان ما أضافوا موسما للأعياد مؤلفا من خمسة أيام لتصبح السنة عندهم 365 يوما. و تبدأ السنة العادية أول

كما تطلعوا لمعرفة الجرام السماوية، و استخدموا أيضا أجهزة للرصد الفلكي كالمزولة الشمسية، و هي عصا مستقيمة تنصب على سطح أفقي، و يكون لها ظل يتغير بتغير مسار الشمس، و تحدد المسافة من طول ظل العصا الذي يكون أقصر ما يمكن عند الظهر، و الساعة المائية التي تستخدم لتحديد الوقت في الليل بصفة عامة، و هي آلة ذات شكل اسطواني بها ثقب في الأسفل يسمح بمرور الماء بصورة تدريجية، و على الآلة خطوط تدل على الساعة بصورة تدريجية كلما انخفض مستوى الماء فيها. و هناك نوع آخر من هذه الآلات يعتمد على الإمتلاء، و حين يسقط الماء بصفة تدريجية من إناء آخر. و لا شك أنه من خلال هذه الأدوات تمكن المصريون من رصد حركتي الكسوف و الخسوف.¹

7.1.1.2 الفلك عند الصينيين :

رغم نقص المعلومات في مجال دراية الصينيين القدامى بمجال الفلك، إلا أن الدراسات أثبتت أنه قد ظهر عندهم قبل ظهوره عند الإغريق. و أنه ارتبط بمعارف محلية مستقلة، حيث اعتبر الصينيون أن الكون أشبه ببرتقالة معلقة بنجم قطبي. و كان تعداد الكواكب عندهم يقدر بـ 284 كوكبا منقسمة إلى 28 قطاعا تشكل الكون. و بنفس ما عرفه البابليون فإن التقويم الزمني الصيني انقسم إلى سنتين، السنة القمرية و السنة الشمسية.

و تعود أقدم البحوث لديهم في هذا المجال إلى حوالي القرن الرابع قبل الميلاد. و كان هذا البحث بعنوان (شوجيسانغتشينغ) (ChouPeiSuanLhung). و حسب البحث فإن من أهم خصائص الكون عند الصينيين أن السماء و الأرض منبسطتين و منفصلتين عن بعضهما

يوم من شهر (توت) و السنة الفلكية (شعري اليمانية) يوم ما يطلع هذا النجم، بعد أن رصدوه عدة سنين. و السنة الفلكية تتأخر عن السنة العادية بيوم كل أربعة سنوات. أي أنه إذا وقع رأس السنة الفلكية في أول شهر (توت) يعد أربع سنوات تقع في اليوم التالي له. و منه تطلعوا إلى حسابات فلكية أدركها الفلكيون المصريون أن السنة الفلكية لا تقع أول السنة العادية إلا بعد 1460 يوما.

انظر : محمود محمد علي ، المرجع السابق ، ص 135 .

1 : المرجع نفسه ، ص 132 .

البعض. بحوالي مسافة 80 آلاف لي (Lit) و يعادل كل لي عندهم نصف كيلومتر. و قدروا قطر الشمس بحوالي 1.250 لي يتحرك بشكل دائري في المستوى السماوي، يكون الوقت نهارا حين تكون الشمس فوق الصين، و يحل الليل عندما تبعد عنها.*

8.1.1.2 جهود الاغريق في مجال الفلك

أ. ما أخذه الإغريق عن الشرقيين في مجال الفلك

أخذ الإغريق الكثير من المعارف في مجال علم الفلك من الشرقيين، خاصة المصريين** والبابلين، و من أوائل من تطرقوا إلى هذا المجال طاليس، حيث يقول عنه ديوجينيسالانثري في كتابه (حياة مشاهير الفلاسفة) في الفقرة 22 (أن طاليس ينتمي إلى أسرة (التيليدراو) الفينيقية النبيلة، و ينحدر من نسل البطليتكاديموس و أجينور . و جاء إلى مالطية بعد إبعاده من فينيقيا، و لكن بعض الكتاب الآخرين يقولون أنه مالطي الأصل، وهو لم يدون معارفه و أفكاره.

* : بعد ذلك ظهر تعديل لهذا النموذج لتفسير عبور الشمس عند حط هذا الأفق، و حسب التطور الجديد لهذه النظرة فإن السماء و الأرض تصبحان بشكل نصف كرة، حيث تكونان متحدتين مع المركز. و يقدر حسبهم نصف قطر الأرض بحوالي 160.000 لي . و لا تفسر النصوص كيف توصلوا إلى تحديد هذه المسافات، و لكن يبدو أن وصولهم إلى هذه النتائج كان حسب معارف جغرافية و حسابات تقديرية لخط العرض.

انظر محمد فراس الصفدي، علم الفلك في الحضارات القديمة، مقال ضمن موقع

www.astomia.com/*

www.saaa.5Mv.org/

** : الملاحظ أن طاليس قد تأثر بالفلك و ما ورد في الساطير العراقية القديمة، خاصة في نظريته للأرض أنها كرة مسطحة تطفوا فوق الماء. بل أكثر من ذلك أن كل الفلكيين الإغريق الذين جاؤوا من بعده قد تأثروا أو على الأقل إطلعوا على ما جاء به طاليس. و بذلك يمكن القول أن علم الفلك الشرقي قد اثر تأثيرا مباشرا في علم الفلك الإغريقي.

انظر :

Guillaume Gerard, Le vide phisique dans l'antiquité, These de Doctorat , Université de Quebec à Montreal, Decembre 2010. P 23 .

و عن تأثير الفلك البابلي في نظرية طاليس أنظر :

محمد فراس الصفدي، علم الفلك في الحضارات القديمة، مقال ضمن موقع

www.astomia.com/*

www.saaa.5Mv.org/

و أدرك أن الإنقلابين و الإعتدالين . أخذ علومه من الهندسة و الفلك على يد المصريين . و يقول في فقرة أخرى (ذهب إلى مصر و أمضى وقتا للدراسة مع الكهنة.)

كما أخذ أنكسمادريس عن المصريين و البابليين آلة المزولة و نسبها إلى الإغريق، وأطلق عليها إسم (Gnomon)، و المعتقد أنه قد طورها ببعض الإضافات، و من عوامل اهتمامهم بمجال علم الفلك امتهاهم للتجارة و الملاحة، و احتكاكهم بالأمم الشرقية. و من بين الذين اهتموا بمجال الفلك الإغريقي كليوشتراوسالتينيري ، الذي يعتبره البعض انه جمع العديد من الملاحظات في تحديد الإنقلابين، و أن يدرك صور البروج خاصة الحمل و القوس، و الحقيقة أنه أخذ هذه الفكرة عن الفلكيين في بابل، لأنه أول من تطلع إلى ذلك. أما فيتاغورس يعد أول

من نادى بكروية الأرض، و الأرجح أن هذه الفكرة قد أخذت من عند المصريين و البابليين.*

و من ابرز الذين تناولوا الفلك أفلاطون الذي عرف زمن دورة كل من القمر والشمس، و للعلم أنه أيضا اتجه إلى مصر و تعلم هناك ، حتى أرسطو في حد ذاته كان هو الآخر على دراية بالفلك في الشرق الأدنى. فقد ورد أنه خلال فتوحات الإسكندر أرسل (كاليستانCakkisthene) إلى أرسطو كشفا بملاحظات الكشف الفلكية الجارية قبل 1900 سنة قبل تلك الحقبة، و المؤكد أنه من خلال تلك الكشف تمكن أرسطو من الاطلاع على الكثير من تلك المعارف، خاصة تلك المتعلقة بكروية الأرض، فضلا عن الاستنتاجات التي توصل إليها، خاصة من خلال حالة الظل أثناء خسوف القمر التي تكون مستديرة دائما.

* : من الذين اهتموا أيضا بالفلك (بدوكسوس الكيندي) الذي ذهب إلى مصر، و مكث فيها ستة عشر شهرا حوالي 378 ق.م ، و تعلم على يد الكهنة بمصر ، و كان قبل ذلك قد درس بالأكاديمية، و اهتم بالفلك الفيتاغورسي. انظر : محمود محمد علي، المرجع السابق، ص 142 .

ومن أدلة الإحتكاك بالمصريين و البابليين في مجال علم الفلك ما قاله جورجسارتون في الجزء الثالث من كتابه أن لدى المصريين كنزا من الأرصاد عن 310.000 سنة، و أن البابليين جمعوا أرصادا ل 1440.000 سنة، و أن الأرصاد أرسلت من بابل بناء على طلب أرسطو كانت عن 310.000 سنة، أي انه في متناول الباحثين الإغريق أرصاد شرقية لقرون عدة. و أنها كانت كافية لأغراضهم، و قد حصلوا عليها من مصر و بابل، و لا يمكن أن يكونوا قد حصلوا عليها في بلادهم.¹

و لم تنقطع آثار المعارف الفلكية عن الإغريق بل استمرت إلى غاية المرحلة الهيلينية، و الدليل على ذلك كتاب (المجسطي) لبطليموس المستمد من الرصد البابلي خاصة، حتى أن التقويم الإغريقي بني على أسس التقويم البابلي و المصري. و مما سبق نستنتج أن علم الفلك الإغريقي ولد و تطور على جهود سابقه من المصريين و البابليين و الفرس و الهنود، ثم بلوروه بصفة تسمح بوجود هذا العلم عند الإغريق.

9.1.1.2 تطور مجال الفلك عند مفكري الإغريق

1.9.1.1.2. آراء المفكرين حول الفلك

لقد تعددت وجهات نظر مفكري الإغريق حول مجال الفلك و العناصر المكونة له، و من أبرز هذه الوجهات ما ذهب إليه طاليس في أن الأرض محمولة على الماء و أن الكون متغير، كما أشار إلى أن القمر حسبهم جسم مظلم تضيئه الشمس*، فبدأ بكسوف الشمس و قال أن الكسوف ظاهرة تحدث كل ثمانية عشر سنة و إحدى عشر يوما.²

1 : جورج سارتون ، المرجع السابق ، ج 3 ن ص 217 .

* : لقد كان طاليس تلميذا للمصريين و الكلدانيين، و استوحى نظرياته الفلكية منهم .
أنظر :

A.BouchéLeclercel , Op Cit , P 5.

2 : دحام إسماعيل العاني، موجز تاريخ العلم، 2002 ، ص 100 .

أما أناكسمندريس فيقر بأن النجوم دوائر فارعة من الماء، و هي مكونة من الهواء الكثيف، و مملوءة بالنار، و تحيط بالأرض الأسطوانية و المحدبة السطح الموجودة في حالة توازن في الفضاء، أما الأبيرون المحيط بالكون، و العلة المادية الأولى حسبه لكل شيء ، نشأ عنه السموات و الأكوان. و وصف نشأة الكون بالسديم الحار و البارد، و انفصلا أثناء الحركة الدائرية للمادة غير المحدودة. و أحاطت النار بالأرض، و تمزق الغلاف و أخذ اللهب يشكل دائرة نارية هي الشمس، القمر و الكواكب، و المقصود بالبارد الأرض، الماء، الهواء، و لكن هو لا يفسر كيف تميزت هذه العناصر عن بعضها¹.

كما يرى أن الأرض تقع وسط العالم، و ليست معلقة بشيء، بل الهواء و كل الأجرام تدور حولها من شمس و كواكب، أما أناكسمانس يرى أن الهواء هو العنصر الكوني الأول يحمل الأرض، و الأرض مسطحة ترتكز على قاعدة شبيهة بالمنضدة، و هي مركز الكون. بينما يذهب فيتاغورس الى ضرورة حساب حركة الشمس في السماء باعتبارها نتيجة لحركتين متداخلتين، و هناك نظام كوني يفرض أن الأرض تدور حول مركزها.

و لقد اقر زيتوناليلي بكروية الأرض²، و لكنها تقع في محور الكون، حيث تبقى متوازية لإنعدام أسباب حركتها، و الشمس هي في الأصل مزيج حراري ، فيما يشكل القمر مزيجا أكثر حرارة و برودة، غير أن اناكساغوراس حاول رسم خريطة للأرض و السماء (لونسيبوس - Lencippus)، و أن الكون نشأ من الذرات (Atomisme)، تخيل عددا من الدوائر حول الأرض، و الأرض هي مركزها جميعا، و دورة القمر هي الأقرب لنا. فيما تعد دورة الشمس هي الأبعد، و تحتل بقية الأجرام السماوية متوسطة بينهما، و كل الكواكب تدور حول الأرض و تلتهب تحت تأثير سرعة حركتها.

: Markus Asper, Science technology and medecine in ancient cultures, Philip van des Eijk, 1
Mark Geller, VI , Medical and Mathematical in ancient greece, Oersee. P 34 .
: Guillaume Gerard, Op Cit, P 62

أما ديمقراطيس فالكون عنده مكون من ذرات و فراغ لامتناهي في حدوده، و الذرات غير منتهية في عددها. أما نشأته، فكانت نتيجة تضارب الذرات في كل الاتجاهات، و تتجمع الذرات المتشابهة، و يحدث التشابك، و تتشكل كتل، و عودتها إلى الفوضى تنشأ عن تفكك عضوي لها. و يعرف هذا الاتجاه بالاتجاه الذري الذي ظهر كرد فعل للإتجاه الأيلي، و الجدير بالذكر أن المدرستين الذرية و الأيلية مختلفتين في نظريتهما في مجال الفلك¹.

و من أهم ورثة الفكر الفيتاغورسي (فيلولاولوس Philolaos) نهاية القرن الخامس قبل الميلاد، و وضع تصورا أن مركز الكون تحتله بؤرة مركزية متأرجحة، و حوله تدور عشرة أجرام سماوية، و هي أجسام بما فيها الأرض ذات الشكل الكروي، و يأتي ترتيبها حول الأرض كما يلي : الأرض ثم القمر، عطارد، الزهرة، الشمس، المريخ، المشتري، ساتورن.*

لكن إذا انتقلنا إلى سقراط، فلم يعرف عليه أنه تطرق للقضايا الطبيعية أو الفلكية، ذلك لأنه كان يرى أن عالم الطبيعة هو من صنع الآلهة، فهي وحدها جديرة بمعرفتها ، و أن البحث في ذلك يعد من المحرمات، كما كان يعتقد انه ليس للإنسان أن ينظر إلى دراسة الآلهة و الطبيعة، وهو يجهل نفسه و لا يستطيع أن يعرف نفسه، فلا يمكنه الطمع في البحث فيما ليس له به صلة.²

غير أن أفلاطون كان عكس ذلك ، فهو يتناول مجمل القضايا المتعلقة بالطبيعة و الإنسان على حد السواء، و عن الفلك ورد في محاوراته عدة مقولات و آراء، منها ما ورد في محاوره القوانين على لسان كلينياس في الكتاب العاشر : « علينا أن نفكر في الأرض و الشمس والكواكب،

: Guillaume Gerard , Op Cit, P 51

* : و في مجمل الكون هناك منطقتان متاميزتان تحت القمر و فوق القمر، و ما بين النار و الأرض، و تسمى بنقيض الأرض، و سميت كذلك لأنها دائمة في الطرف الآخر للأرض بالنسبة للبؤرة المتأرجحة، و كان هذا التصور مرفوضا في الفلك التقليدي. انظر : دحامإسماعيل العاني ، المرجع السابق، ص 107 .

2 : حسام الدين الألوسي، الفلسفة اليونانية قبل أرسطو، منشورات الإختلاف، الجزائر 2017 ، ص ص 165 – 166 .

... بل و النظام المدهش و الجميل، بل و مما يحمل من فروق بين الأشهر و السنين، إلى جانب ذلك الحقيقة أن كل الجنس البشري من اليونانيين و غير اليونانيين يعتقدون بوجود الآلهة.¹

و يقول في محاوره تيمياويس حول نفس السياق، « إن الفلك قد نظم على معادلات رياضية محددة بالضبط.² و يقول أيضا : (إن انسجام العالم و النظام و الكواكب في الفلك، و مجرى الحركة منتظم و ثابت. ³ « أي أننا نلاحظ أن أفلاطون يقر بالنظام الموجد في الكون، و لكن يعتقد أن وراء هذا التنظيم المحكم قوة إلهية تقوم بتسييره.

و يؤكد في نفس المحاوره على أن الأرض كروية الشكل، حيث يبعد مركز القطر عن سطحه بعدا متساويا من كل الجهات، و إدارته تدويرا جعلته أكمل جميع الأشكال، و أشبه شيء بذاته، هو الشكل الكروي.⁴ و يقول أيضا حول حركة العالم و الكون : «و قد حباه الله حركة تلائم الجسم، و لذل يرمه على نفسه دورانا.⁵ و نلاحظ أن أفلاطون أقر بمجموعة من الآراء في موضوع كروية الأرض و النظام الكوني، كما أدخل القواعد الرياضية لإدراك المعارف الفلكية.

أما أرسطو فإنه أيضا أدلى بدلوه في الموضوع، حيث أن الأرض عنده تحتل المركز، و يوجد حولها عناصر أربعة: الماء، الهواء، النار، و التراب. و لكل منها مركزه، و مجملها يشكل عالم تحت القمر، و خلفه تمتد كل منطقة الأثير التي هي العنصر الخامس للأجرام السماوية. و الكرة الأدنى كرة القمر. و الأخيرة هي النجوم. و الكون عنده وحيد محدود، و خارجه لا يوجد أي شيء.⁶ و الأجرام

1 : أفلاطون ، محاوره القوانين، الكتاب العاشر ، ص 449 .

2 : أفلاطون، محاوره الطيمياويس و إكريتيس، ترجمة فؤاد جورجى بربارة ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، 2014 ، ص 61 .

3 : المصدر نفسه ، ص 63 .

4 : أفلاطون ، محاوره طيمياويس، ص 208 .

5 : المصدر نفسه ، ص 209 .

6 : دحامإسماعيل العاني ، المرجع السابق ، ص 108

الأخرى صغيرة* إذا ما قورنت بالأرض، و يرى في كتابه ما بعد الطبيعة أن الأرض هي في حركة دائمة، و ذكر خمسة كواكب هي الزهرة، عطارد، المشتري، زحل، و الأرض، و يعتقد أن الشمس و القمر كرتان زائدتان.¹

ويتكون الكون حسب أرسطو من تسع و خمسين كرة ذوات مركز واحد، و تحتها الأرض، و للأرض أربع كرات و خارجها خمس و خمسون كرة، أكثرها انخفاضاً القمر² و أكثرها ارتفاعاً النجوم، و يذهب إلى أن الكرات تدور حول الأرض الثابتة، و تحمل معها في دورانها الأجسام السماوية، و تختلف المادة التي تتكون منها السماء عن المادة التي تتكون منها الأرض.³ و ما يمكن إضافته أمام هذا التعدد في الآراء و المواقف بين مفكري الإغريق في مجال علم الفلك* أنهم قد استعانوا بالنجوم لعملية الحساب و التقويم.

* : نقد أرسطو في كتابه الكون و الفساد نقد للطبيعيين حول موضوع تركيب الأجسام، حيث يقول : (يزعم ديموقريطس أن جميع الأجسام مركبة في البداية من أجزاء لا تتجزأ أو ذرات، و هي غير متناهية لا في أعدادها و لا في أشكالها، لأن الأجسام لا يختلف في شكلها و لا في أصلها عن بعضها البعض إلا العناصر التي تتركب بها. و بوضع هذه العناصر و ترتيبها .) انظر : أرسطوطاليس، الكون و الفساد، ترجمة أحمد لطفي السيد، الدار القومية للطباعة و النشر، مصر، الفقرة 4، ص 91.

1 : ارسطو طاليس، ما بعد الطبيعة، ط 1، دار ذو الفقار، دمشق، 2008، ص 230.

2 : Guillaume Gerard, Op Cit, P 7.

3 : بنيامين فرنهائين، المرجع السابق، ص 119.

* : ما يمكن إضافته رأي بارمينديس بكروية الأرض، و أن القمر يستمد نوره من الشمس، و ذهب أمبيدوقليس Empedokles أسباب ظاهرة الكسوف و الخسوف و وافق بالتالي رأي اناكساغوراس. كما تمكن (ميتون Meton) من وضع تقويم زمني، كما حاول (يوكوسوس) معرفة تحركات الكواكب السيارة)، كما كان أول فلكي إغريقي يحاول عد هذه الكواكب و أول من صاغ منهج علم الفلك الرياضي في نطاق نظريته عن الأجسام الكروية ذات المركز المماثل، و تشير الدراسات أن معلوماته بنيت على الموروث المصري و البابلي. و استطاع كاليبوس Kallipos تعديل نظريته هذه. و مع القرن الرابع قبل الميلاد تطورت المعارف الفلكية على يد اتولييكوس Antolykos، و نادى أريسطاخوراس Aristarches من ساموس بفرضية مركزية الشمس للكون بدل الأرض وفق الاعتقاد القديم، معتمداً في ذلك على القواعد الرياضية.

أما ميتون الذي سبق ذكره اقترح أن تضاف لتكملة السنة الشمسية لمدة مقدارها تسعة عشر سنة لتتوافق السنة القمرية مع السنة الشمسية، و أضاف دقيقتين إلى متوسط الشهر القمري، و جعل السنة الشمسية مكونة من 365 يوماً.

انظر : محمد حمدي إبراهيم، حضارة اليونان و عبقرية المكان، مقال منشور، مجلة عالم الفكر، ص 101.

و ما نخلص إلى قوله عن جهود علماء الإغريق حول مجال علم الفلك أنه :

- تم استعمال الرياضيات كأداة منطقية للتوصل إلى معارف فلكية ساهمت بقدر كبير في التركيب الذهني لبنية الكون بصفة نظرية، أكثر ما تهدف للسيطرة على البيئة المادية، و بذلك نلاحظ الطابع الفلسفي للفلك الإغريقي.

- تطور المعارف الفلكية حوالي القرن السادس قبل الميلاد مع ظهور المدرسة الأيونية.

- ظهور صراع بين العلم و الدين، و بلغ ذروته عندما حرمت الشرائع الأخينية دراسة علماء الفلك و هو في أوج تطوره في عصر بركليس، و هو دليل آخر على سيطرة الدين على العقلا الإغريقي و تحكمه فيه بنسب متفاوتة خلال أوج العصر الذهبي للعلم الإغريقي. و بذلك يكون ردا على من ادعى أن العقلا الإغريقي قد تحرر من سلطة الدين و أن الشرائع كانت تخدم تطور الفكر.

- رغم أخطاء الفلكيين الإغريق في العديد من نظرياتهم، إلا أن ملاحظاتهم أتاحت المجال لتطور العلم لاحقا بسبب غزارة النظريات و الفرضيات التي أطلقوها حول صفات الكون المادية في كلياته، أو في عناصره الجزئية.¹

و مما تقدم يتضح لنا أن الفكر الإغريقي الذي تميز بغزارة منتوجه في مجال الفلك و دراسة الكون لم يكن قد تطور بمعزل عما أنتجته حضارات الشرق القديم في نفس المجال. كما أن آراء الفلاسفة لم تكن عقلية محضة بقدر ما اعتمدت على الجانب الحسي القائم على الملاحظة، فضلا على أنها لم تقصي تماما الجانب الديني، بل أن أكبر فلاسفة الإغريق سقراط و أفلاطون يذهبان إلى القول أن وراء هذا النظام الكوني قوة إلهية، و هو دليل آخر أن الفلك الإغريقي لا يمد للمعجزة بقدر ما هو تفاعل العقل البشري.

و انظر أيضا :

Guillaume Gerard, Op Cit, P23 .

1 : دحام اسماعيل العاني، المرجع السابق، ص 113 .

3. العلم الإغريقي بين مراحل تطوره و عزله عن اصوله الشرقية و صفته النظرية .

1.3 الطابع العلمي و النظري في العلم بمرحلة ما قبل سقراط .

توصل الباحثون بعد تتبع مراحل تطور الفكر الإغريقي إلى سلسلة من الإستنتاجات فيما يتعلق بوتيرة تطور العلم عبر كل مرحلة، و مدى افادة كل مرحلة بميراث الشرق المعرفي، حيث يطلق مؤرخوا العلم على العصر الأول من الفكر الإغريقي بالعصر البطولي، و هو الذي يبدأ بطاليس و ينتهي إلى ديمقراطيس. و هو ما يصطلح على تسميته العصر السابق لسقراط¹.

وتميز العلم الإغريقي خلال هذه المرحلة بأنه كان يجمع بين الطابع النظري و العلمي، بل إن هذه الفترة ما بين القرنين السادس و الخامس قبل الميلاد كانت - حسب بنيامينفارتن - تمثل العصر البطولي للعلم. حيث لم يتميز بنمو الفكر المجرد فحسب، انما كانت ايضا فترة تقدم في هام، الذي انشق من الطرق الفنية و التقنية التي كانت بمثابة العصا السحرية التي تغير الشكل القديم للمجتمع المعتمد اساسا على الأرض، في شكل جديد لمجتمع يعتمد على الصناعة، و ذلك ما أرسل الى الوجود طبقة جديدة من الصناع اليدويين، و التجار الذين تحكموا بزمam السلطة السياسية بالمدن.

و في العقد الأول من القرن السادس قبل الميلاد، قام **صولون** بإصلاحات تزيد من مكانة الحرف في المجتمع، بل أكثر من ذلك أنه سن قانونا مفاده أن الإبن لا يلزم برعاية أبيه في الكبر ما لم يكن ابوه قد علمه إحدى الحرف. بل أكثر من ذلك كانت مكانة الحرفيين أكثر شرفا و منزلة، و بذلك ازدهرت مدينة **مالطية** بأعمال الملاحين و الحرفيين و التجار، و وسطهم استخدم **طاليس** مهاراته في الهندسة و الرياضيات لتحسين فن الملاحة، و من أجل ذلك قام **أناكمنسندريس** بوضع أولى الخرائط في العالم.²

1 . Jules Sonry, Op Cit , P 255 – 258 .

2 : بنيامين فارتن، المرجع السابق، ص ص 95 – 96 .

فكانت روح العصر آنذاك تسمح بإضفاء التكريم على رجال الحرف و الصنائع، و كانت الكلمة الإغريقية (Sophia) في تلك الفترة ما تزال تعني المهارة الفنية، و ليس التكهن المجرد، أو على الأصح لم يكن التمييز بينهما قد ظهر.

وكان ذلك كله نتيجة انتشار التقنية التي مارسها قبل ذلك سكان منطقة الشرق القديم، خاصة الأدنى منه، و انتقلت الى الجزر الإغريقية بسهولة جعلت من الإغريق أيضا متمكنين من هذا الجانب، و لا بد أن روح امتهان الصنائع و الحرف التي وجدت عندهم، أو حتى استغلالهم للإختراعات الأجنبية تحركت تحركا هاما حوالي القرن السادس قبل الميلاد لمواجهة احتياجات البناء و الهندسة التي كان لابد لهم من اتمامها.

و من ابرز ذلك إعادة بناء معبد (أرطيميس) في أفسوس التي كانت مدينة بارزة، و تعد مركزا عبادة آلهة آسيوية لتصبح عبادة شعبية، و وردت هناك أسماء لمهندسين منهم ديودوروس الساموسي الذي اعتبر المهندس الرئيسي، و يعد مكتشف طريقة وضع اساسات صلبة في أرض أفسوس التي غمرتها المستنقعات. فاستلزم ذلك إيجاد طريقة و إلا هُدم المعبد. و المعروف أنه ظل قائما لعدة قرون. و لهذا الغرض جاء من كريت كريسيفونالكنوسوسي لمساعدة تيودوروس في ذلك المشروع. وانجز (كريسيفون) طريقة لتحريك الأعمد الضخمة، ثم أعقبه ابنه (ميتاجينس) الذي أدخل تحسينات على هذه الإنجازات.¹

وكانت جزيرة ساموس من أكبر المستعمرات الأيونية تقع إلى المجال الغربي من مالطية على مسافة غير بعيدة. و اشتهرت سكانها انهم بناؤون و مهندسون، و من أهمهم أيضا (هروباليнос). لقد كانت فترة ظهور أولى مدارس الفكر الإغريقي التي تمثلت في المدرسة الأيونية تشير إلى تضامن و تظافر جهود النشاط النظري و العملي الآلي. فقد اهتموا بالمسائل العلمية بقدر ما اهتموا

1 : جورج سارتون ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 394 .

بالمسائل النظرية، وكان ذلك كله في ظل اتصال هام بينهم وبين حضارات الشرق القديم أكسبتهم التجارب والخبرات طور الممارسة التطبيقية التي ساهمت في البرهان العقلي.

و إذا كان **طاليس أبو الفلسفة الإغريقية**، فإن هذا الأخير قد زار **مصر** أثناء قيامه ببعض الأعمال أخذ منها معارفه الهندسية، و وجد تطبيقا للطريقة الفنية التي عمل بها المصريون لقياس الأراضي، فمن طريقة قاعدة المثلث المتماثلة، استطاع **طاليس** إيجاد طريقة لتحديد أبعاد السفن و هي في عرض البحر، و قيل أنه أخذ من **الفينيقيين** تحسين الملاحة عن طريق الإستعانة بالنجوم. كما استطاع التنبؤ بكسوف الشمس عن طريق الإستعانة **باسطرلابات** (جداول فلكية) **بابلية**. و بالتالي فإن **طاليس** أثبت شهرته كفيلسوف و كرجل أعمال أيضا. و فيما ورد عنه أنه عندما رأى نقاده يتهمون عليه، ويزعمون إنعدام القدرة العملية، انتقل إلى تجارة زيت الزيتون، و حصل منها على المال¹.

و مما سبق يتضح لنا أن أول **فيلسوف إغريقي** كان شخصية نظرية و عملية في آن واحد، وبعبارة أدق نقول أن بداية ظهور الفلسفة الإغريقية كانت عملية و نظرية في آن واحد، بل أن الإهتمام بالأمور العلمية هو الذي أوحى للفلاسفة نظرياتهم، فعصر ما قبل **سقراط** ميزه تطور تقني و اتصالات بحضارات الشرق، و مناخ سياسي و اجتماعي ملائم.

1 : بنيامين فارتن، المرجع السابق، ج 1 ، ص 42 .

2.3 ظهور العلم النظري في عصر أفلاطون و أرسطو

بعد أن تميزت المرحلة الأولى بالجمع بين الملامح العملية و النظرية في المرحلة الممتدة من طاليس إلى ديمقراطيس، ظهر في فترة 470 ق.م 330 ق.م فلاسفة ينادون الى البحث عن المثل الأعلى للنظرية، بل أن سقراط نبذ النظرية العلمية عن الطبيعة، و عن الإنسان التي تبناها مفكرو المدرسة الأيونية من طاليس إلى ديمقراطيس. حيث تركز البحث في هذه الفترة في الأمور النظرية كالأخلاق و السياسية.

و قد ساهمت هذه النقلة في تغير الظروف السياسية و الاجتماعية و نمت نظام العبودية الذي خلق طبقة من الأقلية يكون لها فراغ تركزه للدراسة، و تزامن ذلك مع التوسع الجغرافي¹، و نتج عنه انصراف الإغريق عن الكشف العلمية التطبيقية، و ظهرت قيم معادية للإكتشاف الإختراع التقني و العلمي.

و ما زاد من هذه الهوة هو ارتباط العبيد بالعمل اليدوي، الذي قابله نفور الأحرار منه و ابتعادهم عن كل ما له صلة بالسيطرة على الطبيعة المادية. بل أكثر من ذلك ظهرت اتجاهات لفلاسفة كبار دافعوا عن نظام الرق الذي ميز المجتمع الإغريقي كأفلاطون و أرسطو .

و قد سائر أرسطو أساتذته في ذلك، و هو ما ناقشه في كتابه السياسة، و كرس بالتالي هذه النزعة، و على كل حال، فإن هذا الاتجاه ترتب عنه ترسيخ جملة من القيم : هي أن العمل اليدوي لا يليق بالأحرار، و إنما ينبغي أن ينصرف هؤلاء الى التأمل العقلي المحض. أي نشاط روحي لا تربطه بالمادة أي صلة، بل أكثر من ذلك أنه ورد عن أرسطو تصوره في كون المدينة المثلى في نظره خالية من الصنائع. و أن المرء لا يستطيع أن يمارس الفضيلة إذا كان يحيا حياة صانع.² و كنتيجة

1 : بنيامين فارتن، المرجع السابق، ج 1 ، ص 106 .

2 : محمود محمد علي، المرجع السابق، ص 159 .

لهذه النظرة الخاصة للقيم، أصبحت كلمة الصانع و العامل اليدوي مرادفة للإنحطاطو التدهور الأخلاقي.*

و من نتائج الفصل بين النظرية و التطبيق في المنهج العلمي :

- تطور الرق الذي أدى بالمفكرين إلى الإنصراف عن إيجاد أي محاولة لتحقيق الشروط الكيفية بالقضاء عليه.

- رغبة هؤلاء الفلاسفة بتميزهم بالعلوم النظرية و المعرفة العقلية، و نبذ المهارات العملية التي تتميز بها الشعوب الشرقية.

و من أكبر الذين نبذوا الفلسفة الإغريقية لما بعد سقراط ، فريدريك لشته، في كتابه (الفلسفة و العصر المأساوي للإغريق) و الذي أكد فيه على اتصالهم بحضارات الشرق، و أخذهم عنهم الكثير من المعارف. و نجده يحط من شأن فلاسفة ما بعد سقراط، حيث يقول: «لا عجب أن أنتاول الفلاسفة السابقين لأفلاطون و كأنهم مجتمع منسجم، و أسعى لأكرس لهم مجمل هذا الكتاب، لأن أفلاطون يمثل بداية جديدة كلياً. و أن شيئاً جوهرياً ينقص لدى الفلاسفة منذ أفلاطون مقارنة بغيرهم كطاليس و سقراط، فيمكننا أن نسميهم بالمحدودية، و نقول عن ذريتهم على رأسهم أفلاطون أنهم أكثر تعقداً.»¹

* : روي عن أفلاطون أنه غضب من العالم الرياضي (أرخوطاس)، لأنه عمل على حل مسائل هندسية معينة مستعيناً بأجهزة ميكانيكية، و اتهمه أنه يحط من مكانة علم الهندسة، و هبط به من الأمور العقلية إلى الأمور العلمية، و يستخدم فيه مواد ينبغي أن يلجأ لها في العمل اليدوي الدليل.

انظر : محمود محمد علي، المرجع السابق، ص 160 .

1 : فريدريك لشته، المرجع السابق، ص 43 .

3.3 عودة الأصول الشرقية للعلم الإغريقي في العصر الهيلينستي

لقد حددت تغيرات ارتبطت بها بلاد الإغريق و البلاد المجاورة حوالي القرن الثالث قبل الميلاد، و ذلك بظهور الإسكندر الأكبر (356 – 323 ق.م) ، و الذي اخضع لسلطانه بلاد الإغريق، كما فتح آسيا الصغرى و سوريا، و مصر و بابل و فارس، و وصلت جيوشه حتى بلاد الهند.

و لقد أحدثت هذه الفتوحات تغيرات هامة في المجتمع الإغريقي بسبب اختلاطهم بالشعوب الشرقية، و انعكس ذلك على الفكر الإغريقي حوالي القرن الثالث قبل الميلاد، إلى غاية أواخر القرن الأول قبل الميلاد. و تغيرت بالتالي المفاهيم الداعية لوحدة الجنس البشري، و الأخوة بين الناس.

كما تميزت هذه المرحلة أيضا بعودة الإهتمام بالعلم التجريبي، و تراجع دور اثينا، لينتقل الإشعاع الفكري إلى مدينة الإسكندرية التي أسسها الإسكندر عام 332 ق.م ، لتصبح من أهم المراكز التجارية و الحضارية في البحر الأبيض المتوسط، و بذلك شكلت نقطة اتصال بين الغرب و الشرق، ليظهر العديد من العلماء كإقليدس و أرخميدس اللذان كان لهم مؤلفات هامة.

و قد ساهم هذا في تطور مجالات عدة من العلوم الرياضية و الفلكية، و صححت الكثير من النظريات التي ظهرت على يد علماء العصر الهيليني. و ما عودة هذا الإتصال مع الشرق من جديد إلا دليل كاف على أن الإغريق يدينون بالكثير للأمم الشرقية.¹

4.3 العلم الإغريقي بين جدلية النظرية و التطبيق

إعتاد بعض مؤرخي العلم الغربيين التمييز بين الطابع العملي الشرقي و الطابع النظري للعلم الإغريقي، فهم يدعون أن الإغريق إكتشفوا النظرية في الرياضيات على عكس الشرقيين الذين لم يتوصلوا إليها. غير أن هذا الإدعاء لا يمكن أن يكون حقيقيا، خاصة و أن قدماء الشرقيين مثلا

1 : محمود محمد علي ، المرجع السابق، ص 177

أدركوا مقدمات المسائل العلمية. فكيف للإنسان أن يصل إلى النتيجة دون العمل بمقدماتها؟ و يتضمن هذا الأمر مبالغة في الفصل بين الجوانب العملية و الجوانب النظرية للمعرفة.

غير ان هذا الفصل لا تبرره التجربة الإنسانية عبر مختلف العصور، فعندما تتراكم عند مجتمع ما خبرات عملية طويلة، يكون من الطبيعي أن تقوده هذه الخبرات الى النظريات العلمية، وما النظرية إلا حصيلة لتطبيقات عديدة. والعلاقة بينهما متبادلة، فالممارسة العلمية تمهد الطريق الى كشف النظرية العلمية، و الوصول إلى النظرية يفتح الباب للوصول إلى إكتشافات و تطبيقات جديدة.

أما القول أن هناك شعب لم يعرف طوال حياته إلا التطبيقات العملية، و شعب توصل من أول لحظة الى النظرية من تلقاء ذاته إلى الأسس النظرية للعلم، فهو زعم يتنافى و التجارب الفعلية للبشرية، فضلا عن تناقضه مع المنطق السليم.¹

و يمكن أن يكون الشرق القديم قد طبق النظرية في جو من السرية التامة التي أحيطت بها العلوم من طرف طبقة الكهنة الذين كانوا هم كبار العلماء، و لم تظهر هذه السرية لدى الشرقيين فقط، بل كذلك حتى المدارس الإغريقية في مرحلتها الأولى تميزت بها، و المثل في ذلك المدرسة الفيتاغورسية.

و بالعكس فإن قدماء الشرقيين قبل الإغريق مهدوا لكل مجالات الفكر التي نهل منها الإغريق، و كان ذلك بشهادة أكبر العلماء و المؤرخين الذين أكدوا على المولد الشرقي للعلوم، منهم جورجسارتون. سواء كان ذلك في مجال الرياضيات أو الطب، لأن البرديات المصرية أكدت جانبا من العارف النظرية.

فالنظر العقلي المجرد تميز به الإنسان منذ عصور ما قبل التاريخ، في تلك المفاهيم التي ترسخت في التصورات الأولى للإنسان حول فكرة العد مثلا و التي بداتبالادراك التجريدي. فمعارف الإنسان

1 : فؤاد زكريا، (التفكير) المرجع السابق، ص 123 .

في هذه المرحلة السابقة لحضارة الإغريق و هي علم بمعناه البحث. فلا يوجد حدود لمعنى التجريد، أما فكرة المعرفة لذات المعرفة فقد ثبت بطلانها، لأن لكل معرفة محتواها الاجتماعي و جانبها العملي، فالحاجة هي أم الاختراع.*

و خلاصة القول أن العلم لا يقبل الفصل بين التطبيق و النظرية، و لا يجوز الفصل بين مهام الحواس و مهام العقل، و العقل الإغريقي هو العقل الذي لا يقبل فصلا في نشأته و تطوره عن إطاره التاريخي و الجغرافي في الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط.

* : إذا انتقلنا إلى العلم الحديث، نجد أن فرانسيس بيكون قد دعا إلى ضرورة إعتقاد التطبيق العلمي في العلوم كرد فعل على كل من يزدري أي معرفة تقترب من مجال الواقع الحسي، و نجح في ذلك لأنه أدخل عنصر التجربة و الملاحظة الدقيقة. و هذه الدعوة التي قامت على أساس بروز الجانب التطبيقي في العلم ساهمت بقدر كبير في ظهور الثورة الصناعية في أوروبا، في النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي. و التي أخذت بعين الإعتبار تمجيد العمل بوصفه نشاطا مميزا للإنسان. بل أكثر من ذلك أنه اعتبر القيمة العليا في حياة الإنسان، بل أن الحضارة الحديثة هي حضارة عمل، و أصبح الإنسان يعتبر الصانع، و وصل الأمر إلى درجة عبادة العمل، و اتخذ فيه صفة القداسة.

انظر : محمود محمد علي، المرجع السابق، ص 174 .

الفصل السابع : العبقريّة الإغريقيّة بين إشكاليّة التكون و إيديولوجيّة المركزيّة الغربيّة

- 1- بين الشرق و الغرب
- 2- النزعة العنصريّة في أوروبا و دورها في تمجيد فكرة العبقريّة الإغريقيّة
- 3- العبقريّة الإغريقيّة بين جدليّة التأييد و الإنكار للأصول الشرقيّة
- 4- العبقريّة الإغريقيّة بين الحقيقة و الخيال
- 5- إشكاليّة الأصول الجغرافيّة و الفكرية للعقل الإغريقي

1. بين الشرق والغرب

1.1 جدلية الأنا وإقصاء الآخر

الفكر الشرقي، الفلسفة الشرقية، ... ، تلك هي المصطلحات التي انتشرت في أوروبا للدلالة على الفكر الذي عرفته البلاد غيرالأوروبية مع بداية نضجها الحضاري. و مهما كان المصطلح، فهو في النهاية دلالة على وجود شرق متميز عن الغرب من حيث العقلية و السلوكات، أو من حيث النظرة إلى الوجود والمستقبل.

فمصطلح (الغرب) لم يتصل بماهية جغرافية بقدر ما هو حالة فكرية متجهة نحو السيطرة على الطبيعة¹، و بالمقابل ما نقصده بالفكر الشرقي، هو مصطلح ينظر إليه بعين الغرب، و هو القصد الأوروبي بعينه الذي يسعى لإظهار المفارقة بينه و بين ما دونه، و كرسه الإعجاب الإنفعالي لأعلامه من أمثال هيجل، و ساهم ذلك بالتالي في ترسيخ ما تنتجه ثقافة الأقوياء.

و لقد ساهم أبناء الشرق في إضعاف ذاتهم أمام المتغلب، بتقبلهم لذلك الواقع الذي عزز مكانة الغرب، و خلق استعدادا لدى أبناء الشرق لتقبل فكرة تفوق الغرب، و ذلك في حد ذاته تكريس للنظرة الإستعمارية. لإعتبار المغلوب من أبناء الشرق نفسه على أنه دون الغرب نظرة و بحثا و قدرات، لتحط الضحية من قيمة نفسها بنفسها مستسلمة للتنازل.

و رسخت هذه المفاهيم قيم مختلفة تسودها نظرة الاستعلاء، فكان ينظر إلى الغرب على أنه ذلك المتغلب على الطبيعة و المسيطر على الواقع، و العقلاني و الممجد، و ذو الاتجاهات و المواقف الموضوعية، الكاسب للشخصية و صاحب المبادرة، المقدس للعمل، و الذي يكرس له كل معاني التقدير، و التميز بالنظام و التنظيم و النبل، و اعتبار المرأة كائنا متساويا مع الرجل، و له الإنتاج الأفضل، و يقدر الزمن تقديرا علميا.

1 : علي زيقور، الفلسفة في الهند، ط 1 ، عزالدين للطباعة و النشر، 1993 ، ص 17 .

أما قيم الشرق - في نظرهم - هي في عكس قيم الغرب، تتمثل في الإستسلام للطبيعة، و هي قيم قائمة على أساس الروحانية و الغيبيات و التصوفات، و النظرة الأسطورية، و هو الإندماج في الجمعية و المجموعة، و بالتالي فلا شعور بالشخصية الفردية، و بالحرية، و لا يوجد هناك وعي بالمسؤولية*.

و انطلاقاً من ذلك، راح الغرب يقدم نفسه على أنه قادراً بقيمته و طرائقه و حضارته على رفع مستوى الإنسان، و هو صاحب القدرات التغيرية. فمصطلحي الشرق و الغرب هما مصطلحان يعبران عن مفاهيم فكرية أكثر منها جغرافية. تحكمت فيها نظرة كل طرف للآخر، فالشرق في عيون الغرب هو المستهلك المتلقي، أما الغرب فهو ذلك المنتج المصدر الذي عزز الفارق في منظور الآخر. و من هنا ولدت جدلية أخرى ارتبطت بجدلية الشرق و الغرب، و هي جدلية الأنا و الآخر، و مدى قدرتها على بناء معرفة مشتركة.

2.1 الشرق و الغرب و جدلية بناء المعرفة المشتركة

لقد اعتبر الإنسان الغربي نفسه ينحدر من سلالة صانعي الحضارة الإغريقية القديمة، ليصبح هو كذلك صانع المدنية الأوروبية و الأميركية الحديثة، فهو ذلك الإنسان الذي يسعى جاهداً - حسب إدعائه- إلى اعتبار نفسه مؤسس الفلسفة و العلوم في تاريخ البشرية، و هو أول من أطلق لفظ الفلسفة، و هو أول من صنع نظرية هندسية على يد فيثاغورس، و هو أول من وضع صورة التفكير المنطقي للإنسان. التي أسس معالمها أرسطو**، و هو أول من وضع أسس التفكير المثالي

* : حسب نظرية الغرب، فإن الشرق لا يعرف النظام و لا التنظيم، و لا يحسن استغلال الزمن، و هو غير فنان، و فكره غير نظامي، تسيطر عليه الأساطير و الخرافات، و لا تكون المعرفة في الشرق إلا لخدمة الدين، و لأغراض نفعية فقط أو عملية، لا منزهة و لا مجردة، و التنظيم معدوم .

انظر : علي زيقور ، المرجع السابق، ص 19 .

** : شهد عصر النهضة الأوروبية حركات إحياء الفلسفة الإغريقية التي قامت على ترجمة النصوص القديمة أكثر من الشروحات التي قدمت على يد اللاتينيين، أو حتى المسلمين، و من أكبر الاتجاهات التي برزت الأرسطية ARISTOTELIANISM ، و هو التيار الأساسي في البحث الفلسفي لعصر النهضة، فجميع ما إستُخدم من مصطلحات و بحوث نتج عن التأثير بالمذهب

في شكل نظريات متكاملة على يد أفلاطون* ، فالشرق في نظر الغرب كائن محي مهمش متسلق، لا يصلح أن يكون صانعا للحضارة و التقدم، و هو المقلد أيضا.

فلقد تبين النظرة تضاد بين الرؤية و بين جدلية الأنا المبتكر المقصي للآخر، و بالتالي إذا تخيلنا عن هذا الصراع و قمنا بتحليل دقيق و موضوعي لهذه الجدلية، و نقلها من دور الصراع و إقصاء الآخر إلى دور النقاش و الحوار الجدي، يتضح أن المعرفة الإنسانية قامت على أسس مشتركة.

3.1 أسس بناء المعرفة المشتركة للحضارة البشرية

1.3.1. الأصل الواحد للبشر

إن البشر بإمكانهم الاتحاد تحت حكم دولة، و أن يخضعوا لسلطة القانون، و أن يؤمنوا بقوة الآلهة، و كان هذا مضمون دعوة بعض تلاميذ سقراط، و هي أيضا فكرة فلاسفة الرواق عن الأخوة العالمية، و المساواة بين البشر، و ضرورة توجيه أهدافهم ضمن قانون عالمي وهو القانون الطبيعي ذو الأصل الإلهي**.

الأرسطي، ذلك لأنه اعتمد على قاعدة أن فلاسفة العصور الوسطى (عصر الإيمان) قد اساؤوا فهم أرسطو، بل أكثر من ذلك أنهم استخدموه في مجالات دينية ليدعمو به علم اللاهوت لديهم.

انظر محمود صبحي ، صفاء عبد السلام جعفر ، المرجع السابق، ص 88

* : بعثت الأفلاطونية من جديد اثناء عصر النهضة، بعد أن حدثت حركة الترجمة لما رسيلىوفيتشينو Marsilio Ficino نشرت لأول مرة عام 1484 م ، حيث ساهمت في نشر المذهب الأفلاطوني، لتتطور فيما بعد شروح هذا المذهب، و لقد انتشر هذا المذهب Platonism في فلورنسيا بعد تأسيس (فيتشينو) لأكاديميته هناك ، التي إعتمدت على المحاكاة المباشرة للمدرسة الفلاطونية.

أنظر : محمود صبحي، صفاء عبد السلام جعفر ، المرجع السابق، ص 89 .

** : لقد احتوت كل الديانات سماوية كانت أو وضعية على نفس الدعوة للمساواة بين البشر، و هي نفسها التي توصل إليها الفلاسفة المحدثين منذ عصر التنوير، و الدعوة نفسها إلى المساواة تضمنها الميثاق العالمي لحقوق الإنسان، سواء كان في ديباجته، أو في بنوده. انظر : مصطفى النشار، في فلسفة الحضارة، المرجع السابق، ص 52 .

2.3.1. اختلاف الهويات الثقافية يكون باختلاف البيئات و المعتقدات

إن هذا الأصل المشترك للبشر لا ينفي أن كل مجموعة منهم قد نشأت في بيئة جغرافية مختلفة، و من ثم تفاهموا بلغة معينة، و اعتنقوا عقائد معينة، و تعايشوا معا بعبادات و تقاليد معينة، و هو ما يعرف بالثقافة المحلية أو القومية لهذه المجموعة من البشر، و هو ما يشكل هويتهم المستقلة، التي قد تستفيد من ثقافة الآخر، خاصة إذا كان مجاورا، و قد يتعدى بعناصر ثقافية أخرى نستمد من ثقافات أخرى بعيدة عبر التواصل التجاري، أو عبر أي صورة من صور الحوار بين الثقافات.

3.3.1. التكافؤ الثقافي و الحضاري

من أهم أسس بناء المعرفة المشتركة بين الشرق و الغرب، الإيمان أن لدى كل مجموعة من البشر ثقافة متميزة و روح حضارية مختلفة، و أن ما لدى أي شعب أو أمة يتكافأ مع ما لدى الشعوب والأمم الأخرى في القيمة بالمعنى المنطقي و العقلي، و كذلك بالمعنى الأخلاقي و الاجتماعي والسياسي، و هو تكافؤ في قيمة الصدق، و من حيث القيم الأخلاقية، و هي التي تظهر على سلوك الأفراد من خلال تعاملاتهم اليومية مع بعضهم البعض. لذلك لا يحق لأي شعب آخر صاحب ثقافات مختلفة أن يقلل من قيمة ما يؤمن به الآخر، و أن يحط من شان قيمة عاداته و تقاليده، لأن الجميع مطالب باحترام عادات و تقاليد الآخر.

والأمر كذلك ينطبق على الوضع السياسي، فعلى الآخر أن يحترم النظام السياسي الذي يطبقه غيره ما دام رضي به أصحابه. ولا يعني ذلك أنه لا يوجد هناك تفاوت بين الأمم المعاصرة لبعضها البعض. فيجب أن يكون نوع من التفاوت في مظاهر معينة حسب قدرات كل شعب، و ليس من المفروض أن يكون هذا سببا للإستعلاء بقدر ما يكون دعوة للتعاون بين البشر في كل مجالات الحياة.

4.3.1. ضرورة إلغاء التصنيفات العنصرية التي هي وليدة ظروف تاريخية معينة

لإحداث تقارب حضاري يجب إلغاء كل التصنيفات العنصرية التي ظهرت في فترات تاريخية مختلفة و نتيجة ظروف معينة سياسية كانت أو اقتصادية أو عرقية، فلا يختلف بشر الشمال عن بشر الجنوب إلا في طبيعة الظروف التي ينتمي إليها كل واحد، فالكل وهب قدرا معينا من الذكاء¹. فما نخلص إليه أن الفكر واحد، فالمفكرون هم نتاج تاريخي يسهل فهمه*، و أن الثقافات و الحضارات تتداخل و تتكامل، و أن الإنسان واحد ، و الأعراف تتساوى ، و أن العقل البشري يعمل على الإستجابة للتحديات القادمة من الطبيعة و ظروفها المختلفة، لأنه واحد من حيث وجوده عند كل الأمم، و لا يحق للأمم أن تتفاخر على أمم بعرق أو لون أو قدرات عقلية.²

2. النزعة العنصرية في أوروبا ودورها في تمجيد فكرة العبقرية الإغريقية

1.2 الأصول التاريخية للتعصب الغربي و تطور فكرة المعجزة الإغريقية

شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر و أوائل القرن العشرين نزعة فكرية تدعوا الإنسان الأوربي إلى التحرر من المفاهيم المطلقة كالإنسانية جمعاء و المساواة و العدل و مستقبل البشرية ،

1 : مصطفى النشار، (في فلسفة الحضارة) المرجع السابق، ص 56 .

* : قامت عصبية وطنية جديدة في أوروبا حوالي القرن السادس عشر ميلادي، على إثر شعور قومي حديث قام ببلورته علماء و مؤرخون غربيون قاموا بجمع المصادر بدافع من الإعتراز بالماضي، حيث صدرت في المانيا عام 1795 م مقدمة لمجموعة هوميروس للعالم وولف Wolf ، أحدثت صدا كبيرا في الأوساط اللغوية و الأدبية و التاريخية الألمانية، حيث ذهب إلى أن الإلياذة و الأوديسا لم يكتبتهما هوميروس أو غيره بهذا الاسم، بل جماعة من الشعراء في فترات زمنية مختلفة، و دشنت هذه المقدمة السعي وراء حركة دراسة و نقد المصادر القديمة، خاصة تلك التي إكتسبت صفة الأقدمية و المصدقية التاريخية. ومن أبرز أصحاب هذه المساعي تلميذ (وولف) (أوغست بوخ) الذي تولى دراسة المصادر التاريخية الإغريقية. لتتطور حركة النقد الجديد على يد مجموعة من المفكرين الألمان خلال القرن التاسع عشر ميلادي.

انظر : أحمد زيعمي، فلسفة التاريخ عند هيجل، منشورات ضفاف لبنان، 2015 ، ص 48 .

2 : علي زيقور ، المرجع السابق، ص 17 .

فظهرت نزعات تحاول جعله المركز و المطلق و المنفصل تماما عن المفاهيم الإنسانية العامة ليصبح في حد ذاته تجسيدا لقانون الطبيعة مرجعية ذاتية ومعياري نفسه غايتها¹

ولقد ساهمت عدة عوامل في تكريس هذه النزعة تتمثل أهمها في :

- الأغراض الاستعمارية الحديثة في إطار التنافس على مناطق النفوذ خاصة بين ألمانيا و فرنسا وبريطانيا وذلك اتضح جليا حتى من خلال الكتابات التاريخية بما تحمله من تعصب خاصة للجنس الآري*.

- استمرارية الرغبة في البحث عن عمق الذات الغربية منذ الحروب الصليبية إلى يومنا مرورا بعصر النهضة الأوروبية

- الشعور المزمّن بالنقص يتحول في إحدى مراحل و لاسيما في مرحلة الشعور بصعود الذات إلى اختراع نوع من التفوق المبالغ فيه المتشعبا لأنانية والذي يصل إلى حد إلغاء الآخر** ذلك لان اشد الجماعات الأوروبية تحلفا من التي ابتدعت - دون غيرها - ما يعرف بالتفريق العرقي.

استفاقت أوروبا في نهضتها عل إيقاع العلوم التي كانت اسبانيا و إيطاليا و صقلية مركزا لها بعد أن تأثرت بتداعيات الاحتكاك بالعالم الإسلامي وهو ما دفعها للتوجه إلى تمجيد أثينا و روما كمراكز حضارية بديلة نحو الشمس و التزوير المتعمد

محمود محمد علي ، المرجع السابق ص 291

* : من المعتقد أن مصطلح الآرية أو الهندوجرمانية هو مصطلح أو اختراع ألماني حديث، صنعته مخيلة اللغويين الألمان في إطار التنافس على مناطق النفوذ مع الدول الأوروبية الأخرى للسيطرة على الهند خاصة، حيث اعتبر الألمان اللغة كأساس للقومية، و قسموها إلى قسمين، هندوجرمانية و سامية.

أنظر : أحمد داوود ، تاريخ سوريا الحضاري القديم، ط 1 ، دار الشرق للطباعة، سوريا ، 2004 ، ص 33 .

** : و هو ما ظهر عند الجماعات اليهودية بعد قرون طويلة من الشعور بالنقص، ليتجلى ذلك في مقولة شعب الله المختار. أنظر : المرجع نفسه،

إلغاء آسيا من المجال الحضاري واقتطاع منها آسيا الصغرى فقط لأن بحر إيجهماورلبلاد الإغريق وهذه المنطقة بإعتبار مضيق البوسفور و الدردنيل همزة الوصل بين آسيا و أوروبا فالمسافة بين آسيا الصغرى وشبه جزيرة بلاد الإغريق جد قريبة حوالي ساعة أو ساعتين*

و الحقيقة انه في العصر الحجري المتأخر كانت جزر بحر إيجه مراكز فرعية لمدن الشرق الكبرى والتي كانت تابعة للفرات و النيل والواقع أن أول نشوء للمدينة الأوروبية لم يكن في بلاد الإغريق بل في منطقة بحر إيجه ، وتعد جزيرة كريت احد مراكزها الهامة وهو ما يعني أن الجانب الآسيوي قد سبق الجانب الأوروبي في التقدم بزمان طويل ، بدلي أن تماثل الأسدين الذي وجد في بوابة الأسد بميسينيا شبيهة بتلك التماثيل التي وجدت في بلاد ما بين النهرين¹ حتى أن مدينة طروادة التي شيدت حوالي 3000 ق.م ساهمت كثيرا في تلك التوصلات التجارية بين آسيا و أوروبا، كما شيدت في منطقة آسيا الصغرى مدن هامة إنحدر منها أهم مفكري الإغريق منهم هيرودوت

ولكن رغم قوة التماس الشديد بين بلاد الإغريق وهذا الجزء الآسيوي الذي يعد المنبع الأول للحضارة الإغريقية نجد أن أنصار نظرية التعصب يركزون تمحورهم على الجنس الإغريقيو انتمائه الأوروبي بدل التركيز على ثقافة المنطقة ككل وهو دليل آخر على إقصاء الجزء الآسيوي رغم كونه ذو انتماء عميق في الثقافة الإغريقية بل انه منبعها الأول

* : لقد كان انطلاق بلاد الإغريق و ازدهارها الاقتصادي من آسيا الصغرى، و شكلت هذه المحطة مرحلة هامة من تاريخ الإغريق الحضاري، حتى أن الدراسات تذهب إلى أن الأستروسك هم من آسيا الصغرى.
أنظر : أندري أميار ، جانين أو بوابة ، تاريخ الحضارات العام ، ص ص 206 – 207 .
1 : أحمد داوود ، المرجع السابق، ص 40 .

2.2 النزعة العنصرية الأوروبية

ظلت خرافة الأسلاف الإغريق في خدمة الإيديولوجية الحديثة التي أنتجها الغرب حوالي عصر النهضة الأوروبية على اعتبار أن هؤلاء الأسلاف هم مصدر التفكير العقلاني في الوقت الذي ارتكزت فيه التأملات الشرقية على الطابع الديني الميتافيزيقي

ولقد انتشرت هذه النزعة العنصرية في أوروبا انطلاقاً من المخطط الأرسطي المتعلق بحتمية المناخ وتأثيره على العناصر البشرية وتقدمها الحضاري، مع إبراز الفارق بين الفكر الأوروبي والفكر الشرقي، ومن أوائل الذين أقرروا ذلك علناً الفيلسوف الفرنسي مونتيسكيو وإرنست رنان من بعده، و هو ما خلف بروز اتجاهات فلسفية تعمق في تكريس أهداف إيديولوجية

1.2.2 مونتيسكيو و بوارد المركزية الغربية و التعصب العنصري

انتعشت النزعة العنصرية في أوروبا على يد مونتيسكيو حوالي 1721 من خلال كتابه (رسائل فارسية*) حيث أورد في الرسالة الحادية عشر : " ... كانت البلاد العربية شعباً صغيراً يدعى (التروجلوديت) ينحدر من التروجلوديت القدماء الذين كانوا - إذا صدقنا المؤرخين - أشبه بالبهائم منهم بالناس ، لم يكونوا مشوهي الخلقة ولكن كانوا تعيسين و متوحشين إلى حد كبير ، ولم يكن لهم أي قاعدة للإنصاف و العدالة، وكان لهم ملك من أصل أجنبي عنهم أراد أن يذهب عنهم شرastهم الطبيعية فعاملوه بقسوة و تعصبوا عليه و قتلوه. واستأصلوا الأسرة الملكية كلها، و لم تكن الأرض في هذه المنطقة ذات طبيعة واحدة جبلية و منخفضة، و هلك الشعب من المجاعة.¹

* : يستخدم مونتيسكيو في هذا الكتاب شخصيات فارسية مرموقة لينتقد و يتهم على مظاهر الفساد في أوروبا التي يرسمها في أحسن صورة على أنها القارة العلمية التقدمية، و يفسر سبب ذلك بالمناخ الملائم ، و لقد وردت آراء مونتيسكيو الموالية لأوروبا و المعادية لإفريقيا بشكل واضح في كتاب (روح القوانين) 1748 .

أنظر : مارتن برنال ، المرجع السابق، ج 1 ، ص 346 .

1 : مونتيسكيو، رسائل فارسية، ترجمة أحمد كمال يونس، ط 1 ، دار سعاد الصباح، 1991 ، ص ص 28 - 29 .

و في نفس السياق يقول مونتييسكيو في الرسالة التاسعة عشر في تهكم على الحكماء العثمانيين أن المسيحيين هم الذين يزرعون الأرض¹، و يواصل في نفس الرسالة بقوله : " في الوقت الذي كانت فيه أوروبا ترتقي رقياً مطرداً، ظلوا هم في جهالتهم الجهلاء، يأخذون عن الأوروبيين مخترعاتهم الحديثة، و لم تكن لهم خبرة بالبحار و لا بأعماقها، و يمكن أن يقال أن حفنة من الأوروبيين - و المقصود به هنا هم اليونانيون) أجهدوا العثمانيين و أزهقوا إمبراطوريتهم."²

ويتضح من خلال ما سبق أن في هذه الأقوال معان صريحة نحو تمجيد الحضارة الأوروبية و الإغريق، مقابل التحقير من قيمة الحضارة الإسلامية التي هي سليله الحضارات الشرقية القديمة.*

2.2.2. إرنست رينان : تصريح صريح لفكرة العبرية الإغريقية و نبذ الأعراق الأخرى

من أكبر الفلاسفة الفرنسيين و الذين جاؤوا من بعد مونتييسكيو، و ساروا على نهجه في هذا المجال (إرنست رينان)، و هو فيلسوف و مستشرق فرنسي (1829 - 1892 م) درس الإسلام و اللغات السامية، و أسس نظرية الإستشراقية، نال الدكتوراه في الفلسفة عام 1852، اقترن اسمه بترويجه الصريح لفكرة عبقرية و علوم و فلسفة الأجداد الإغريق، و ذلك خلال المحاضرات التي ألقاها بالسربون، و التي أعقبتها ردود جمالا لدين الأفغاني عليه، و تضمنت التهجم على الإسلام الذي لم يكن - حسب - دين علم و حضارة. و من جملة ما قاله : «... لم تكن الفلسفة لدى الساميين سوى استعارة خارجية، خالية من كبير الخصب، غير اقتداء بالفلسفة اليونانية، و الرجوع إلى مدرسة الفكر النبيل العظيمة في القرون القديمة، إن الشرق السامي و القرون الوسطى* مدينان

1 : المرجع نفسه ، ص 44 .

2 : نفسه ، ص 45 .

* : لقد انتقد جون جاك روسو ، مونتييسكيو في نظريته، حيث اعتبر أن المسيحية هي دين روحاني، و وطنه ليس في هذا العالم، إن الدين الحقيقي و السياسة الحقيقية في المؤسسات هو الإسلام، تلك العبرية العظيمة، و يأخذ مونتييسكيو على أنه وقع في تناقض لما قال أن المسيحية هي احسن الأديان، لكن لا تتناسب مع كل المجتمعات و الحكومات.

انظر : جون جاك روسو، في العقد الإجتماعي، ترجمة دوقان قرقوط ، دار القلم، بيروت - لبنان، ص 86 (بتصرف)

* : المقصود بالقرون الوسطى، هي العصور الإسلامية، و إقدام المسلمين على ترجمة كتب الإغريق، خلال العصر العباسي.

بكل ما عندهما من فلسفة لليونان، حيث بدون عبقرية الأصل تحت كمال الشكل و مقياس الفكر الدقيق.¹

و إعتبر رينان أن الفرنسيين رومان باللغة و إغريق بالحضارة، و قضية العرق يزيد أهميتها بسبب بروز ظواهر كونية تدعى الحضارة الإغريقية، غير أن عقيدة الإسلام رسخت عادة رذيلة بلغت من القوة ما جعل الفوارق بين الأعراق و القوميات تختفي بإعتناق هذه الديانة.

و يقول دائما في المحاضرة التي ألقاها عام 1883 بعنوان الإسلام و العلم أن الإغريق هم المصدر الأول للمعرفة و التفكير السليم، و أن تفوق بعض المراكز المجاورة لهم كبغداد و دمشق هو بسبب قرب مفكرها من التراث الإغريق.²

و الجدير بالذكر أنه منذ عصر التنوير بأوروبا تنامت الأفكار التعصبية حول المجتمع الإسلامي المقترن بالضعف و الانحطاط بسبب ضعف الحكومات و المؤسسات السياسية، و يعد ذلك امتدادا لموقف سابقه مونتييسكيو من الإسلام، حيث ضعفت شعوبه تحت تأثير الدين، ذلك لأنه يصف ضد الحضارة و العرق العربي بكونه بعيدا عن إدراك أسباب الحضارة، و لا يمكن له أن يستوعب الموضوعات الميتافيزيقية و الفلسفية.³

و بالتالي نلاحظ أن هذا الاتجاه يؤسس لمبادئ فكرية و إيديولوجية قائمة على أسس تصنيفات دينية و عرقية للشعوب، و مهما يكن فإن هذه الاتجاهات خدمت الفكر الإستعماري الغربي، الذي نشط عقب عصر التنوير مع مطلع القرن التاسع عشر.

1 إرنست رينان، أبن رشد و الرشدية، ترجمة عادل زعيتر، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة، 1957، ص ص 15 - 16.

2 : إرنست رينان، محاضرة الإسلام و العلم، ألفت بالسربون في 29 / 03 / 1883 م، و نشرها كلمان ليفي مدينة باريس.

3 : إرنست رينان، الإسلام و العلم، ترجمة و دراسة محمد عبد الحافظ، ط 1، المجلس الأعلى للثقافة، 2005، ص 164 - 185.

3.2.2. بريطانيا و ألمانيا البيئة الملائمة لرواج فكرة المركزية الغربية

في بريطانيا كان التحمس شديدا لفكرة التفوق الإغريقي، حيث اعتبر مفكروها أن الرومان هم أدنى من الإغريق حضارة ، لأنه في مدة قصيرة أصبح الإغريق ساسة و محاربين و خطباء و مؤرخين و أطباء و شعراء و مهندسين و نحّاتين، إلى درجة أن المرء يعتقد أن تلك الفترة الذهبية هي عمل من أعمال العناية الإلهية التي تكرمت بها على الطبيعة البشرية و التي بلغت حد الكمال، بل أكثر من ذلك أنه في سنة 1767م ظهر ببريطانيا اتجاه يمجّد الإغريق و تراثهم على حساب التراث المصري.

و في ألمانيا ظهرت نزعة نحو الهيلينية كاستجابة لمواجهة أزمة الهوية الألمانية في القرن الثامن عشر الميلادي بالعودة إلى الجذور الأصلية للغة الألمانية بحثا عن امتداد لها في اللغة الإغريقية، و القصد من كل هذا التوجه نحو الإغريقية الإعتزاز بألمانيا كرمز ديني بروتستانتي مناوئ لللاتينية الكاثوليكية إلى درجة إعتبار نفسها هيلاس الجديدة، و لقد كان التهديد يأتي ألمانيا من جهة باريس التي حملت شعار روما الجديدة، و اللغة الفرنسية باعتبارها من اللغات اللاتينية.*

و لتحقيق هذا الهدف، أُعد برنامج إصلاحي يقوم على خلق مؤسسات تعليمية مغمورة بالحماس، يمكن لها أن تشكل أعمدة الحياة العامة في البلاد، و لقد كانت فعلا بمثابة الأعمدة التي ارتكز عليها الألمان خلال القرن التاسع عشر، و اعتمدوا على قاعدة إحياء صورة الإغريق المقدس التي تقع في قلب دراسة التاريخ، و التاريخ القديم خاصة. و إهتموا بدراسة الملاحم الهومييرية (الإلياذة و

* : تنامت هذه النزعة في ألمانيا بعد التطورات السياسية التي فرضت على الحكومة البروسية إصلاحات على إثر الهزيمة التي منيت بها أمام جيوش نابليون في (جينا - Jena) عام 1806 م ، أين وضع برنامج إصلاحي تعليمي بحث فيه الطلاب على دراسة التاريخ القديم عامة و الإغريقي خاصة ، لأنه وسيلة الاندماج ككل. و رغم تطور هذا الاتجاه الفكري في ألمانيا، إلا أن الوضع السياسي قد تميز بالانقسام و الضعف و انعدام الوحدة، و يذهب البعض إلى القول أن ألمانيا لم تستطع أن تكون روما الجديدة، فالتجّعت إلى أن تكون بلاد الإغريق الجديدة.

انظر : مارتن برنال ، المرجع السابق، ج 1 ، ص 359 .

الأوديسا) ** المليتان بالحكمة و التجربة الإنسانية، فيجب الأخذ من الإغريق شيئاً لأن نموذجهم يكاد يكون إلهياً . لا يمت للبشر بصلة.¹

و الجدير بالذكر أن نزعة تمجيد الإغريق تصاعدت في أوروبا، خاصة في بريطانيا و ألمانيا و فرنسا، و تعززت بظهور الجمعيات و النوادي الداعية لذلك، و انتقلت إلى الولايات المتحدة الأمريكية، و تزامن مع حرباً استقلالاً يونانية عن الدولة العثمانية، و التي تكرست في معركة نافارين سنة 1827م، حيث اعتبروها صراعاً بين القوة الأوروبية و التدهور و الفساد و القسوة الأفروآسيوية، بعد أن تنامت في اليونان خلال القرن الثامن عشر نظرة ترى أن الحكم العثماني التركي أمراً منافياً للطبيعة، لأنه تم قهر جنس أعلى من طرف جنس أدنى.²

و على نحو الإصلاحات الألمانية* توجهت بريطانيا ، حيث طبق ذلك النموذج بجامعة أكسفورد و كمبريدج، و اهتموا بدراسة التاريخ القديم على طريقة الألمان، و أسندت هذه المهمة إلى (توماس أرلند—Thomas Arnolt)، كما تعززت بظهور نخبة درست بألمانيا، و من أهمهم

** : قامت بروسيا بإصلاحات واسعة بعد الهزيمة النكراء (1806—1809 م)، حيث اسند إلى (همبولت) إعادة تنظيم النظام التعليمي ضمن إصلاحات واسعة، ثم تنفيذها لمواجهة التحدي الثوري الفرنسي، و تم البناء الجديد على أساس Biling ، الذي اعتقد أنه سيحيي الشعب الألماني بعد الهزائم الساحقة على يد الفرنسيين، و ناقض النموذج الألماني نظيره الفرنسي القائم على الفنون التطبيقية في مرحلة التعليم العالي، لأنه يركز على الرياضيات، و العلم التطبيقي مفضلاً المدارس التي تقوم على التعليم (Wissenschaft) و هو التعليم الأوسع مجالا، و يقوم هذا المنهج على ثلاثة فروع ، العلم ، الرياضيات، التاريخ و اللغات، و لم تكن الرياضيات تدرس خلال الخمس سنوات الأولى من عمر جامعة برلين الجديدة، لأنه منح الأولوية للتاريخ الذي كان إنجاز الرئيس، كما أدخل همبلوت المنافسات و الأبحاث التي تفتح المجال لأبداع الطلاب عوض المحاضرات التقليدية. و ما يمكن قوله هو أن هذا النظام أثبت فعاليته في المدارس الألمانية و الذي ساهم في ترسيخ معالم الفكر القومي لديهم .

أنظر : مارتن برنال ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 440 .

1 : المرجع نفسه ، ص 441 .

2 : مارتن برنال ، المرجع السابق، ج 1 ، ص 406 .

* : اعتبر الألمان أنفسهم بناء الثقافة البشرية، و ذلك ما ينطبق على ما ادعاه الآثنيون على أنهم أشهر بناء الفكر الإغريقي و البشري ككل .

انظر : مارتن برنال ، المرجع السابق، ج 1 .

(جوليوس هير Julius Hare)، حيث انطلقت من جامعة كامبريدج، و ذلك تزامنا مع ظهور اتجاه ينادي بإنكار التأثير المصري و الفينيقي الحضارة الإغريقية.

و يعود هذا كله إلى تصاعد العداء اتجاه السامية مع ثمانينيات و تسعينات القرن التاسع عشر، و عشرينيات و ثلاثينيات القرن العشرين، و ذلك في أعقاب هجرة يهود أوروبا الشرقية إلى أوروبا الغربية، أما مطلع القرن العشرين، ارتبطت بدور اليهود و علاقتهم بالثورة الروسية 1917-1917 م ، و كذلك خلال الأزمة الاقتصادية العالمية 1929 م.*

3.2 العرقية الإغريقية بين جدلية التأيد و الإنكار للأصول الشرقية

1.3.2 مفهوم العرقية الإغريقية أو المعجزة الإغريقية .

من خلال العرض التاريخي الذي تقدم، اندرج مفهوم العرقية الإغريقية، فلم تكن هذه العبارة وليدة العهد الإغريقي القديم، و لم تظهر حتى في العصر الذهبي للإغريق حوالي القرن الرابع قبل الميلاد، رغم تباهي بعض المفكرين بإنجازاتهم، فالفكرة إذن وليدة عصر النهضة، تمخضت من إيديولوجيات مختلفة، تحكمت فيها الظروف التاريخية المتزامنة مع عصر التنوير في أوروبا، و توسعات الدولة العثمانية و بداية ضعفها، مقابل تنامي قوة الغرب و خدمة مصالحهم الإستعمارية التي استهدفت إفريقيا و آسيا كونهما في الأصل مركز إشعاع للحضارات القديمة، فالمقصود بالفكرة إذن — حسب الداعين إليها من مفكري القرن التاسع عشر في الحضارة الغربية، هو أن الحضارة الإغريقية و الفكر الإغريقي ككل يختلف اختلافا كبيرا من حيث التنوع و القيمة عن كل تفكير شرقي، و عن تلك الحضارات السابقة للحضارة الإغريقية. بل أكثر من ذلك أن العقل انساني بمعناه المطلق اكتشف نفسه على يد هذا الشعب من التجار و الملاحين¹ متحررا من كل القيود التي كانت مفروضة عليهم من قبل، و أن هذا التحرر في حد ذاته يعد معجزة، أي شيئا خارقا للعادة و الطبيعة و

* : للتوسع أكثر في دراسة مظاهر المعاداة الأوروبية للسامية و علاقتهم باليهود . أنظر : مارتن برنال ، المرجع السابق، ص 560 – 573 .

1. : Murice Groiset, Op Cit, P198 .

المؤلف¹. فعبقرية الفكر الإغريقي تجسدت في علومهم و فلسفتهم التي انطلقت من العدم مع إنكار الأصول الشرقية تمام الإنكار .

2.3.2. العبقرية الإغريقية بين التأييد و الإنكار:

أجمع باحثوا الفكر الإنساني أن ما تركه الإنسان هو ذلك الإنتاج الفكري الخاضع لقوته العاقلة التي ميزته عن غيره، فهو لاحظ ظواهر الكون على اختلافها، فتصورها و كون له فيها رأيا، و راح يبحث عن عللها، و علاقته بها و تأثيرها عليه، لتطور معالم البحث عن ماهية الإنسان و أصوله و علاقته بالكون، و هذا كله يكمل في الفلسفة و العلوم، فهذا النتاج الفكري لم ينشأ بمعزل عن منجزات الإنسان العلمية و الحضارية، كما لا يمكن فهم تلك الحضارات لو لم تتبع الذخيرة الفكرية للمجموعات المختلفة الفكر. و لا يمكن قيام حضارة أصيلة دون فكرها، واختلاف الحضارات دليل اختلاف الفكر و الفلسفة.² و ضمن هذا السياق انقسم الباحثون حول حقيقة نشأة الفكر والعلم و الفلسفة إلى قسمين.

3.3.2. الاتجاه المؤيد لفكرة عبقرية الإغريق

1.3.3.2 أرسطو أول مؤسس لهذا الاتجاه :

يعد موقف أرسطو من أقدم المواقف حول نشأة الفلسفة و الفكر في بلاد الإغريق، حيث تبني نظرية الكيوف الطبيعية في كتابه (السياسة) و هي التي تجعل الشعب الإغريقي يتميز بصفة جامعة بين الذكاء و الشجاعة، و بذلك فهو يتجاوز الشعوب الأخرى.

2.3.3.2 نظرية الكيوف الطبيعية :

وردت هذه النظرية في الفصل السادس من كتاب (السياسة) حول أصل الدولة، وصفاتهم الطبيعية، حيث قال :«... قد يطلع المرء على هذه الصفات إذا تأمل الدولة اليونانية الشهيرة،

1 : عزت القرني ، الفلسفة اليونانية ، المرجع السابق، ص 6 .

2 : جمال المرزوقي، الفكر الشرقي القديم و بدايات التأمل الفلسفي، ط 1، دار الآفاق العربية، 2001، ص 09.

و نظر إلى المعمور قاطبة، و الشعوب القاطنة في أوروبا كلهم إقدام و شجاعة، لكنها ناقصة الحجة، متأخرة الصناعة، فهي أكثر الشعوب حرية من سواها، لكنها خالية من النظام السياسي، عاجزة عن السيطرة على مناخها، أما الشعوب الاسيوية فهي شعوب ثاقبة الذهن تحذق الفنون و الصنائع، لكن تنقصهم رباطة الجأش، أي تنقصهم الشجاعة، أما الشعب الإغريقي يحتل موقعا وسطا ضمن هذه الأقاليم، اشترك أيضا في صفات سكانها، فهو شعب مقدم، متوقد الفؤاد، قادر على أن يفرض سياسته على الجميع، و له سياسة جد فاصلة.¹»

و نلاحظ من خلال هذه النظرية أن الإغريق يتجاوزون كل الشعوب الأخرى ليكون أرسطو أول من تبني موقفا واضحا عندما جعل من طاليس مؤسسا للنسق الفلسفي عندما قال أن الماء هو اصل الوجود، و بالتالي كان موقفه جد واضح .

ومن بين المتشددین لهذا الاتجاه، هيجل و برتراند راسل، حيث الغى هيجل صفة الفلسفة عن الفكر الشرقي بسبب عدم أهلية الشعوب الشرقية لاحتضانها كنشاط حر غير نفعي ناتج عن زوال قلق الحاجة. و سبق التطرق لموقف هيجل و برتراند راسل في الفصل الرابع.

و كما سبق استعراض موقف أهم فلاسفة النهضة (مونتيסקيو و إرنستينان) باعتبارهما أهم من دعى لهذا الاتجاه من جديد بعد أرسطو، معتمدين على نظرية تفوق الأعراق، و من أهم دعاة هذا الاتجاه أيضا (برنيت—Bernet) حيث يعتبر آراء البابليين و المصريين حول نشأة

1 : أرسطوطاليس، في السياسة، ترجمة أغسطس بابارة اليولسي، ط 2، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، بيروت — لبنان، 1980، ف (20، 25، 30)، ص 371 .

الكون مجرد آراء أسطورية، و إذا توفرت لديهم بعض المعارف في الحساب و الهندسة، فهي لم تصل حد التنظير أو التجريد العقلي، بل هي علمية بحتة، بينما هي نظرية و علم* مجرد عند الإغريق.¹

فلاحظ أن برنيت من خلال كتابه، يفرض وجود فلسفة لدى المصريين والبابليين و الهنود، و يعمم ذلك على النظريات الرياضية و الفلكية، حيث أظهرت أوراق البردي - حسبه - أن الرياضيات المصرية هي عملية بحتة، تنطلق من حسابات منها حساب كمية المحاصيل كالقمح و الفواكه، و تعالج مشاكل عملية مثل المكايل و ضرورة تقسيم المحاصيل على الأشخاص و أجور العمال، فحسبه لا يوجد في الرياضيات ما يشير إلى الدراسة العلمية.²

أما كيتو فيقول في كتابه : «...» ، بينما كانت مدنات الشرق التي سبقت مدينة الإغريق ذات كفاية بالغة في أغلب الأحيان في امور علمية، و كانت أحيانا لا تقل في قيمتها عن الإغريق، إلا أنها كانت حذاء من الوحشة العقلية، فقد مارس ملايين الناس الحياة قبل الإغريق، و لكن ماذا فعلوا؟ لا شيء ، لقد ماتت خبرة كل جيل بانتهائه (إلا في بعض الأمور العلمية

* : الفلسفة هي أول مظهر للنشاط العقلي في جميع المجالات، حيث انبثقت عنها العلوم الأخرى، و التي استقلت عنها مع ظهور عصر النهضة، و منه فإن الفرق بين العلم و الفلسفة يكمن في كون أن العلم له مجموعة من الخصائص منها: لإعتماد على التجربة و الملاحظة، وصف الظواهر على طرق مختلفة، تختص بدراسة كل مجال على حدى، كعلم الحساب، علم النبات، ... ، و أن العلم وصفي تقريرى لأنه يكشف العلاقات الثابتة بين الظواهر، دون أن يبحث في الحكمة من وجودها،

- إن تاريخ العلم ليس جزءا منه، لأن الكثير من العلماء لا يعرفون أفكار أفلاطون و أرسطو في مسائل هذا العلم، و كم من علماء مجهولون مواقفهم، أما الفلسفة فلها خصائص خاصة، لأنها تدرس العلم في كليته و ليس جزئياته عكس العلم، الذي يتناول كل مجال على حدى . و أن الفلسفة لا تسلم بشيء أن لا يؤدي إليه العقل و البرهان، و لا تقدم وزن كبيرا للتجربة الحسية، لأن العقل أصدق من التجربة و البرهان أكبر ثقة من الواقع المحسوس .

- العلم يكتفي بالملاحظة و التجربة و الفلسفة لا تكتفي بالتساؤل و التشكيك فيها، و العلم هو احدى الحقائق التي تعالجها الفلسفة، و تجاهل الماضي ممكن في العلم و متعذر في الفلسفة، لأن تاريخ العلم غير تاريخ الفلسفة الذي هو جزء منها. و الفلسفة بدون علم عاجزة، حيث لا يمكن التطور دون روافد المعرفة العلمية.

- العلم لا يستغني عن الفلسفة التي تمده بالمناهج و العلاقات.

أنظر : عبد الرحمان مرحبا، مع الفلسفة اليونانية، ط 3 ، منشورات عويدات، بيروت - باريس ، 1988 ، ص ص 50-51.

: Bernet , Op Cit , P 18 . 1

2 : جمال المرزوقي ، المرجع السابق ، ص 27 .

المحضة)، كما لا تموت أوراق الشجر في الغابة، لأنها تكسب الأرض خصوبة على الأقل، و الإغريق هم الذين برزوا بكل صورته الأخرى المعروفة و أوصلوها إلى حد الكمال، ف شعر الملاحم و التاريخ و المسرحية و الفلسفة بكل فروعها، بما في ذلك ما وراء الطبيعة، و الاقتصاد و الرياضيات، و كثيرا من العلوم الطبيعية، كلها تبدأ من عند الإغريق.¹

إن ما أوردناه من أقوال تعد نماذجا في إعلاء شأن الحضارة الإغريقية على حساب سائر الحضارات، خاصة حضارات الشرق القديم، كما أورد الفيلسوف الألماني هيجل أن أصول الحضارة الإغريقية كانت مرتبطة بقدم الأجانب إليها، و هو ما دفع الإغريق إلى الشعور بشيء من الإمتنان اتجاههم.² و رغم تعصب هيجل لفكرة عبقرية الإغريق، إلا أنه يعترف بطريقة غير مباشرة بدور الشرقيين في حضارتهم.

و من أبرز المواقف التي نوردها أيضا موقف سانت هيلر بارتليمي الذي يقول أن الفلسفة الشرقية لم تؤثر في فلسفتها، أما الفلسفة الإغريقية منها تتصل بالماضي الذي خرجنا منه، و علينا أيضا أن لا ننسى اننا أبناء الإغريقين.³

1 : هـ . د كيتو ، الإغريق، ترجمة عبد الرزاق يسري، دار الفكر العربي، 1962 ، ص 3 - 4 .

2 : G.W Hegel , The philosophy of history, translated by S.Besrée, P 288 .

3 : أرسطوطاليس، الكون و الفساد، ترجمة أحمد لطفي السيد، الدار القومية للطباعة و النشر، (من المقدمة التي كتبها سانت هيلر بارتليمي)، من المقدمة ، ص 4 .

4.3.2. الإتجاه المعارض ، رفض فكرة العبقريّة الإغريقية و تأييد الأصول الشرقية

لقد استعرضنا بعض المواقف الممجدّة للفكر و الحضارة الإغريقية و الرفضة لكل تأثير شرقي*، و للوقوف على حقيقة الإتجاه، يجب إبراز وجهات نظر الطرف الآخر حول الموضوع، و من أبرز المفكرين.

و من أقدم الآراء في هذا الإتجاه رأي ديوجينيساللانثري* في كتابه حياة مشاهير الفلاسفة حيث يقول في الفقرة الأولى: «هناك من يقول أن الفرس كان لديهم (الجوس)، كما كان لدى البابليين و الآشوريين الكلدانيين، كما كان حكماء بين الهنود، ذلك لأن المصريين جعلوا من (هيفاستيوس) إبنا لرب النيل، و زعموا أن الفلسفة بدأت على يدهم، و أن الكهنة و الأنبياء كانوا شراحها الرئيسيين، و كان هيفاستيوس قبل مولد الإسكندر المقدوني¹»

و ما نلمسه من هذا القول، أنه يتضمن تصريحاً ضمناً بأن تكون للشعوب الشرقية التي سبقت بكثير حضارة الإغريق فلسفة، غير أننا نلاحظ أن الموقف يشوبه نوع من الإلتباس. أما عند الفلاسفة المحدثين، فإن من أهم من أيد تأثير الأصول الشرقية، مؤرخ العلم جورج سارتون**، و الذي أكد

* : لم تكن هذه النظرية لدى المفكرين الغرب فحسب، بل كانت عند العرب أيضاً، و من أبرز هؤلاء عبد الرحمان بدوي، حيث يقول : «... إن الفلسفة اليونانية لم تنشأ متأثرة بالفكر الشرقي، و إنما تأثرت بخصائص الشعب اليوناني نفسه، ..»
انظر : عبد الرحمان بدوي، ربيع الفكر اليوناني، ص 84 .

* : ديوجينيساللانثري، مفكر و مؤرخ عاش حوالي القرن الثالث الميلادي و هناك من يختلف في ذلك و يرجعه إلى القرن الأول و الثاني الميلادي، كتب مؤلفه الشهير (حياة مشاهير الفلاسفة)، الذي يعرض من خلاله آراء فلاسفة الإغريق، و تاريخ مدارس الفلسفة.

أنظر : ديوجينيساللانثري، حياة مشاهير الفلاسفة، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، المجلد الأول، ط 1 ، المجلس الأعلى للثقافة، مصر ، 2006 ، ص 1 .

1 : ديوجينيساللانثري، المصدر السابق ، الفقرة الأولى ، ص 30 .

** : ولد جورج ألفرد سارتون سنة 1884 م ، في مدينة (غينت Ghent) البلجيكية، تحصل سنة 1911 على درجة الدكتوراه في العلوم ، ثم هاجر سنة 1951 إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليحصل على الجنسية الأمريكية سنة 1924 م حاضر في الكثير من الجامعات الأوروبية و الأمريكية، و أصبح استاذاً لتاريخ العلم بجامعة هارفارد، ترأس أكثر من جمعية دولية تعنى بتاريخ العلم، كما شغل منصب رئيس الإتحاد الدولي لذات الغرض، و رئيس شرقي لجمعية تاريخ العلم الأمريكية، أسس و

ذلك صراحة في مؤلفه الضخم (تاريخ العلم) أو في مؤلفه (تاريخ العلم و الأنسنة الجديدة) حيث يقول : «إن مجمل التطور الذي مهد لبروز فجر العلم لابد و أنه قد استغرق عشرات الآلف من السنين، ففي بداية الألف الثالث قبل الميلاد حدث تطور في منطقتي مصر و بلاد ما بين النهرين و الهند و الصين، فوصلت كل من مصر و العراق إلى مرحلة هامة من معرفة أصول الرياضيات و الفلك و الطب، و منه يتضح أن العلم قد بدأ من الشرق (من الشرق أشرق فج العلم).»¹

و يقول أيضا في مؤلفه الكبير تاريخ العلم : «... فمن سذاجة الأطفال أن يفترض ان العلم بدأ في بلاد الإغريق، فإن المعجزة اليونانية سبقها آلاف الجهود العلمية في مصر و بلاد ما بين النهرين و غيرها من الأقاليم، و العلم اليوناني كان إحياء أكثر منه اختراع، و الظاهرة الثانية إهمال الإطار الخرافي الذي نشأ فيه العلم، ليس عند الشرق فحسب، بل في اليونان ذاته كذلك. و كفانا سوءا أننا أخفينا الأصول الشرقية التي لم يكن التقدم الهيليني مستطاعا بدونها.»² نجد أن سارتون يذهب أبعد من إثبات الأصول الشرقية للعلماء الإغريق، بل أنه يؤكد أن العلم ولد من الخرافة في كل من بلاد الإغريق و الشرق على حد سواء.

و نجد (تومين) يقول في نفس السياق: " في الوقت الذي نجد فيه عددا كبيرا من فلاسفة الغرب خاصة في العصر الحديث يظهرون أنهم يتجنبون العموميات حول الكون، نجد أن

ترأس مجلتيّن حول العلم و تاريخه و هما مجلة (إيزيس) و مجلة (أوزوريس) ، و توفي سنة 1952 م ، يعتبر عمدة الباحثين في مجال تاريخ العلم، و تميز بدراسة موضوعية شملت فروعاً مختلفة للعلم (رياضية، طبيعية و إنسانية) أتقن العديد من اللغات القديمة و الحديثة، و تعمق في دراسة الحضارات، عرف بحرصه على معرفة التفاصيل الدقيقة و مضامينها الصحيحة من المصادر الصليبة، و من ابرز من أقرأوا أن المعجزة الإغريقية سبقتها آلاف الجهود العلمية بمصر و بلاد ما بين النهرين.

انظر : جورج سارتون، المرجع السابق، ج 1 ص 1 - 2 من المقدمة .

1 : جورج سارتون، تاريخ العلم و الأنسنة الجديدة، ترجمة إسماعيل مظهر، دار النهضة العربية، القاهرة - نيويورك، 1961، ص 136 .

2 : جورج سارتون، تاريخ العلم ، المرجع السابق، ج 1 ، ص 20 - 21 .

فلاسفة الشرق لم تغب عنهم قط المسألة الأساسية، أي تلك التي تتناول معنى الحياة و الغرض منها.¹

و يرى لويدي (Lloyd) ما ذهب إليه سارتون أن العلم لم يكن إغريقي المولد، بل سبقه في النيل و بلاد ما بين النهرين و الصين، و يعود ذلك ربما إلى 3000 ق.م، حيث شيدت هذه الحضارات إنجازات هامة، كالحدايق المعلقة عند البابليين.²

و في نفس الإطار يقول الفيلسوف الألماني فريديريكتشه : «من العبث أن ننسب للإغريق ثقافة أصيلة، إنهم بالعكس هضموا الثقافة الحية للشعوب الأخرى، و إذا ما استطاعوا أن يتوغلوا في البعد، فذلك نظرا لأنهم عرفوا أن يلتقطوا الرمح من حيث تركه الشعب الآخر لكي يلقوا به إلى أبعد.»³

و يقول أيضا : «إن الإغريق باثروا أعمال هذه العناصر الوافدة مضيفين إليها، جاعلين منها أكثر سموا و نقاءا.»⁴

و يمكننا أن نستدل بأقوال فيلسوف آخر تميز بموضعية طرحه، و هو كارل ياسبنر الذي يقول: «بعد أن نحبس أنفاسنا داخل عالم ثقافي رائع و متنوع إلى أبعد حد نجد أنفسنا مندفعين للرجوع إلى الأصل الذي نبع منه، فهناك نعود لإكتشاف الخصائص الأولية للإنسان، و نتفتح على دوافعه الأساسية، و مواقفه الجدية، و نحاول أن نلتمسه في جذور الحضارة الأخرى

1 : أ. ف تومين، فلاسفة الشرق، ترجمة الحميد سليم، ط 2 ، دار المعارف، القاهرة، ص 17 .

: G. E. R Lioyd, Earlygreekscience, thales to Aristotle, Chatto and windus, London, P2 2

3 : فريديريك نشته ، الفلسفة في العصر المأساوي للإغريق، ترجمة سهيل الغش، ط 2 ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، لبنان، 1986 ، ص 40 .

4 : فريديريك نشته ، المرجع السابق، ص 41 .

الإغريقية و غير الإغريقية. و عند الشعوب البدائية، إن الجوهر الذي انتعشت منه الفلسفة كان و لا يزال ينبعث من جذور بعيدة إلى ما قبل التاريخ...»¹

أي أن جذور المعرفة الأولى حسب كارلياسبنزر تعود إلى عصور ما قبل التاريخ، و أكثر من ذلك أن المعرفة و الثقافة تشترك فيها كل الشعوب، و ليست حكرا على شعب دون الآخر، و يضيف ياسبنزر : " و كلما تقدم هذا البحث، اتضح أن الوجود يتجلى في العالم بصوره المختلفة، و أساليب متباينة، فهناك عدة لغات أولية تعبر عن أصول الفلسفة، هندوأوروية، صينية، و ما تضمنته الأشكال الأساسية للمقولات العقلية و رموز الكتابة بالشفرة....²، و هنا يقصد الفيلسوف اللغات و الكتابات المصرية و العراقية القديمة، أي أنه يعطي للفلسفة بعدا عالميا اشتركت في بلورته كل الشعوب باختلاف أعراقها و لغاتها.

5.3.2. أسس العبرية الإغريقية

رغم اختلاف آراء الفلاسفة حول الموضوع و المواقف منه، إلا أ، الإعجاب بالفكر و الفلسفة الإغريقية موضوع اتفاق الجميع* حوله، ذلك لأن هذا الفكر يتميز حسب هؤلاء بعدة خصائص :

- كثرة التحليل للأدلة و للأقوال و البراهين.
- تفسير الظواهر تفسيراً طبيعياً و عقلياً، دون إدخال سلطة خارجية (سلطة الآلهة)، أي التركيز على سلطة العقل فقط .

1 : كارل ياسبنزر ، تاريخ الفلسفة بنظرة عالمية، ترجمة عبد الغفار مكاوي، دار تنوير للطباعة و النشر و التوزيع، لبنان، 2007 ، ص 67 .

2 : المرجع نفسه ، ص 68 .

* : لقد تعلق نشته بالفلسفة الإغريقية تعلقاً شديداً، خاصة السابقة لسقراط مقارنة مع الفلسفة التي جاءت بعده، التي اعتبرها العصر المأساوي للإغريق، و اتضح ذلك في وصيته لأخته (إليزابيث) عندما اشتد به المرض الذي كان يهاجمه في نوبات حادة من الألم، حيث قال لها أريد أن أدفن في قبري كوثنني شريف، فهو لم يكتفي أن يعيش مثل الإغريق، بل أراد أن يموت مثلهم، أنظر : عبد الكريم عينات، نشته و الإغريق، أشكالية أصل الفلسفة، ط 1 ، منشورات الاختلاف، 2010 ، ص 92 .

- عدم إدخال القوى الخفية و السحرية و الغامضة في تلك التفسيرات¹.
 - أن يكون القانون بالنسبة لهم خاضعا لقوانين ثابتة لا تختلف . أي أن الجميع يخضع لسلطة القانون، حتى الآلهة التي يجب أن لا يكون لها حرية الاختيار.
 - القانون الذي يسرد ذلك كله هو قانون العقل، حيث قدسوا سلطته إلى حد تكذيب كل ما لا يتوافق معه، و لو أيده الحس، و الدليل على ذلك المنطق الأرسطي الذي يعتمد على نظرية المنطق أصدق من العقل، و العقل أحق بالاتباع من الحواس، لأن شاهد الحس يخطئ و شاهد العقل لا يخطئ، و ما يخالف العقل غير موجود، و لو شهد الحس بوجوده².
 - تطور العلم و المعارف و الفلسفة في مدة قصيرة منذ القرن السادس قبل الميلاد، ذلك لأن الشعب الإغريقي متميز و يمكن له أن يخاطر من أجل طلب المعرفة.
 - تميز العرق الإغريقي و تفرقه عن باقي الأعراق الأخرى.
 - دور العامل الجغرافي في تكوين هذه العبقرية.
 - عدم التركيز على فكرة العالم الآخر و الحياة الأزلية، لأن العالم الشرقي حسبهم هو عالم ديني.
 - منح الإغريق للفيلسوف طابع الشرعية، لأنه حسبهم الوحيد غير المذنب.
 - دور الدولة و النظام الديمقراطي الذي تميز به الإغريق في تنشيط الحركة الفكرية.
- أي معنى ذلك أن الفكر الإغريقي - حسبهم - إمتاز بأسس واضحة أكسبته صفة المعجزة أو العبقرية و هي :

- أنه عقل إغريقي خالص دون تدخل مؤثرات خارجية .
- اعتمد على النظرية و العقل و إبعاد سلطة الدين و الأسطورة.

1. Emile Burnouf, Op Cit, P 13 :

2 : عبد الكريم عينات، قراءة نفسية للفلسفة اليونانية، قسم الفلسفة، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، رسالة ماجستير 2010، ص 27 .

– إن الشعب الإغريقي متميز بطبائعه و عرقه*.

وما نصل إليه، أنه رغم إنجازات الحضارة الإغريقية الفكرية والعلمية، إلا أنه لا يجب التسليم بصدق هذه الأسس، و لا يجب وضعها في الإطار الضيق، لأن الدراسة الموضوعية للظواهر الإنسانية كظاهرة الحضارة، يجب أن تدرس في إطار عام يتصل بكل الظروف التاريخية و الجغرافية المحيطة بها**.

* : لقد تميزت حضارات الشرق القديم خاصة المصرية و البابلية بوجود أنماط فنية مختلفة، كما لا يمكن إنكار دور الفينيقيين باعتبارهم حلقة وصل بين المراكز القديمة، لكن بالمقابل فإن العبقريّة الإغريقية في المستعمرات تعد اسبق من الجزء الأوروبي، لأنها دخلت قبله في مجال الشعر و الفكر و الفن، و بالتالي كل هذه العوامل ساهمت في هذا التنوع، و منه يتضح من قول صاحبه أنه رغم الإشادة الصريحة بتلك العبقريّة، إلا أننا نلتمس من هذا القول الإعتراف الضمني للتأثير الشرقي .
أنظر :

Gaston Conginy, Op Cit, P 8.

و يواصل القول أنه إذا كان للشرقيين مهارة عملية، فإن للإغريق الفضول في البحث عن مسببات هذه الأمور، لأنهم يفكرون من أجل التفكير.
انظر :

Ibid, P 17 – 19 .

** : عرفت كتابة تاريخ بلاد الإغريق حقبتين قديمتين و حقبة حديثة، حيث شملت الحقبة القديمة الأولى عالم الأسطورة، و هو شكل من الكتابة التاريخية التي تفرض علينا التعامل معها لإستنباط معلومات تاريخية و لو بشكل جزئي، أما المرحلة الثانية فهي ماأنتجه المؤرخون و لكتاب القدماء، و ما وصلنا منه بعد إنتشار الكتابة و التدوين. أما المرحلة الثالثة فهي الحقبة الحديثة التي تميزت بكونها أقل موضوعية مما كانت عليه محاولة كتابة التاريخ نفسه من قبل المؤرخين القدماء منذ القرن السادس قبل الميلاد. و تبدأ هذه الحقبة إعتبارا من القرن الثامن عشر.

ورغم كون المرحلة القديمة إعتمدت على جمع المعلومات من قبل المؤرخين بالإعتماد على شهادات شفوية تداولتها التقاليد، و منها ما إمتزج بالأسطورة التي كانت تحمل الخلفية التاريخية، إلا أنها شملت بعض المعطيات التاريخية التي أبرزت خصوصية العلاقة بين الشعوب القديمة و بلاد الإغريق.

غير أن المرحلة الحديثة التي إستمرت إلى غاية القرن العشرين تعد أكثر تعقيدا و صعوبة كونها صدرت عن عقلية أرادت أن تكتب تاريخا ناتجا عن إتجاهات يتحكم فيها التعصب العرقي، و الأخطر من ذلك أنهم حاولوا ترسيخ هذه النظريات في عقول الأجيال الجديدة. و ذلك ما روجوا له عبر التعليم و النشر، و من حسن الحظ ظهر تيار معارض على يد من مجموعة من المؤرخين و المفكرين حاولوا إبراز حقائق تعارض ما أُريدَ فرضه على المعرفة التاريخية إلى درجة أنه تم نشر بحث يحمل عنوان (أختراع تاريخ اليونان القديم) سنة 1987 م .

أنظر : قاسم الشواف ، المرجع السابق ، ص ص 7 – 8 .

3. العبقرية الإغريقية بين الحقيقة و الخيال

بعد استعراض الفكرة و المواقف المختلفة منها، سنحاول الوقوف على صحة هذا الإدعاء، و إلى أي مد يمكن التصديق به شكلا و مضمونا. فالملاحظ أنه من أجل تمجيد الإغريق و حضارتهم ثم فصلهم عن الجذور الشرقية، من خلال الإيمان بالمعجزات فجأة ليس في طبيعة العقل الإغريقي فقط، بل في العلوم كلها.

إن هذه القيمة و التميز الذي حظي به العقل الإغريقي، لا يجب التسليم بصحتها، إذا كان الغرب يمتلك كل شيء حتى كتابة التاريخ، و هو أول مجال نتطرق إليه في هذه الفكرة، لأن كتابة التاريخ وجهت لأغراض إيديولوجية لخدمة المصالح الغربية.

1.3 كتابة التاريخ الحضاري لبلاد الإغريق

مجال الصعوبات يصطدم بها الباحث

إن البحث في مجال الدراسات للتاريخ القديم يشوبه الكثير من عدم الدقة و الشك، و حالات كثيرة من التعقيد، و في ظل غياب المادة التاريخية و نقصها، يجد المؤرخ نفسه ملزما بمحاولة التأكد من الشهادة التي أمامه لأنها - مع الأسف - وحدها التي تمكنه من التوصل إلى الحدث،

أما في مجال البحث عن العلاقات الحضارية بين الشرق القديم و بلاد الإغريق، فهو موضوع آخر يشوبه الكثير من الغموض، ذلك لوجود فوارق كثيرة و تناقضات عرفت هذه المناطق فيما بينها عبر القرون التي تلت، خاصة الحرب الطروادية بداية من 1100 ق.م . ذلك لأن البحث في هذا المجال واجه صعوبة إيجاد التسلسل الزمني للأحداث، و الذي يعد المادة الأساسية المشكلة للمادة التحليلية و النقدية لهذه المعلومات. حتى أن الإعتماد على ما تركه الكتاب القدماء، و ما تمكنت

من دعمه الحفريات الأثرية، كل ذلك لم يتمكن من حل مشكلة تحديد التواريخ بشكل دقيق، بل ذلك أثبت العجز عن التحقيق التاريخي.*

2.3 اتجاهات جديدة في كتابة التاريخ

1.2.3. (برنال) ثورة في إيديولوجيات قهر العقل الأوروبي

منذ أربعينيات القرن الماضي و العقلا لأوروبي يراجع ناقد نفسه في وقت تراجعت هيمنته، و منذ بداية ستينيات نفس القرن تفجر بركان الغضب ليشمل الأزمة العقلا لأوروبي عامة، لتهتز مقولات رسخت على الساحة الفكرية زمانا تجاوز القرنين، يظهر أن التاريخ الذي دون لم يكن له مسارا صحيحا، تزامن ذلك مع ظهور قوى جديدة بثقافتها و تطلعاتها تمثلت في اليابان و دول العالم الثالث الباحثة الجديدة عن هويتها التاريخية المتجددة في عمق التاريخ .

وهو ما استلزم بروز نهج مغاير في النظر والبحث، و تعددت البحوث و الدراسات الفكرية والفلسفية في مجالات نقدية تصويبية للعقل الأوروبي الذي برز خاصة منذ عصر التنوير، لتستطيع تيارات فكرية باحثة عن دور الإيديولوجيا في العلوم الإنسانية و الطبيعة المنحازة بطريقة لافتة لتدافع

* : لقد كانت الأواني الخزفية أغلب شواهد المراحل التاريخية لبلاد الإغريق، خاصة المرحلة الكلاسيكية، غير أن علاقة هذه الشواهد مع التحقيق التاريخي تبقى معقدة، لا بد من التوضيح، ذلك لأن المصادر المادية الأثرية مهما كانت طبيعتها لا يمكن لها أن تغطي جميع أوجه النشاط الإنساني.

حتى أن استمرار الرواية الشفهية إلى غاية نهاية القرن السادس قبل الميلاد، يشكل أيضا صعوبة في كتابة هذا التاريخ، لأن تشتت الإنتاج الأدبي الكتابي يعود إلى القرنين السادس و الخامس قبل الميلاد، ذلك لأن نص هوميروس و هيزيود اللذان تناقلتهما الرواية الشفهية من القرنين التاسع و الثامن قبل الميلاد كتبها خلال هذه الفترة، و حتما تؤدي إعادة كتابة هذين النصين و ما تعرضا له من تغيير و تبويب تكون حتما ألحقت تطورا في الصياغة في مضمون الرسالة التي أراد كل نص نقلها، و الأهداف المبتغاة منها. حتى أن تلك الهجرات التي تعرضت لها بلاد الإغريق عبر المراحل التاريخية المختلفة من شأنها أن تحدث تعديلات في المادة التاريخية نظرا لما تعرضت له البلاد من تدمير على يد الغزاة، و المثل ينطبق على الغزو الدوري لبلاد الإغريق التي كانت أغلب أسلحتها من البرونز الذي لا يستطيع مقاومة سلاح الحديد. فضلا عن ذلك استمرت الحروب و الاضطرابات الداخلية منها الحروب الميدية و حروب البيلوبونيز ، كل هذه العوامل ساهمت في التأثير سلبا على المادة التاريخية المستقاة خلال مراحل زمنية مختلفة .

أنظر : قاسم الشواف ، المرجع السابق ، ص 46 – 50 .

عن ثقافة الغرب و هيمنة عقله و عرقه على العالم أجمع، لأن ما دونه أدنى، لتتمكن هذه التيارات الجديدة من إثبات حقائق جديدة.

و كتاب (أثينا إفريقيا السوداء)* هو واحد من تلك الجهود التي ناهضت هذه الرؤى التي وصفت بالأكاديمية، يتألف الكتاب من ثلاثة مجلدات تحمل عنوانا رئيسيا هو (أثينا السوداء)، الجذور الإفريقية الآسيوية للحضارة الكلاسيكية - لمؤلفه مارتين برنال - صدر المجلد الأول في 573 صفحة عام 1987 . عن دار النشر (Rutyer , Univercuty , Press , NewJersey) 1 .
و عنوانه الفرعي (فبركة أو اختلافا لإغريقيا القديمة) 1785-1985 .

و يقع المجلد الثاني في 738 صفحة و صدر عام 1991 م ، عن دار النشر freeAssociationGooks, London الأركيولوجية الوثائقية ، ليهتم المجلد الثالث بدراسة الفلسفة و العقائد . ويمتاز (برنال) بين نموذجين مختلفين.

- النموذج القديم : و يعني أن بلاد الإغريق مشرقية تقع على تخوم حضارة و ثقافة سامية.
- النموذج الآري : و يعني أن حضارة الإغريق أوروبية الأصل و المنشأ و المسار، و يوضح المؤلف كيف أنه مع النهضة الأوروبية سعت أوروبا إلى تأويل التاريخ على نحو منحاز و الزعم أنها هي مهد الحضارة التي أنشأها الجنس الآري السيد. و أن العقل الأوروبي عقل متميز و أنه أوروبي بالأصالة، و ليس ثمرة حوار أو لقاء حضاري. و ينقسم النموذج الآري بدوره إلى قسمين :

* : مؤلف الكتاب مارتين جون برنال، انجليزي المولد و النشأة و التربية، أمريكي الإقامة هو ابن جون برنال العالم الإنجليزي الذي اشتهر بمؤلفاته في فلسفة تاريخ العلم و الفيزياء و الحضارات ، و هو حفيد عالم الحفريات (ألان جاردنر) الذي اهتم بدراسة الثقافة و اللغة المصرية القديمة، تدرس مارتين برنال على الدراسات الصينية و اهتم بدراسة ثقافة بلدان شرق آسيا. و الجدير بالذكر أن الانفتاح على الحضارات المختلفة لاستيعاب ثقافتها من منطق رؤية أو فلسفة إنسانية أفضى على نظرة نقدية أكثر رحابة و موضوعية عن الإنسان و تاريخه ، و مسار الحضارات و تفاعلاتها.

أنظر توفي جلال ، (أثينا إفريقيا السوداء) ، بدون توثيق .

1 : شوقي جلال ، (أثينا إفريقيا السوداء) ، بدون توثيق.

النموذج الآري العام أو الرحب : و قد ذاع في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي و أنكر التراث القديم الذي يعترف بأثر الشرق على الإغريق، إلا بعض الاعترافات بالفينيقيين الذين نشروا الدين و الشعر، و أعطى الآريون للعالم الشجاعة، الديمقراطية، الفلسفة و العلم ... إلخ ، مع اعتراف ضمني كذلك بدور اليهود، و لكن برنال يرفض هذا النموذج .

النموذج الآري المتطرف : ظهر مع نهاية القرن التاسع عشر، و أنكر تماما أي تأثير للساميين و المصريين على حد سواء، و يقضي أن هناك جنس متفوق واحد فقط .

و يكشف برنال أن النموذج الآري مستحدث و أنه حصاد قرن واحد من الفكر الغربي المنحاز، لزعم أصحاب هذا النموذج في أن أوروبا هي العالم، و أن العقل هو العقل الأوروبي، والحضارة هي أوروبا مهدا و موطنها، و أن الشمال أفضل من الجنوب، و المتأخر في التاريخ أفضل من المتقدم عليه في الزمان، و طغت بالتالي نزعة عنصرية تمجد الشمال و خصوصياته، و إعتدوا على دراسة السلالات و إعتبارها غير متكافئة عقليا و فيزيائيا، و أن لكل سلالة تاريخها المتميز ، غير المماثل أو المتداخل الذي تبرز وضعها التاريخي تساميا أو تدانيا. و من ثمة من الخطأ امتزاج الأجناس و أن المدينة المبدعة الخلاقة يبدعها جنس نقي متميز .1

لذلك من غير المعقول الزعم أن الإغريق نتاج مزج حضاري بين ما هو أوروبي و ما هو سامي، ثم التأكيد على أن الحضارة لها مسار خطي واحد أوحد. و لترشيد الفكرة عمد أصحاب هذا الاتجاه إلى نفي أمر و أهمية اكتشافات منها اكتشاف شامبليون لحجرالترشيد الذي اغفل بغية إخفاء دور الشرق بسبب موقف عنصري انحيازي ذو أبعاد إيديولوجية* . فبرنال في كتابه إنتقد هذا الاتجاه بصفة صريحة.

1 : توفى جلال ، المرجع السابق، بدون توثيق .

* : لا يمكن لنا دراسة هذا المجال دون التطرق إلى مفهوم مصطلح الإيديولوجية و ابعاد إستخدامه في الكتابة التاريخية . فهو مصطلح حديث نسبيا ظهر بعد الفرنسية سنة 1789 م، و ترجمته اللغوية هي (علم دراسة الأفكار) و هي مركبة من مقطعين

مواقف مختلفة من هذا الكتاب :

أثار الكتاب ضجة في الغرب، و لم يكن هو الأول في هذا الاتجاه خلال النصف الثاني من القرن العشرين، إلا أنه إتصف باعتباره الأعمق و الأشمل ، فقد سبقته كتب أخرى معاصرة من بينها كتاب (التراث المسروق) للمفكر الأمريكي (جورج جايكس)، إلا أن كتاب برنال أحدث دويًا واسعًا في الوسط العلمي و السياسي، فتباينت ردود الفعل، فهناك من أنكر و شدد عليه النكران. لأنه لم يصدر عن جامعات كبرى، و أن صاحبه ليس من أهل الاختصاص المعتمدين . وهناك من هاجمه لاعتبارات سياسية ظاهرة، و على النقيض هناك من أثنى عليه و اعتبروه حداثيًا فاضلاً في دراسة الحضارات الإنسانية من حيث تعدد منابعها و تفاعلاتها، حتى راجت في كتابات مهمة عبارة (قبل برنال و بعد برنال)*

و من المؤرخين المنحازين إلى نفي الدور السامي في الحضارة الإغريقية، المؤرخ مولير KoMuller الذي نفى الدور الفينيقي و المصري في الحضارة الإغريقية، فضلاً عن

هما (Idea) فكرة و (Logos) و تعني علم . و الهدف من المفهوم الجديد هو تعويض الأفكار القديمة لتؤكد الانفصال عن التفسير القديمة، و المقصود به هو نمط من المعتقدات و الأفكار و القيم المتعلقة بالجوانب السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية التي تسود المجتمع في عصر معين ، و تتحكم في إتجاه أفراد.

و لقد إستخدم هذا المصطلح بغرض تأسيس علم جديد (علم الأفكار) و هو منهج جديد لدراسة و فهم الأفكار المجردة و تكوينها و تكيفها، و بعث شروط مطابقتها للحقيقة، حتى تتضح بنفس درجة المصادقية في العلوم الطبيعية كالرياضيات و الفيزياء، ليترسخ إستخدام المصطلح و الفكرة ككل في مجال دراسة تاريخ الحضارات القديمة وفق أغراض و توجهات جديدة .

انظر أحمد محمود صبحي ، صفاء عبد السلام جعفر ، المرجع السابق ، ص 164 – 165 .

* : يصف صاحب الكتاب شوقي جلال أن الرأي كذلك انعكس داخل مصر بإتخاذ مواقف تتبنى مثل هذه المخالطات لخدمة أغراض صهيونية، لأن الصهاينة يحاولون التلاعب بالفكر العربي و العالمي و صناعة الوعي التاريخي من خلال تزيف فاضح للحقائق خاصة فيما يتعلق بالتاريخ المصري القديم على وجه التحديد.

و يضيف صاحب الكتاب أن صناعة التاريخ و تزيف الحقائق هي قبل كل شيء صهيونية بامتياز، بدأت منذ عهد التوراة التي هي في الغالب رواية لتاريخ مصطنع زائف عن شعب الله المختار . و لم تهاجم الصهيونية بصفة صريحة مارتن برنال ، و لكن هاجمته أوساط مشهود لها بولائها للصهيونية.

أنظر : شوقي جلال ، المرجع السابق، بدون ذكر الصفحات.

مجلة الأركيولوجيا الأمريكية *American journal archeology* ، حيث نشرت المجلة في عدد مارس 1985 مقالا عمد إلى إنهاء موضوع الفينيقيين معتبرا أنهم أدخلوا إلى بلاد الإغريق فكرة واحدة، و هي فنههم الذي لا يكاد يستحق تسميته كذلك، و أنهم كانوا عبارة عن تجار و سماسرة، و عمارتهم و رسومهم و تماثيلهم كانت من النوع الأقل تخيلا.

أما إرنست رينان الذي أتقن اللغات السامية، و الذي كلفه نابليون الثالث عام 1855 بزيارة الساحل الكنعاني، و تقديم تقريره بهذا الخصوص، حيث لم يتأخر في إظهار عيوب العرق السامي، الذي اعتبره عرقا غير مكتمل، حتى بالنسبة لبساطته التي هي مقارنة مع العائلة الهندوأوروبية تمثل التضاد بين الماضي و المعتم، و ينقصه التنوع و الرحابة، بل أكثر من ذلك يرى هذا المفكر أن العرق السامي يمكن التعرف عليه من خلال مميزاته السلبية، حيث اعتبر أنه لا ميتولوجيا له و لا فلسفة، لا علوم و لا حتى قصص خيالية، و لا حياة مدنية.**

و انطلاقا من ذلك تم بناء النموذج الآري، و درست الحضارات القديمة آنذاك على أهداف سياسية، و هكذا كان من غير المعقول أن يكون لمصر أو فينيقيا أي اثر إيجابي في حضارة بلاد الإغريق، لأن ذلك يخالف علم الأعراق.

و لقد سخر لذات الغرض حتى التعليم الجامعي في أوروبا الذي تمكن من استبعاد أي تأثير فينيقي أو مصري على حضارة بلاد الإغريق، و هي الذهنية التي رسخت لدى الطلاب الذين

* : لقد ميز عصر هذا المستشرق فترة تاريخية، ميزها الاستعمار الأوروبي، لإفريقيا و آسيا، و نهب ثروات هذه المستعمرات من قبل دول أوروبا الغربية، كما شهدت هذه الفترة مرحلة لرسم حدود اصطناعية، و اقتسامها ما بين دول العرق المتفوق، أي ما يسمى بالرجل الأبيض، الذي عامل بازدراء الشعوب المستعمرة، و أسس بذلك علما يسوغ له هذا الازدراء، و هو علم الأعراق، و اعتبر بموجبه الشعوب التي احتلها توجد في درجة أدنى مما هو عليه الرجل الأبيض، و هو ما يمثل قمة التعصب العرقي، و من هم في الدرجات الأدنى محكوم عليهم عرقيا البقاء كذلك، و كأن وجودهم كان فقط لخدمة الرجل المتفوق. و تأميم مصالحه. أنظر : قاسم الشواف، المرجع السابق، ص ص 66 – 67 .

تقبلوها، حتى لو أرادوا التعمق في البحث لكشف الحقائق عبر التاريخ القديم، فإن ذلك لا يتجاوز الإطار المسموح به.¹

و عرفت حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية وجود بعض التراجع في الأفكار المضادة للسامية في مجال الدراسات الأكاديمية في الجامعات الأوروبية و الأمريكية التي تتيح الإعتراف بالدور الذي لعبه الفينيقيون و المصريون و العراقيون في الثقافة الإغريقية، و هكذا كان يجب على هذه الجامعات التي كانت تمنع هذا الاتجاه، أن تسمح بذلك، و هو ما كان له تأثير إيجابي في مجال الدراسات التاريخية.

و مهما يكن، فرغم حصول أغلبية مستعمرات العالم الثالث على الاستقلال من قبل الاستعمارين الفرنسي و الإنجليزي، فإن نموذج حكم الرجل الأبيض الأوروبي، لازال يعتبر المثل الذي يجب أن تسير عليه دول العالم الثالث— كما يدعي ذلك الاستعمار— و هو ما اصطلاح على تسميته الاستعمار الجديد، باعتباره يرمز إلى تفوق النظام الثقافي الأوروبي و ضرورة الأخذ به.*

2.2.3. العبقريّة الإغريقية أو المعجزة الإغريقية و إشكالية تحديد المصطلحات:

لقد سعى دعاة (المعجزة الإغريقية) أو (العبقريّة الإغريقية) بكل ما أوتوا من قوة في أن يجدوا حضارة أجدادهم، فتحدثوا عن هذا الإنجاز الهام و المبهر الذي حققه الإغريق فجأة دون أي مقدمات تذكر، و دون أن يكونوا مدينين لأي طرف في هذه الإنجازات.²

1: قاسم الشواف، المرجع السابق، ص 67 .

* : بعد الحرب العالمية الثانية، حاولت بعض التيارات المصرية الفرعونية أن تروج الإدعاء أن مصر غير عربية، و لكن هذا الإدعاء لم يكن له أي صدى على اعتبار أن النموذج الآري موجه في حد ذاته ضد السامية، و تراجعت هذه الأفكار بعد وصول جمال عبد الناصر إلى الحكم.

أنظر : قاسم الشواف، المرجع السابق، ص 68 .

: Maurice Groiset, Op Cit ,P 342. 2

و لم يكتف هؤلاء بهذا فقط، بل ظهر منهم من يرى أن التنقيب في أطلال الماضي، والتوصل إلى حضارات أخرى ازدهرت قبل الإغريق ليس سوى مضاعفة للوقت إزاء التحولات التي يشهدها العالم اليوم. فالإغريق - حسب هؤلاء - هم الذين أبدعوا (حضارة عبقرية) في مختلف الميادين، و أولها العلم و الفلسفة.

و أمام هذا، نجد أنفسنا أمام مصطلحين أقترنا بهذه الحضارة، و هما مصطلحي (المعجزة) و (العبقرية)، و للوقوف على حقيقة الموضوع و أبعاده ، و إمكانية أن نتطرق لشرح هذين المصطلحين، و هما المعجزة الإغريقية و العبقرية.

1.2.2.3 مفهوم العبقرية :

جاء على لسان العرب أن عبقر موضع بالبادية يعني كثير الجن، و قال ابن أثير عبقر قرية يسكنها الجن، و العبقرى هو الشيء الفائق الجمال، مما يصعب عمله أو الشيء العظيم، و هو صفة لكل ما يولع في وصفه القوم¹، و قيل عبقرى هو الذي ليس فوقه شيء.

أما في التراث الغربي: تعود الكلمة إلى الأصل اللاتيني (Genius) و هي تشير إلى الروح أو القوة الإلهية. و هناك من يشير إلى أن الكلمة تتصل بمصطلح الجن. (Genie) .

أما في التراث السيكلوجيا الحديث، هناك تعريفات أخرى، و لكن في مجملها تشير إلى جميع الطاقات و الإنجازات الفعلية الفائقة و غير العادية، و هي محصلة تفاعل خاص بين القدرات التي تسموا إلى مستويات عليا من الذكاء، و القدرات الخاصة بالإبداع و الخيال. و العبقرية في مجملها تتضمن دلالات خاصة متصلة بالندرة الاستثنائية و الإنجاز الفعلي المبكرو المبتكر.²

1 : أبو الفضل جمال الدين محمد ابن مكرم (ابن المنظور) ، لسان العرب، باب عبقر، 2787 .

2 : دين كيث سايمنتن، العبقرية و افبداع و القيادة، مجلة عالم المعرفة، ترجمة شاكر عبد الحميد، العدد 176 ، أوت 1995 ، ص 8 .

و نجد في تعريف آخر أنها قوة إبداعية غير عادية تتصل بالإنسان، و هي اندماج بين الإلهام الإلهي و الموهبة الطبيعية و القدرة الفطرية، و أن **العبقري** الأصل ذو طبيعة تشبه طبيعة النبات، ينمو تلقائيا من جذر حيوي، و **العبقرية** هي إنجاز أشياء عظيمة دون اتخاذ وسائل متعارف عليها مساعدة لهذا الإنجاز. و المفترض أن لها عنصرا مقدسا، و قوة الإبداع الخارق النابعة من إلهام إلهي، بل رسمها من عقل بشري.¹ و **العبقرية** هي وليدة شيئين متلازمين، وراثته و بيئة صالحة مواتية للحياة، و **العبقرية** هي تبكر نضج العقل.²

و من خلال التعاريف السابقة يتضح لنا أن مفهوم **العبقرية** يعني ذلك النتاج الفكري الذي ينبثق و ينمو من تلقاء نفسه، و الذي يمكن له أن يعتمد على إلهام إلهي، دون الانطلاق من شروط و معطيات و مكتسبات قبلية ، ماعدا الاستفادة من شروط ذاتية و بيئية.

2.2.2.3 مفهوم المعجزة

تعرف المعجزة على أنها حدث يثير التعجب، يحصل داخل خبرة الإنسان، حيث لا ينفذ بواسطة قدرة إنسانية أو بواسطة أي عملية طبيعية، لذلك بنسب سبب حدوثه إلى تدخل خاص لله، أو لبعض الكائنات فوق الطبيعية، و يكون بغرض السيطرة على قوانين الطبيعة، و يجري توظيفه كدليل على أن تلك القوة هي إما إله أو من قوة مؤيدة من قبل الله.

و في لسان العرب **لَابِنَا الْمَنْظُور** في باب [عجز] **عجز** نقيض الحزم، **عجز** عن أمر **يعجز** و **عجز عجزا**، و **عجز** فلان رأي فلان إذ نسبه إلى خلاف الحزم، كأنه نسبه إلى **العجز**، و يقال **عجز** فلان **العجز** يعني الضعف. و **المعجزة** بفتح الجيم و كسرهما مفصلة من **العجز** و عدم القدرة.³ و في المعاجم العربية **المعجزة** هي أمر خارق للعادة، يظهره الله على يد نبيه تأييدا لنبوته.

1 : جلن موسست ، العبقرية ، ترجمة محمد عبد الواحد محمد ، العدد 208 ، أبريل 2000 ، ص 8 .

2 : عبد الفتاح محمد عبد المحسن، الإبداع الفلسفي في الفكر المعاصر ، ص 34 .

www.Kotobarabica.com

3 : ابن المنظور، المصدر السابق، باب العجز، ص 2818 .

المعجزة هي أمر نادر الحدوث يعجز الإنسان العادي عن الإتيان بمثله. و هي باختصار أمر أو حدث من المستحيل حدوثه وفق قوانين الطبيعة المعتادة¹، فهو حدث مدهش غير مطابق للنظام العادي للأحداث من الطبيعة ذاتها. و هي كذلك ظاهرة لا يمكن فصلها عن الدلالة الدينية.²

و نلاحظ من المصطلحين أنهما ارتبطا بالقدرة على خلق ظواهر غير عادية و مألوفة، غير أن الفكر الإغريقي في أصله و تطوره يعبر عن الفكر البشري بكل ما يحمله من قضايا و إخفاقات و جدليات، فالمعنى الحقيقي للمفهومين أبعد بكثير من الحقيقة، و اللفظ هنا لا يتطابق مع المعنى الذي يشمل فكر الإغريق بكثير من المبالغة و المغالاة.

1 : عادل عبد الله، صانع المعجزات، (دراسة في أساليب فهم العلم لقضايا الدين و الفلسفة)، ط 1 ، دار ميزوبوتانيا ، بغداد ، العراق ، 2016 ، ص ص 44 – 45 .

2 : نفسه ، ص 47 .

3.2.3. المركزية الغربية تستثمر نظرية الكيوف الأرسطية

تحليل مفهوم النظرية الأرسطية :

أذا عدنا إلى نظرية الكيوف الطبيعية لأرسطو، فما هي إلا حجة و ذريعة استثمرتها أهداف و اتجاهات المركزية الغربية الإيديولوجية، و لقد أشار أرسطو بوضوح إلى أن المرء لو بقي نظرة على الأمم المختلفة التي تتقاسم الأرض، لوجد أمامه من الكيوف الطبيعية التالية :

- الشعوب التي تقطن الأقطار الباردة في أوروبا على العموم يميزهم الشجاعة، لكنهم منحطون في الذكاء و في الصناعة، لذلك هم يحتفظون بحريتهم، لكنهم من الناحية السياسية غير قابلين للنظام، و يمكن لهم فتح الأقطار المجاورة*.
 - و في آسيا يختلف الأمر، فشعوبها أكثر ذكاء و قابلية للفنون، لكن يعوزهم القلب و يقعون تحت نير الاستعباد المؤبد.
 - أما العنصر الإغريقي الذي هو بحكم الموقع الجغرافي وسط يجمع بين كيوف الفريقين، يتوفر فيه الذكاء و الشجاعة معا. ، و يحتفظ باستقلاله، و في نفس الوقت يسعى إلى تكوين حكومات حسنة جدا، و هو جدير أن يجمع في دولة واحدة، و يستطيع فتح العالم.
- فذلك ما كان أرسطو يقصده من نظريته في الكيوف الطبيعية، و لم يكن هو مبدعا لها، و إنما يعد مطورها، فلقد أشار أبقراط قبله إلى أن المناخ يؤثر على اختلاف الشعوب و سبق لأفلاطون

* : إذا أمعنا النظر في اتجاهات أرسطو في هذا السياق لوجدنا أنها تقدم تقديرا عاليا للعلم الشرقي أكثر مما ذهبت إليه أفكار المحدثين ، ففي نظريته إلى معنى الحكمة أو الفلسفة يرى أن التجربة و الخبرة هي سبب كل فن أو صناعة أو علم، و الفن يبدأ عندما تتعمم الخبرة الفردية، فإذا ما أفاد دواء مريضا بالتجربة فهذه خبرة، و لكن إذا وصل الإنسان إلى الحكم على أن هذا الدواء نافع لكل إنسان يصاب بهذا المرض فهذا فن.

و يرى ان متعلم الصناعة أو الفن الذي يستطيع أن يعلمها لغيره هو أرفع ممن يزاوها من دون أن يفهمها أو يستطيع أن يعلمها، كما يرى أن في بداية كل إختراع أن المخترع هو أحكم من الإنسان العادي، لذلك يعجب به حتى إذا كان الإختراع لأغراض عملية، و عندما توطدت هذه الإختراعات اكتشفت العلوم و هو السبب مثلا في ظهورها بحضارات الشرق منها مصر مثلا.

أنظر : جمال المرزوقي ، المرجع السابق ، ص 29 .

أن أشار إلى نفس الفكرة، في **محاورة القوانين** على لسان **الآثيني** : (.... إن البعض فيما أتصور ينسبون ما هم فيه من خلق طيب آوسيء أو رديء إلى تغيرات الرياح دور الشمس، و البعض ينسبها إلى محاصيل الأرض التي لا تمد الجسم بالأفضل و الأسوأ، و لكنها تؤثر في العقل تأثيرا حسنا أو سيئا).¹

و وفق تصنيف **أرسطو** للشعوب، و مدى ارتباطها بالشجاعة أو الذكاء، فنجد انه مجرد **الشعوب الأوروبية** من الذكاء، و يخصها بالشجاعة التي هي اقرب إلى التهور، كونهم لا يقبلون نظاما سياسيا يجمع شملهم، لذلك لا يستطيعون فتح الأقطار المجاورة. و من هنا صلة **الإغريق** بهم ضعيفة، لأن **الإغريق** رضوا بالنظام داخل مؤسسة الدولة، و أصبح التعبير فيها يأخذ بعدا سياسيا، و هي شجاعة متحضرة، أما **الأوروبيين** شجاعتهم لصيقة بالأفراد، و صفة من صفاتهم فقط. و لم يتجاوزوا ذلك إلى التعبير عنها بفعل اجتماعي منظم.

أما **الآسيويين** فهو لم يقل عنهم أنهم لم يتصفوا بالشجاعة، إنما يقر أنه فضلا على ما توفر لهم من ذكاء و قدرة على الإبداع، فإنهم يفتقرون إلى القلب، و مصطلح القلب هنا غامض نوعا ما، فهل يقصد به **أرسطو** الحس الداخلي الرافض للعبودية و الطغيان؟

أما الفيلسوف **هيجل** يذهب إلى أن المصطلح يعني الروح الفلسفية، و يامعان النظر في **الكيوف الآسيوية و الأوروبية و علاقتهم بالإغريق**، فإن علاقتهم **بالآسيويين** تظهر أوضح لأنه حسب **أرسطو** هم يشاركونهم في الذكاء و الصناعة و قابلية الإبداع، و حسبه دائما فإنهم لا يشاركون **الأوروبيين** إلا في عنصر الشجاعة.

و لكن رغم ذلك فشجاعتهم غير شجاعة **الإغريق**، لأن **الإغريقي** يقبل النظام و يستطيع أن يؤلف الحكومات، غير أن **الأوروبيين** غير قابلين للنظام، و هم منحطين من حيث الذكاء —

1 : أفلاطون، **محاورة القوانين**، ص 264 .

حسب النظرية — و هم لا يعرفون الصناعة أي العمل الحرفي لأنهم لا يعرفون الاستقرار. والإغريق يختلفون عنهم تماما. أما الآسيويون فلقد طوروا نظاما أهل لهم الاستقرار، خاصة في مجال الزراعة، و استثمروا ذكاءهم و فنونهم، إلا أن عيبهم أنهم انصاعوا للاستبداد.¹

لم يرد على لسان أرسطو ذم الآسيويين في طبائعهم إلا في الإطار الذي يمكن اعتباره سلوكا اجتماعيا تفرضه الشروط التاريخية الخاصة بالاستبداد، فتكيفوا مع النظم المستبدة. والإغريق بحكم موقعهم بين القطبين حملوا أحسن ما فيهما، و بذلك سعى أرسطو إلى تركيب نظرة للإغريق قائمة على استخلاص محاسن الآخرين لتؤهلهم لفتح العالم.*

4.2.3. تكييف نظرية الكيوف الأرسطية بنظرية التفوق العرقي الحديثة

لقد جرى دمج و استبعاد الكثير من العناصر في نظرية الكيوف، و أول مظاهر الدمج هو إلغاء ذلك التعارض بين الشعوب الأوروبية و الشعوب الإغريقية و دمجها في مجموعة واحدة، للاستفادة من تلك الفضائل التي تحدث عنها أرسطو في وصف الإغريق من ذكاء و شجاعة و حب النظام، و عملية الدمج هذه خاطئة تاريخيا، لأن أوروبا البربرية لم تدمج لا مع الإغريق و لا مع الرومان، فالقول أذن أن أصل الأوروبيين هم الإغريق باطل تاريخيا.

و مقابل عملية الدمج جرت عملية استبعاد، فهي بالمقابل أقصت طبائع الآسيويين التي تحدث عنها أرسطو، فطمست صفة الذكاء و الإبداع، و دفعت إلى الأمام النقيض، و هو الانصياع للاستبداد و الطغيان، و رغم أن أرسطو أقر بكونه سلوك اجتماعي أكثر منه يدخل في تركيبة الطبع،

1 : عبد الله إبراهيم ، المركزية الغربية ، إشكالية التكوين و التمرکز حول الذات ، المركز الثقافي العربي ن الدار البيضاء ، بيروت ، 1997 ، ص 233 .

* : يرى البعض أن شجاعة و ذكاء الإغريق ، و مدى أهليته إلى فتح العالم ما هو إلا رسالة ضمنية إلى تلميذه الإسكندر المقدوني الذي قام بفتوحات واسعة في أرجاء العالم.
انظر : عبد الله إبراهيم ، المرجع السابق ، ص 234 .

و منه احتكر الأوروبيون الطبائع المتفوقة لأسلافهم الإغريق بالمقابل نسب للآسيويين الطبائع السيئة فقط، بل ورثها العالم ككل من آسيا وإفريقيا والأمريكيين.¹

وانقسم العالم بالتالي إلى نمطين موروثين من الطبائع، نمط مقوماته القوة و الشجاعة و الذكاء و النظام، و رثه الأوروبيون عن أسلافهم الإغريق. و نمط مقوماته الخوف و الاستبداد و السكون، و رثه العالم عن الآسيويين. و هكذا أعيد إنتاج نظرية الكيوفا لأرسطية وفق منظور جديد ضمن سياق تاريخي يعيد ترتيب العلاقات بين عناصرها بنزعة التمرکز العرقي الكامنة فيها. أي أن النظرية انحرفت أبعادها وفق إيديولوجية غربية.

5.2.3. تعصب عرقي تبرره نظرية الطبائع الأرسطية :

التمسنا من المواقف السابقة أن هناك من يزعم أن أصل الفكر و العلم إغريقي انطلاقاً من مبدأ عرقي، و ذلك ما تطلب من الإغريق و الغرب من بعدهم الدفاع عن أصالة عرقهم، كما فعل أرسطو من خلال نظرية الطبائع. و لكن ما تجدر الإشارة إليه أن أرسطو في حد ذاته لم يكن أثينياً، و لقد عانى كثيراً، و بعد وفاة الإسكندر المقدوني اضطر إلى الفرار، حتى لا يلقي نفس مصير سقراط خضع للمحاكمة بعد سبعين سنة من موته²،

وإذا ناقشنا النظرية بموضوعية، نجد أن أولى بوادر الفلسفة ظهرت في أيونيا، و لم يكن الفلاسفة الأوثينيين، بل من المستعمرات. فهذه النظرية التي آلت إلى إيديولوجية تبناها الغرب الحديث على أساس عنصري محاولين تدعيم أفكارهم بآراء داروين اعتماداً على فرضية وجود سلالات بشرية ترث سمات ثابتة تتجاوز مراحل التطور التاريخي للمجتمعات. تلك السمات الموروثة هي التي تؤدي إلى اختلال التطورات الاجتماعية.

1 : المرجع نفسه ، ص 234 .

2 : عبد الكريم غياث، نشته و الإغريق، المرجع السابق، ص 35 .

ونظرية الطبائع هذه تقر بنمطين من الخصائص احدهما إيجابي و الآخر سلبي، و الفكرالأوروبي المتمركز حول ذاته أقر بالتضاد بين ما هو سامي و ما هو هندوأوروبي، و أقروا بأن الأوروبيين المنحدرين من الجنس الإغريقي يكتسبون ميلا فطريا إلى ممارسة الحرية و العقل، في الوقت الذي يتصف فيه الشرقي باستمرار العبودية و عجزهم عن ممارسة العقلية الصحيحة.

و لقد لاقت هذه النظرية صدى كبيرا بين أوساط الباحثين المتعصبين أمثال (غوينيو)، الذي كان يرى أن التفاوتات بين الأعراق هو من نظام الطبيعة، و لا يمكن لأحد أن يعارض ذلك، و حسبه فإن الأعراق الدنيا غير مؤهلة لقيام الحضارة، إنما خلقت لتكون عبيدا.

فالتاريخ حسبهم لا يخرج إلا من تماس الأعراق البيضاء، و أن العرق الأبيض لا يظهر في الحالة البدائية التي تمر بها الأعراق الأخرى، و هذا العرق يملك كل العناصر الأساسية للتطور الحضاري*. و حول نظرية التفوق العرقي و دور الطبائع في صناعة التاريخ، يقول الفيلسوف كلود ليفي شتراوس في كتابه (العرق و التاريخ) : « كل المجتمعات الإنسانية بنفس الدرجة من العظمة تقريبا، و لكن نتعامل مع بعض المجتمعات على أنها مراحل، فمنذ آلاف السنين هناك أناس أحبوا و كرهوا، و تألموا و اخترعوا و قاتلوا، و في الحقيقة لا وجود لشعوب طفلة، فكل الشعوب راشدة، حتى تلك التي لم تكتب تاريخ طفولتها بنفسها.¹»

و من خلال القول نلاحظ أن الطبيعة البشرية واحدة منذ أقدم العصور، و تميل إلى نفس الأنماط السلوكية. و التعاقب الدوري للحضارات أثبت أن كل الحضارات الإنسانية بما فيها

* : إن الاتجاهات الفكرية العنصرية التي زعمت تفوق الجنس الآري الأبيض لا تستند إلى حقيقة من التاريخ، و إنما تقيم دعواها على فلسفة عنصرية عدائية و دعائية، و بالطبع فإن هذه الاتجاهات لا تستند إلى جوهر حقيقي من الأدلة التي تدوم طويلا و مصيرها يتجه إلى نهاية محتومة ، خاصة بعد ظهور دراسات موضوعية تقوض هذا الطرح، خاصة عندما تأتي من مفكرين غربيين ينتقدون الفكر الآري المتعصب، غير أن هذه النظرة الإستعمارية لن تزول إلا إذا عاد أبناء الأمم الشرقية إلى الإمساك بزمام العلوم مجددا، ليكون دليلا قاطعا على أن حضارة الإنسان السري لم تمت بعد، بل إنها تعود في بعث جديد. أنظر : جمال المرزوقي ، المرجع السابق ، ص 58 .

1: كلود ليفي شتراوس، العرق و التاريخ، ترجمة سليم حداد، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، ص 23.

حضارة الإغريق، مرت بالمرحلة البدائية في العصور الحجرية، و لم تخلق لتكون ناضجة من الوهلة الأولى. و إذا كانت هذه النظرية صحيحة كون العرق الإغريقي المنحدر منه العرق الأوروبي متفوقا، فكيف نفسر المشاكل السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية التي يتخبط فيها أحفاد الإغريق اليوم؟ فلو كان الأمر كذلك لاستمر تفوق الإغريق إلى غاية اليوم ما دام التفوق مقرونا بالعرق. حتى بالنسبة للفرنسيين الذين يدعون التفوق اليوم لم يكن ذلك بنفس الدرجة لدى كل شعوبهم، ففي أوروبا نلتمس هذا التفاوت اليوم، بل زد على ذلك كيف نفسر مرحلة العصور الوسطى التي دامت ألف عام من التخلف و الاستبداد الذي عاشته القارة سابقا*؟

و المتتبع للتطور الفكري الإغريقي، سيلاحظ أن مرحلة النضج كانت من القرن السادس إلى القرن الرابع قبل الميلاد، و هي من المرحلة الهيلينية فقط لأن الحضارة فيما بعد دخلت في المرحلة الهيلينستية أين انتقل الإشعاع إلى مراكز شرقية كالإسكندرية .

فلا أساس إذن للقول بوجود شعب نقي خالص لم يمتزج بغيره من الشعوب، و لاسيما إن كان هذا الشعب يقع على خطوط المواصلات العالمية، في منطقة تلتقي فيها حضارات متعددة، فالقول بوجود شعب إغريقي خالص أسطورة يتبناها بعض الأوروبيين زورا و غرورا. فقد ثبت اليوم أن الإغريق لم يكونوا شعبا يجمعه وحدة الجنس و الدم و التاريخ و العقيدة، بل كانوا قوما مختلطي الأصول، و شعوبا متعددة ارتبطت بروابط الجوار و المصالح و الحروب.

* : ليس هناك حد يبدأ عنده التجريد أو التنظير، ذلك لأن المنطق يستوجب تلازم النطق مع الكلام، فالكلام هو تجريد للواقع ، و هو يربط تكوين المفاهيم و استعمالها و توظيفها وفق متطلبات محددة، و ذلك ما يعرف بالتفكير النظري، فقد أصبح بإمكان الوعي إستعمال ما تقدمه الإستنتاجات أيضا في مجال المعرفة، فقدرة الإنسان على التجريد منحه صفة مخاطبة الناس و الانتقال بأفكاره إلى مرحلة تتوافق فيها المعاني مع الألفاظ، و لم يكن ذلك بفضل جهود شخصية فحسب، بل عن طريق مساعدة اللغة و المعارف المكتوبة المتراكمة عبر الأجيال، و كل ذلك يتسنى له عن طريق التجربة المباشرة. أنظر : جمال المرزوقي ، المرجع السابق ، ص ص 58 - 59 .

و على هذا الأساس فإنه من غير الممكن إثبات وجود سلالة إغريقيّة خالصة لشعوب تناثرت بين آسيا الصغرى و ترافيا و صقلية و بلاد الإغريق الأصليّة. فكيف يمكن إثبات نقاء هذه السلالة أمام فلاسفة أنجبتهم هذه المناطق، و هم في نفس الوقت صناع مجد الإغريق؟¹

4. إشكالية الأصول الجغرافية للفكر الإغريقي

1.4 مالطة المهّد الآسيوي للفلسفة الإغريقيّة

إن بلاد الإغريق التي ازدهرت كحضارة، لا يجب ربطها بالبلاد المعروفة اليوم، لأنّها كحضارة أوسع منها كأرض ورقعة جغرافية. و ذلك هو شأن العديد من الحضارات السابقة التي بلغت التطور و الازدهار، حيث ارتبطت بهجرات بشرية بين البلاد الأصليّة و السواحل الآسيويّة و بحر إيجو و صقلية و جنوب إيطاليا. و تأسست مستعمرات عرفت تطورا و نجاحا كبيرين خاصة على الصعيد الفكري. لذا يجب أن نؤكد أن كلمة الإغريق لها مدلول حضاري أكثر منه جغرافي*.

فالانتشار الجغرافي يشمل مدن أيونيا في الساحل الغربي من آسيا الصغرى، و غيليا-و هي مستعمرة إغريقيّة- في الساحل الغربي من جنوب إيطاليا، و تشمل كذلك منطقة كريتون². أين صدرت أولى التعاليم الفيتاغورسية .

ولقد كانت أيونيا على اتصال بمدن الشرق القديم بفضل موقعها الجغرافي³، و بالتالي كانت على تماس مع المراكز الحضارية القديمة. و تعد مالطية مهد الفلسفة ، و خضعت لحكم الطاغية

1 : محمد عبد الرحمان مرحبا، (مع الفلسفة)، المرجع السابق، ص 82 .

* : من أبرز الصعوبات التي تواجه الدارس للتاريخ الإغريقي خاصة إلى غاية فترة القرن الخامس قبل الميلاد ، فترة الحروب الميديّة ، هي تلك المتعلقة بنقص المصادر و تعددها، ذلك لأن المصدر الوحيد الذي تحدث عن الفترة هو هيرودوت الذي أعتمد في كتاباته على الروايات الشفهية .

حول الموضوع انظر مقال على موقع (persee) بعنوان

Herodote et les Ioniens , revue des etudes grecques, p 257 .

بدون كتابة إسم صاحب المقال

2 : عبد الكريم عينات ، نشته و الإغريق، المرجع السابق ، ص 30 .

3 : Maurice Groiset, Op Cit, P 43 .

(تراسيبول - Trasybule) الذي عقد مع (إلياط - Alyate) ملكا لليديين تحالفا، و منه تم ربط علاقات بواسطة ليديا مع بابل و مصر، لتشكيل المنطقة مركز إشعاع علمي، حيث أعطت العالم طاليس و أناكسمانس و أعطت مدينة (إيفيز - Ephese) هيراقليطس و ساموسا أعطت فيتاغورس**. و لم توجد في هذه الأثناء أي مظاهر للفلسفة في مدينة أثينا.

فالمدارس الأولى إذن لم تظهر في بلاد الإغريق القارية بل في مستعمرة أيونيا، و هو دليل قاطع على التواصل الحضاري مع الشرق القديم. و هي اقرب أرض ناطقة بالإغريقية إلى بلاد الشرق (و هي تركيا اليوم). و في الشرق قامت حضارات أقدم منها، فمن الطبيعي أن يحدث أشكالا مختلفة من التأثير بين المنطقتين عبر التبادلات التجارية*.

و مما تقدم نلاحظ نقطة البداية في الفلسفة الإغريقية كانت من مستعمراتها الشرقية، بل إذا عدنا إلى الورا بقليل لوجدنا أن أيونيا صنعت مجد الإغريق ليس مع ظهور الفلسفة في القرن

** :كما اعطت كلوفونيا Clophone إكسيفيون، و بعد الغزو الفارسي انتقل مسرح الأحداث غربا في جنوب إيطاليا و منطقة صقلية، حيث أسس الأيونيون مدنا كبيرة، كما أنتجت مدينة مالطية لوكيدوس مؤسس المذهب الذري، و وهبت كلا من رومينس و اناكساغوراس الذي جاء به بركليس غلى أثينا، حيث فتح مدرسة تعلم فيها سقراط ، أما ديموقريطس، فهو من أيدرا المدينة التي أسسها الأيونيون في ترافيا.

انظر : علي زيغور، المرجع السابق، ص 42 .

* و يكمن الإشكال أيضا في انه لم يكن هناك أدلة مباشرة على هذا الاتصال العلمي، ذلك لن في الوقت الذي ظلت فيه هذه الانجازات العلمية الإغريقية باقية، فإن ما أنجزته حضارات الشرق في مجال العلم النظري، لا يكاد يعرف عنه شيء بصفة مباشرة، و معظم ما وصل غلينا هو غير مباشر، أي أن من خلال التطبيقات العلمية و الآثار الواضحة، لأن فئة الكهنة التي كانت تمارس هذا العلم لم تكن ترغب في نشره و توسيع نطاقه، لذلك ظل دفيناً، و تناقلته هذه الفئة عبر الأجيال دون أن يطلع عليه غيرها. لكي تحتفظ لنفسها بصفة القوة و النفوذ لأن المهابة التي تمنحها قوة العلم تضي على نفسها و على الآلهة صفة القداسة أمام عامة الناس الذين لا يعرفون شيئا عن هذا العلم.

ذلك إلى جانب وجود العامل الطبيعي كالكوارث و الحروب و الحرائق التي أدت الى ضياع ما يمكن أن يكون قد دون من هذا العلم. و نتيجة هذا كله هو ان معلوماتنا عن الأصول النظرية للعلم الشرقي القديم تكاد تكون ضئيلة، في حين أن معظم ما أنجزه الإغريق ظل باقيا، و هو ما سعاد على نسبة الفضل الأكبر في ظهور العلم للإغريق، و استحالت بالتالي المقارنة بين العلم الشرقي و العلم الإغريقي، أو على الأقل تبيان ما يدين به الإغريق لأسلافهم من الحضارات القديمة التي سبقتها.

انظر : فؤاد زكريا ن المرجع السابق، ص 98 - 101 .

السادس قبل الميلاد، بل ذلك يعود إلى حوالي القرن التاسع قبل الميلاد، حيث انتشرت الأشعارا الهومييرية التي مجدت في الإلياذة و الأوديسا (درة الأدب الملحمي الإغريقي القديم)، بل أكثر من ذلك أن القصيدتين كتبنا بلغة أيونية و أيولية، ناهيك أن الشاعر الذي نسبنا إليه ولد بهذه المنطقة ، فهي صنعت مجد الإغريق منذ مطلع الألف الأخير قبل الميلاد، في الوقت الذي لم تتشكل فيه بعد معالم النضج الحضاري في مدينتي أثينا و إسبارطة في البلاد الأم.

2.4 إشكالية تخلص الفكر الإغريقي من سيطرة الخرافة و الدين

إذا بقينا دائما مع الفلاسفة الأيونيين و المدرسة الطبيعية، لوجدنا أن موروثهم الفكري قد انتقل إلى فلاسفة العصر الكلاسيكي من سقراط إلى أرسطو . فهذه النزعة بكل تصوراتها أعيد إنتاجها بفكر فلسفي أدى إلى بلورة اتجاه عقلي مثالي. فهذا العقل تبلور إذن على فكر أسطوري ميثولوجي .

و لنبدأ بطاليس باعتباره مؤسس الفلسفة الطبيعية، و سجلت له أول محاولة لشرح الكون على أساس علمي، لكن في الحقيقة فكرته لم تنفصل عن الموروث الأسطوري لبلا دمايين النهرين، ففكرة أن الماء أصل الكون هي قديمة قدم أساطير الخلق و التكوين البابلية، و بذلك ورد في أفكاره صدى للتقاليد القديمة. أما اندكيما ندريس الذي اهتم بالجغرافيا، تحدث عن الأبيرون، و الأبيرون عند أرسطو هو مفهوم غامض انطلق من مبدأ إلهي، و هو غير مادي أو شيء لا يمكن وصفه، اقترن بشيء موصوف و هو الكون.

و منه نلاحظ أن هناك اتصال ما بين هذه الاتجاهات الأسطورية و الفكر القديم الميثولوجي، فضلا على ذلك التآلف القديمة ليست متماسكة في مضامينها. و القول نفسه ينطبق على الإيليين منهم بارميديس الذي تأثر بالديانة الأورقية، و حسب الحواس مصدر خطأ و الحقيقة تكمل في العقل. لذلك اصطلح نشته على تسميته (نبي الحقيقة)، و رغم ذلك اعتبر الفيلسوف نقطة حاسمة في تاريخ الفكر الفلسفي الإغريقي، حيث كانت المدرسة الإيلية تمثل اتجاهًا أكثر عقلانية من الطبيعة.

و ما يمكن قوله عن فيتاغورس أنه تأثر شديدا بالدين، و تصور الكون تصورا سحريا، و رغم أنه طور الرياضيات، إلا أن ذلك لم يكن في سبيل المعرفة بقدر ما كان لأغراض دينية.¹

و ها هو اكبر الفلاسفة الإغريق أفلاطون* يؤكد عدم وجود استقلالية الفكر الفلسفي عن الدين، بل أكثر من ذلك انه جعله أساسا للعديد من نظرياته، خاصة فيما يتعلق بمجال الفلك. ومن أهم ما قال في **محاورة القوانين**: (إن نظام الكواكب مسير بقانون رياضي بالغ الإحكام، ولكن لا نستطيع تجنب الاعتراف بوجود عقل أعلى يوجهها)²، و هو في فقرة أخرى من نفس المحاورة في الكتاب العاشر يقر بتسيير الآلهة للكون. و يورد في كتابها **الجمهورية** (الكتاب السابع) أسطورة الكهف³

وفي ذات السياق نورد قولاً للمفكر و الفيلسوف **وولف** في كتابه (**عرض تاريخي للفلسفة والعلم**) حيث يقر : " ... انه كان للانتقال من النظرة الميثولوجية للحوادث الكونية إلى وجهة أقرب للعلم و الفلسفة عملية بطيئة، و حتى إن تمت ، لم يكن الفصل بين النظرتين تاما في مراحله الأولى.⁴

و ما يؤكد هذا القول أن الميثولوجيا طغت على الفكر الإغريقي، منذ القرن التاسع قبل الميلاد، من خلال مؤلفات **هوميروس** و **هيزيدوس**، و استمرت إلى غاية القرن الرابع قبل الميلاد، و هو ما لاحظناه من خلال أقوال اكبر الفلاسفة الإغريق كأفلاطون الذي أورد في محاوراته العديد من

1 : عبد الله ابراهيم ، المرجع السابق، ص 168 .

* : لقد وضع أفلاطون لكل موجود في العلم الحسي مثالا غير مادي في عالم خارج العالم الحسي المادي، و هذه المثل هي الوجود الحقيقي عنده، و ليس للأشياء المادية الحسية سوى وجودات ثانوية، و عالم المثل فيه نماذج عقلية لا مادية لكل وجود حسي. أنظر جمال المرزوقي ، المرجع السابق ، ص 63 .

2 : أفلاطون ، محاورة القوانين ، ترجمة محمد حسن ظاظا، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ص 64 .

3 أفلاطون ، المصدر نفسه ، الكتاب العاشر ، ص 449 .

4: أ.وولف ، عرض تاريخي للفلسفة و العلم ن ترجمة محمد عبد الواحد خلاف، ط 1 ، آفاق للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 2017 ، ص 16 .

الأساطير. و ما كتابات المؤرخ هيرودوت إلا دليل واضح على تبني الأسطورة حتى في الكتابات التاريخية خلال القرن الخامس قبل الميلاد.

فكتابات هوميروس أكدت سذاجة العقلا الإغريقي في مراحل الأولى، و كانوا أكثر من غيرهم تمسكا بالميثولوجيا، و جيلا بعد جيل أخذ المنهج العقلي يتطور ، حتى بلغ مكانة هامة حوالي القرن الرابع قبل الميلاد، و لم يحدث هذا التحول بتميز العقلا الإغريقي دون غيره، بل لأنه لم يعد يقبل تلك التفاسير القديمة.

و إذا عدنا دائما إلى أفلاطون، نجد انه يضع نظاما جامعا لفكرة الثواب و العقاب بعد الموت، و هو كفيل بتصحيح مظالم الناس، و تصحيح العالم و شروره. و هو ما يقابله فكرة الجحيم في الديانة المسيحية، و ينطبق القول على الإسلام كذلك. حتى أن صولون يؤمن أن الآلهة تمهل و لا تهمل. و هو كموقف منه لطبقة الأغنياء التي تستخدم امتيازاتها و انها أحق بالعقاب، و هاهواكسينوفون ينادي بوحداية الرب.

و من مظاهر استمرارية التواصل الديني في بلاد الإغريق مع النشاطات اليومية في المدينة، أن كل منها كانت تؤمن بالآلهة الحارسة، و تقوم بتكريمها، و كانت المبالغة في ممارسة هذه الطقوس تؤدي إلى تناحر بين المدن و تشن أحداها الحرب على الأخرى معتمدين على رعاية الآلهة و مساندتها بل أكثر من ذلك أن الآلهة المحلية أصبحت عقبة أمام تحقيق الوحدة لبن المدن الإغريقية.

و من خلال ما تقدم يتضح أن الفكر و الفلسفة ظلت مرتبطة بالميثولوجيا إلى غاية القرن الرابع قبل الميلاد، و هو ما ينفي قول أنصار المعجزة الإغريقية بالتححر النهائي للفكر الفلسفي الإغريقي عن الفكر الديني، فالواقع قد اثبت العكس. و هو في كل الحالات رد على هؤلاء الذين حطوا من قيمة الفكر الشرقي و أخرجوه من دائرة الفلسفة كونه ارتبط بالجانب الديني الأسطوري، ففكر الإغريق في حد ذاته لم يسلم من تأثير الأسطورة.

3.4 التراث الشفهي الإغريقي، إشكالية التأصيل الفكري تشكك في صدق المصادر

تشير الأفكار الفلسفية التي دشنها الأيونيون و الأيوليون، واستثمرها هيراقليطس* وأناكساغوراس، و استقامت إلى منظومة فلسفية متماسكة على يد سقراط و أفلاطون و أرسطو، إلى جملة من الإشكالات المركبة، و التي ارتبطت بتطور الأحداث ببلاد الإغريق خلال القرن السادس قبل الميلاد. هذه الأفكار التي تناقلت بين القرنين السادس و الرابع قبل الميلاد، منها ما دون في مصادر مكتوبة، و الكثير منها ما تناقله شفهيًا، ذلك لأن الأفكار الأولى دونت في مصادر متأخرة عنها، لأن الثقافات نشأت في ظل تراث شفهي، و ما الملاحم الهوميروية التي كانت حوالي القرن التاسع قبل الميلاد، و دونت في القرن السادس قبل الميلاد إلا دليلاً قاطعاً على ذلك. فالجدل نشأ حولهما بسبب طول الفترة الزمنية بين النظم و التدوين التي دامت حوالي أربعة قرون من الزمن.

و المتفق عليه أن أول من بدأ بالتدوين المنظم هو أفلاطون، لأنه شرح اتجاهه الفلسفي من خلال محاوراته، أما تلك الأفكار التي سبقتها، فيشوبها الكثير من الشك حول مصداقيتها، لأن النص الفلسفي بحاجة إلى بيان الأسس التي يبنى عليها، و هذا لا ينطبق على الفكر السابق لأفلاطون**، الذي تميز بنزعة دينية لازمت فكره.

أما أرسطو، فقد دمج مجالات مختلفة فلسفية و تاريخية، و اعتمد في كتاباته على بعض المسرحيات و الكثير من التراث الشفهي، و لا ندرك حجم تطابق هذه الأفكار مع النصوص

* : ولد في إفسوس في أيونيا، و لم يرد التاريخ المحدد لميلاده، و لكن المعتقد أنه عاش حوالي 500 ق.م، أثناء حكم دارا الأول، و قيل انه دعاه إلى بلاطه لكن هذا الأخير رفض الدهوة بحجة أنه زاهد .

أنظر : حسام الدين الألوسي، المرجع السابق، ص 71 .

** : لقد تعرفنا على سقراط من خلال محاورات أفلاطون التي جاءت في أسلوب أدبي حوارى يطغى عليه المجاز و الأساطير، و هو ما يؤثر على صدق الأسلوب، فهي أشبه بالخطاب الفلسفي الذي يصعب استخلاص المقاصد الحقيقية منه، على سبيل التقريب و الاحتمال، فهي فلسفة بعناصر أدبية خالصة.

أنظر : عبد الله إبراهيم، المرجع السابق، ص 154 .

الأصلية، كما انه كان يبحث في كتاباته عن قواعد الوحدة و التماسك، مما دفعه إلى إقصاء العديد من الأفكار لمفكري الإغريق الأوائل، و استحوذ على العديد من الأفكار التي تناسب اتجاهه الفلسفي

لكن مع ذلك يعود إليه الفضل في تطور الفكر الفلسفي الإغريقي المنظم ضمن مذاهب. لكن تبقى الإشكالية دائما في نقطة الانطلاق التي اعتمدت على مرجعيات شفوية ، و من أمثلة ذلك أن الفلسفة الطبيعية المالطية و الإيلية لم تملك مصادر واضحة لها إلا فيما كتبه أرسطو الذي يعد أول مؤرخ للفلسفة، أي أن المدونات وردت في زمن جد متأخر عن أصحابها.* حتى أن سقراط لم يدون أفكاره لسببين، الأول و هو عدم تطور أساليب الكتابة، و الثاني متعلق بطبيعة تفكيره، حيث كان يرفض أسلوب التدوين، لأن اللفظ لا ينطبق - حسب - مع الفكرة الحقيقية، و يرى سقراط أن الكتابة هي آفة الذاكرة و الكلام الحي منشط لها، و في الوقت الذي رفض فيه سقراط إتهاج التدوين، كانت حضارات الشرق القديم حفظت العديد من المدونات لشخصيات مختلفة ، رغم أنها كانت اسبق زمنيا من حضارات الإغريق.

و لقد مارس سقراط التفكير عن طريق الحوار، و حفظت أفكاره من خلال محاورات أفلاطون إلى درجة أن بعض المؤرخين ذهبوا إلى القول أنه شخصية خرافية أبدعتها مخيلة أفلاطون او مسرحيات أرسطوفانيس، و رغم ما ورد بشأن هذه الحقائق الفلسفية، إلا انه يعد حدا فاصلا

في تقسيم الفلسفة إلى مراحل تاريخية (مرحلة ما قبل سقراط ، و مرحلة ما بعد سقراط).*

* : من هذه المدونات فلوتارخوس عام 124 م ، إيريكتوس في القرن الثاني ميلادي، كليمنتس الاسكندري 218 م، تيشرون 53 ميلادين جالينوس 700 م القديس أوغسطين، هذه المؤلفات التي اعتمدت على روايات شفوية شكك في مصداقيتها .
انظر : عبد الله ابراهيم ، المرجع السابق ، ص 188 .

* : هناك مصدرين فقط حوله، محاورات أفلاطون، و مذكرات أكسينوفون، الى جانب الصورة الساخرة له في مسرحية السحب لأرسطوفانيس. فهي ليست سيرة و لا تاريخ، انما تخلق مواقف مختلفة لها، أما مذكرات اكسينوفون، فركزت على شخصية سقراط

أما عن أفلاطون ، فظهرت شكوك كثيرة لدى الباحثين في نسبة محاوراته إليه، فضلا على أن هذه المحاورات غير مؤرخة، حتى أن الدروس الشفهية التي كان يلقيها في الأكاديمية لم يحفظ منها أرسطو إلا الشيء اليسير.**

4.4 حضارة العقل تمجد اللامعقول

في إطار تمجيد حضارة الإغريق و انجازاتها و منحها صفة الإنفراد بكونها عقلية خالصة، و بالمقابل جرى طرد الحضارات الأخرى كالمصرية و العراقية من دائرة التفكير العلمي، كونها لم تمارس التفكير بالعقل، بل بالخرافة و السحر، و لمناقشة فكرة مدى اتصاف الفكر الإغريقي بالتفكير العقلي الخالص، نجد أنفسنا أمام مجموعة من المعطيات التي أفرزتها آراء المفكرين حول الموضوع.

و من ضمن هذه المعطيات، أن اختبارات الذكاء التي أخضعت للدراسة، أثبتت أن الفروق بين الأمم لم تكن فروقا فردية تكوينية تتحكم فيها السلالة و الجنس، بقدر ما هي فروق حضارية تاريخية سياسية خاضعة لظروف الحياة و ملاسقاتها، فليس من الصواب أن نقول أن طلب المعرفة لذاتها، هي ميزة من مزايا العقل الآري عامة و الشعب الإغريقي خاصة، إنما طلب المعرفة جاء لمنفعة متعلقة بمدى الاستفادة منها في الحياة ، و بالتالي يصبح هذا الرأي مشكوكا في صحته، كون العقل الإغريقي له أصل فطري فريد لا ينطبق على السلالات الأخرى، فضلا عن ذلك يجب أن نعرف إلى أي مدى فسح العقل الإغريقي العقلاني - حسبهم - المجال لممارسات لامعقولة في حياته العامة و الخاصة

عكس طريقة أفلاطون في الكتابة، لأنه حط من شخصيته كمفكر، غير أن مسرحية أرسطوفانيس فتدخل ضمن العمل الأدبي الفني الذي يصعب الاعتماد عليه، بحكم أنه ورد في صورة ساخرة بحجة أنه مفسد للشباب.

انظر : محمد إبراهيم ، المرجع السابق، ص 192 .

** : قسم الباحثون محاورات أفلاطون الى مراحل هي : محاورات الشباب منها محاورات الدفاع، و محاورات الكهولة أبرزها أوتيديموس و فيديون و المأدبة و الجمهورية، و محاورات الشيخوخة منها السوفسطائي، تيمائوس و السياسي. و اعتبرها أرسطو أنها آداب تحمل الصفة الفنية.

انظر المرجع نفسه ، ص 202 .

درس الأستاذ دودس ، أستاذ في الهيلينيات في جامعة أكسفورد تطور العقل الإغريقي، وانتهى إلى الاعتقاد أنه لا يمكن منحه مناعة ضد أنماط التفكير البدائي.*

كانت أثينا في الربع الأخير من القرن الرابع قبل الميلاد مسرحاً لأزمة دينية ، حيث تطورت الخرافات و المعتقدات و تنامت بصفة ملحوظة خلال القرن الرابع قبل الميلاد، و من دلائل ذلك :

- اكتشاف الآلاف من التعاويذ و الصفحات الرصاصية نقش عليها اللعنات التي وجدت في القبور الآثينية، و كان يطلب فيها من آلهة العالم السفلي ربط نفس أو لسان أو إقصاء شخص ملعون في بعض أعضاء الجسم البشري كالأعضاء التناسلية، و خلافاً لما اعتقد بأن هذه الممارسات مقتصرة على الطبقة العامة، فقد انتشرت حتى في أوساط السياسيين و الخطباء بدليل وجود أسماء معروفة منقوشة عليها، فوجدت أسماء (لوكورغوس) (كالياس) (ديموفيلوس)، و انتشرت عدوى الوباء اللاعقلانية حتى في صفوف الفلاسفة، إلى درجة أن أكسينوفون و أفلاطون كانا يؤمنان بفاعليتها و قدرتها على الإيذاء. و هناك تعاويذ أخرى موجهة إلى إله الطب إسقيلابيوس، و مما شاع فيه أن بركليس نفسه عندما مرض، كان يطلب من النساء أن تعلقن تعويذة على رقبته.

و قد ورد في محاورات أفلاطون دعوته إلى إنزال العقوبات على كل من يمارس أشكال السحر الأسود، الذي يؤدي الأفراد بسبب انتشار الظاهرة في عهده.*

* : و توصل هذا الباحث أنه لا مجال لنفي أن العقل الإغريقي اعتقد بالسحر و الشعوذة اللذان كانا واسعا الانتشار في أثينا خلال العصر الكلاسيكي، و بشكل أكثر في الأقاليم الإغريقية الأخرى.
أنظر :

E.R Dodds, Les Grecs et l'irrationnel, Revue de l'histoire et de la religion, 170 / 1966 – 2 / P 195 – 196 .

* : تمثلت هذه الظاهرة فضلاً عن التعاويذ ن كانت هناك دمي من الشمع تعلق على أبواب المنازل و في مفترق الطرق، وكانت الساحرات تعتمد كثيراً في ممارسة مختلف طقوس السحر ، و كن يضعنها في القبور كإيمان منهن بقدرة الميت على إيقاع الأذى .

انظر : جورج طرابيشي ، نظرية العقل، ط 1 ، دار الساقى، بيروت، لبنان ، 1996 ، ص 48 .

- انتشار عبادات أخرى خلال القرن الخامس قبل الميلاد بما فيها عبادة آله السحر والأشباح، و التي انتقلت على ما يبدو من (كايا) في آسيا الصغرى*، فضلا عن انتشار ممارسة الطقوس الدينية خلال نفس الفترة، و التي كان يشرف عليها أكبر السياسيين كبركليس. و كانت تقام مع بداية شهر، و تدوم عشرة أيام كاملة تتخللها الصلوات و تقديم القرابين، و يذهب البعض إلى أن جو الحرب (حروبالبيلوبونيز) التي كانت تعيشها أثينا، كانت عاملا أساسيا في انتشار هذه المظاهر للترويح عن الشعب، و نيل رضا المواطنين، خاصة أن الأموال كانت متاحة من عائدات حلفديلوس.

و الملاحظ أن في مختلف تلك الأعياد كانت الطقوس تجمع بين السحر و البدائية، و غيرها من مختلف المظاهر الاحتفالية كإحياء أعياد ديونيسوس التي إحتضنتها أثينا، حيث كانت مواكب السكارى تحمل بعض أجزاء تمثال إله (الفالوس)، مرفقة بمواكب السلطات المنتخبة الديمقراطية متوجهين إلى المعابد خارج المدينة، لتأتي منها بتمثال الإله على عربة، و هو تمثال خشبي قديم للإله (التيس) إلهالنور لتضعه في بيت الحاكم أو كبير القضاة.*

- كانت الطقوس السالفة الذكر تمارس في مدينة تعد مدرسة الفكر الإغريقي، أما في الأرياف فكانت تمارس طقوس ذات طابع آخر، و هي عادة كانت معروفة في بلاد ما بين النهرين، أين كانت تشبه خصوبة الأرض، بخصوبة البشر وفق مبدأ الزيجات الروحانية، حيث يتم تزويج عروس كبير القضاة أثينا من تمثال الإله ديونيسوس، و تقام طقوس الزواج عند الأنهار.

* : كانت تعلق أمام كل بيت لتدفع الشر عنه، لأنهم حسب المعتقد كانت تطوف في الليالي الغير مقمرة، و يرافق هذه الآلهة موكب من الأشباح و الكلاب الناجحة.

انظر : جورج طرابيشي، (نظرية العقل)، المرجع السابق، ص 49 .

* : في عيد الزهور في نهاية شهر فبراير من كل سنة، كانت أثينا تحتفل بعيد الخمر الجديد، و تقام المسابقات العامة لشهرية، و في اليوم الثالث كانت جميع البيوت تغلق أبوابها، لتضع أمام عتبتها قصعة فيها حساء محرم على الأحياء يسترضى به الأموات الذين يقومون في ذلك اليوم من قبورهم جوعى عطشى، و يطوفون بأحياء المدينة و هم يطالبون بحصتهم من النبيذ الجديد.

انظر : المرجع نفسه ، الهامش 4 ، ص 50 .

– أما العرافة فكانت هي الأخرى تلعب دورا هاما إلى جانب طقوس السحر، و ما يميز العرافة الإغريقية عن عرافة باقي حضارات الشرق القديم، أنها مورست في مؤسسات رسمية ترعاها المدينة – الدولة – و تنفق عليها من ميزانيتها و تعين بنفسها العرافين الذين يستعان بهم من طرف القادة السياسيين و المفكرين، و ينصب عليهم رئيسا يحكمهم و هو شأن (لاميون) كبير عراقي أثينا، و صديق بركليس**. فهذه الممارسات مثلها مثل ما كان في بلاد الشرق القديم، و هذه المعطيات تفتح مجالا آخر لنقد فكرة التميز الإغريقي عن غيره من ما كان في بلاد الشرق القديم.

و مما تقدم نستخلص أن مقولة الفكر الإغريقي تميز بالخاصية العقلانية لا بتجانب الصواب*. و أنه تميز بالتجريد و القدرة على وضع النظرية بطريقة منظمة صحيحة، فيها الكثير من الشك، فهو مثله مثل الفكر البشري، مر بالمرحلة الأسطورية الدينية، ثم تطورت مفاهيمه عبر مراحل زمنية مختلفة، و تدرج في الوصول إلى النتائج بصفة بطيئة، و تعرض إلى التناقض،

** : في مواجهة فاصلة بين الفرس و الإغريق 490 ق.م ، في ماراتون وصل الفيلق الإسبارطي متأخرا بعد انتهاء المعركة، لأن العراف المرافق له حذر عليه دخول المعركة قبل تمام البدر، و في معركة (أفلاطايوس) التي حسمت الحروب الفارسية لصالح الإغريق 479 ق.م ، منع القائد الإسبارطي جنوده من التحضير للقتال، و مني بهزيمة حيث فقد ثلاثمائة من جنوده، لأن إنتظار إصداق الآلهة له أمرا مباشرا على لسان العراف بالشروع في القتال.
انظر : جورج طرابيشي، نظرية العقل، المرجع السابق، ص 53 .

* : فيما يخص تطور العقلية الإغريقية، فقد مرت بصفة واضحة و قطعية بالمرحلة الأسطورية، من خلال تلك الشخصيات التي ورد ذكرها في الإلياذة، بل يكفي الإشارة إلى أن قبل ظهور الإله أبولون، تروي السطورة أن هناك فئة من النسوة (الأمازونيات)، و كن يكتلكن قوة خارقة للسيطرة على الرجال، و لما هزمهم الإله أبولون، قدم تلك السلطة للرجال، و لكي يقدم صورة واضحة عن السخط و حب الإنتقام، لجأ إلى كافة أعمال السحر، السرية و العلنية في صراعهن من أجل إستعادة تلك السلطة المسلوقة.

و تروي أسطورة أخرى أن الإله زيوس خشي على النوع البشري من أن ينقرض في صراعه مع الحيوان المتوحش، فأرسل (هرمس) ليحمل العدالة و الوقار ، و لكنه وقع في حيرة من أمره في طريقة التنفيذ، هل يوزعها على اصحاب المواهب الفنية، و أن يرتبط كل فنان بفننه، أم يوزعها على أصحاب المهن و الحرف، و منهم صاحب الطب، أن يكون حارسا أميننا على صحة الناس، أم أن يجعلها متاحة للجميع بدون تصنيف، لكن زيوس اصدر له الأمر أن يكون لكل نصيبه منها.

أنظر : يوسف عبد الله الحميدان، موجز تاريخ الطب، ج 1 ، ص 58 .

و وردت العديد من آراء فلاسفة العصرالذهبيالإغريقي في كتابات غالبا ما افتقرت إلى الأسلوب العلمي المباشر، و المثل في ذلك محاوراتأفلاطون، كون أن المفكرين انتقدوا الفكر الشرقي بسبب طغيان الجانب الأدبي عليه، غير أن الفكرالإغريقي هو الآخر لم يسلم من مطبات الوقوع في متاهة الأساليب الأدبية و طغيان الجانب الديني الأسطوري.

فلا يمكن أن نحكم على الفكرالإغريقي بكمال أسلوبه، و أن غيره دون ذلك، لأن غالبا ما كان الفلاسفة يعبرون عن أفكارهم بطريقة غير مباشرة. و المثل في ذلك نجده عند أكبر فلاسفة عصرالتنويرمونتيسكيو، الذي عبر عن أفكار فلسفية في طابع أدبي تهكمي، من خلال مؤلفه المعروف (رسائلفارسية)، فلا يجب الحكم عن بطلان ميزة الفلسفة لفكر أخناتونالمصري، و بوذاالهندي، و أنه لا يتوفر على معايير التفكير الفلسفي لكونها أفكار ذات طابع مثالي أو أدبي، و ليس لها توجهات فلسفية.

ثم إن منح صفة تميز العقلاآثيني، و أن كل الآثينيين يحبون الفلسفة، و تعميم هذه الفكرة عليهم، ذلك أمر مشكوك في صدقه، فقد ورد على لسان سقراط في محاورةالدفاع: " ما أكثر ما صادفوا رجالا ظنوا في أنفسهم العلم، فإذا هم لا يعلمون إلا القليل، أو هم لا يعلمون شيئا. و تنزلون اللعنة في سقراط أنه أفسد الشباب."¹

و من هذه المقولة التي أوردها أفلاطون في محاورةالدفاع، يتضح أن خاصية الفلسفة و الحكمة لم تكن تشمل كل مواطني أثينا، هناك من لا يعلم إلا القليل، أو من لا يعلم أبدا. و هو ما دفع إلى ظهور رفض حتى من سلطة أثينالأكفارسقراط الذي اخضع للمحاكمة بتهم تحدث عنها أفلاطون في نفس المحاكمة حيث يقول: " يقول الفريق الأول أن سقراط فاعل للشر، و هو رجل يبحث فيما تحت الأرض و ما فوق السماء، و يلبس الباطل ثوب الحق، ثم يعلم هذا كله للناس،

1 : أفلاطون ، محاورة الدفاع، محاورات أفلاطون، ترجمة زكي نجيب محمود، مكتبة الأسرة، مصر ، 2005 ، ص 80 .

أما الفريق الثاني فيقول أن سقراط فاعل للشر و مفسد للشباب، و هو لا يعترف بالآلهة التي اعترفت بها الدولة، و استبدلها بمعبودات جديدة.¹

و من القول نلاحظ أن أفلاطون* يورد التهم الموجهة لسقراط أثناء محاكمته، كما نستشف أيضا مكانة الدين في أثينا التي حالت دون تقبل أفكار جديدة، بعكس ما ادعى أصحاب نظرية المعجزة الإغريقية بتحرر العقلا لإغريقي من سلطة الدين نهائيا مع حلول القرن السادس قبل الميلاد. فهذه سلطة الدين الراض للأفكار الحديثة لا تزال ترمي بثقلها على الفكر الأثيني الإغريقي ككل.

و ها هو أفلاطون يتحدث عن سقراط في موضع آخر من نفس المحاور، كيف تقبل سقراط حكم المحكمة دون أن يستجيب لمحاولة الفرار التي عرضها عليه تلاميذه، حيث يقول «... انصح سقراط في صورة ابن الوطن الصالح الذي يقبل على الموت راضي النفس، مطمئن الضمير، لتنفيذ قوانين الدولة التي يرى وجوب احترامها، حتى و لو كانت في قضائها جائرة».²

و ثمة دليل آخر على مضايقة السلطة للعقلا لإغريقي، عندما نفذ حكم الإعدام على سقراط توجه أفلاطون إلى مناطق أخرى في الشرق القديم، لبحث عن الحكمة هناك بعد وفاة أستاذه، و توجه حتى إلى كهنة مصر، كما توجه إلى تارتيا لإيطالية حيث الطاغية ديونيوس باحثا عن مجال لتطبيق أفكاره، و يكون أكثر ملائمة من أثينا التي أصبح الجو فيها لا يسمح بذلك.

1 : أفلاطون ، محاورة الدفاع، المصدر السابق، ص 61 .

* : لقد كان تصور أفلاطون أن الحيوية البشرية تكمن في ثلاث قوى:

- القوة العاقلة التي تنتقل من المحسوس إلى المعلوم و مستقرها الرأس .
- القوة الغاضبة التي تدافع عن الحياة لتحميها و مستقرها الصدر .
- قوة صيانة الجسم للديمومة الحياة من الرغبات و الشهوات و مستقرها البطن .

أنظر : يوسف عبد الله الحميدان ، المرجع السابق ، ص 56 .

2 : المصدر نفسه ، ص 111 .

و في تارقي تعرف على ديون الذي أصبح صديقه، و هو صهر الملك ديونيسيوس الذي أراد هو الآخر قتله ، غير أن ديون التمس منه تخفيف الحكم عليه ليبيع بعدها في سوق النخاسة، حيث اشتراه (إينوقورس القورينائي) ب 300درخم، ثم أعاده إلى أثينا.¹

و لم يكن مصير أناكساغوراس أحسن حالا، فهو الآخر ابعد عن أثينا—كما سبق ذكره — و الحال نفسه ينطبق على من وصف بأكثر الفلاسفة الإغريق عقلانية و منهجية سليمة، بل معه دخلت الفلسفة الإغريقية معه عهدا اتصف بالتطور، و هو أرسطو الذي ابعد هو الآخر عن أثينا. فإذا كانت أثينا و سلطتها تشجع الفكر، فبماذا نفسر اضطهادها لكبار فلاسفتها الذين شكلوا أسس الفلسفة في العصور الحديثة؟

ثم كيف لنا أن نفسر عدم تساوي أجزاء البلاد في الإشعاع الحضاري، أن الأمر لو كان يكمن في نبوغ و فطرة العقل الإغريقي، لكان التطور شمل جميع أنحاء البلاد*، و لكن التطور شمل منطقة دون الأخرى لأن أكثر المناطق لا تزال جامدة و ساكنة إلى غاية القرن الرابع قبل الميلاد دون أن تظهر بها بوادر التفكير و التحضر، بل أكثر من ذلك كانت بمعزل عن التيارات الفكرية ، ثم إن بلاد الإغريق مثل المراكز الأخرى من العالم القديم تعرضت إلى الاستبداد و الطغيان.

1 : اندري اميار، جانين أوبوايية، تاريخ الحضارات العام (الشرق و اليونان القديمة) ترجمة فريد داغر، فؤاد أبو ريحان، منشورات عويدات، لبنان، 1986 ، ص 310 .

* : لقد مر العقل الإغريقي في مسيرة تطوره بعدة مراحل، حيث تميزت المرحلة الأولى بتلك التغيرات التي حدثت على مستوى اللغة، و اتضح ذلك من خلال مؤلفات هوميروس، و هيزيود، و تميزت المرحلة الثانية بالتطور الإقتصادي، و تزامن ذلك مع إنشاء المستعمرات لتكون آسيا مهد العلوم و الفنون بها. أما المرحلة الثالثة و تمتد من فترة إنشاء المستعمرات إلى غاية عصر الإسكندر الأكبر، و يضيف صاحب الكتاب أن مركز ثقل الفكر الإغريقي كان من الناحية الشرقية، و هو دليل قاطع على الاحتكاك بالشرق، و لكن ذلك دون الفلسفة التي كان لها منبع من المستعمرات الإغريقية الشرقية.

أنظر :

Jules Soury, Op Cit, P255-271 .

5. إشكالية الأصول الجغرافية و الفكرية للعقل الإغريقي

من خلال العرض الذي تقدم نصل إلى أن كلمة الفلسفة بمفهومها اللغوي تعني (حب الحكمة) وليس (حب العقل) رغم أن العقل جزء لا يتجزأ من الحكمة. و لكن هي التي تضمنه و ليس هو الذي تضمنها. و الفلسفة الإغريقية ليست كل الفلسفة، و لم تكن الفلسفة الإغريقية فلسفة عقل ، و هذا العقل يجب ان يتطور ليمارس التفكير المنطقي.

و نضج العقل يرتبط بضرورة ينتقل فيها من التكوين الجمعي إلى التكوين الشخصي، وتطور الفلسفة و الفكر مربوط بتطور وسائل الكتابة، من الورق و الأبجدية التي تدرجت بأشكال مختلفة¹، فالرياضيات تعد جانب من جوانب المعرفة العقلية التجريدية ، عرفت مراحلها أولى عن طريق عملية العد و الحساب، لتتطور إلى حساب المساحات، و قياس الزوايا، و كل ذلك عرف مراحلها الأولى في حضارات الشرق القديم خاصة في منطقة الشرق الأدنى (مصر و بلاد ما بين النهرين).

و كل الدلائل التاريخية و الأثرية أثبتت أن أصل المعرفة العلمية ظهرت في تلك المراكز الحضارية، و منطقة الشرق الأقصى (الهند و الصين)، دون أن ننسى دور الفينيقيين في رسم معالم التواصل الحضاري بين الشعوب، فأولى الآراء و الأفكار حول تغيير الوجود و الكون من حيث المبدأ و المنتهى الذي يؤول إليه الإنسان بعد موته، ظهرت هناك بآلاف السنين قبل ان يدركها الإغريق*.

1 : جورج طرابيشي ، (نظرية العقل)، المرجع السابق، ص 61 .

* : لقد كشفت العديد من الكتابات الإغريقية القديمة عن آثار هذه التأثيرات، و كنا قد شبق و أشرنا إليها في الفصول السابقة، لكن نلخصها فيما يلي:

إشارة هيرودوت إلى التأثير الفينيقي خاصة فيما يتعلق بالكتابة ، و أن الإغريق إقتبسوا أسماء الآلهة المصرية و الكثير من العبادات، بل أكثر من ذلك فقد وردت آراء تقول بأن فيثاغورس ولد في صيدا الفينيقية، و تعلم منذ طفولته على يدهم. و عند الثامنة عشرة من عمره إلتقى بطاليس الذي نصحه بالذهاب إلى مصر لإستكمال تعليمه على يد كهنة منف، بل أكثر من ذلك أن طاليس إعترف له أن شهرته في الحكمة جاءت عن طريق التعاليم التي تلقاها من هؤلاء الكهنة. و هذه المزاي قد أوردها سقراط في حديثه عن فيثاغورس و فضل الشرق و مصر خاصة في تكوينه ، أما أفلاطون فلقد صرح بذلك من خلال العديد من المحاورات التي اكدت مجالسته هؤلاء الكهنة.

أنظر : جمال المرزوقي ، المرجع السابق ، ص 51 – 53 .

و قد أثبتت الدراسات التاريخية و الفلسفية زيارة فلاسفة الإغريق لبلاد الشرق، كزيارة طاليس لمصر و بابل، حيث اطلع على علماء الفلك البابلي، و الأمر نفسه ينطبق على فيتاغورس الذي أفادته الرياضيات المصرية، أما أفلاطون فقد زار مصر، و التقى بكهنتها و اطلع على علومهم و أفكارهم في مجال¹ الإدارة و الحكم و ابدي ذلك الإعجاب في كتابها لجمهورية و القوانين، إلى درجة أن البعض يرى أن أفلاطون استلهم فكره السياسي من النظام المصرية.

حيث ورد في محاوره طيمايوس عبارة (في الشرائع المصرية صورة لقوانين أثينا)². و ورد على لسان الكاهن المصري قوله « منذ قديم الزمان يسجل هذا عندنا في الهياكل و تحفظ، أما عندكم كل مرة تنظم السماء في شؤون الأدب، فتذهبها السماء بذهابها³ »، و هو دليل آخر على الاعتراف بعراقة الأنظمة المصرية، و أكبر دليل على أصالة و عراقة الفكر المصري مقارنة مع الإغريقي، ورد في نفس المحاور حديث بين الكاهن المصري و صولون، مقاطعة أحد الكهنة « صولون، يا صولون انتم الهيلينيون تلبثون دوما أطفالا، و ليس من شيخ هيليني، و لما سمعه صولون، كيف و ماذا تقول ، فأجابه الكاهن الشيخ. انتم جميعا فتيان بأرواحكم، و لا تحفظون فيها زعما قديما مستمد من نقل أو تقليد عميق، و لا علما معبر مع تراخي الزمن.⁴»

و في القول دلالة واضحة على اعتراف فلاسفة الإغريق بأصالة الفكر الشرقي و المصري⁵ منه، و ما ورد أيضا عن أرسطو انه زار مصر هو الآخر و تواصل مع كهنتها، و أفاد خاصة في الرياضيات، أما عن حجة دعاة أنصار فكرة المعجزة الإغريقية في كون الفكر الشرقي مرتبط بالدين و طقوسه و سلطة الدولة، و تعوزه الروح النقدية الحرة، و البرهنة المنطقية المحكمة التي تعتبر أساس

1 : علي أبو سليمان الجبيلي، نظرة في تاريخ الفلسفة اليونانية، ط 1 ، دار الولاء للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت لبنان ، 2015 ، ص 10 .

2 : أفلاطون ن محاوره طيمايوس ، ص 185 .

3 : المصدر نفسه ، ص 184 .

4 : أفلاطون ن محاوره طيمايوس ، المصدر السابق، ص ص 182 – 183 .

5 : Hérodote , Op Cit , Pp 7-8 .

البناء الفكري و الفلسفي، و الفكرالإغريقي هو الأصدق، ذلك أصبح مجرد تأويل مشكوك في مصداقيته. أما القول أن الإغريق لم يأخذوا شيئاً من الفكر الشرقي، فإن أفلاطون نفسه يؤكد أن الإغريق أطفالاً مع المصريين¹.

و لم يكن الفكرالإغريقي أصيلاً بل تأثر بعوامل التأثير و التأثير، فهو حتماً أخذ من فلسفاتالشرق التي تعدّ منابعها في الكثير من الأفكار، خاصة المتعلقة بأصل الكون، لقد كان التأسيس النظري المجرد للعلم و الفلسفةالإغريقيّة في نظر البعض معجزة، و نحن سبق و أن تطرقنا لتعريف مفهوم المعجزة، التي ارتبطت بحدوث شيء خارق غير طبيعي، و غير عادي. و انطلاقاً من كل ما تقدم لم تكن هناك معجزة².

و الواقع أن ما عرفه الفكرالإغريقي هو نقلة طبيعية تأثرت بالتراكم المعرفي الذي نقلوه و افادوا منه، و كان عليهم أن يضيفوا إليه الجديد، و فكرة الانبثاقالمفاجئ للحضارةالإغريقيّة تعدّ فكرة باطلة، و الأخذ بها يخالف تطور الطبيعة و الحالة الطبيعية*.

إن الفلسفة أخذت من سابقاتها، فالعلمالإغريقي هو إحياء أكثر منه اختراع.³ فليس الأمر بمعجزة، و إنما هي تظافر عوامل طبيعية و تاريخية و بشرية و سياسية ساهمت كلها في تطور هذا الفكر، فضلاً عن العوامل الخارجية. فمن الخطأ دراسة الحضارات على أساس أنها منفصلة بذاتها،

1 . A. BeuchéLeclercel , Op Cit , P 35 .

2 مصطفى النشار، (المصادر الشرقية ...) ن المرجع السابق، ص 18 .

* : لم تكن الإكتشافات العلمية الأولى على يد الإغريق أو حتى في عهدهم، بل ظهرت مع المجتمعات البدائية الأولى التي مثلت أولى ملامح العقل البشري، و تعود إلى عصور ما قبل ، فلقد ثبت أن الإغريق أخذوا الكثير من الشرق القديم ، خاصة في مجال الهندسة .

أنظر :

G.Mikand , La geometrie grecque, comme œuvre personnelle du genie grecque, revue des etudes grecques, 1896,9-35-36 / P372 (persee) .

3 : جورج سارتون، المرجع السابق، ج 1 ، ص ص 30 – 31 .

خاصة فيما يتعلق بالإنتاج الفكري، و لولا تراكم الإنتاج الفكري للمصريين و العراقيين و الفينيقيين و الصينيين و الهنود لما تطور الفكر الإغريقي.

و رغم ضخامة الإكراهات التي مورست بحق الأصول الشرقية، فإن الأمر يزداد وضوحا كلما أخضعناه للتحليل، و اكتشف بطلانه لأنه نبع من منظور اتجهت إليه المركزية الغربية بهدف تخليص الفكر الغربي و الفلسفي خاصة من كل اثر دخيل للاكتفاء على الذات، في حركة محورية يميزها النمو العقلي للأنثى، بالمقابل الوضاعة و الانحطاط للآخر.¹

و لولا ذلك ل بقي العقل الإغريقي في غالب الظن عقلا إغريقيا، أو في أحسن الأحوال عقلا إقليميا. فالمعجزة الإغريقية هي من صنع أوروبا الحديثة أكثر ما هي من صنع العقل الإغريقي نفسه. و أوروبا القرن التاسع عشر هي من صنع العبقرية الإغريقية مجمدة بذلك أسطورة العقل الكوني².

و لا نقصد من ذلك أن نقلل من شأن الفكر الإغريقي، فذلك شيء و المعجزة الإغريقية شيء آخر. فلتطور الفكر الإغريقي أسبابه التاريخية و الجغرافية، و لا سبب للمعجزة أو العبقرية الإغريقية إلا أوهام العنصرية و خواصها الأسطورية التي لا تمت للبحث العلمي المجرد، و لا للدراسة الموضوعية النزيهة بصلة.³ ففكرة المعجزة الإغريقية لا أساس لها، لكن يمكن لنا أن نقر أن هناك انجازات هامة حققها الفكر الإغريقي، و يمكن أن يكون فيها شيء من الإبداع المتميز، و أحسن ما نستدل به هو قول أكثر المفكرين الذين عاجلوا الموضوع دون إنحياز، و منهم جورج سارتون حيث يقول : « إن صفة العلم الإغريقي هي صفة الغرب الذي يفاخر بمنتوجها علماء العصر الحديث، غير انه يجب أن نعلم أن أسباب هذا العلم شرقي في جملته، و انه مهما كانت من عمق العبقرية الإغريقية فإنه من المحقق الثابت أنها ما كانت لتشيد من شيء و تبلغ مبلغ الإضافات

1 : عبد الله ابراهيم ن المرجع السابق ، ص 220 .

2 : جورج طرابشي ، (نظرية العقل)، المرجع السابق ، ص 114 .

3 : محمود محمد عبد الرحمان مرحيا ، (مع الفلسفة ...)، المرجع السابق ، ص 83 .

التي أنجزتها من غير ذلك الأساس. لقد أنجب الأب المصري و الأم البابلية العبقرية الإغريقية، إذا كانت تلك العبقرية جادة في تطوير العلم، كيف نفسر ظاهرة فرد أنجز ابهر أعماله في سن العشرين، ثم قضى بقية عمره عقيما بورا، فهل خائنته عبقريته؟ فما بالك إذا انطبق هذا على أمة برمتها؟¹

و مثلما ساهمت عوامل في بلورة فكر بلاد الإغريق تكاملت و ترابطت و شكلت الأرضية الملائمة لتطور نظرياتهم الفلسفية و الرياضية* التي سبق الحديث عنها ، بالمقابل كانت هناك عوامل ساهمت في تراجع مكانة هذا الفكر و هذه الحضارة، على الأقل في البلاد الأم أو منطقة أثينا بالتحديد، أين دخلت الحضارة الإغريقية مرحلتها الهيلينستية، و من جملة هذه العوامل :

- الانقسامات السياسية و الحروب الطاحنة، خاصة بعد حرب البيلوبونيز .
- يرى البعض أن الإغريق اهتموا بالعلم على حساب عوامل أخرى خاصة الجانب الاقتصادي و الاجتماعي، فضلا على عدم الاستقرار السياسي .
- الغزو المقدوني للمنطقة، و نهاية المرحلة الهيلينية، حوالي نهاية القرن الثالث قبل الميلاد، و من بعده الغزو الروماني²، فالشروط المحلية و الخارجية التي أفادت الفكر الإغريقي مثلما أفادت بلاد الإغريق يجوز تطبيقها على غيره من الشعوب ، فالسبب إذن هو سبب حضاري و ليس جنسي تكويني، لأن الفكر و الفلسفة الإغريقية ولدا ولادة طبيعية في

1 : جورج سارتون، العلم و الأنسنة ، المرجع السابق، ج 1 ، ص 150 .

* : تشير الدراسات إلى أن الإغريق لم ينزعوا عن العالم، بل كانت لهم إتصالات واسعة مع مختلف الشعوب، و منهم الهنود، حيث وردت إشارات مباشرة إلى هذه العلاقات من خلال الوثائق و النصوص الهندية القديمة، و رغم أن هذه الإتصالات تطورت خاصة خلال عهد الإسكندر الأكبر ، إلا أن جذورها التاريخية تعود إلى قبل ذلك بكثير إذا نظرنا إلى التوسعات الفارسية خلال القرن الخامس قبل الميلاد، و حجم تأثيرها على المنطقة .

أنظر حول مضمون الفكرة لمقال :

Sylvian Levi, La Grece et l'Inde d'après les documents indiens , revue des etudes grecques 1891 / 4-13 / Pp 24-25 .

2 : المرجع نفسه ، ص 159 .

معطيات عادية، و ليس فيها ما هو غير مألوف. و المجتمع الإغريقي كغيره من المجتمعات لم ينفرد بخاصية مميزة ما عدا انه أحسن الاستفادة من الظروف، خاصة و انه جاء متأخر مقارنة مع من سبقوه*.

و ما نصل إليه أن وحدة التنوع الإنساني إنما تقوم على الشرق و الغرب، اللذان هما أشبه بمزاجين يتصف بهما إنسان واحد، و أنهما يمثلان وجوها من التجارب الإنسانية السياسية و المتكاملة، و الحق العلمي واحد من الشرق و في الغرب، و الإنسان هو الإنسان، حيث ما حل و إن كان مع فوارق تافهة تكون هنا و هناك. فالشرق و الغرب يلتقيان في روح عالم أدى به علمه لأن يؤمن بأن الحقائق مهما سمت و ارتفعت ليست بكل شيء من الحياة، و يبقى لها أن تستكمل بجوانب أخرى، فالعلم مدين للشرق في بداياته الأولى، لأن الشرق هو المنبع الذي يعود إليه الفكر، و إن أخذت هذه المعارف بموضوعية، يصبح من يؤمن بذلك أكثر إنسانية، و خادما أميناً للحق و أداة أنجح في رسم الحاضر بتفكير موضوعي متحضر.¹

ومجمل القول أن اعتبار حضارة الإغريق حضارة ذات عقل مطلق، ما هي إلا قراءة نرجسية أملتها المركزية الأوروبية التي تصاعدت خلال القرن التاسع عشر، و التي طالبت بإعادة النظر في تاريخ العلوم والفلسفة، فلقد حرى فصل العقل الإغريقي عن منابعه و روافده الأولى، و حولت مجراه

* : لقد كان للتوسعات الفارسية في منطقة البحر الأبيض المتوسط خلال القرن الخامس قبل الميلاد تأثيرات على الجزء الشرقي منه، و إنعكس ذلك جلياً على حضارة بلاد الإغريق، ذلك لأن رغم طبيعة الصراع العسكري، إلا أن الإغريق قد ورثوا بعض مظاهر العبقريّة من الشرق — الذي كما يقول صاحب المقال — إستلمت بعده أثينا مشعل التطور الحضاري، لأن هذا الإنتصار الذي تحقّق على الفرس أدى إلى إزدياد تنامي الشعور بالإعتزاز، لتسقط بعدها المنطقة بعد قرن و نصف من الزمن تحت حكم الإسكندر الأكبر .

أنظر :

P. Roussel, La Grece et l'Orient , (les guerres mediques à la conquete romaine) , Robert Bémagne, journal des savants, 1929 / 8 / P 351 – 354 (Persee) .

1 : جورج سارتون، العلم و الأنسنة، المرجع السابق، ص 196 .

في إطار نوع من المصادر في تاريخ الأنثروبولوجيا الحضارية نحو الغرب الأوروبي الذي لم يسهم في نشأته في العصور التاريخية الأولى.

فهو نوع من الجغرافيا الفلسفية الخيالية التي أملت لها هذه النظرة الأوروبية، فنهر الفكر الإغريقي إنتهب بصبه في المجرى الأوروبي الغربي بداية من عصور النهضة بعد أن أوصدوا الأبواب في منابعه الشرقية.

إن الفلاسفة الإغريق لم يكونوا إغريقا، و لم تنجب بلاد الإغريق إلا فيلسوفين هما سقراط و أفلاطون، و معظمهم كانوا من الأغراب، و إذا كان تفوق العرق فإن عشرات الفلاسفة الذين كتبوا باللغة الإغريقية لم يكونوا إغريقا أصلا، فكيف تحضر اللغة في الحالة الإغريقية و يغيب العرق؟¹

إن تواصل جهود المؤرخين و المفكرين في مجال البحث حول الحضارات القديمة تطور بصفة ملحوظة خلال القرن التاسع عشر ميلادي و أوائل القرن العشرين، و لا يزال مستمرا غلى غاية اليوم، و يعبر كل كشف جديد عن معطيات جديدة في حياة القدماء و طريقة تفكيرهم. و الحقيقة أن التضاد بين الحضارة الإغريقية و حضارات الشرق القديم ليس بالصفة التي يضعها هؤلاء، لأن عوامل التواصل بينهم موجودة بصفة أكدها الدليل الأثري، بل أكثر من ذلك أن هذا التواصل لم ينقطع.

فالكلام عن العبقرية الإغريقية ليس من العلم في شيء، لأن القول أن الإغريق بدؤوا صدفة و فجأة دون مؤشرات خارجية، و أبدعوا حضارة عبقرية في مختلف المجالات منها العلم و الفلسفة هو قول يتنافى و المبادئ العلمية التي ركزت على أن هناك لقاح حضاري يؤدي إلى التأثير ببعضها البعض، فلفظ (معجزة أو عبقرية) الدال على الانبثاق المفاجئ لحضارة الإغريق ليس في محله، فلا

1 : جورج طرايشي، مصائر الفلسفة بين المسيحية و الإسلام، ط 1 ، دار الساقي، بيروت لبنان ، 1998 ، ص 13 - 16

ينبغي الفصل إذاً بين حضارة الإغريق و الحضارات الشرقية، و بين العلم الشرقي و العلم الإغريقي¹، فالعلم ارتبط بأصول تاريخية جغرافية شرقية و إغريقية، نظرية و تطبيقية.

1 : فؤاد زكرياء ، المرجع السابق، ص 100 .

خاتمة

خاتمة

حاولنا تسليط الضوء على موضوع العبقريّة الإغريقية بين الأصول الشرقيّة و بواكيرها المحليّة، و بالموازاة مع ذلك حاولنا الوقوف على مختلف جوانب هذا الموضوع من عرض و تحليل و نقد، و ممّا لا شك فيه أنّ موضوع العبقريّة الإغريقية يصعب تناوله نظرا لطبيعته التاريخيّة، و أهدافه الفكرية و الإيديولوجية، و يبقى ما إستطعنا الوصول إليه مجرد بدايات لفتح آفاق البحث المتخصص، لأنّ الإبحار في عوالمه لا يزال يلفها الغموض

❖ إنّ البحث الموضوعي يقود للاعتراف بوجود تغيير كفي في مسار الحضارة البشريّة حصل مع مجيء الحضارة الإغريقية، إلّا أنّ هذا التغير حدث من تجمع كمي يعكس حصيلة ما اكتسبته البشريّة من تطور و تقدم حدث قبل الإغريق. و من خلال ظروف اجتماعية و سياسية و بشريّة على عكس ما يعتقده البعض تفوقا عرقيا أو معجزة أو عبقريّة.

❖ لقد شكّلت الحضارة الإغريقية تحولا كفيّا واضحا، و لكن ذلك لم يكن وليد خصائص وراثيّة في التكوين العقلي للشعب الإغريقي كما ذهب إليه البعض، أو أنّه ظهور مفاجئ بدون مقدمات يصعب تفسيرها تفسيرًا تاريخيًا. و عليه يجب الإقرار بهذا التحول النوعي و الكيفي لهذه الحضارة غير أنّ هذا التحول يرجع في جزء كبير منه إلى ما تقدم عليها من حضارات.

❖ و يظهر هذا التحول الكبير في جوانب الفكر و العلوم و السياسة و الفنون، و يمكن تفسيره على ضوء قوانين اجتماعية و علمية، و خاصة وفقا لقانون التحول و مفاده أنّ التحولات الكمية البسيطة تنتهي في مرحلة معينة إلى تحولات كفيّة، و معنى ذلك أنّه تجمعت التحولات الحضارية المختلفة في العلوم و الصنائع و الفنون و سائر النواحي الأخرى كالمعتقدات و النظم التي قدمتها البشريّة و أنجزتها قبل الإغريق، و تبلورت بشكل فعال منذ القرن السادس قبل الميلاد، وفق ظروف معينة، و شكّلت نقلة نوعية للفكر الإغريقي.

❖ لقد أكدت شهادات المفكرين الإغريق بداية من هوميروس أنّهم كانوا على اتصال بحضارات الشرق القديم، و وردت الأدلة الصريحة من خلال النصوص القديمة لهؤلاء المفكرين. و هو ما

يؤكد وجود تأثير و تأثير بين حضارات الشرق و حضارة بلاد الإغريق في مجالات عدّة منها العلوم و المعارف، حيث لم يكن المجتمع الإغريقي مجتمعا مغلقا على نفسه ليحصر قيمته الثقافية و الحضارية في المنطقة التي يقيم فيها. و إنما كان مجتمعا متفتحا على غيره من المجتمعات التي سبقته في النشاط الحضاري، كتلك التي قامت في الشرق الأدنى مثل مصر و بلاد الرافدين و فينيقيا.

❖ لقد ساهمت عدّة عوامل محلية في تلك النقلة النوعية التي ميزت الفكر الإغريقي، و ذلك في مجالات مختلفة، ففي المجال السياسي أدى تراجع النظام الملكي إلى حدوث توازن في المجتمع ساعد على تنامي دور الفرد باعتباره عضوا مستقلا بعد أن كان ينظر إليه في إطار الجماعة وهذا ما مكنه من تطوير قدراته الفكرية.

❖ ظهور علاقات اجتماعية جديدة طغت على خاصة المجتمع الإغريقي، إذ احتلت العبودية مركز الثقل فيها، و سمحت بإقامة مجتمع مبني على وجود نقيضين: الأحرار و العبيد، و ذلك بين القرنين العاشر و الثامن قبل الميلاد، و أثرت على مسار الفكر الإغريقي حيث أصبح الحر يملك حق المواطنة و المشاركة في النشاطات الفكرية، في الوقت الذي يلزم على العبيد العمل مقابل البقاء على قيد الحياة، و ذلك ما ساعد طبقة الأحرار على ممارسة العلم و الفلسفة بكل حرية و تفرغ تام

❖ لقد ساهم تنامي دور التجارة في ميلاد قيم جديدة سمحت للمجتمع الإغريقي بالتوجه نحو الخارج عن طريق الأسواق، و بالتالي الاحتكاك بالمجتمعات الأخرى، و اكتساب خبراتهم و ثقافتهم.

❖ لم يكن ظهور العملة النقدية كإجراء اقتصادي يهدف إلى تحديد القيمة الكمية للبضائع فحسب، بل يعتبره بشكله تحولا هاما في بنية الفكر و مساره نحو التجريد لأن ظهور مفهوم النقد يعدّ بمثابة القيمة التجريدية للبضائع. فتطور النقد المعرفي استلزم بدرجة هامة تطور الفكر

النظري المجرد، و بذلك نؤكد أنّ تطور العلم الإغريقي لم يتميز عن العلم الشرقي، فكلاهما تطورا نتيجة متطلبات الحياة اليومية و ظروف تحقيق المنفعة الفردية و الجماعية.

❖ لقد استغرقت هذه التحولات التي شهدتها المجتمع الإغريقي في مسار تكوينه و تطوره فترة زمنية طويلة، منذ نهاية الحرب الطروادية إلى غاية حوالي القرن السادس قبل الميلاد، و هو ما يؤكد على أن المجتمع الإغريقي نما بطريقة بطيئة، و اتضح ذلك جليا في احتفاظ العلاقات الجديدة ببعض مظاهر العلاقات القديمة التي لم تستسلم بسرعة أمام المتغيرات الحديثة. فالأسطورة التي ميزت المجتمع الإغريقي مثلا، لم تترك مكانها بسرعة و يسر، بل بقيت حتى حلول القرن الرابع قبل الميلاد الذي يعبر عن أوج نضج الفكر الإغريقي.

❖ تعود الجذور التاريخية الأولى لحضارة بلاد الإغريق إلى حضارة بحر إيجة المبكرة في جزيرة كريت و ميسينيا من بعدها، لتعبر في تطورها على أنّ ارتقاء الفكر لم يكن وليد الصدفة في القرن السادس قبل الميلاد. بل عهد الإغريق بالتطور الحضاري يعود إلى الألف الثاني قبل الميلاد، حيث ساهمت العوامل الطبيعية و بالخصوص إطلالها على البحر الأبيض المتوسط الذي يعتبر موطن الحضارات القديمة في ظهور تواصل و احتكاك بين مختلف شعوب هذا الحوض الذي يعدّ مركز الثقل الحضاري للعالم القديم . و ذلك ما يؤكد أن نبوغ الفكر الإغريقي كانت له بواكير محلية العوامل ساهمت في تطويره، و لكن ذلك لم يكن كافيا لولا الاعتماد على المؤثرات الحضارية الخارجية القادمة من الشرق القديم .

❖ إن وقوع الحضارة الإغريقية في جدول التطور الحضاري ضمن موقع متأخر زمنيا مقارنة مع حضارات الشرق القديم يجعل تأثير لأولى على الثانية أمرا منطقيا. لقد حلّ الإغريقي في منطقة أيونيا في آسيا الصغرى، و التي كانت أكثر تفوقا من بلاد الإغريق القارية نفسها، و التي انحدت منها أغلب مفكري و فلاسفة الإغريق، و ما ذلك إلا دليل قاطع على وجود التلاقي الحضاري بحكم إطلالها على آسيا و قربها من المراكز الحضارية للشرق القديم.

- ❖ لقد إمتدّ انتقال الحروف الأبجدية إلى بلاد الإغريق من حضارات الشرق القديم لتنتقل معه كذلك أساليب الكتابة و التدوين على أوراق البردي التي يسهل استخدامها مقارنة مع الألواح الطينية ، كما أن المسرح الذي اشتهر بكونه إغريقي الأصل، أثبتت الدراسات التاريخية و الأثرية أنّه سبق و مورس في حضارات الشرق القديم و إتخذ شكلا دينيا رافق إحياء الأعياد و الاحتفالات.
- ❖ أما في مجال الأدب، فلقد سبقت الملحمة السومرية جلجامش الملحمة الإغريقية الإلياذة بحوالي ألفي سنة، و أبرزت الدراسات الأدبية مظاهر التأثير و التأثير بين الأساطير و الأدب العراقي القديم، و ما يقابله في الأدب الإغريقي، و هو ما يعبر عن استلهام الإغريق للكثير من الإحياءات من التراث العراقي القديم.
- ❖ لقد كانت الفلسفة مظهرا مميزا للفكر الإغريقي، غير أنّ المعرفة الفلسفية هي معرفة تراكمية، يبنى فيها اللاحق على السابق، رغم أنّها تعتمد على منهج عقلي يتبناه الفيلسوف. و ما توصلت إليه الفلسفة الإغريقية لم يأت من العدم، و إنما قام على تبنى أو تجاوز أفكار سابقة لها، و لكن مع اختلاف في زاوية التأمل. و ضمن هذا الإطار تدخل علاقة الفلسفة الإغريقية بالفكر الشرقي السابق لها.
- ❖ لا جدال في أنّ أبناء الشرق القديم كانوا قد استنتجوا أفكارا في مجال نشأة الكون و تفسير الوجود و علاقة الإنسان به. فالإغريق أخذوا هذه المفاهيم الأولية، و لما كانت ظروف بيئتهم تختلف، انعكس ذلك على تفاعلهم مع ما تلقوه من الفكر الشرقي القديم، ليظهر بشكل جديد يتوافق مع الطابع العام للشخصية الإغريقية، فالفلسفة الإغريقية ولدت ولادة طبيعية نتيجة عوامل خارجية تعلقت بميراث حضارات الشرق، و عوامل داخلية ناتجة عن البيئة الاجتماعية و السياسية و الأدبية، لأن المصادر الشرقية أثرت في النهضة الفكرية التي سبقت ظهور الفكر الفلسفي الإغريقي ، و أثرت في المدارس و أعلامها، و ما الزيارات التي قام بها هؤلاء إلى بلاد الشرق إلا دليل على ذلك.

- ❖ لقد ارتبط الفكر السياسي عند الإغريق بتطور المدينة التي اعتبرت مركز الحياة، إلا أنّ المدن الأولى في تاريخ البشرية هي تلك التي تأسست في **بلاد ما بين النهرين**، حيث توفرت هذه المدن على مستلزمات الحياة العامة كالمؤسسات السياسية و المراكز العسكرية التي تضمن المحافظة على هذه المنشآت. و رغم خصوصية أنظمة الحكم بها، إلا أنّها شكلت الدعائم الأولى للممارسة السياسية في تاريخ الإنسانية. و بذلك تكون قد سبقت الإغريق بألفي سنة، عرفت من خلالها ظهور تشريعات نظمت العلاقات العامة داخل المجتمع.
- ❖ كما شهدت اعتلاء النساء مراتب سياسية هامة، و ذلك ما كان بمصر الفرعونية، على عكس مكانة المرأة في المجتمع الإغريقي التي عرفت تراجعاً كبيراً، خاصة خلال القرن الرابع قبل الميلاد، حيث أصبحت اثنا المدينة الإغريقية التي اعتبرت أنموذجاً في التنظيم السياسي الذي عرف ظهور الديمقراطية حوالي القرن الخامس قبل الميلاد، غير أنّ الديمقراطية الأثينية لم تكن لتضمن حقوق جميع المواطنين، حيث ارتفعت نسبة العبيد لتفوق 110.000 نسمة، كما لم تكن واضحة المعالم وفق دستور قار و ثابت.
- ❖ غير أنّ التاريخ يعدّ أحد المظاهر العامة لتمييز الفكر الإغريقي، إلا أنّ فكرة الوعي بالتاريخ تعود جذورها إلى الحضارات الشرقية التي دونت إنجازاتها الهامة من خلال مخلفاتها الحضارية، و لكن يمكن الجزم أنّ الكتابة التاريخية بمواصفاتها العلمية بدأت مع مؤرخي الإغريق أمثال **هيرودوت**، و تطورت مع **توكيديديس** و غيرهم من المؤرخين الإغريق الذين دونوا الموروث الحضاري لبلادهم، و حتى منجزات الحضارات الشرقية، أي أنّ التاريخ كعلم قد تأسس على يد **هيرودوت** كما تدعّم وجوده مع تبلور الفكر الفلسفي.
- ❖ أما في مجالات الطب، فقد خطى الخطوات الأولى له في حضارات الشرق القديم بسبب الاهتمام بالتشريح و التحنيط اللذين ساعدا على معرفة أحشاء الجسم و وظائف الأعضاء، بل أكثر من ذلك أنه اتخذ طابعاً تشريعياً قانونياً بفضل قوانين **حمورابي**. أما في بلاد الإغريق فتطور الطب كان حوالي القرن الخامس قبل الميلاد على يد **أبوقراط**، و لم يتخلص بصفة

نهائية من الممارسات السحرية إلا في فترة متأخرة، فالطب الإغريقي أحاطت به مجموعة من الظروف ساعدت على تطوره، و مهما يكن فإنّ الطب لم يظهر على يدّ الإغريق، بل كانت له أصول شرقية تبنتها أهم المراكز الحضارية هناك.

❖ أما الرياضيات، فلم تكن هي الأخرى إغريقية النشأة، بل عرفتتها شعوب الشرق القديم بمجالي الجبر و الهندسة، و وصلوا إلى مرحلة متطورة في ذلك، و أخذ الإغريق الكثير من المعارف منهم بدليل أن أشهر الرياضيين الإغريق **كفيثاغورس** رحلوا إلى **مصر** و منه إلى **بابل** و حتى **الهند**، و تعلموا على يد الكهنة هناك.

❖ و يعد **فيثاغورس** مؤسس الرياضيات الإغريقية الذي إشتهر بنظرية الأعداد، بل أكثر من ذلك أنه كان ينظر إليها على أنها نماذج مقدسة موجودة في عقل الآلهة، و هو دليل قاطع على علاقة الوصل بين العلم و الدين عند الإغريق في البداية، عكس ما ذهب إليه أنصار العبقريّة الإغريقية، كما ارتبطت الرياضيات الإغريقية بوضع البديهيات و المسلمات، و ساهمت مساهمة فعالة في تطور مجال الفلك.

❖ أما في مجال الفلك فلقد تطورت معارف الإغريق فيه حوالي القرن السادس قبل الميلاد في المدرسة الأيونية، بعد أن قطعت أشواطاً هامة في حضارات الشرق القديم، و رغم الأخطاء التي ارتكبها الفلك الإغريقي، إلا أنه تميز بغزارة نظرياته، فضلاً على أنها لم تقص تماماً الجانب الديني الذي بقيت متصلة به.

❖ مرور العلم الإغريقي بعدة مراحل في تطوره حيث اتّصف بالطابع النظري و العملي، فقد صاحب النظرية العلمية الممارسة الفنية، و ذلك في عهد المدرسة الأيونية و الإيلية، أي من **طاليس** إلى **ديموقراطيس**، ثم المرحلة النظرية مع مجيء **سقراط**، حيث تراجعت مكانة العمل اليدوي، بل أكثر من ذلك تمّ نبذه و اعتباره من مهام العبيد دون الأحرار. أي تمّ الفصل بين النظرية و التطبيق، ثم المرحلة الثالثة هي المرحلة **اهيلينستية** التي تميزت بإنشاء مدارس في منطقة

الشرق القديم بعد غزوات الإسكندر الأكبر منها مدرسة الإسكندرية، تميزت بعودة الاهتمام بالعلم التجريبي و تراجع دور أثينا الفكري.

❖ رغم محاولة بعض الفلاسفة الإغريق الفصل بين النظرية و التطبيق، إلا أنّ الحقيقة تثبت عكس ذلك، لأنه لا يجوز الفصل بين مهام العقل و مهام الحواس.

❖ إن الكلام عن العبقريّة الإغريقية ليس من العلم، لأن القول أن الإغريق قد بدؤوا صدفة و فجأة بدون مؤثرات خارجية، و أبدعوا حضارة عبقريّة في جميع المجالات منها العلم و الفلسفة قول يتنافى و المبادئ العلمية التي ركزت على وجود اللقاح الحضاري، فلفظ معجزة يعني انبثاق مفاجئ، و هو ليس في محله، إذ لا يجب الفصل بين حضارة الإغريق و حضارات الشرق القديم. فالعلم ارتبط بأصول تاريخية جغرافية شرقية إغريقية نظرية و تطبيقية.

❖ إن فكرة العبقريّة تنامت مع تنامي النزعة الأوروبية العنصرية الاستعمارية خلال العصور الحديثة، و اتخذت أبعادا إيديولوجية لخدمة السياسة الاستعمارية الأوروبية لإفريقيا و آسيا.

❖ إن القول بوجود شعب نقي خالص لم يمتزج بغيره من الشعوب هو قول لا أساس له، فقد ثبت اليوم أن الإغريق لم يكن شعبا تجمعهم وحدة العرق و الجنس و الدم، بل كانوا قوما مختلطي الأصول و شعوبا متعددة ارتبطت بروابط الجوار و المصالح و الحروب، و من غير المعقول إثبات وجود السلالة الإغريقية الخالصة أمام فلاسفة هم أنفسهم انحدروا من المناطق المجاورة، و صنعوا مجد الفلسفة الإغريقية، لأن نقطة بداية الفلسفة الإغريقية بمالطيا التي كانت إحدى المستعمرات الشرقية لبلاد الإغريق.

❖ لقد ظل العلم و الفلسفة مرتبطان بالميثولوجيا إلى غاية القرن الرابع قبل الميلاد، و هو ما يتناقض و قول أنصار المعجزة الإغريقية أن الفكر و الفلسفة في بلاد الإغريق قد تحررا نهائيا من التفكير الميثولوجي الديني. لأن الواقع أثبت العكس، و ما كان ذلك إلا لإنزال مكانة الفكر الشرقي، ففكر الإغريق في حدّ ذاته لم يسلم من الأسطورة، حتى أن أبرز فلاسفته

كأفلاطون قد بينوا أن سكان أثينا كانوا يمارسون طقوس السحر إلى غاية القرن الرابع قبل الميلاد.

- ❖ لم يكن الفكر الإغريقي أصيلاً، ذلك بفعل عوامل التأثير و التأثير، فما هو إلا نقلة طبيعية تأثرت بتراكم معرفي نقلوه و استفادوا منه، و كان عليهم أن يضيفوا إليه الجديد، و كانت علومهم إحياء أكثر من كونها اختراعا، و قد تضافرت مجموعة من الظروف ساهمت في تطويره.
- ❖ ففكرة المعجزة الإغريقية أو العبقرية الخالصة لا أساس لها، ولكن يمكن الإقرار بأن هناك إنجازات هامة حققها الفكر الإغريقي، وتأثرت تأثراً مباشراً بالأصول الشرقية، واستفادت من معطياتها الداخلية التاريخية والسياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و البشرية.

الملاحق

1. الملحق الأول :

المظاهر الحضارية في منطقة بحر إيجا دليل الاصاله و العراقة المحلية

العمارة الكريتية التي جسدت في قصر الملك مينوس فيكنوسوس

« في وسط البحر القاتم كلون النبيذ ارض تسمى كريت ، و هي ارض جميلة غنية يحيط بها الماء ،
و فيها خلق كثيرون يخطئهم العد ، كان بها تسعين مدينة . »

لما انشد هوميروس هذه الأبيات كانت بلاد الإغريق قد دخلت مرحلة جديدة تميزت بالانحطاط و
التراجع. فبقيت ذكرى هذه المدينة في ذاكرة الشاعر و هو يتحدث عن عصر ذهبي كان الناس فيه
أكثر حضارة و ارتقاء .

1. اكتشاف هذه الحضارة :

لقد كان اكتشاف هذه الحضارة المفقودة عملا من اجل الأعمال في تاريخ علم الآثار الحديث ،
فجزيرة كريت هي أهم جزر الكيكلاديس ، و أكبرها بعشرين مرة. و هي في منتصف الطريق بين
فينيقيا و ايطاليا، و بين مصر و بلاد الإغريق. هذا الموقع مكن الملك مينوس من إقامة إمبراطورية
في بحرايجا.

لما عثر التاجر الكريتي - كما سبق ذكره - على آثار قديمة، و بعد أن زار شليمان الموقع و اخفق
في شراء الأرض ، اشترى الموقع الدكتور ايفانوس، عالم الآثار البريطاني، الذي باشر أعمال الحفر. و
بعد أن قضى تسعة أسابيع في الحفر، اكتشف الكنز المتمثل في قصر الملك مينوس. وهو صرح معقد
في اتساعه. و اغلب الظن انه القصر الذي اشتهر في الروايات القديمة، فعثر على آلاف الأختام و
الألواح. و رغم أن النيران دمرت القصر، عثر على هذه الألواح، و ما يزال ما وجد عليها من رموز
و كتابات غامضا إلى الآن يخفي جانبا من تاريخ بحرايجا في العصور القديمة .

و لما ذاع نبا هذا الاكتشاف، هب العلماء إلى كريت من كثير من الأقطار و استمرت عمليات الحفر من 1900 م إلى 1905 م. و إن كانت عمليات الحفر قد استمرت إلى غاية 1914 م، لتتوقف مع بداية الحرب العالمية الأولى، و مع نهاية الحرب واصل ايفانيس تنقيباته و اخرج نتائج دراسته في كتاب (**ThePalaceofMinos**) الذي ضم أربع مجلدات في الفترة الممتدة بين 1920 و 1935، و لقد شارك ايفانيس علماء آخرون في الكشف عن مواطن هذه الحضارة، ومن بين هؤلاء جوزيف هتزيداكيس **JosephHazzidakis** مؤسس جمعية الآثار الكريتية و سالوجوس **Sylogos** ، و كانت تنقيباتهم ملهمة لغيرهم 1 .

ثم توالى التنقيبات الأثرية وتواصلت أعمال الحفر في أنحاء مختلفة من الجزيرة وأضافت نتائج جديدة عن عصر البرونز. ولقد حاول وضع ملامح لتلك الحضارة على اختلاف عصورها الثلاث.

2. المخلفات الأثرية:

لقد عثر على أشكال بدائية لفخار مصنوع باليد محلى برسوم مكونة من خطوط بسيطة وعلى لوالب ومغازل تستعمل في الغزل والنسيج وأسلحة وحجارة مصقولة. ولقد أقام أمراء **كنوسوس** لأنفسهم مساكن واسعة كثيرة الحجرات، ومخازن وحوانيت متخصصة، ومذابح وهياكل. ويلاحظ كذلك أن الكتابة قد تطورت من التصويرية. كما وجد كذلك ثمانية عشر صفا من المقاعد الحجرية طولها ثلاثة وثلاثين قدما، وهي إحدى دور التمثيل التي تتسع إلى حوالي أربعمئة أو خمسمئة من النظارة.

و قد احتفظت صورة من القصر بطائفة من سيدات الطبقة الراقية، و من حولهن جماعة من الرجال المعجبين بهن ، إلى جانب مشاهد رقص تقوم بها بعض الفتيات المرحات ، كما وجد هناك صورا أخرى تمثل مختلف مظاهر الرقص للكهنة و الكاهنات. ولقد وصف **هوميروس** بعض مظاهر ذلك الرقص على صوت القيثارة، وجدت أيضا صورة لقيثارة ذات السبعة أوتار التي كانت من اختراع

تريندو (Terpandoy)، وهناك أيضا المزمار والناي ذو الأنبوبين. ويلاحظ على إحدى الحلبي نقش لامرأة تنفخ على بوق مصنوع من صدفة ضخمة.

و لقد جهز القصر بنظام لصرف المياه ارقى من كل أنظمة صرف المياه لحضارات العالم القديم، فلقد كانوا يجمعون في قنوات حجرية الماء الذي ينزل من سفوح التلال أو من السماء و يسيرونه في اسطوانات مجوفة إلى الحمامات و المراحيض، ثم ينقلون الفضلات في أنابيب من الصلصال المحروق مصنوعة على أحسن طراز ، كل قسم منها طوله حوالي ستة بوصات و طوله ثلاثون بوصة ، و هي مزودة بشرك لحجز الرواسب، و ربما كان بها جهاز يمد القصر الملكي بالماء الساخن 470 .

لقد زين الفنانون في كنوسوس داخل القصر على سعته بأرق وسائل التزيين، و جملوا بعض الحجرات بالزهريات و التماثيل الصغيرة، و بعضها بالرسوم الجميلة و النقوش البارزة، و بعضها بالقوارير الحجرية أو الآنية الضخمة، و البعض الآخر بتحف من الخزف و العاج. ولقد نقشوا على الجدران عددا من اللوالب على سطح من الرخام. كما صورت على مختلف جدران القصر عدة مظاهر حضارية.

ومجمل القول انه ليس في مقدور أية حضارة ما إن تتطلب أو تخلف مثل هذا الترف وهذه الزينة إلا إذا كان قد طال عهدها بالنظام والثراء وسلامة الذوق 471

- ول ديورانت ، المرجع السابق ، ص 40 470

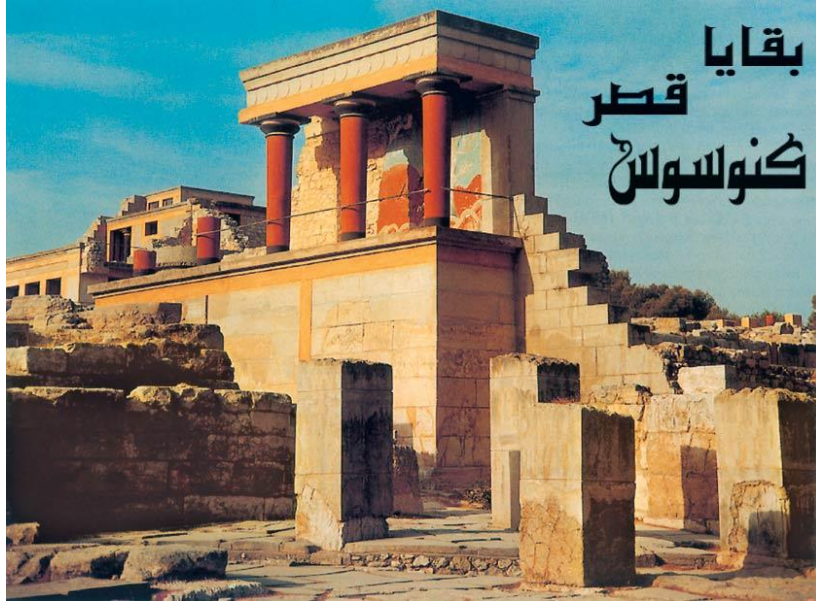
471 - ول ديورانت ، المرجع السابق ، ص 41

الشكل (33) قصر الملك مينوس بكنوسوس 1



1- صالح عبد الحكيم حسن ، تاريخ العالم منذ فجر الحضارة ، دار الطلائع ، القاهرة ، ص 48

الشكل (34) قصر الملك مينوس بكنوسوس 1



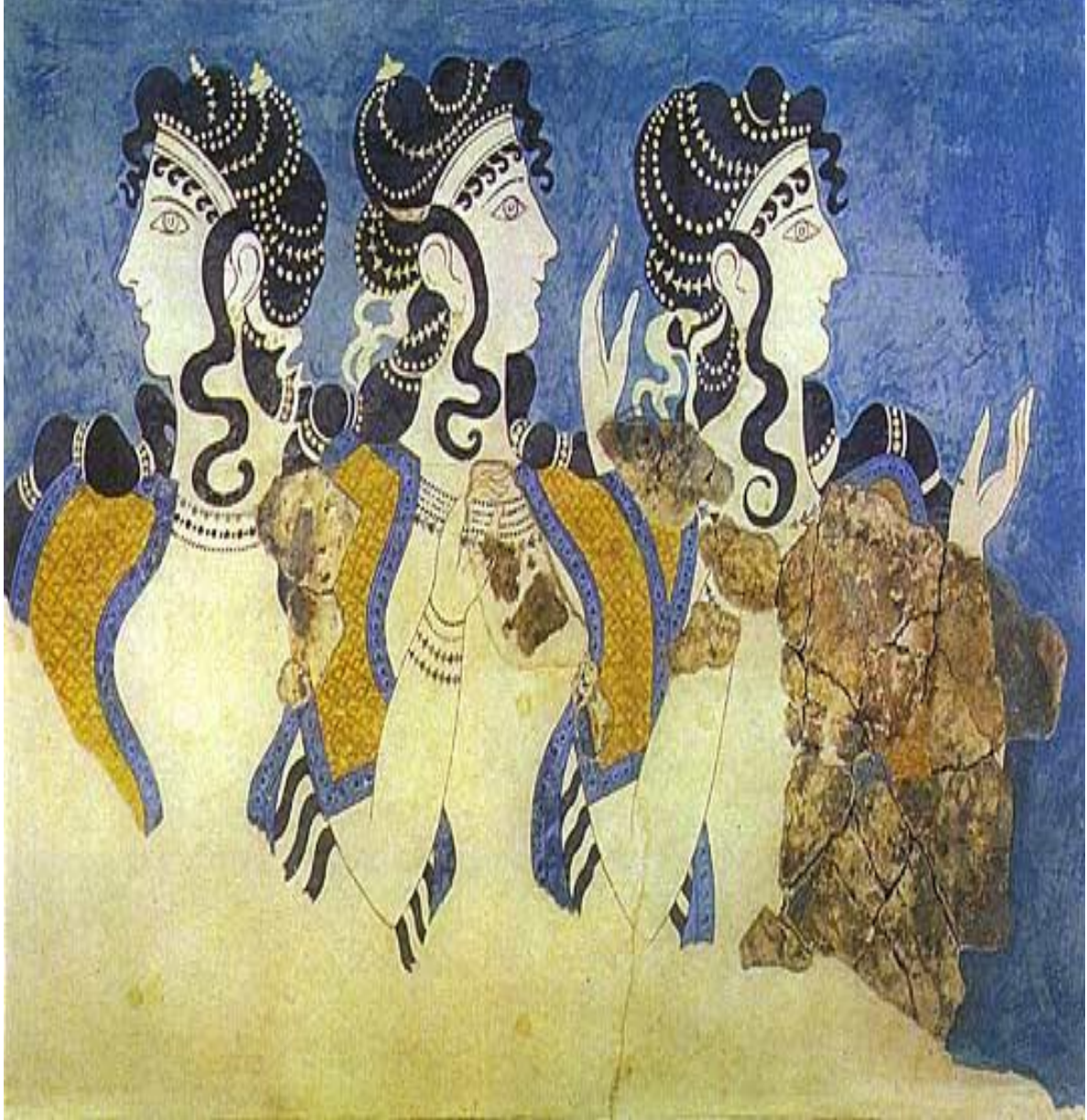
كان قصر كنوسوس **Knosos** أكبر قصر في الإمبراطورية المينوية، بني حول ساحة مركزية، وكان يشتمل على 1300 حجرة، كانت حجرات الجناح الملكي مزدانة بالرسومات، اكتشف القصر في أوائل القرن العشرين من طرف عالم الآثار السير آرثر إيفانس **Sir Arthur Evans**

الشكل (35) مخازن الجرار في قصر كنوسوس



كانت صناعة الفخار في إمبراطورية **Minoa** متقدمة و كان الحرفيون في هذه الصناعة غاية في المهارة، كانت الأواني الفخارية تصنع من طين الصلصال بأحجام تصل أحيانا أطول من الإنسان، وذلك لتخزين الزيت و الحبوب .

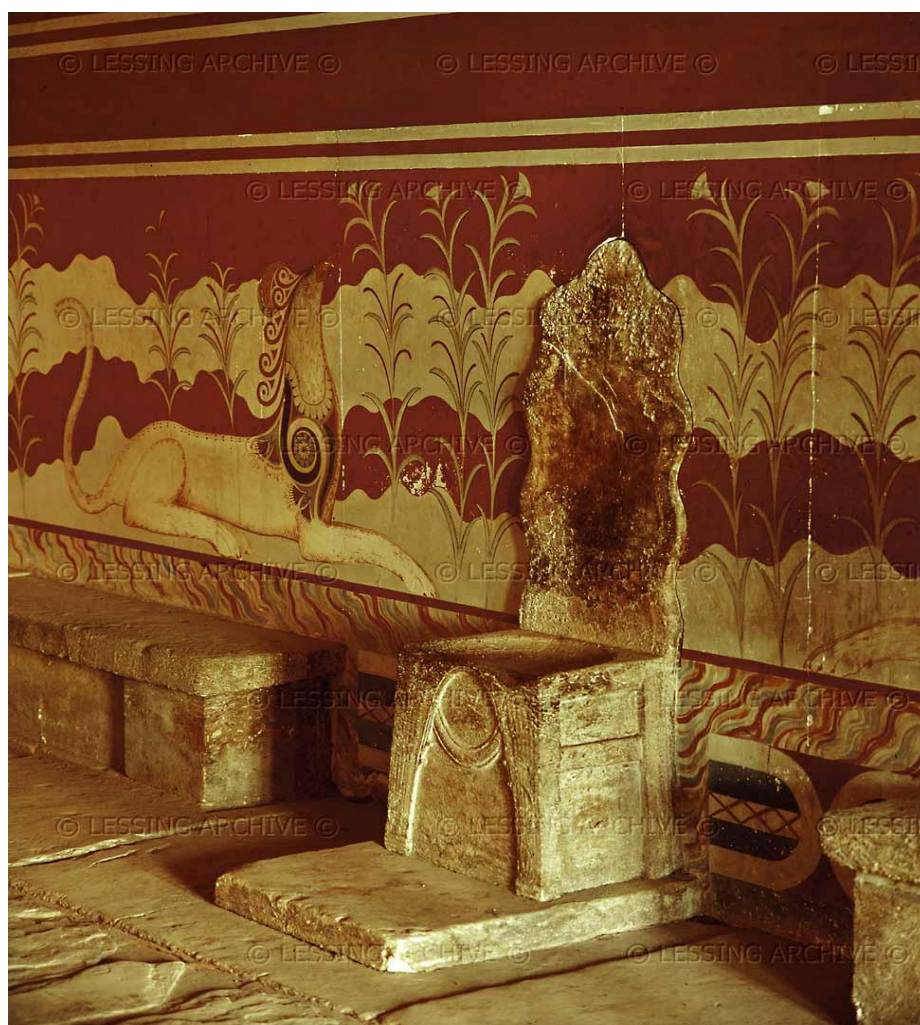
الشكل (36) رسم على جدران قصر كنوسوس تمثل ربات الشجر و الغناء

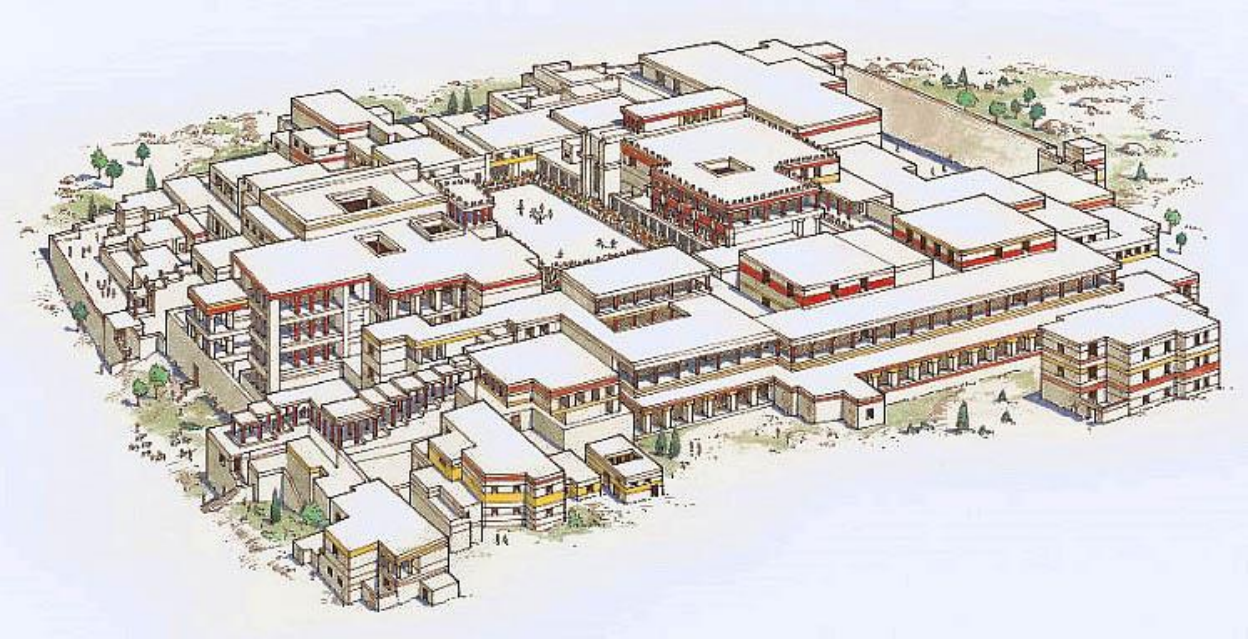




الأشكال رقم (37 - 38 - 39 - 40) قاعة عرش الملك مينوس في كنوسوس







الشكل (40) تصور لقصر كنوسوس

2. الملحق الثاني :

الجوانب الحضارية لمدينة ميكناي

في الجهة الشرقية من شبه جزيرة البيلوبونيز ، على سفوح الجبال حيث يمتد سهل (أرغوس) تقع مدينة ميكيني (Mycenae)، ثم إلى الجنوب و على بعد ميل و نصف من شاطئ البحر كانت تقوم مدينة تيرينس (Tirynthus) . في هاتين المدينتين ظهرت أقدم آثار للحضارة على أرض الإغريق ، إن تيرينس هي المدينة الأولى التي تأسست في هذه البلاد، و هي تقوم على هضبة صخرية قليلة الارتفاع قد حفرت فيها أيادي البشر و جعلت منها ثلاث درجات. و قد بني قصر الملك في الدرجة العليا، ثم أحيطت المدينة كلها بسور من الحجارة الضخمة، و بعض هذه الحجارة يبلغ طولها ستة أقدام، ويتراوح ارتفاع السور بين عشرين إلى خمسين قدما، و يروي اليونانيون أن هذا السور قد أمر بتشيدده الأمير بروتئوس (Proteus) قبل مائتي سنة من حصار طروادة، فاستدعى بنائين مشهورين من بلاد (ليكيا) في آسيا الصغرى. و يطلق الإغريق على هؤلاء البنائين اسم سيكلوبس (Cyclopes) و هم يتصورونهم في هيئة عمالقة لهم عين واحدة مدورة .

و القصر في تيرينس يشبه قصر كنوسوس بكثرة غرفه و ممراته¹ المتشابكة، و لكنه يختلف عنه بفقدان الباحة المركزية المكشوفة، إذ أن الغرف بنيت حول قاعة واسعة مسقوفة، إضافة إلى فصل القسم الخاص بالنساء و الأقسام الأخرى. و على الرغم من أن غرفة الملكة ملاصقة لغرفة الملك في وسط القصر، إلا انه ليس هناك اتصال مباشر بينهما، بل إن لكل منهما مدخلا مستقلا، و قد ظل مبدأ الفصل بين محلات الرجال و النساء سائدا لدى الإغريق في العصور التالية .

أما مدينة ميكيني التي تبعد حوالي اثني عشر ميلا عن تيرينس فهي على شكل مثلث، و كانت محاطة أيضا بسور سيكلوبس، و تروي القصص الإغريقية أن مؤسسها هو الملك بريسيوس (

1 - محمد كامل عياد ، المرجع السابق ، ص 72

Perseus) في القرن الرابع عشر، و يصف **هوميروس** المدينة بأنها جيدة البناء، واسعة الشوارع ، غنية يكثر فيها الذهب .

و لقد كشفت حفريات **شليمان** عن قسم من السور، و في زاوية منه احد مداخل المدينة المشهور باسم **بابالأسد** (انظر الصورة) حيث نرى تمثال لبؤتين نحت على صخرة عظيمة، و لكن رأسيهما قد تحطما . و في مرتفع من المدينة يقوم **قصرالملك** الذي نستطيع أن نميز تقسيماته الداخلية من خلال الأطلال، فنعرف مكان البهو الخاص بالعرش، ثم المعبد و قاعات الاستقبال و المخازن و الحمام، كما نشاهد الدرجات العريضة التي ترتقي إلى الطابق العلوي، ثم آثار النقوش التزيينية على الجدران و البلاط الملون على الأرض .

كما أن الحفريات قد كشفت بالقرب من **بابالأسد** على مقبرة تحتوي على رفاة تسعة عشر شخصا. و قد وجدت على جماجم الرجال تيجان ذهبية و على عظام الوجوه أقنعة ذهبية، كما عثر على الكثير من المجوهرات و الحللي الذهبية معلقة على صدور السيدات .

و إلى جانب هذا كان في المقبرة عدد كبير من الأواني الخزفية المزخرفة و قدور من البرونز و إناء للشرب في شكل قرن مصنوع من الفضة و قطع أخرى من الحجارة الثمينة و العاج ثم خناجر و سيوف مرصعة، و تكاد تكون جميع التحف الموجودة في المقبرة مصنوعة من الذهب سواء تعلق الأمر بالأختام أو الخواتم¹ و الأقداح أو الأساور أو الأقراط. إن هذه الرفات الغارقة في الذهب هي دون شك رفاة ملكية .

إن هذه الآثار التي عثر عليها في **ميكيني** و **تيرينس** هي بقايا حضارة قديمة انتشرت في **بلادالإغريق** و **جزربحرايجا**، و يذهب علماء الآثار إلى أن هذه الحضارة قد بدأت حوالي ألف و ستمائة سنة قبل الميلاد، و استمرت حتى سنة ألف و مائتي قبل الميلاد، على أن تحديد المدة في عصور ما قبل

1- المرجع السابق ، ص 71

التاريخ ليس من الأمور السهلة. فلا يمكن ادعاء الدقة و اليقين فيها، و تدل الظواهر على أن أهم مركز لهذه الحضارة كان في مدينة **ميكني** لذلك أطلق عليها اسم **الحضارة الميكنية** .

يبدو من تدقيق آثار هذه الحضارة أنها اقتبست الشيء الكثير من المصريين، و أن العلاقة بين البلدين كانت وثيقة ، فقد عثر في مقابر **ميكني** على قطع من الخزف المصري نقش على إحداها اسم **أمنحوتب الثالث (1408 – 1372)** ق . م و في آخر على اسم هذا الملك مع زوجته (**Tay**) . ثم نرى على خنجر و جد في هذه المقابر نقوشا تصور **نهر النيل** و بعض الحيوانات التي لا تعيش إلا في **مصر** . و الخنجر صنع في **بلاد ايجيا**، ما يعني أن صانعه قد زار **بلاد النيل** ، و في المقابل فقد وجد على جدار في **مدينة طيبة بمصر** صورة تمثل أواني ميكنية .

بالاستناد إلى هذه العلاقات يذهب بعض المؤرخين إلى انه من المحتمل أن يكون ملوك **مصر** قد حالفوا **الميكانيين** و أرسلوا إلى ملوكهم الهدايا ثم حرضوهم على مهاجمة **كريت**، غير انه لا توجد دلائل كافية تؤيد هذه الفرضية. و من الواضح أن الحضارة **الميكينية** قد نشأت تحت تأثير حضارة **كريت 1** . إن طريقة الفن المعماري في بناء القصور و تزيينها **ميكني** و **تيرينس** تشبه قصر **كنوسوس** رغم الفوارق التي اشرنا إليها* .

1 - محمد كامل عياد ، المرجع السابق ، ص 74

* - لقد زار الكريتيون بعض الأماكن من بلاد اليونان الشرقية و استقروا بصورة خاصة في مقاطعة (آرغوليس) و نشروا حضارتهم بين السكان ، و إطلاق اسم **منوا (Minoa)** على الجزيرة المقابلة لمقاطعة ميغارا مما يؤيد هذه النظرية . و في أسطورة (قدموس) و زوجته (أوروبا) الذين ينسب إليهما اليونانيون تأسيس مدينة طيبة في اليونان يذكر بان (أوروبا) و هي ابنة (فينيكس) والدة (مينوس) و أن (قدموس) هو الذي اخترع الكتابة . و لا شك في أن المقصود هنا هو اقتباس الكتابة الكريدية ، أما ذهاب اليونانيين إلى (أوروبا) هي أميرة فينيقية فهو خطأ ناشئ عن تأويل اسم أبيها، ويظهر أن هؤلاء اليونانيون قد نسوا أنهم قبل أن يتعرفوا على الفينيقيين بعصور كثيرة ، كانوا يطلقون على الكريديين اسم (فينيكس) أي الرجال الحمر ، إشارة إلى لونهم الحنطي .

انظر :

محمد كامل عياد ، المرجع السابق ، ص 75

وكان الميكينيون الذين يختلفون عن الكريتيين في لباسهم و مظهرهم الخارجي قد استقلوا في حضارتهم عن كريت فاكسبت هذه الحضارة مع مرور الزمن، فهي عاشت مائتي سنة بعد انهيار دولة مينوس. و نرى أن قصر تيرينس يحدد بناؤه على مقياس أوسع و بصورة أفخم حوالي سنة ألف و ثلاثمائة و خمسون قبل الميلاد ، أي بعد سقوط كنوسوس، و كذلك الأمر مع قصر ميكيني. و قد زينت جدران القصر بالرسوم على طريقة الكريتيين. إلا أن هذه الرسوم لا تصور مناظر الطبيعة و الحيوانات أو النباتات أو مشاهد الحياة العادية كما في قصر كنوسوس، بل تمثل الجنود و ساحات الحرب .

إن الحضارة الميكينية لم تكن على درجة من الرقي و الترف يمكن مقارنتها بحضارة كريت، فالجتماع اليوناني كان لا يزال في حالة بدائية ، و السكان كانوا منصرفين إلى الصيد و الحرب و إلى صناعة الأسلحة في الدرجة الأولى. و الأدوات التي كانوا يستعملونها خليط من المصنوعات القديمة (الحجرية) و الحديثة (البرونزية) و أكثر الصناعات قدما في ميكيني هي صناعة المعادن و على الأخص الذهب و الفضة الذين وجدت منهما كميات كبيرة .

و أحسن المصنوعات من هذا النوع لم يعثر عليها في ميكيني أو تيرينس، بل في مدينة (وفيو) قرب موقع إسبارطة. فقد وجدت في مقبرة الأمير كنز من المجوهرات و التحف من بينها قدحان من الذهب الرقيق، و كانت النقوش على هذين القدحين تمثل مناظر لترويض الثيران مقتبسة عن الفن الكريتي و تنم عن مهارة في الصنعة و جمال في الشكل .

أما الأواني الخزفية فإنها اقل اتقاناً و رشاقة. و إن كان الميكينيون قد توصلوا إلى اختراع أنواع جديدة من هذه الأواني تختلف عن مصنوعات كريت بلمعان رسومها، و كانت الفنون الجميلة عموماً في حالة تفهقر و متأخرة عن المستوى الذي بلغته في كريت، أما التجارة فكانت بطيئة في تقدمها بسبب سيطرة القرصان على الملاحة في بحر إيجه.

و نرى أن ملوك ميكيني و تيرينس أنفسهم كانوا يقومون بأعمال القرصنة، و كانوا يبنون مدتهم بعيدة قليلا عن شواطئ البحر ليستطيعوا من جهة حمايتها من الغارات المفاجئة، ثم استخدموها لمواجهة السفن من جهة ثانية. و لكن يظهر أن هؤلاء الملوك قد أدركوا بعد ذلك فائدة التجارة البحرية في ظل الأمن، و عرفوا أنها السبب في غنى كريت و ازدهارها فاحذوا يمنعون القرصنة و انصرفوا إلى التجارة 1 .

يمكن أن نجمع بين الحضارتين الكريتية و الميكينية و حضارة البلاسجيس و الليديين و القاريين و الليكيين، و نطلق عليها اسم الحضارة الإيجية، فكل هذه الشعوب من عرق واحد، وهي تتكلم لهجات متقاربة، و هناك تشابه كبير في طراز معيشتها و مظاهر حضارتها. و نرى أن القبور في كل مكان مبنية على الطريقة نفسها، في شكل قبب و حجرات مربعة ، و تحتوي على الأواني و الخناجر و السيوف ذاتها. و هذه الشعوب جميعا خاضعة لتأثير بحرايجا، و ما يتصف به من اعتدال الإقليم و الموقع الممتاز بين القارات الثلاث و الشروط الملائمة للملاحة والتجارة .

بعد أن حملت كريت مشعل هذه الحضارة عصورا طويلة و سارت بها خطوات واسعة في طريق التقدم و التكامل، انتقل قسم من تراثها إلى الميكينيين الذين حافظوا على الحضارة في العالم الإيجي، و قد بسط الميكينيون سيطرتهم التجارية على جزر بحرايجا، و شواطئ آسيا الصغرى، كما اتصلوا بقبرص و سورية و مصر و ايطاليا و اسبانيا. و هكذا نقلوا بدورهم حضارة كريت إلى شبه جزيرة اليونان و إلى كثير من أنحاء البحر الأبيض المتوسط، و مهدوا السبيل لظهور الحضارة اليونانية.

و لكن يظهر أن الميكينيين قد اصطدموا في طريق توسعهم الجارف بمدينة طروادة التي كانت تحرس المضائق، و تسيطر على طرق القوافل، فاضطروا إلى مهاجمتها و فرضوا حرب طروادة 2 .

1- المرجع السابق ، ص 76

2- محمد كامل عياد ، المرجع السابق ، ص 77

الشكل (41) بوابة الاسد :



كانت بوابة هي المدخل الرئيسي الى ميسينا **Mycenae** . بنيت هذه البوابة حوالي عام 1250 ق . م قد يكون الاسدان المحفوران فوق البوابة يعبران عن رموز للأسرة المالكة الميكنية . 1

1- صالح عبد الحكيم حسن، المرجع السابق، ص 50 .

3. الملحق الثالث :

قسم ابوقراط 1 :

أقسم بأبولو **Apollo** الحكيم و بأسكليبيوس **Aesculappius** وهايچيا **Hygeia** و باناسيا **Panacea** ، و اشهد كل الأرباب و الربات على أن أبقي قدر إستطاعتي محافظا على القسم الآتي : «إني أعتز اشد الإعتزاز بمكن علمي هذا الفن مثلما أعتز بوالدي، و أن أظل مطيعا له ما حييت، و أن أقتسم معه ما لدي من مال متى كان ذلك لازما، و أن أعتني بأبنائه كإخوتي، و أن أعلمهم هذا الفن متى رغبوا دون أجر أو وعد مكتوب، و أن ألقن علمي لأبنائي و ابناء استاذي الذي علمني قواعد المهنة، و أن أبلغ تلاميذي - وحدهم دون غيرهم - الذين إلتحقوا بهذه المهنة نصائحني و إرشاداتي ، و أن أصف الدواء الناجع لمرضاي حسب قدرتي، و ألا اضر أحدا ، و ليس من أجل إرضاء أحد أصف دواء مميتا ، و لا أعطي امرأة «لبوسا» يسبب الإجهاض ، و إنما أحافظ على طهارة حياتي و مهنتي ، و الا اشق عن من في مثانته حصى ، و إنما أترك ذلك ليقوم به المتمرسون (الأخصائيون) ، و ألا أدخل أي بيت إلا لصالح المرضى ، و أن أتجنب اي فعل سيء ، و بخاصة ما يتعلق بعشق النساء أو الرجال الأحرار منهم أو العبيد ، و كل ما يصل إلى علمي أثناء ممارسة مهنتي أو خارجها أو في إتصالي اليومي للناس مما لا يجوز إذاعته ، فإني أحتفظ به سرا مكنونا .

و حين أبقي وفيما لهذا القسم محافظا عليه فسأستمتع بحياتي و أبقي سعيدا بمهنتي ، و موضوع إحترام و تقدير كل الناس في كل الأوقات ، أما إذا إنخرفت عنه و حنثت به ، فسيكون حظي بخلاف ذلك. »

1 : د. أحمد محمود صبحي ، د. محمود فهمي زيدان، محمود مرسى عبد الله ،

* : إله الطب

** : ربة الصحة

*** : ربة الشفاء

الشكل (42) قسم أبو قراط حديث حسبما يتداول في العالم العربي¹



¹ <https://www.google.com>

ييليوغرافيا

المصادر باللغة العربية :

❖ القرآن الكريم

- ❖ أرسطو، فن الشعر، ترجمة و تعليق إبراهيم حمادة، ط ، الدار العربية للطباعة و النشر و التوزيع، 1999
- ❖ أرسطو دستور الاثنيين، ترجمة أوغسطينيس بربارة، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2013 .
1. أرسطو طاليس، ما بعد الطبيعة ، ط 1 ، دار ذو الفقار ، دمشق، 2008 .
2. أرسطوطاليس، في السياسة، ترجمة أغسطينس بابارة اليولسي، ط 2، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، بيروت – لبنان، 1980.
3. أرسطوطاليس، الكون و الفساد، ترجمة أحمد لطفي السيد، الدار القومية للطباعة و النشر، (من المقدمة التي كتبها سانتهيليربارتليمي).
4. أفلاطون، الجمهورية ، الكتاب السابع، المجلد الأول، ترجمة شوقي داوود عزار، الأهلية للنشر و التوزيع ، بيروت، 1994 .
5. أفلاطون، محاورات كريتوس (في الفلسفة و اللغة)، ترجمة و تحليل عزمي طه سيد احمد، ط ، وزارة الثقافة ، عمان، الأردن، 1995 .
6. أفلاطون ، محاورة الدفاع، محاورات أفلاطون، ترجمة زكي نجيب محمود، مكتبة الأسرة، مصر، 2005 .
7. أفلاطون، محاورة القوانين، ترجمة محمد حسن ظاظا، الهيئة العامة المصرية للكتاب.
8. أفلاطون، محاورة فايدروس أو عن الجمال، ترجمة أميرة حلمي مطر، دار غريب، مصر، 2000 .
9. أفلاطون، محاورة الطيميماويس و إكريتيس، ترجمة فؤاد جورجى بربارة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، 2014 .
10. القرآن الكريم
11. اللاتيريديوجينيس، حياة مشاهير الفلاسفة، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2004
12. المهاباراتا، ملحمة الهند الخالدة، ترجمة عبد الإله الملاح، 1991
13. هوميروس، الأوديسا، ترجمة ذريني خشية، مكتبة دار الكتب الأهلية، القاهرة 1945.
14. هوميروس، الإلياذة، ترجمة سليمان البستاني، ط 1، دار المعارف للطباعة و النشر و التوزيع، سوسة، تونس.

المصادر باللغة الأجنبية :

1. Aristote , Constitution d'Athènes , Trad par Mathiew et B Housoulie , Paris .
2. Aristote , La matiere , Chapitre 2 , Trad par Jean Claude Fsaie , 1^{iere} edition , , 1990 .
3. Aristote , Politique , Trad par Pelle Grine , , C F K Tamarian , 1993 .

4. Aristote ,Poetique, Trad F Dufan, Les belles lettres, Paris,1932, Chapitre 24 .
5. Aristote ,Poetique , Trad par ChBateux , Paris , CHAPITRE 4 .
6. Diodore de Sicile, bibliotheque historique, livre 4, TradHolift, Paris.
7. Hésiode , les travaux et les jours, 25 – 6 .
8. Hesiode ,Theogonie , Trad , M Patin , Paris , 1872 .
9. Homère , Odyssée , le chant 19 , 172 .
10. Thucydide , la Guerre de Péloponnèse , Trdpar De Rommily, Paris , 1953 .
11. Xeophone ,Memorable , Livre premier , librairie , CH ouss , elgme , Paris . 1902 . P1.

المراجع باللغة العربية

1. ابراهيم عبد الله ، المركزية الغربية ، إشكالية التكوين و التمرکز حول الذات ، المركز الثقافي العربي ن الدار البيضاء، بيروت ، 1997 . . .
2. ابن احمد محمد رسائل إخوان الصف و خلان الوفا ، ج 2، مطبعة بغداد ، 425 هـ ،
3. أحمد محمود صبحي ، محمود فهمي زيدان، في فلسفة الطب، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية. مصر، 1993 .
4. اسكندر المعلوف عيسى ، تاريخ الطب عند الأمم القديمة و الحديثة، هنداوي للتعليم و الثقافة، .
5. الالوسي حسام الدين، الفلسفة اليونانية قبل أرسطو، منشورات الإختلاف، الجزائر 2017 ، .
6. الالوسي حسام الدين ، الفلسفة اليونانية قبل أرسطو، دار الأمان، الرباط ، المغرب الأقصى.
7. اميار اندري ، جانين أوبوابية، تاريخ الحضارات العام (الشرق و اليونان القديمة) ترجمة فريد داغر، فؤاد أبو ريجان، منشورات عويدات، لبنان، 1986 .
8. أميرة حلمي مطر، الفلسفة السياسية من أفلاطون الى ماركس، ط 5 ، دار المعارف مصر ، 1995 .
9. بارنال مارتن ، أثينا السوداء (النهاية البطولية لعصر بطولي سقوط طيبة و طروادة و موكناي) ما بين 1250 – 1150 ق.م، الجزء الثاني ، المجلد الثاني ، ترجمة و تعليق و تحليل ، محمد إبراهيم السعدني ، المجلس الأعلى للثقافة ، مصر 2005 .
10. باورام س ، التجربة اليونانية، ترجمة أحمد سلامة، محمد السي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989.
11. بدوي عبد الرحمان ، ربيع الفكر اليوناني ، ط 3 ، مكتبة النهضة المصرية .
12. بريهيهايميل ، تاريخ الفلسفة، ج 1، (الفلسفة اليونانية) ، ترجمة جورج طرايشي ، ط 1 ، دار الطليعة للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1982 .
13. بيروري، حرية الفكر، ترجمة عبد العزيز إسحاق، العدد 1712 ، المركز القومي للترجمة، مصر 2010 .
14. توشار جان ، تاريخ الأفكار السياسية.(بدون توثيق)

15. تومين ف ، فلاسفة الشرق، ترجمة الحميد سليم، ط 2 ، دار المعارف، القاهرة.
16. تويني أرلند ، تاريخ الحضارة الهيلينية، ترجمة رمزي جرجس، مكتبة الأسرة.
17. الجبيلي علي أبو سليمان ، نظرة في تاريخ الفلسفة اليونانية، ط 1 ، دار الولاء للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت لبنان ، 2015 .
18. جلال شوقي ، أثينا إفريقية السوداء. صراع الأسطورة و التاريخ .www.kotobarabia.com.
19. الجمال سمير يحي ، تاريخ الطب و الصيدلة المصرية في العصر الفرعوني، ج 1 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 1994
20. جندي ابراهيم عبد العزيز، معالم التاريخ اليوناني، ج 1 ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، مصر 1998-1999 .
21. حسين خليل ، الفلسفة والفكر السياسي في العصور القديمة والوسطى، ط1، منشورات الحلبي، الحقوقية، سوريا، 2011 .
22. حسين عاصم احمد ، مدخل إلى تاريخ و حضارة الإغريق .مكتبة النهضة للشرق
23. الحميدان يوسف عبد الله ، موجز تاريخ الطب، ج 1 .بدون توثيق
24. الخراط إدوارد ، فجر المسرح ، دراسة في نشأة المسرح ، دار البستاني للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 2002.
25. الخطيب محمد ، المسرح الإغريقي ، ط 1 ، دار علاء الدين سوريا ، 2014 .
26. الخطيب محمد ، الفكر الإغريقي، ط 1 ، دار علاء الدين، سوريا، 1999 .
27. خليل صبري محمد ، مقدمة في الفلسفة و قضاياها ، الهيئة الفلسفية لطلبة جامعة الخرطوم ، 2005 .
28. داوود أحمد ، تاريخ سوريا الحضاري القديم، ط 1 ، دار الشرق للطباعة، سوريا ، 2004 .
29. الدنون عبد الحكيم ، بدايات الحضارة، دار علاء الدين ، سوريا، 2009 .
30. دي بوج ، تراث العالم القديم ، ترجمة زكي سوسن ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ، 1999 .
31. ديلاووت ، بلاد ما بين النهرين ، ترجمة محمد كمال ، ط 2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب . 1997
32. ديورانت ول ، قصة الحضارة، حياة اليونان، ترجمة محمد بدران، الجزء الأول، المجلد الثاني، سيرت، تونس.
33. ديورانت ول ، قصة الفلسفة (من أفلاطون إلى جون ديوي) ، ترجمة عبد الفتاح محمد المشحشح.
34. راسل برتراند : تاريخ الفلسفة الغربية ، ترجمة زكي نجيب محمود ، الكتاب الأول ، (الفلسفة القديمة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2010 ،
35. روسو جون جاك ، في العقد الاجتماعي، ترجمة دوقان قرقوط ، دار القلم، بيروت — لبنان.
36. رينان إرنست ، أبن رشد و الرشدية، ترجمة عادل زعيرة، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة، 1957 .
37. رينان إرنست ، الإسلام و العلم، ترجمة و دراسة محمد عبد الحافظ، ط 1 ، المج لمس الأعلى للثقافة، 2005.

38. رينان إرنست ، محاضرة الإسلام و العلم، أُلقيت بالسربون في 29 / 03 / 1883 م، و نشرها كلمان ليفي مدينة باريس.
39. زايد مصطفى ، التربية و التعليم في الحضارة اليونانية و الرومانية، ط 1، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، مصر.
40. زروقي إسماعيل ، دراسات في الفلسفة السياسية، ط 1 ، دار الفجر للنشر و التوزيع، الجزائر، 2001
41. زودن فون، مدخل على حضارة الشرق القديم، ترجمة فاروق إسماعيل، دار الثقافة ، سوريا .
42. زغمي أحمد ، فلسفة التاريخ عند هيجل، منشورات ضفاف لبنان، 2015 .
43. زيغورعلي ، الفلسفة في الهند ، ط 1 ، عزالدين للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1993.
44. ساتونجورج ، تاريخ العلم ، ج 1 ، الهيئة العامة لشؤون الطباعة 2010 .
45. سارتون جورج ، تاريخ العلم و الأنسنة الجديدة، ترجمة إسماعيل مظهر، دار النهضة العربية، القاهرة – نيويورك، 1961.
46. سعد الله محمد علي ، الدور السياسي للملكات في مصر القديمة، مؤسسة شباب الجامعة، مصر .
47. سعيد إسماعيل علي، التربية في حضارات الشرق القديم، علاء الكتب، القاهرة، 1999.
48. سلمان عبد اللطيف محمد ، تاريخ الفن و العمارة (فنون العالم القديم)، منشورات جامعة دمشق.
49. سليم أحمد أمين، تاريخ العراق القديم، دار المعرفة الجامعية 2012 .
50. سليمان مصطفى محمود، تاريخ العلوم و التكنولوجيا في العصور القديمة و الوسطى ، ط 2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 2008 .
51. السواح فراس ، مدخل إلى نصوص الشرق القديم ، منشورات علاء الدين ، دمشق .
52. السواح فراس .جلجامش .ملحمة الرافدين الخالدة .منشورات دار علاء الدين ، دمشق ، سوريا .
53. سيستدال جاكليين ، تاريخ الرياضيات، ترجمة محمد عبد العظيم سعود، مؤسسة هنداي للتعليم و الثقافة، القاهرة، مصر، 2016.
54. شارل سونيا ، تاريخ الطب ، ترجمة إبراهيم البحلاقي ، مجلة عالم المعرفة ، العدد 251 ، ماي 2002 ، الكويت .
55. الشوافقاسم ، الفينيقيون و الألعاب الاولمبية ، الطبعة الأولى ، منشورات دار علاء الدين ، 2011 .
56. الشيخ حسين : دراسات في الشرق الأدنى اليونان و الرومان ، دار المعرفة الجامعية / مصر 2015 .
57. الشيخ حسين ، اليونان ، دار المعرفة الجامعية ، مصر .
58. شيكين بين بريكو، أسرار الفيزياء الفلكية و الميثولوجيا القديمة، ترجمة حسان ميخائيل إسحاق، الطبعة 3 ، منشورات علاء الدين، دمشق، سوريا، 2010 . .

59. صبحي أحمد محمود، صفاء عبد السلام جعفر ، في فلسفة الحضارة اليونانية و الإسلامية و الغربية ، ط 1 ، دار وفاء الدنيا للنشر و التوزيع، مصر 2006 .
60. طرايشي جورج ، نظرية العقل، ط 1 ، دار الساقى، بيروت، لبنان ، 1996 .
61. طرايشي جورج ، مصائر الفلسفة بين المسيحية و الإسلام، ط 1 ، دار الساقى، بيروت لبنان ، 1998
62. طلب حسن، أصل الفلسفة، المرجع السابق، ط 1 عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية مصر ، 200 .
63. العابد مفيد رائف ، دراسات في تاريخ الإغريق، الطبعة الجديدة ، دمشق 1979. 198 .
64. عادل عبد الله، صانع المعجزات، (دراسة في أساليب فهم العلم لقضايا الدين و الفلسفة)، ط 1 ، دار ميزوبوتانيا ، بغداد ، العراق ، 2016 .
65. عبد الله الشمسماجد ، الحضارة العربية و أثرها في إيران و اليونان، منشورات علاء الدين، ط 1 ، 2011.
66. عزت قرني ، الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون، جامعة الكويت ، 1992 .
67. عصفور محمد أبو المحاسن ، المدن الفينيقية ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر . بيروت 1981 .
68. العلمي رياض رمضان ، الدواء من فجر التاريخ الى اليوم، مجلة عالم المعرفة، العدد 121، الكويت، يناير 1988.
69. علي محمود محمد ، الأصول الشرقية للعلم اليوناني، ط 1، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، 1988، ص 14 .
70. عياد محمد كامل ، تاريخ اليونان ، ج 1 ، ط 1، دمشق ، ص 18 .
71. عينيّات عبد الكريم ، نشته و الإغريق، أشكالية أصل الفلسفة، ط 1 ، منشورات الإختلاف، 2010
72. غداميرهانز جورج، بداية الفلسفة، ترجمة علي حاكم الصالح، حسن ناظم، ط 1، دار الكتاب الجديدة، لبنان، 2002.
73. غارودي روجي ، حوار الحضارات ترجمة عادل العوار ، ط 4 ، عويدات للنشر و الطباعة، بيروت لبنان ، 1999 .
74. فارتن بنيامين ، العلم الإغريقي ، ترجمة أحمد شكري سالم ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، مصر ، 2011 .
75. فاضل عبد الواحد ، علي عامر سليمان، تاريخ العراق القديم، الجزء 2 ، بغداد ، 1990 .
76. فخريماجد ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، ط 1 ، دار القلم للملايين ، مصر 1991 .
77. فرنان نجون بيان ، أصول الفكر اليوناني، ترجمة سليم حداد، ط 1 ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، 1987 .

78. الكرا محمود يوسف ، الحقيقة و الأسطورة في العهد القديم ، ط 1 ، منشورات دار علاء الدين للنشر و التوزيع ، دمشق ، سوريا ، 2010 م .
79. كيتو ، الإغريق ، ترجمة عبد الرزاق يسري ، دار الفكر العربي ، القاهرة \ 1962 .
80. لوشن نور الهدى، وقفة مع الأدب الملحمي ، 2006 .
81. ليفي شتراوس كلود ، العرق والتاريخ ، ترجمة سليم حداد ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع
82. ليلي بومريش، ابحاث تاريخية و اثرية، إعداد بلقاسم رحمان، دار كنوز الحكمة، الجزائر 2015 – 2016
83. الماجد خزعلل ، بخور الآلهة ، دراسة في الطب و السحر و الأسطورة و الدين. ط 1 ، الأصلية للنشر و التوزيع ، الأردن ، 1998 .
84. ماكليش جون ، العدد ، ترجمة خضر أحمد، مجلة عالم المعرفة، العدد 251 ، الكويت، نوفمبر 1999
85. مجموعة من المؤلفين، شريعة حمورابي، أول شريعة في الشرق القديم، ترجمة أسامة سيراس ، ط 2 ، دار علاء الدين، دمشق، 1993 .
86. مرحبا عبد الرحمان ا، مع الفلسفة اليونانية، ط 3 ، منشورات عويدات، بيروت – باريس ، 1988 .
87. مرحبا محمد عبد الرحمان ، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، المجلد الأول، عويدات للنشر و الطباعة، بيروت لبنان.
88. المرزوقي جمال ، الفكر الشرقي القديم و بداية التأمل الفلسفي، ط 1، دار الآفاق العربية، مصر ، 2001.
89. مطر أمير حلمي ، جمهورية أفلاطون، مكتبة الأسرة ، مهرجان القراءة للجميع .
90. مكاويفوزي ، تاريخ العالم الإغريقي، و حضارته، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب.
91. مونتييسكيو، رسائل فارسية، ترجمة أحمد كمال يونس، ط 1 ، دار سعاد الصباح، 1991 .
92. الناصري سيد احمد ،الإغريق تاريخهم و حضارتهم .ط 2 ، دار النهضة العربية
93. النشار مصطفى ، تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع، مصر، 1998.
94. النشار مصطفى ، مدخل جديد إلى الفلسفة ، ط 1 ، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة ، 1998 .
95. النشار مصطفى ، من التاريخ إلى فلسفة التاريخ قراءة في الفكر التاريخي عند اليونان، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع، مصر 1997 .
96. نيتشه فريدريك ، الفلسفة في العصر المأساوي للإغريق، ترجمة سهيل الغش، ط 2 ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، لبنان، 1986 .

97. نيدها مجوزيف ، موجز تاريخ العلم و الحضارة في الصين ، ترجمة محمد غريب جودة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1995 .
98. هـ . د كيتو ، الإغريق، ترجمة عبد الرزاق يسري، دار الفكر العربي، 1962 .
99. هكاشة ثروت ، الإغريق بين الأسطورة و الإبداع، ج 1 ، ط 2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994
100. هيجل ، محاضرات في تاريخ الفلسفة (مقدمة حول منظومة الفلسفة و تاريخها) ترجمة خليل أحمد خليل ، ط 1 ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، لبنان ، 1986 .
101. وافي علي عبد الواحد ، الأدب اليوناني القديم و دلالاته على عقائد اليونان و نظامهم الاجتماعي، دار المعارف، مصر.
102. ولترستيس : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 1984 .
103. وولف ، عرض تاريخي للفلسفة و العلم ن ترجمة محمد عبد الواحد خلاف، ط 1 ، آفاق للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 2017 .
104. ياسبنزر كارل ، تاريخ الفلسفة بنظرة عالمية، ترجمة عبد الغفار مكاوي، دار تنوير للطباعة و النشر و التوزيع، لبنان، 2007 .
105. يحي أسامة عدنان ، السحر و الطب في الحضارات القديمة، الطبعة 1، آشورنيبال للكتاب، بغداد، العراق، 2015.
106. يحي لطفي عبد الوهاب ، اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري ، دار المعرفة الجامعية 2008 .

المراجع باللغة الأجنبية

1. A , Bouché – LECLERCL , L'astrologie Grecque , Ernest Le Roux, Editeur , Paris . 1899 .
2. ArbanneG , Analyse de l histoire asiatique .t 2 .l histoire grecque ,Paris , sd
3. Barker Ernest, Greek political theory, Third edition, London .
4. BirsadVictoe ,l'Odyseed'Homere , Bibliotheque de Clyry, 1931 .
5. Bower c m , Problems in Greeck poetry , Oxford , 1953.
6. Burinet John, Early Greek philosophy, second edition, Adam and CharlesBlack , London ,.
7. Burnouf Emille , l'histoire de la littérature grecque
8. CommopM, , histoire de l'origine de la Grèce ancienne , Trad par Adolph Joanne , Pontin et Chevalier , editeurs , Paris , 1852 .
9. Croiset Moris, La Civilisation de la Grece antique, Payot , Paris 1932 , .
10. De RomulyJaqueline ,Poesie de literature grecque ,Paris ,1980

11. Etienne Roland , Christel Muller , Francis Prost : Archéologie historique de la Grèce antique . SD.
12. George Sir, Francis Hill, The encientcornage of southern Arabia, The british academy, London, .
13. Gerrardeaux et Alessandro Baricou , Le mythe literaire de la Guerre fr Troie , B N F Gallica
14. GLotz G, la civilisation Égéenne, La renaissance du livre, Paris, 1930
15. Gollingom Maxime, manuel d'archéologie grecque, Paris.
16. GougnyGaston ,Lart Antique , 2^{eme} partie La Grece – Rome , Paris .
17. Hearen, A H L . de la politique et du commerce des peuples de l'antiquité, A.S Hutte, Paris, 1844.
18. Heern H L , de la politique et du commerce des peuples de l'antiquité , Trad , Allen W de Sinku et A, Schutte , Section Grecque , Paris , .
19. Hegel g w , The philosophy of history, translated by S.Besrée.
20. HoftF .G , Poésie Héroïque de l'indiens à l'époque grecque et latin , August Dinson ,Paris 1860 .
21. Jacques Jean Marie , Médecine et poésie, Micandre de Colophon et ses poèmes rologiques, les belles lettres, Paris, 2004 .
22. L - . MartimA. histoire de la condition des femmes chez les peuples de l'antiquité ,E. B RARD de libraire édition .paris 1839 MYRIAM PHILEBERT .DICTIONAIRE DES METHOLOGIE GRECQUE .MAXLIRERE .FRANCE 2002.
23. LanrentJerome , Platon , 1 édition, Septembre 1999 .
- a. Lechese,Albert, La philosophie grecque avant Socrate, Librairie Bland et C, Paris, 1908, .
24. Lioyd G E R, Earlygreekscience ,thales to Aristotle, Chatto and windus, London.
25. MazonPaul , Des commentaires sur la traduction de l'Iliade, , Les belles lettres, Paris, 1938.
26. Merllot,A , Introduction à l'etude comparative des langues Indo-européennes, Librairie Hachette , Paris, 1903.
27. Morama Cyril, et Eric Oudin , découvrir la philosophie antique , Eyrolles , 11
28. MortbelDugas , Observation sur l'Iliade d'Homère , T2 , Paris 183
29. Purwy Victor, Histoire de grecs , Tome 1, Gromz – Austria , 1968.
30. Schleiman Henry, Troja result of latest research discoveries of the site Homer, Troy, Paul P.B Minot Charchely, 1979 .
31. Soury John S. : Les religions , les arts,de la civilization de l'Asie anterieure et de la Grece , Paris.
32. Starr Chester G.S , The organism of Greek civilization ; 1100 – 650 BC . Thirty Bedford Sanase , London .

33. Vander EijkPhilip ,Mmark Geller , Science techonology and medecine in ancient literatures , Mark Asper, V 1 .

المجلات والدوريات :

1. الشيخ حسين ، الجزيرة العربية واليونان وبيزنطة ، التواصل الحضاري عبر العصور القديمة والوسطى ، الندوة العلمية للعلاقات الحضارية ، المجلد الاول ، الرياض ، السعودية ، 2010
2. العلمي رياض رمضان ، الدواء من فجر التاريخ الى اليوم ، مجلة عالم المعرفة ، العدد 121 ، الكويت ، يناير 1988
3. القرمي عزت ، اثينا ، مجلة عالم الفكر ، المجلد 38 ، الكويت ، 2005
4. الهندال تركي ، المؤثرات الحضارية الفينيقية في الحضارة اليونانية ، ملحق 3 ، مجلد 43 ، كلية الاداب للبنات جامعة الاميرة بنت عبد الرحمان ، الرياض ، السعودية ، 2016
5. جموسي عبد القادر ، ذرة الادب الهندي الماهاراتا ، جريدة العربي الاسبوعي ، 2004
6. راسل برتراند ، حكمة الغرب ، ترجمة فؤاد زكرياء ، مجلة عالم المعرفة ، الكويت ، 1979
7. رشيد فوزي ، المسرح عراقي الاصل ، مجلة الاستشراق كلية الاداب ، جامعة دمشق ، سوريا بدون تاريخ
8. زكرياء فؤاد ، التفكير العلمي ، مجلة عالم المعرفة ، العدد الثالث ، الكويت ، 1979
9. سامنتس دين كيت ، العبقرية والابداع والقيادة ، ترجمة شاعر عبد الحميد ، مجلة عالم المعرفة ، العدد 176 ، الكويت ، اوت 1995
10. ساينس دين كيت ، العبقرية والابداع والقيادة ، ترجمة شاعر عبد الحميد ، مجلة عالم المعرفة ، العدد 176 ، الكويت ، اوت 1995
11. سعيدان احمد سليم سعيد ، مقدمة في تاريخ لفكر العلمي في الاسلام ، مجلة عالم المعرفة ، العدد 131 ، الكويت ، نوفمبر، 1988
12. سونيا شارل ، تاريخ الطب ، ترجمة ابراهيم البحلاقي ، مجلة عالم المعرفة ، العدد 251 ، الكويت ، 2002
13. غالب ميهوب ، احمد كليب ، الصلات التجارية بين شبه الجزيرة العربية ومنطقة الهلال الخصيب خلال الالف الاول قبل الميلاد ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد 27 ، العدد الاول والثاني ، سوريا ، 2011
14. غويلينجي بول ، قطوف من تاريخ الطب ، مجلة الابتسامة ، دار المعارف ، القاهرة مصر ، بدون تاريخ
15. ماكليش جون ، العدد ، ترجمة خضر احمد ، مجلة عالم المعرفة ، العدد 251 ، الكويت ، 1999
16. موسست جلن ، العبقرية ، ترجمة محمد عبد الواحد محمد ، مجلة عالم المعرفة ، العدد 208 ، الكويت ، افريل 2000

القواميس والمعاجم :

1. القاضي محمد ، معجم السرديات ، الرابطة الدولية للناشرين المستقلين ، تونس ، 2007
2. ابن المنظور ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، باب عبقر وعجز ، بدون توثيق
3. Philip Maryan ,Dictionaire des mythologie grecque ,Maxilirere ,France, 2002

رسائل جامعية :

1. الشمري محمد حمزة جبار الله ، مواليء شبه الجزيرة العربية واثرها على النشاط البحري قبل الاسلام ، اطروحة دكتوراه ، جامعة بغداد ، العراق ، 2004
2. علي احمد النعيمي شيماء ، الفلك في العراق القديم من القرن السابع الى القرن الرابع ق م ، اطروحة دكتوراه ، جامعة الموصل ، العراق ، 2006
3. عينيّات عبد الكريم ، قراءة نفسية للفلسفة اليونانية ، رسالة الماجستير ، قسم الفلسفة ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر ، 2010

1. GerardGuillaume , le vidphisique dans l antiquite , these de doctorat , universite de quebec a mantreal , decembre 2010
2. Peter Cristine , le mime grecque antique ,these de doctorat , de littérature compareeuniversited avignon et le pays de vacluse , 2010

مقالات : باللغة العربية :

1. الصفدي محمد فراس ، علم الفلك في الحضارات القديمة، www.astro.com/
2. محمد يحيى ، الفلسفة اليونانية والمصادر القديمة www.fqg.qldqn,nqldin,net,index.php/

المقالات باللغة الاجنبية :

1. BARICON ALESSANDRO et GERRARDEAUX le mythe lutteranniz de la guerre de trois, BNF GALLICA.
2. BEBRU ARMELLE, médecine et morale meilleurs chez GALRON et MARK AURELE les belles lettres 2004.
3. BIRZAD VICTOR, l'odyssée e l'hamere, bilitheque de clyry , 1931.
4. CAMY MOURILE, l'histoire de mathématique de l'antiquité (persee)
5. CARPENTER RYS, the antiquity of the Greek alphabet, American journal, of archeology 01.03.1933.
6. COSSELIN ,géographie des grecque, analyse ou les systèmes eratosthène de straboni et prolemer, académie royal de instruction et belles lettres.

7. DEMONT PAUL, les humeurs, une question de gout, les belles lettres Paris 2004.
8. DODDS, les grecs et l'irrationnel, revue de l'histoire et de la religion - 170/1966.
9. GIOVANNI ALBERTO, les origines de l'anti-fidéisme, dans le monde grec cahier de centre GUSTAV GALATZ année 1995.
10. HILL SIR GEORGE FRANCIS, the encientemage of southern arabia, the britishaccedemy, london.
11. JACQUE JEAN MARIE, médecine et poèmemisandre de colophon et ses poèmes urologiques, les belles lettres, Paris 2004.
12. JOUANNA JAQUES, le médecinégyptien et la médecineGrèce, les belles lettres 2004.
13. LEVISYLIAN, la Grèce et l'inde d'après les documents indiens, revue des études grecque, 1891.
14. LOKOMIDZ AR and MARCEL ROGERS BLACK ATHENE, revue de l'étude ancienne 1996 (persée).
15. MAGDOLINE CAROLINE, les littératuresmédicales aphoristique paradoxes et limites d'un genre, les belles lettres, 2004.
16. MANGLERCHARLES, sur l'histoire de quelques définitions de la géométrie, grecque et les rapports entre de la géométrie de l'optique étude classique 1957.
17. MIK and G, la géométrie grecque, comme ouvre personnelle du genre grecque revue des études grecque, 1986.
18. MONDERAIN BRIGITTE, les manuscrits grecs de médecine, les belles lettres, Paris 2004.
19. MORANA CYRIL et ERIC ONDIMdécouvrir la philosophie antique, eyroltes.
20. REYMOND ARBORLD, l'évolution de la pensée scientifique et l'histoire des sciences.
21. ROBERT COHEN, la grace et l'allenisation le monde antique (persee)
22. ROUSSEL .P, la Grèce et l'orient, les guerres médiques a la conquête remanie journal des savants .1929.
23. VANDER EIJK PHILIPS, NORK GOLER, science technologies and medicine in ancient literature MARK ASPON, VI.

المواقع الإلكترونية

1. <http://fag.maldin.net/index.php?=2144/>
2. <http://www.bbc.com/arabic/vert-cul-38342736>
3. <http://www.pheniciens.com/articles/alphabet.php?lang=ar>
4. <https://abutair.net/innerPages/wordpress-4.7.4/wordpress/ar/art-in-mesopotamia/>
5. <https://abutair.net/innerPages/wordpress-4.7.5/wordpress/ar/art-in-mesopotamia/>

6. https://www.google.fr/search?q=%D8%A3%D8%AF%D9%88%D8%A7%D8%AA+%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8%D8%A9+%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D9%85%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%A9+%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%AF%D9%8A%D9%85%D8%A9&safe=strict&as_qdr=all&tbm=isch&tbo=u&source=univ&sa=X&ved=0ahUKEwjNscb_yp7aAhVO2qQKHyl_CEgQsAQISA&biw=1600&bih=799#imgsrc=PsiqQ10UKxDjjM:
7. https://www.marefa.org/%D8%B9%D9%85%D8%A7%D8%B1%D8%A9_%D8%A8%D9%84%D8%A7%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%A7%D9%81%D8%AF%D9%8A%D9%86
8. https://www.marefa.org/%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8%D8%A9_%D9%85%D8%B3%D9%85%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%A
9. www.astomia.com
10. www.Kotobarabica.com
11. www.saaa.5Mv.org

الفهارس العامة

فهرس الشخصيات

فهرس الأماكن

فهرس الأشكال

فهرس الخرائط

1. فهرس الشخصيات

أرسطو ب - ط - ي - 65 - 66 - 156	باب الألف
203 - 205 - 215 - 219 - 228	إبراهيم عليه السلام 63
231 - 234 - 235 - 244	إيسو 198
247 - 248 - 261 - 262 - 290	إين أثير 407
306 - 308 - 309 - 319 - 320	إين المنظور 409
321 - 333 - 340 - 341 - 344	أبوقراط -293-290-289-286-264
355 - 359 - 360 - 364 - 356	301-306-310-311-312-313
369 - 370 - 377 - 390 - 391	314-315-316-317-318-321
410 - 411 - 412 - 413 - 418	322-447-474
419 - 421 - 422 - 424 - 430	أبولو Appollo 140-139 -
433	273-303-304-305-474
أرسطوفانيس 173 - 180 - 423	أتليل 149
أرسطوقليس 230	أتونا بشتيم 142
أرطميس 140 - 368	أثينا الالهة 104-102
إرنست رينان 383 - 384 - 385	أجيفور 143
391 - 405	أجينور 359
أرنيس الربة 305	أحميس الثاني 310
إروكيل 321	أحيرام 43-44-56-183-189
أريس 139 - 140 - 146	أخناتون 208 - 231 - 243 - 286
أريستاخ الساموسي 349	أخيل أو أخيليوس -154-152
أريستوكسوسالتاني 69	164-307
أريشيو بوليس اليهودي 65	إدوين سميث 247-277-293
أسبازيا الفيلسوفة 247	أراز شتراس 339
اسخيليوس 156 - 171 - 179	أرخميدس 372
189	أرخيتاس Aechitas 343
أسرة جو 51	أرستيديس 125
أسرة شانج (Shang) 49 - 51	
أسرة نيلوس 120	

إسقلياد 311	الإله خنوم 64
إسكليبيوس أو إسقليبيوس 301	إلياط 199
302 - 303 - 307 - 310 - 311	ألياط الملك Alyate 417
321 - 425 - 474	أمنحوتب 310 - 276
الإسكندر 372 - 359	أمنحوتب الثالث 464 - 243 - 63
الإسكندر الأكبر 41 - 59 - 70 - 235	أمنحوتب الرابع 103
371 - 448	أمون 243 - 141
الإسكندر المقدوني 48 - 30 - 141	أمينتاس الثاني Amintas 234
163 - 235 - 348 - 394 - 413	أناخريسيس 311
الإسكندر بوليهاستر 355	أناكساغوراس 430 - 421 - 362
اشور بانيبال 295 - 160	أناكسمونس أو أناكسمندريس 221
أغاممنون 106 - 152 - 154 - 273	222 - 259 - 361 - 367 - 417
307	418
أفروديت 140 - 141 - 146 - 153	أنا 174
أفلاطون ب - ط - ي 65 - 67	أنجيلوس تالا توبيوس 99
68 - 72 - 188 - 189 - 198 - 201	أندروكليس 121
203 - 204 - 205 - 228 - 231	أندروماخي 47
232 - 233 - 235 - 236 - 244	أنكيدو 148 - 149 - 150 - 153
246 - 247 - 248 - 249 - 261	156 - 157
333 - 343 - 353 - 359 - 363	أنليل الإله 346
364 - 366 - 369 - 370 - 371	أنوا الإله 346
378 - 410 - 418 - 420 - 421	أودونيس 145 - 146 - 174 - 175
422 - 423 - 424 - 425 - 428	177
429 - 430 - 432 - 433 - 438	أوديسيوس 165 - 156 - 39
449	اورانيس 144
إقليدس 340 - 341 - 342 - 372	أوروبا الفينيقية 145 - 144 - 137
إكسينوفون 203 - 260 - 421	أوزوريس 170 - 172 - 173 - 283
425	أوينوني Oenoné 305
ألكسندرا 310	أيا الإله 346

أياحونب	343	بسدايوس	139 -
أبيور	247	بطليموس	54 - 349 - 350 -
إيدوارد بيوت	329 Edward Biot	360	
إيزيس	172 - 173	بطليموس الثاني	66
إيسماتيك	184	بطليموس السادس	65
إميل برهيه	198	بلاكليس	366
إنوقورس القورنينائي	430	بلقاسم رحماني	ي
باب الباء		بلوتاروخيل	174
بارتليمي	184 Brthelemy	بلياديس	189 Peiades
باركسي المؤرخ	184	بن يامين فارتن	367
بارميديس	419	بن يامين فرناند	ط
باريس الأمير	41 - 154	بهارات الملك	162
باخيلوس	224	بودوكسوس	343
باناسيا	474 Panacea	بوربيديس	171
باندورا	149	بورديس	139
بتروكليس	39 - 154	بورميس	173
برتراند راسل	ط - 390	بورياس	139
بركال	140	بوزينياس	125
بركليس	247 - 251 - 366 - 425 -	بوسقورديس	236
427- 426		بوسيدون	121 - 139 - 140 -
بروتيوس	462	146 - 153	
بروسيوس	463 Proseus	بول غوبلنجي	289
بروفيسور سيريديو غارثيوس	99	بوليب	310
بروميتيوس	64 - 149	بوليبوس	262
برياموس	106	بيرا	142
بريسيبيوس	100	بيرسفوني	153
بريماوس	106	بيرنت	391 - ط Bernet
بريو شنكين	351	بيريتوس	153
بسترانس	244	بيسين الإله	346

237	تيقوماخوس	241	بيلالاما
	باب الجيم	290	بيلنوس
312 - 311 - 282	جالينوس	189 - 153	بيلوس Pellos
321 - 313			باب التاء
147 - 146 - 69	جلجامش	144	تاموس
152 - 151 - 150 - 149 - 148		243	تاوسرت
160 - 156 - 155 - 154 - 153		243	تختمس الرابع
445 - 253 - 161		333	تحوت الإله
384	جمال الدين الأفغاني	80	تحومتس الثالث
212 - 209 - 56	جوتاماسدهارتا أو بوذا	199	تراسيبول Trasybule
328 - 214 - 213 -		152	ترتيبيندو Terpandoy
404	جورج جايمس	218	تسن
123 - 69 - 66 - ط	جورج سارتون	165	تليماك أو تليماخوس أو تيليماخولي
395 - 394 - 373 - 360 - 224		311 -	
480		174 - 170	تموز الإله
51	جوزيف نيدهام	283	توت عنخ أمون
Joseph	جوزيف هيتزاليديكيس	256 - 165	توكيديس
452	Hezzidakis	447	توكيديس
388	Julius Hare	98	توكيديس
147	جي	259 - 258	توكيديس Thucydide
	باب الحاء	262 - 261	
357	حتحور الإله	388	توماس انلد Thomas Arnold
243 - 182	حشتبوت	395	تومين
321 - 296 - 276 - 241	حمورابي	264 - 243 - 61	تي
447 - 351 - 327		198	تيامات
42	حنون	243	تيتي شري
173	حورس	154 - 152	تيتيس
	باب الحاء	54	تيزياس النيدوسي
		153	تيسيوس

رمسيس 184	خاتوسيل أو مات تفراوع 243
رمسيس الثاني 243	خيرون 307
روبرت نيوتن 349 – 350	باب الدال
روجي غارودي 146	داروين 413
باب الزاي	داريوس الملك 59 – 354
زارادوشست 355	دراكون 242
زمرليم الملك 58	أ. دريك 269
زوسر 276 – 288	دودس 424
زيتون الأيلي 362	ديانا 140
زينيو 306	دييوج 285
زيوس 94 – 137 – 139 – 140 –	ديكارت 342
141 – 142 – 145 – 149 – 155	ديكاليون 143
باب السين	ديلوس 149
س . م باورا 90	ديمقراطيس 215 – 311 – 362 –
سانتهيلر بارتليمي 393	367 – 369
ستالين 469	ديموفيلوس 424
سرجون الثاني 59	ديموليديس 59
سقراط ب – 69 – 180 – 199 – 201	ديوجينيس اللاتري 355 – 358 –
– 219 – 227 – 288 – 289 – 230 –	393
– 231 – 232 – 246 – 247 – 250 –	ديودور الصقلي 69 – 260 – 307 –
– 363 – 366 – 367 – 369 – 371 –	308
– 378 – 413 – 418 – 421 – 422 –	ديودوريوس الساموسي 368
423 – 428 – 429	ديوسقوريس 282 – 390 – 291
سليمان عليه السلام 63 – 67	ديون 430
سنحريب 59	ديونيسيوس 170 – 177 – 178 –
سنحمت 272	430 – 425 – 181
سوفوكليس 150 – 171 – 179	باب الرء
سيث 173	رالف لينتون R. Linton 15
	رامنتاس 145

419 - 395 - 371	فريدريك لشته	451 - 102 - 61 - 57	سير آرثر إيفانس
144	فوينيقتس	455 - 452 -	
- 72 - 71 - 65	ب - فيتاغورس	255	سير موريس باورا
- 236 - 225 - 224 - 215 - 195		462 Cyclopes	سيكلوبس
- 335 - 333 - 378 - 377 - 289		باب الشين	
- 355 - 344 - 341 - 338 - 336		215	شارل فرنر
- 417 - 477 - 377 - 362 - 359		346	شاماش الإله
447 - 432 - 431 - 430		216 Shang	شانج
362 Philolaos	فيلولاوس	باب الصاد	
235	فيليب المقدوني	472	صوفيا
307	فيون الطبيب	427- 421 - 367 - 244 - 68	صولون
باب القاف		432 -	
145 - 144 - 62	قادموس أو كاديموس	باب الطاء	
359 - 146 -		219 - 198 - 195 - 72 - 67	طاليس
190	قسطنطين	236 - 224 - 222 - 221 - 220 -	
47	قورش الثاني	- 361 - 359 - 358 - 333 - 259 -	
باب الكاف		- 417 - 390 - 371 - 369 - 367	
396	كارل ياسبينزر	448 - 432 - 418	
348	كاليفسفين	باب العين	
424	كالياس	196	عبد الرحمان بدوي
359	كالكستنه Calkisthene	174 - 153 - 140	عشتار
245 - 235	كاليسينيس	باب الغين	
152	كرايمر	199	غادامير
368	كريسيفونالكنوسوسي	215	غلاديش
350 - 349	كلاوديوس بطليموس	469	غورباتشوف
144	كليكيس	414	غوينيو
293	كليمان الإسكندري	باب الفاء	
363	كلينياس	345	ف. ي لارشيف
259	كليوشتراوسالني تري	103	فرنان

121	ميلانتوس	121	كوردوس
153	المينوتور	216 - 217 - 253 -	كونفوشيوس
94 - 96 - 145 - 259 -	مينوس	254	
451 - 454 - 465		392	كيتو
96	مينوسكالتوس	347 - 348	كيدينيو
باب النون		148	كيرك Kirk
349	ن. إيديلسون	باب اللام	
347 -	نابوريان أو نابوريانو أو نابورامان	217	لاوتسو
348		15	لو إنا الكاهن
405	نابوليون الثالث	425	لوكورغوس
154	نتسون	141	لوكيانوس
243	نفريري	395	لويد Loyd
184 - 59	نفلات بلاسيير	414	ليفني شترواس
139	نوتس	152	لينسون
121	نيلوس	باب الميم	
141 -	نينورنا	56 - 182 - 402 -	مارتن برنال
282	نيوفراسطس	403	
باب الهاء		54	مايس تيتانوس Maestitanus
153	هاديس	Michael George	مخائيل جورج فنترس
282	هاريز	102	Ventris
474	هايغيا Hygia	346 - 153 - 140 - 137	مردوخ
368	هريوباليناس	66	منير ابن سليمان الطليطلي
155	هرقل	66	منير ابن سليمان القاضي
140 - 139	هرميس	64 - 283	موسى عليه السلام
106	هكتور	404	مولير koMuller
96 - 105 - 451 -	هنريج شليمان	383 - 384 - 385 -	مونتيسكيو
463 - 469 - 471		391 - 405	
66 - 65 - 41 -	ب. هوميروس	368	ميتاجينيس
70 - 94 - 104 - 108 - 109 -		121	ميدون

الفهارس العامة

هيزيود أو هيزيدوس	ي - 65 - 148 -	113 - 123 - 148 - 151 - 152 -
هيكاتيوس Hecatus	156 - 163 - 165 - 166 - 167 -	154 - 156 - 158 - 159 - 163 -
هيفاستيوس	168 - 197 - 420	165 - 169 - 201 - 256 - 276 -
هيبارخ	311 - 420 - 451 - 452 - 463	350
هيبوقراطيس Hippokratis	3	350
هيليمونيوس Heliconios	121	3
هيلين	41 - 279 - 307 - 310 -	هيجل ط - 195 - 376 - 390 - 392
هيميكو Himko	42	411 -
باب الواو		هيرا 102 - 141
ول ديورانت	175	هيراقليطيس 196 - 417 - 421
وولف	420	هيرودوت ب - ط - 39 - 67 - 68
باب اليباء		137 - 176 - 185 - 188 - 189 -
يو . أ رافيناغين	349 - 351	225 - 256 - 258 - 259 - 261 -
يوسف عليه السلام	63	262 - 310 - 447

2. فهرس الأماكن

374 - 385 - 419 - 420 - 428 -	باب الألف	
448 - 465 - 469	أبيدور 304	
57 آسيا الوسطى	أثينا 70 - 124 - 128 - 149 -	
238 أشنونة	156 - 173 - 184 - 191 - 232 -	
159 - 156 آشور	234 - 238 - 248 - 249 - 261 -	
83 - 80 - 45 - 44 - 15 إفريقيا	305 - 346 - 384 - 421 - 428 -	
451 - 416 - 391	430 - 431 - 432 - 433 - 435 -	
371 - 125 إفسوس	451 - 452 - 474 - 475	
227 - 202 - 124 أفنوس	أدفو 175	
234 أفريطاس	أرجوس 42 - 103 - 259 - 465	
86 أكارتانيا	أرجوليس 113	
427 - 391 أكسفورد	الأردن Jordan 189	
390 - 389 - 388 - 384 ألمانيا	أريدو 143	
391	إسبارطة 44 - 128 - 190 - 421 -	
167 إليون	إسبانيا 45 - 384 - 469	
102 أمنسوس	أستاجيز Astogise 237	
145 - 126 - 84 الأناضول	أسكرا Askara 168	
153 - 151 - 150 - 59 - 26 أورك	الإسكندرية 73 - 161 - 166 - 324 -	
158 -	343 - 375 - 417 - 451 -	
116 - 93 - 80 - 78 - 54 أوروبا	آسيا 15 - 41 - 44 - 64 - 65 -	
379 - 378 294 - 263 - 120	80 - 84 - 116 - 120 - 127 - 385 -	
387 - 386 - 385 - 384 - 383	391 - 416 - 448 - 451 -	
405 - 393 - 391 - 390 - 388	آسيا الصغرى 50 - 61 - 83 - 86 -	
438 - 137 - 415 - 406	106 - 107 - 112 - 114 - 117 -	
106 - 61 - 47 أوغاريت	120 - 121 - 122 - 123 - 124 -	
313 أوكراتيس	202 - 221 - 259 - 275 - 314 -	

الفهارس العامة

بحر إيجا 44 - 50 - 59 - 60 - 83 -	إيتيكا 91 - 93 - 122 - 123 - 178
84 - 85 - 95 - 96 - 106 - 112 -	337 -
113 - 125 - 126 - 227 - 237 -	إيران 50
314 - 385 - 419 - 448 - 454 -	إيريتراي 124 Erytheraé
466 - 469	إيطاليا 86 - 114 - 227 - 384 -
بحر قزوين 57 - 116	419 - 420 - 469
برلين 359 - 472 - 473	إيفيز Ephese 420
بريطانيا 384 - 388 - 389 - 390 -	أيوليا 114 - 123
391	أيوليس 123 Aeolis
بلاتيا 128	أيونيا 77 - 121 - 123 - 125 -
بلاد الإغريق ب - ه - و - ز - 14 -	126 - 127 - 145 - 201 - 221 -
19 - 42 - 44 - 50 - 59 - 60 - 63 -	262 - 416 - 420 - 421 - 448
64 - 65 - 66 - 67 - 70 - 71 -	باب الباء
72 - 75 - 77 - 78 - 79 - 81 - 84 -	بابل 34 - 35 - 36 - 51 - 58 -
85 - 88 - 89 - 90 - 93 - 94 -	61 - 69 - 101 - 127 - 259 - 303 -
105 - 106 - 110 - 112 - 115 -	328 - 336 - 350 - 363 - 374 -
119 - 120 - 122 - 123 - 143 -	420 - 435 - 450
144 - 145 - 147 - 148 - 154 -	باريس 180 - 388
168 - 180 - 182 - 183 - 190 -	بازجارد 62
197 - 227 - 228 - 249 - 259 -	بانينيوس Panionios 124
263 - 264 - 279 - 283 - 293 -	البحر الأبيض المتوسط 36 - 43 - 63 -
296 - 313 - 317 - 324 - 352 -	70 - 79 - 80 - 81 - 83 - 84 - 89 -
374 - 385 - 397 - 398 - 404 -	94 - 96 - 106 - 107 - 120 -
405 - 408 - 409 - 419 - 420 -	121 - 125 - 298 - 375 - 377 -
424 - 438 - 446 - 448 - 451 -	448 - 469
452 - 454 - 466	البحر الأحمر 58
بلاد الرافدين 16 - 30 - 61 - 62 -	البحر الأسود 51 - 125
63 - 74 - 158 - 177 - 201 - 447 -	بحر العرب 58

باب التاء	بلاد الفرس	ب - ج - 50 - 52 - 62
433 تاريخي	- 69 - 106 - 127 - 128 - 200 -	
148 تاووس	- 201 - 207 - 238 - 248 - 358 -	
420 Trasybule تراسيبول	374	
419 - 147 ترافيا	بلاد سومر	29 - 59 - 150
420 - 189 تركيا	بلاد سومر	150
113 Triphilia تريفيليا	بلاد ما بين النهرين	ب - ج - خ - 22
304 - 114 - 113 - 85 تساليا	- 23 - 24 - 26 - 33 - 36 - 41 -	
286 تل العمارنة	- 42 - 46 - 63 - 93 - 106 - 125 -	
26 تل نكيرسو	- 149 - 154 - 156 - 159 - 173 -	
113 Tulcus تولكوس	- 175 - 199 - 200 - 201 - 222 -	
- 466 - 465 Tirynthes تيرنتس	- 244 - 256 - 259 - 269 - 270 -	
468 - 467	- 278 - 279 - 281 - 283 - 298 -	
305 Terika تيريك	- 301 - 324 - 328 - 331 - 348 -	
- 103 Tiryns تيرينس أو تيرينز	- 349 - 351 - 354 - 357 - 385 -	
116	- 397 - 398 - 421 - 428 - 434 -	
124 Téos تيوس	449	
باب الثاء	البلقان	84 - 116
91 Thasos ثاسوس	بوابة الأسد	103 - 104 - 385 -
باب الجيم	470	
84 Pendos جبال بندوس	البوسفور و الدردنيل	385
190 Abid جبل أبيد	بوغاركوي	112
140 جبل أولمب	بوهيميا	176
107 جبل أيدا	بيروت	149
145 جبل برناسوس	البيلوبونيز	85 - 103 - 116 - 120 -
190 Samothrace جبل ساموتراس	- 178 - 182 - 234 - 261 - 263 -	
227 - 190 Samos جبل ساموس	439 - 428	
190 Samikon جبل ساميكون	بيلوس	106 - 109 - 113 -
124 Mycale جبل ميكالي	124 - 116	

ساموس 358 - 374 - 420	جبل نصير 145
سوريا 374 - 469	جبل هيليكون Hellicon 168
سيكلاد 58	جبيل 42 - 50 - 106
باب الشين	جزر السيكلاد 105 - 454
شبه الجزيرة العربية 57 - 59 - 201	جزيرة ثيرا 102
شبه جزيرة سيناء 46	جزيرة جيوس 343
شمال إفريقيا 259 - 263	جزيرة فلاكيس Phlakis 168
باب الصاد	جزيرة كركيرا 114
صقلية 86 - 106 - 157 - 182 -	جورتين 97
384 - 416	باب الحاء
صور 44 - 50 - 59 - 62 - 147	حدائق بابل المعلقة 398
الصومال 285	باب الحاء
صيدا 42 - 44 - 50 - 180 - 187	خالكوس 91
الصين ب - 16 - 52 - 53 - 54 - 55 -	خليج أدرا هيتوم 107
57 -	خيوس 123 - 124
باب الطاء	باب الدال
طروادة 96 - 107 - 109 - 112 -	الدانوب 116
116 - 122 - 157 - 167 - 262 -	الدجلة 16
385 - 469 - 471 - 472 - 475	الدولة العثمانية 391
طيبة Thebes 65 - 70 - 467	ديلوس 227 - 250
باب العين	باب الرائ
العراق 94 - 143 - 145 - 163 -	رأس شجرة 46
203 - 245 - 263 - 281 - 298 -	رودوس أو رودس 106 - 117 -
342 - 353 - 357 - 397	148
باب الغين	روما 149 - 384 - 388
غيليا 420	ريتون 97
باب الفاء	باب السين
الفرات 16 - 61 - 385	ساس 191
فرنسا 384 - 390	سالجوس Sylogos 455

– 140 – 117 – 107 – 106 – 103	303 – 61 – 46	فلسطين
– 227 – 189 – 187 – 149 – 148	124	فوسيا Phocéa
– 468 – 467 – 454 – 385 – 371	123	فوكاية Phokaea
448 – 469	67	فوكيس
420 كريتون	74 – 69 – 64 – 42 – ج – ب	فينيقيا
124 Clazommenaé كلانزوميناى	– 110 – 106 – 103 – 100 – 83 –	
124 كلوفوس	– 202 – 200 – 186 – 148 – 119	
227 – 125 كلوفون	– 454 – 408 – 362 – 336 – 227	
147 – 62 – 61 كليكيا	447	
105 – 102 – 99 – 97 كنوسوس	باب القاف	
– 465 – 458 – 456 – 455 – 454 –	45	قادس
468 – 467	359	القاهرة
148 كهف نيسا	97	قايموس
244 كورتين	– 103 – 93 – 91 – 61 – 59	قبرص
305 كورس	469 – 180 – 106	
114 كورغو	187 Quartadashit	قرتاداشيت
305 – 114 – 113 – 44 كورنثا	324 – 44 – 43	قرطاجة
187 كيتون	85 Alpheus	قصر ألفيوس
103 Keftun كيفتون	176	قصر موتزنخ
346 كيندوس	99	قصر مينوس
باب اللام		127 قميز
150 لاحبش	314	قو
91 لاكونيا	باب الكاف	
180 – 149 لبنان	428	كاريا
26 لكش	391	كامبريدج
91 Laurium لوريوم	227	كروتون
51 – 42 ليبيا	– 63 – 61 – 60 – 59 – 38	كريت
124 Lebedos ليبيدوس	97 – 96 – 95 – 93 – 89 – 83 – 64	
86 ليتوانيا	– 102 – 101 – 100 – 99 – 98 –	

420	ليديا	433 - 434 - 435 - 436 - 447 -
122	ليسيوس	450 454 - 467 - 469 -
97	ليكنوس	مضيق الهيلينيت 107
465	ليشيا	مضيق جبل طارق 45 - 63
	باب الميم	معبد أبو سمبل 187
61	ماري	معبد أبولو 276
202 -	مالطا أو مالطية أو مالطيا	معبد أرطيمس 371
222 - 227 - 259 - 336 - 362 -		معبد دلفي 232
370 - 371 - 420 - 451		معبد هيلويوس 324
40 - 298	المتحف البريطاني	مقدونيا 91 - 238
472	متحف بوشكين	موسكو 473
51	المحيط الهندي	موكيناى أو ميكيناى Mycénaé 64
143	مدينة نمرود	83 - 89 - 96 - 103 - 109 -
ب - 16 - 36 - 39 - 40 - 41	مصر	113 - 116 - 465 - 466 - 467 -
42 - 51 - 54 - 58 - 59 - 62 -		468
64 - 66 - 67 - 68 - 69 - 70 - 71		ميسينا 104 - 106 - 107 - 124 -
72 - 73 - 74 - 83 - 93 - 94 -		385 - 470 - 448
100 - 101 - 103 - 106 - 113 -		ميلتوس 97 - 123 - 124 - 125 -
127 - 144 - 173 - 175 - 180 -		149 - 259
187 - 198 - 199 - 200 - 201 -		ميوس Myos 124
202 - 203 - 205 - 207 - 222 -		باب النون
227 - 228 - 245 - 256 - 259 -		نافارين 390
263 - 269 - 270 - 275 - 278 -		نهر أخيليوس 85
279 - 281 - 283 - 285 - 286 -		نهر السند 50 - 58
291 - 293 - 296 - 313 - 314 -		نهر بينيوس Peneus 85
328 - 329 - 336 - 346 - 348 -		النيل 16 - 36 - 40 - 41 - 46 -
359 - 362 - 363 - 372 - 374 -		263 - 359 - 385 - 397 - 398 -
397 - 398 - 408 - 420 - 432 -		467
	نينوى	61 - 259 - 298

الفهارس العامة

285 هيلوبوليس	باب الهاء
باب الواو	الهند ب - 16 - 50 - 51 - 52 -
351 - 350 وادي الرافدين	- 166 - 72 - 59 - 58 - 57 - 53
390 الولايات المتحدة	- 218 - 210 - 209 - 203 - 198
باب الياء	- 434 - 397 - 374 - 263 - 228
469 - 397 - 390 - 199 اليونان	450
	388 هيلاس

3. فهرس الأشكال والصور

الصفحات	الشكل
24	الشكل 1 : طريقة الكتابة على الألواح الطينية في بلاد ما بين النهرين
25	الشكل 2 صورة لبعض الألواح الطينية التي تعود للحضارة السومرية قبل 3300 سنة ق.م
26	الشكل رقم (3) : تطور الكتابة في بلاد ما بين النهرين
27	الشكل رقم (4) : لوحة اقتصادية سومرية لحساب عدد الأغنام و الماعز
28	الشكل رقم (5) : نموذج من الكتابة السومرية القديمة
33	الشكل رقم (6) : الثيران المجنحة
34	الشكل رقم (7) : تصور لبرج بابل
35	الشكل رقم (8) : رسم تخطيطي لحدائق بابل المعلقة
36	الشكل رقم (9) : تطور فن العمارة في بلاد ما بين النهرين
39	الشكل رقم (10) : الكتابة الهيروغليفية على جدران أحد المعابد في مصر خلال تاريخها الفرعوني
48	الشكل رقم (11) : يوضح الأبجدية الفينيقية
56	الشكل رقم (12) : الأعداد من 1 إلى 9 في اللغة الصينية
104	الشكل رقم (13) : بوابة الأسد بموكينايا
161	الشكل (12) بردية عليها أجزاء من إلياذة "هوميروس"
162	الشكل (14) مشاهد من ملحمة الحرب الطروادية إلياذة هوميروس
163	الشكل (15) مكتبة آشور بنيبال
164	الشكل (16) لوح طينية للمحمة جلجامش الشهيرة
171	الشكل (17) : صورة هيزبود
172	الشكل (18) : صورة هوميروس

الفهارس العامة

185	الشكل (19) صورة للمسرح الإغريقي القديم حوالي القرن الخامس قبل الميلاد
216	الشكل رقم (20) صورة تاريخية عامة للتطور المبكر للمدارس البوذية
217	الشكل (21) تمثال بوذا
243	الشكل (22) رواد الفلسفة الإغريقية
251	الشكل (22) أرسطو
252	الشكل (23) الفيلسوف الإغريقي أفلاطون
253	الشكل (24) الفيلسوف الإغريقي سقراط
254	الشكل (25) بركليس
266	الشكل (26) تمثال هيرودوت
277	الشكل (27) جدول يربط الأبراج بأعضاء الجسم
278	الشكل (28) جدول الأمراض التي تحدث في كل برج
306	الشكل (27) تمثال لإله الطب إكيليبيوس
307	الشكل (28) و تمثال الإله أبوللو
320	الشكل (28) بردية تحمل نسخة من قسم أبو قراط
321	الشكل (29) قسم أبو قراط حديث حسبما يتداول في العالم العربي
326	الشكل (30) قسم أبو قراط حديث حسبما يتداول في العالم العربي
331	الشكل رقم : (31) الأرقام الصينية و ما يقابلها بالعربية
337	الشكل (32) الأعداد الإغريقية
342	الشكل (33) دراسة الأعداد بشكل رمزي
458 - 457	الشكل (34) قصر الملك مينوس بكنوسوس
459	الشكل (35) مخازن الجرار في قصر كنوسوس
460	الشكل (36) رسم على جدران قصر كنوسوس تمثل ربات الشجر و الغناء

الفهارس العامة

463 – 461	الأشكال رقم (37 – 38 – 39) قاعة عرش الملك مينوس في كنوسوس
464	الشكل (40) تصور لقصر كنوسوس
471	الشكل (41) بوابة الاسد :
475	الشكل رقم 42 . مجموعة من الحلبي التي وجدها شليمان اثناء تنقيباته
276	الشكل رقم (43) رفاة لأحد الامراء الطرواديين . (حسب شليمان)
276	الشكل (44) هنريج شليمان و زوجته صوفيا

4. فهرس الخرائط

الصفحات	الشكل
24	الشكل 1 : طريقة الكتابة على الألواح الطينية في بلاد ما بين النهرين
25	الشكل 2 صورة لبعض الألواح الطينية التي تعود للحضارة السومرية قبل 3300 سنة ق.م
26	الشكل رقم (3) : تطور الكتابة في بلاد ما بين النهرين
27	الشكل رقم (4) : لوحة اقتصادية سومرية لحساب عدد الأغنام و الماعز
28	الشكل رقم (5) : نموذج من الكتابة السومرية القديمة
33	الشكل رقم (6) : الثيران المجنحة
34	الشكل رقم (7) : تصور لبرج بابل
35	الشكل رقم (8) : رسم تخطيطي لحدائق بابل المعلقة
36	الشكل رقم (9) : تطور فن العمارة في بلاد ما بين النهرين
39	الشكل رقم (10) : الكتابة الهيروغليفية على جدران أحد المعابد في مصر خلال تاريخها الفرعوني
48	الشكل رقم (11) : يوضح الأبجدية الفينيقية
56	الشكل رقم (12) : الأعداد من 1 إلى 9 في اللغة الصينية
104	الشكل رقم (13) : بوابة الأسد بموكينايا
161	الشكل (12) بردية عليها أجزاء من إلياذة "هوميروس
162	الشكل (14) مشاهد من ملحمة الحرب الطروادية إلياذة هوميروس
163	الشكل (15) مكتبة آشور بنيبال
164	الشكل (16) لوح طينية للمحمة جلجامش الشهيرة
171	الشكل (17) : صورة هيزيود
172	الشكل (18) : صورة هوميروس

الفهارس العامة

185	الشكل (19) صورة للمسرح الإغريقي القديم حوالي القرن الخامس قبل الميلاد
216	الشكل رقم (20) صورة تاريخية عامة للتطور المبكر للمدارس البوذية
217	الشكل (21) تمثال بوذا
243	الشكل (22) رواد الفلسفة الإغريقية
251	الشكل (22) أرسطو
252	الشكل (23) الفيلسوف الإغريقي أفلاطون
253	الشكل (24) الفيلسوف الإغريقي سقراط
254	الشكل (25) بركليس
266	الشكل (26) تمثال هيروودوت
277	الشكل (27) جدول يربط الأبراج بأعضاء الجسم
278	الشكل (28) جدول الأمراض التي تحدث في كل برج
306	الشكل (27) تمثال لإله الطب إكيليوس
307	الشكل (28) و تمثال الإله أبوللو
320	الشكل (28) بريدية تحمل نسخة من قسم أبو قراط
321	الشكل (29) قسم أبو قراط حديث حسبما يتداول في العالم العربي
326	الشكل (30) قسم أبو قراط حديث حسبما يتداول في العالم العربي
331	الشكل رقم : (31) الأرقام الصينية و ما يقابلها بالعربية
337	الشكل (32) الأعداد الإغريقية
342	الشكل (33) دراسة الأعداد بشكل رمزي
458 - 457	الشكل (34) قصر الملك مينوس بكنوسوس
459	الشكل (35) مخازن الجرار في قصر كنوسوس
460	الشكل (36) رسم على جدران قصر كنوسوس تمثل ربات الشجر و الغناء
463 - 461	الأشكال رقم (37 - 38 - 39) قاعة عرش الملك مينوس في كنوسوس

الفهارس العامة

464	الشكل (40) تصور لقصر كنوسوس
471	الشكل (41) بوابة الاسد :
475	الشكل رقم 42 . مجموعة من الحلبي التي وجدها شليمان اثناء تنقيباته
276	الشكل رقم (43) رفاة لأحد الامراء الطرواديين . (حسب شليمان)
276	الشكل (44) هنريج شليمان و زوجته صوفيا

فهرس المحتويات

أ.....	مقدمة.....
1.....	الفصل الأول: أثر حضارات الشرق القديم على حضارة الإغريق.....
4.....	1. دور عملية الاقتباس و التقليد في التطور الحضاري للشعوب القديمة.....
4.....	1.1 الانتشار والتلاقي ظاهرة أثرت في التطور الحضاري بين الشعوب القديمة.....
5.....	2.1 أسس عملية الانتشار الثقافي و مدى تطابقها بين الشرق القديم و بلاد الإغريق.....
7.....	2. ملامح النهضة العلمية في حضارات الشرق القديم .
7.....	1.2 الجذور الأولى للمعرفة .
8.....	2.2 مظاهر النهضة العلمية في منطقة الشرق القديم .
9.....	1.2.2. بلاد ما بين النهرين.....
10.....	1.1.2.2 دور السجلات في تطور الكتابة ونشأة اللغة.....
16.....	2.1.2.2 المدرسة العراقية القديمة.....
23.....	2.2.2. حضارة مصر القديمة.....
23.....	1.2.2.2 الكتابة في مصر القديمة :
25.....	2.2.2.2 اكتشاف ورق البردي :
27.....	3.2.2. المدن الفينيقية نشاط تجاري و لغوي و جسر التواصل الحضاري :
27.....	1.3.2.2 التجارة :
29.....	2.3.2.2 التجارة الفينيقية القديمة من خلال المصادر الإغريقية (إلياذة هوميروس).....
30.....	3.3.2.2 الملاحه سبيل الفينيقيين لاكتشاف العالم :
31.....	4.3.2.2 الكتابة الفينيقية.....
34.....	5.3.2.2 مظاهر التأثير الفينيقي في الحضارة الإغريقية .
35.....	4.2.2. بلاد الفرس التأثير و التأثير و الصراع العسكري :
36.....	1.4.2.2 الحضارة الصينية القديمة :
37.....	2.4.2.2 حضارة الهند القديمة.....
38.....	3. جذور و جسور التواصل الحضاري و الثقافي بين حضارات الشرق و بلاد الإغريق.....
38.....	1.3 حضارتي الصين و الهند جدلية العزلة و الاتصال بالعالم القديم .
39.....	1.1.3. الطرق التجارية جسر التواصل الحضاري بين الصين و المناطق الواقعة غربها .
41.....	2.1.3. الهند معبر تجاري بين الشرق و الغرب .
42.....	3.1.3. دور الفينيقيين في الوساطة بين الهنود و بلاد الإغريق .
43.....	1.3.1.3 التواصل الحضاري بين الشرق القديم و بلاد الإغريق أرضية التفاعل و التفاعل.....

فهرس المحتويات

2.3.1.3	جذور التواصل الإغريقي مع الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط :	44.....
3.3.1.3	جسور التواصل الحضاري بين حضارات الشرقية و بلاد الإغريق	46.....
1.3.3.1.3	محور جزيرة كريت :	46.....
2.3.3.1.3	محور غرب آسيا :	47.....
3.3.3.1.3	محور العبرانيين :	49.....
	مزاعم العبرانيين في إسهامهم في حضارة الإغريق.	51..... □
4.3.3.1.3	حضارات الشرق — بلاد الإغريق مباشرة :	52.....
4.	العلاقات الثقافية بين حضارات الشرق القديم و بلاد الإغريق .	53.....
1.4	طبيعة العلاقات	53.....
2.4	ما أخذه الإغريق من الشرق في مجال العلم .	55.....
	الفصل الثاني: البواكير المحلية للحضارة الإغريقية.	59.....
1.	العوامل الطبيعية:	60.....
1.1	خصائص البيئة الطبيعية و أثرها في البناء الحضاري لبلاد الإغريق	61.....
1.1.1	البناء الحضاري لمنطقة البحر الأبيض المتوسط :	61.....
2.1.1	المظاهر العامة للوحدة الحضارية في منطقة الشرق المتوسطي و الشرق الأدنى و بلاد الإغريق	64.....
3.1.1.	خصائص البيئة الطبيعية و أثرها في البناء الحضاري لبلاد الإغريق .	66.....
1.3.1.1	خصائص الموقع :	66.....
2.3.1.1	المناخ و أثره على البلاد و السكان :	69.....
3.3.1.1	موارد الدخل و الثروة في بلاد الإغريق :	70.....
4.3.1.1	تأثير البيئة الطبيعية على تكوين الفرد :	72.....
2.	العوامل التاريخية :	75.....
1.2	حضارة بحر إيجه:	76.....
2.2	حضارة كريت :	77.....
1.2.2	اكتشاف كريت :	78.....
2.2.2	المظاهر الحضارية في كريت من خلال البحوث الأثرية :	79.....
3.2.2	الحياة السياسية :	80.....
4.2.2	الحياة الاقتصادية :	80.....
5.2.2	الديانة :	81.....
6.2.2	دمار كريت :	81.....

3.2	الحضارة الموكينية :	82.....
1.3.2	دور السجلات الكتابية في الكشف عن الحضارة الموكينية :	84.....
4.2	ب العلاقات الحضارية بين حضارات بحر إيجه و حضارات الشرق القديم	84.....
5.2	مدينة طروادة :	85.....
1.5.2	الحياة السياسية :	87.....
2.5.2	الحياة الاقتصادية :	87.....
3.5.2	الحياة الاجتماعية :	88.....
4.5.2	الحياة الدينية :	89.....
5.5.2	الحياة العسكرية :	89.....
6.5.2	انعكاسات الحرب الطروادية على الوضع العام في المنطقة:.....	90.....
3.	دور العامل البشري في التطور التاريخي للمنطقة :	91.....
1.3	التركيبية البشرية للمجتمع الإغريقي :	91.....
2.3	دور الهجرة في تكوين الشخصية الإغريقية :	94.....
3.3	دور الانتقال إلى مرحلة التكوين الحضاري :	96.....
4.3	أيونيا المهد الآسيوي للحضارة الإغريقية	97.....
1.4.3.	عوامل التطور الحضاري في آسيا الصغرى :	97.....
2.4.3	تأسيس أيونيا :	99.....
3.4.3	دور الموقع الجغرافي في نمو المدن الأيونية .	100.....
4.4.3	أثر البيئة الأيونية في بروز العلم و الفلسفة :	101.....
4.	العامل السياسي	102.....
1.4	العوامل الخارجية :	103.....
2.4	العوامل الداخلية :	104.....
3.4	السلطة السياسية لدولة المدينة بين تشجيع الحرية الفكرية و اضطهاد المفكرين والفلاسفة:	107.....
5.	العوامل الاجتماعية و الشخصية:.....	109.....
113.....	الفصل الثالث: الأساطير والأدب والمسرح بين الأصول الشرقية والإغريقية	
1.	الأساطير أولى بؤادر التأثير والتأثر	114.....
1.1	التراث الشرقي مصدر إلهام الفكر الديني الإغريقي و نقطة بداية الفلسفة .	115.....
2.1	الديانة الإغريقية اقتباس خضع للتعديل .	116.....
3.1	نشأة الكون بين الأسطورة العراقية و الإغريقية:	120.....

فهرس المحتويات

121.....	4.1 أسطورة كادموس ترسخ الالتقاء الفينيقي الإغريقي .
123.....	2. الأدب
123.....	1.2 بلاد ما بين النهرين مهد الملحمة القديمة
124.....	1.1.2. حول المكان و الزمان في ملحمة جلجامش:
125.....	2.1.2. ملحمة جلجامش قيمة أدبية وفنية وحضارية
126.....	3.1.2. ملحمة جلجامش رسائل فلسفية و أخلاقية
127.....	4.1.2. الفردية و الحرية المطلقة و المرأة
128.....	5.1.2. القيم البطولية من خلال ملحمة جلجامش و إلياذة .هوميروس
129.....	6.1.2. عالم الآلهة محور تشترك فيه الثقافتين السومرية والبابلية والإغريقية
130.....	7.1.2. اثر الملحمة في ثقافات العالم القديم
130.....	1.7.1.2. جلجامش وتيسوس :
130.....	2.7.1.2. جلجامش و أخيل :
131.....	3.7.1.2. جلجامش و هرقل
132.....	8.1.2. مقارنة بين الملاحم البابلية و الأساطير الإغريقية
132.....	9.1.2. التراجيدية الإغريقية تستوحي فكرة الانكسار و السقوط من المأساة السومرية
136.....	2.2 الملحمة الهندية القديمة دليل القدم و الأصالة
136.....	1.2.2. المهاجرات :
138.....	3. جهود الإغريق في مجال الأدب :
139.....	1.3 الأدب الهومييري
139.....	1.1.3. إلياذة هوميروس :
139.....	2.1.3. الأوديسا :
140.....	2.3 الملحمة عند هيزود (هيزيدوس) (معالم تربوية و تعليمية) :
141.....	3.3 القيمة الحضارية لملاحم هوميروس و هيزود :
144.....	4. نشأة المسرح :
144.....	1.4 المسرح في بلاد الشرق :
145.....	2.4 الأصول الشرقية للمسرح الإغريقي :
146.....	3.4 المسرح المصري القديم:
148.....	4.4 المسرح العراقي القديم :
148.....	5.4 المسرح الفينيقي أصل الاشتقاقات اللغوية للمصطلحات المستخدمة في المسرح الإغريقي

150.....	1.5.4. أصل تسمية التراجيديا :
150.....	2.5.4. أصل تسمية كوميديا :
151.....	6.4 ظهور المسرح الإغريقي :
152.....	1.6.4. رواد المسرح الإغريقي :
152.....	1.1.6.4 أسخيلوس (Eschylos) (556-524 ق.م)
153.....	2.1.6.4 سوفوكليس (Sophokles) (406-496 ق.م) :
153.....	3.1.6.4 بوروبيديس :
156.....	5. اللغة الإغريقية بين الجذور السامية و المصرية :
160.....	1.5 الاشتقاقات اللغوية في أسماء المواقع الجغرافية .
163.....	2.5 اللغة الإغريقية بين الأصالة و التغير
165.....	الفصل الرابع: أثر حضارات الشرق القديم على حضارة الإغريق
166.....	1. أصل الفلسفة.....
166.....	1.1 نشأة السؤال الفلسفي :
167.....	2.1 نشأة الفلسفة جدلية بين الشرق و الغرب :
168.....	1.2.1. الرأي الأول : منكري الأصالة الشرقية للفلسفة .
170.....	2.2.1. الرأي الثاني : مؤيدي الأصول الشرقية للفلسفة :
173.....	3.2.1. تقييم الموقف :
173.....	3.1 علاقة الفلسفة بالدين و الأسطورة :
173.....	1.3.1. علاقة الفلسفة بالدين
175.....	2.3.1. علاقة الفلسفة بالأسطورة :
177.....	2. الشرق القديم المهده الأول لميلاد التفكير الفلسفي :
177.....	1.2 في مصر القديمة :
178.....	1.1.2. أخناتون فلسفة دينية و اجتماعية :
179.....	2.2 الفلسفة في الهند :
180.....	1.2.2. الملامح العامة للفلسفة الهندية :
181.....	2.2.2. إطلالة تاريخية على الفلسفة الهندية :
182.....	3.2.2. الملامح العامة للفلسفة البوذية :
187.....	4.2.2. علاقة الفلسفة الإغريقية بالفكر الهندي :
188.....	3.2 الخصائص الأساسية للفلسفة الصينية القديمة :

3.	الفلسفة الإغريقية أولى مظاهر التطور الفكري الإغريقي :	190.....
1.3	الفلسفة الطبيعية (المدرسة المالطية) :	190.....
2.3	رواد المدرسة المالطية :	191.....
1.2.3.	طاليس:	191.....
2.2.3.	انكسمتدريس المالطي : (610 – 545 ق.م)	193.....
3.2.3.	اناكسيمونس :	194.....
4.2.3.	دور المدرسة المالطية في الفكر الإغريقي :	194.....
3.3	المدرسة الفيثاغورية :	195.....
1.3.3	هيراقلطس :	197.....
2.3.3	نظرية اللوغوس :	198.....
4.3	الفلسفة الإنسانية :	199.....
1.4.3.	سقراط (470 – 399 ق.م)	200.....
2.4.3	أفلاطون :	202.....
1.2.4.3	نظرية المتتالية:	203.....
2.2.4.3	نظرية الدولة عند أفلاطون :	204.....
3.2.4.3	أفلاطون و التربية :	205.....
3.4.3.	أرسطو : (384 – 322 ق.م)	206.....
5.3	علاقة الفلسفة الإغريقية بالفكر الشرقي القديم .	209.....
4.	الديمقراطية الأثينية مظهر التميز في الفكر السياسي الإغريقي .	212.....
1.4	حضارات الشرق القديم الأصول الأولى للفكر السياسي	212.....
1.1.4.	مصر نموذج لممارسة المرأة للسياسة و الحكم .	213.....
2.4	نشأة النظام الديمقراطي عند الإغريق .	214.....
3.4	الديمقراطية الأثينية بين الحقيقة و الخيال .	217.....
1.3.4.	التاريخ بين أهميته كإبداع إغريقي و وجوده عند حضارات الشرق .	223.....
4.4	نشأة الفكر التاريخي في الشرق القديم .	223.....
5.4	التاريخ عند الإغريق .	225.....
6.4	هيرودوت و توكيدنيس و تأسيس علم التاريخ .	226.....
1.6.4	هيكاتايوس (Hecataus) :	226.....
2.6.4	هيرودوت (Hérodote) :	226.....

228.....	3.6.4. توكيديتس (Thucydide) :
229.....	4.6.4. الكتابة التاريخية بين هيرودوت و توكيديس :
230.....	5.6.4. كسنوفون (Xenophone) :
231.....	6.6.4. ديودور الصقلي (Diodor de Sicile) :
234.....	الفصل الخامس: الطب بين الأصول الشرقية والإغريقية.....
235.....	1. دوافع ظهور المعرفة في حضارات الشرق القديم.....
235.....	1.1 بين العلم و الفلسفة :
236.....	2.1 الدوافع التي أدت إلى ظهور البوادر الأولى للمعرفة في حضارات الشرق القديم:
238.....	3.1 دور التطبيقات الفنية و المهاراتية في ظهور و تطور العلم :
241.....	2. الطب في القديم ظاهرة ارتبطت بظهور الإنسانية :
241.....	1.2 الأسطورة و الدين أولى عوامل تفسير أسباب الأمراض
245.....	2.2 الكتابة و العقاقير عوامل ساعدت على تطور الطب في القديم
246.....	3. الطب في حضارات الشرق القديم.....
246.....	1.3 أهم فروع الطب في القديم :
247.....	2.3 طب النساء في حضارات الشرق الأدنى القديم :
248.....	3.3 من تشخيص الداء إلى البحث عن الدواء :
249.....	4.3 الطب و الدواء عند قدماء الشرقيين :
251.....	5.3 أهم أنواع الأدوية و الأعشاب و العقاقير :
253.....	1.5.3. النزعة العلمية في الطب عند قدماء الشرقيين :
253.....	6.3 الطب المصري القديم :
258.....	7.3 تأثير الطب المصري القديم في الطب الإغريق :
258.....	1.7.3. العقاقير :
260.....	2.7.3. في مجال الجراحة و الطرق العلاجية :
261.....	3.7.3. التكهن بالحمل و الولادة :
261.....	4.7.3. انواع الاختبارات :
262.....	8.3 الطب في بلاد ما بين النهرين:
263.....	1.8.3. قوانين حمورابي: أصل التشريع و قانون الطب في الشرق القديم :
265.....	9.3 النزعة العلمية للطب في بلاد ما بين النهرين :
266.....	10.3 تأثير الطب البابلي و الآشوري في الطب القديم :

11.3	الطب الإغريقي	267.....
1.11.3	علاقة الطب بالسحر و الأسطورة عند الإغريق :	267
2.11.3	الطب الإغريقي من خلال الملاحم الهومييرية :	273
12.3	دور الفلسفة في نشأة النظرية العلمية للطب الإغريقي :	275.....
13.3	استمرار العلاقات المصرية الإغريقية :	276.....
4.	أبقراط و الطب الإغريقي:	278.....
1.4	نظرية الأخلاط مظهر ميز الطب الإغريقي.....	279.....
2.4	كتاب الطب القديم.....	280.....
3.4	المرض في الطب الأبقراطي.....	281.....
4.4	النزعة العلمية في الطب الأبقراطي.....	282.....
5.4	أرسطو و الاهتمام بالتشريح و الأحياء .	283.....
6.4	أرسطو و البدايات الأولى لدراسة علم الأجنة.....	284.....
	الفصل السادس: الرياضيات والفلك بين الأصول الشرقية والإغريقية.....	289.....
1.	الرياضيات.....	290.....
1.1	نشأة الرياضيات في الحضارات القديمة.....	290.....
1.1.1	الرياضيات عند قدماء الشرقيين.....	292.....
1.1.1.1	الرياضيات عند البابليين.....	292.....
2.1.1.1	المنهج الرياضي لدى الهنود و الصينيين.....	294.....
2.1.1	الرياضيات عند الإغريق:.....	296.....
1.2.1.1	ضرورة الرياضيات عند قدماء الإغريق.....	296.....
2.2.1.1	تأثير الرياضيات الشرقية في الرياضيات عند الإغريق.....	297.....
3.2.1.1	الأعداد الإغريقية.....	298.....
4.2.1.1	فيتاغورس و الرياضيات الشرقية.....	300.....
5.2.1.1	إقليدس و منهجه العلمي :	303.....
6.2.1.1	نقد النظرية :	305.....
2.	الفلك.....	308.....
1.2	الفلك في الحضارات الشرقية القديمة.....	308.....

1.1.2.	التنجيم مهد لولادة علم الفلك بحضارات الشرق القديم :	308.....
1.1.1.2	قصة الخسوف و الكسوف:	310.....
2.1.1.2	علم الفلك البابلي القديم:	312.....
3.1.1.2	التقارير الفلكية في بلاد ما بين النهرين :	314.....
4.1.1.2	الأدوات الفلكية:	317.....
5.1.1.2	الفلك في بلاد فارس :	318.....
6.1.1.2	الفلك في مصر القديمة :	319.....
7.1.1.2	الفلك عند الصينيين :	320.....
8.1.1.2	جهود الاغريق في مجال الفلك.....	321.....
9.1.1.2	تطور مجال الفلك عند مفكري الإغريق.....	323.....
1.9.1.1.2	آراء المفكرين حول الفلك.....	323.....
3.	العلم الإغريقي بين مراحل تطوره و عزله عن اصوله الشرقية و صفته النظرية .	329.....
1.3	الطابع العلمي و النظري في العلم بمحلة ما قبل سقراط .	329.....
2.3	ظهور العلم النظري في عصر أفلاطون و أرسطو	332.....
3.3	عودة الأصول الشرقية للعلم الإغريقي في العصر الهيلينستي	334.....
4.3	العلم الإغريقي بين جدلية النظرية و التطبيق	334.....
الفصل السابع :	العبقرية الإغريقية بين إشكالية التكون و إيدولوجية المركزية الغربية.....	337.....
1.	بين الشرق و الغرب	338.....
1.1	جدلية الأنا و إقصاء الآخر	338.....
2.1	الشرق و الغرب و جدلية بناء المعرفة المشتركة	339.....
3.1	أسس بناء المعرفة المشتركة للحضارة البشرية	340.....
1.3.1.	الأصل الواحد للبشر	340.....
2.3.1.	اختلاف الهويات الثقافية يكون باختلاف البيئات و المعتقدات	341.....
3.3.1.	التكافؤ الثقافي و الحضاري	341.....
4.3.1.	ضرورة إلغاء التصنيفات العنصرية التي هي وليدة ظروف تاريخية معينة.....	342.....
2.	النزعة العنصرية في أوروبا ودورها في تمجيد فكرة العبقرية الإغريقية	342.....
1.2	الأصول التاريخية للتعصب الغربي و تطور فكرة المعجزة الإغريقية	342.....
2.2	النزعة العنصرية الأوروبية	345.....
1.2.2.	مونتيسكيو و بوادر المركزية الغربية و التعصب العنصري	345.....

فهرس المحتويات

2.2.2.	إرنست رينان : تصريح صريح لفكرة العبقرية الإغريقية و نبذ الأعراق الأخرى.....	346
3.2.2.	بريطانيا و ألمانيا البيئة الملائمة لرواج فكرة المركزية الغربية.....	348
3.2	العبقرية الإغريقية بين جدلية التأييد و الإنكار للأصول الشرقية.....	350
1.3.2.	مفهوم العبقرية الإغريقية أو المعجزة الإغريقية	350
2.3.2.	العبقرية الإغريقية بين التأييد و الإنكار:	351
3.3.2.	الاتجاه المؤيد لفكرة عبقرية الإغريق.....	351
1.3.3.2	أرسطو أول مؤسس لهذا الاتجاه :	351
2.3.3.2	نظرية الكيوف الطبيعية :	351
4.3.2.	الاتجاه المعارض ، رفض فكرة العبقرية الإغريقية و تأييد الأصول الشرقية.....	355
5.3.2.	أسس العبقرية الإغريقية.....	358
3.	العبقرية الإغريقية بين الحقيقة و الخيال	361
1.3	كتابة التاريخ الحضاري لبلاد الإغريق.....	361
2.3	اتجاهات جديدة في كتابة التاريخ.....	362
1.2.3.	(برنال) ثورة في إيديولوجيات تهمز العقل الأوروبي.....	362
2.2.3.	العبقرية الإغريقية أو المعجزة الإغريقية و إشكالية تحديد المصطلحات:.....	367
1.2.2.3	مفهوم العبقرية :	368
2.2.2.3	مفهوم المعجزة	369
3.2.3.	المركزية الغربية تستثمر نظرية الكيوف الأرسطية.....	371
4.2.3.	تكييف نظرية الكيوف الأرسطية بنظرية التفوق العرقي الحديثة.....	373
5.2.3.	تعصب عرقي تبرره نظرية الطبائع الأرسطية :	374
4.	إشكالية الأصول الجغرافية للفكر الإغريقي.....	377
1.4	مالطة المهدي الآسيوي للفلسفة الإغريقية.....	377
2.4	إشكالية تخلص الفكر الإغريقي من سيطرة الخرافة و الدين.....	379
3.4	التراث الشفهي الإغريقي، إشكالية التأصيل الفكري تشكك في صدق المصادر.....	382
4.4	حضارة العقل تمجد اللامعقول	384
5.	إشكالية الأصول الجغرافية و الفكرية للعقل الإغريقي.....	391
خاتمة.....		399
الملاحق.....		408
1.	الملحق الأول :	409

فهرس المحتويات

419.....	2. الملحق الثاني :
425.....	3. الملحق الثالث :
427.....	بيليوغرافيا
440.....	الفهارس العامة
441.....	1. فهرس الشخصيات
449.....	2. فهرس الأماكن
456.....	3. فهرس الأشكال والصور
459.....	4. فهرس الخرائط
462.....	فهرس المحتويات